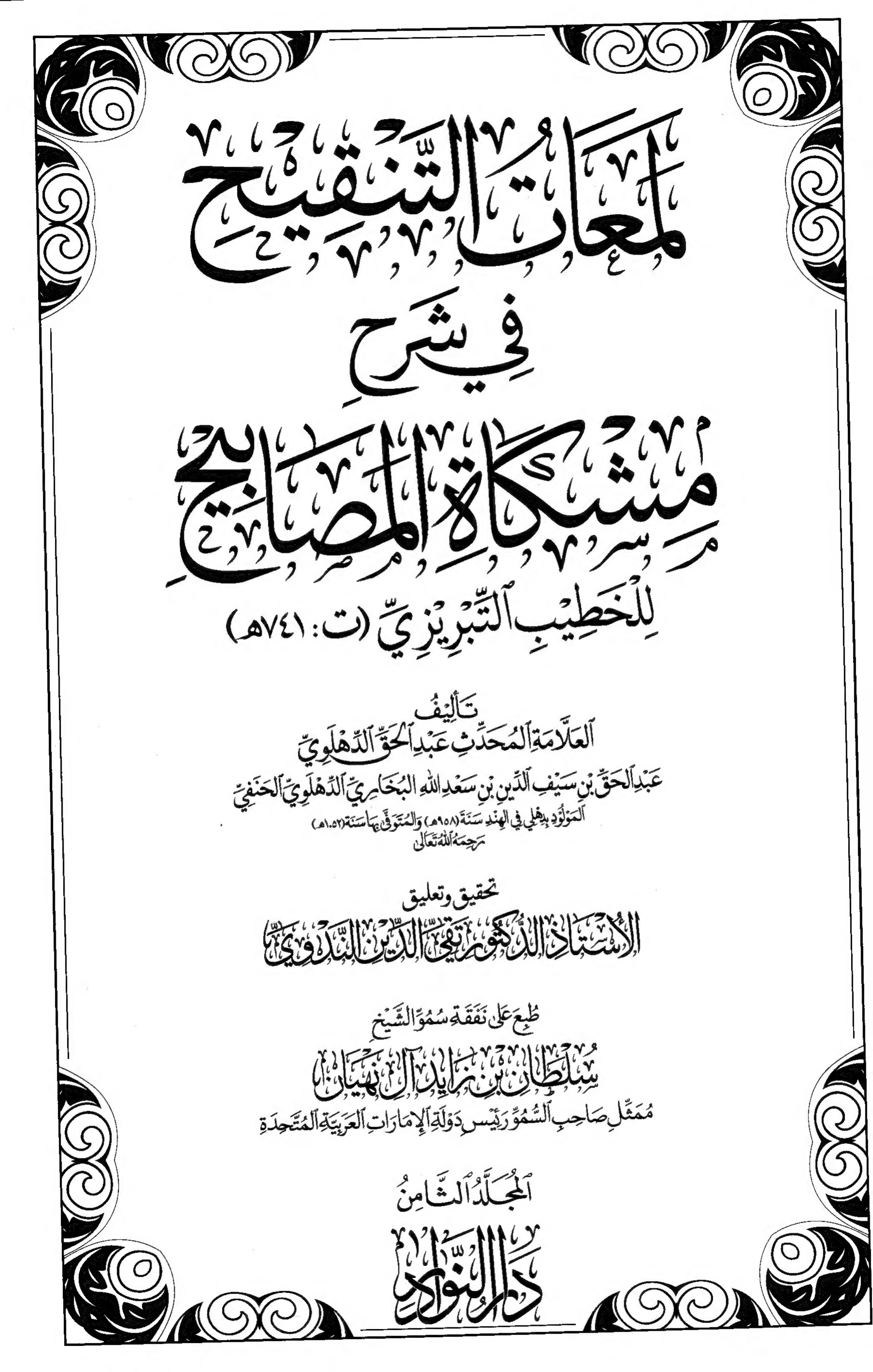


لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح

للخطيب التبريزي (ت: ٧٤١هـ)

تأليف

العلامة المحدث عبد الحق الدهلوي

عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي

المولود بدهلي في الهند سنة (٩٥٨هـ) والمتوفى بها سنة (١٠٥٢هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

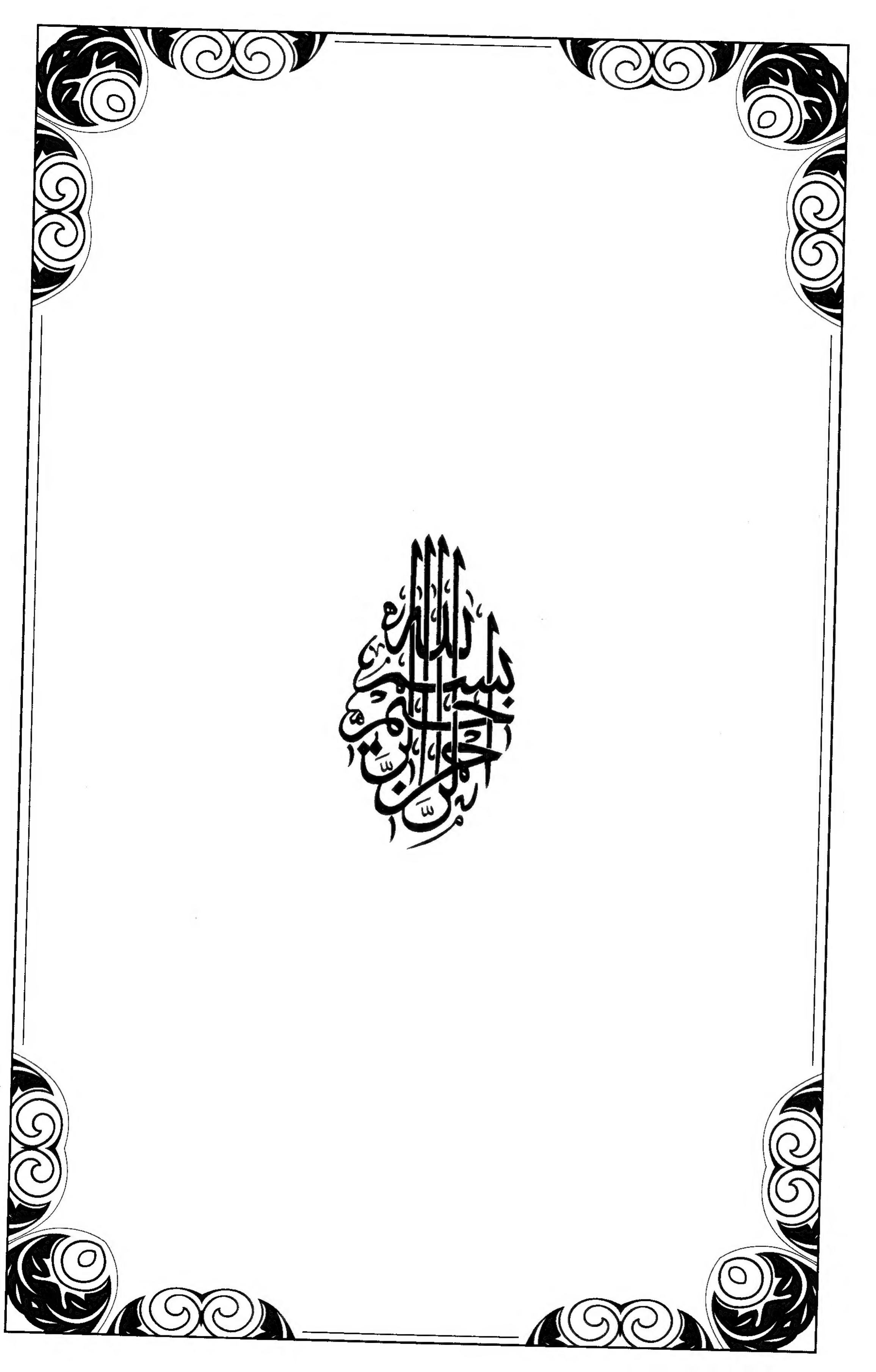
طبع على نفقة سمو الشيخ

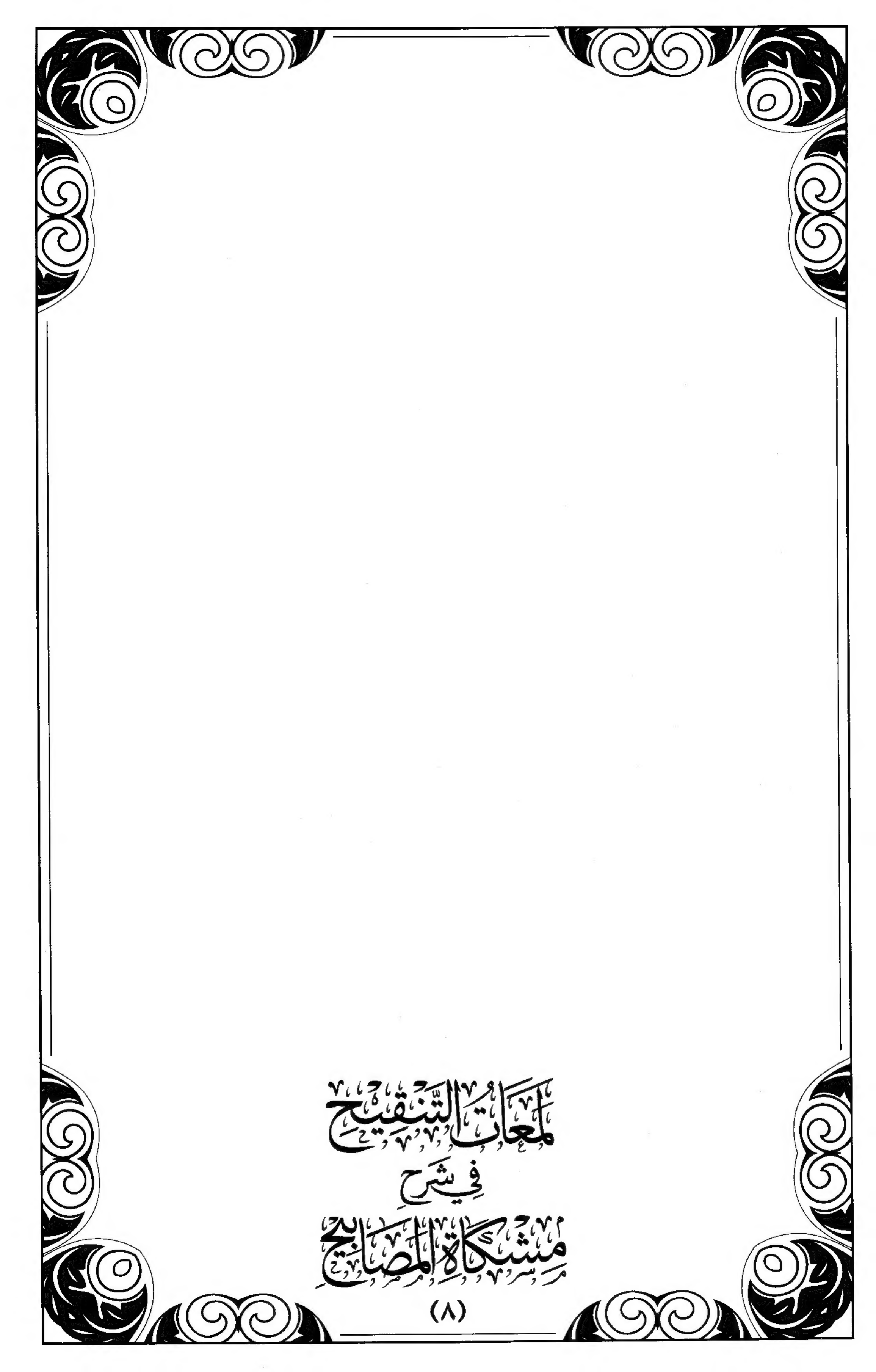
سلطان بن زايد آل نهيان

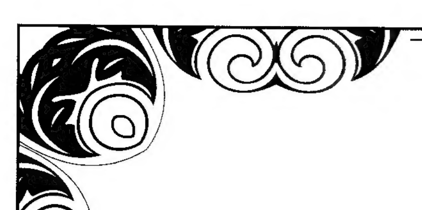
ممثل صاحب السمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

المجلد الثامن

دار النوادر


بسم الله الرحمن الرحيم


لمعات التنقيح
في شرح
مشكاة المصابيح
(٨)





المؤسس والمالك

نور الدين طالب

مؤسسة ثقافية علمية تُعنى بالتراث العربي والإسلامي والدراسات الأكاديمية والجامعية المتخصصة بالعلوم الشرعية واللغوية والإنسانية تأسست في دمشق سنة 1422هـ - 2002م، وأشهرت سنة 1426هـ - 2006م.

سوريا - دمشق - الحلبوني:

ص. ب: 34306

00963112227001

00963112227011

00963933093783

00963933093784

00963933093785

dar.alnawader

t.daralnawader.com

f.daralnawader.com

y.daralnawader.com

i.daralnawader.com

L.daralnawader.com

E-mail: info@daralnawader.com

Website: www.daralnawader.com

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ISBN 978-9933-527-15-0

9 789933 527150

شركات شقيقة

دار النوادر اللبنانية - لبنان - بيروت - ص. ب: 14/4462 - هاتف: 652528 - فاكس: 652529 (009611)

دار النوادر الكويتية - الكويت - ص. ب: 1008 - هاتف: 22453232 - فاكس: 22453323 (00965)

دار النوادر التونسية - تونس - ص. ب: 106 (أريانة) - هاتف: 70725546 - فاكس: 70725547 (00216)

مركز الشيخ أبي الحسن الندوي

للبحوث والدراسات الإسلامية

مظفرفور - أعظم جراه - يوبي - الهند

SHEIKH ABUL HASAN NADWI CENTER

For Research & Islamic Studies

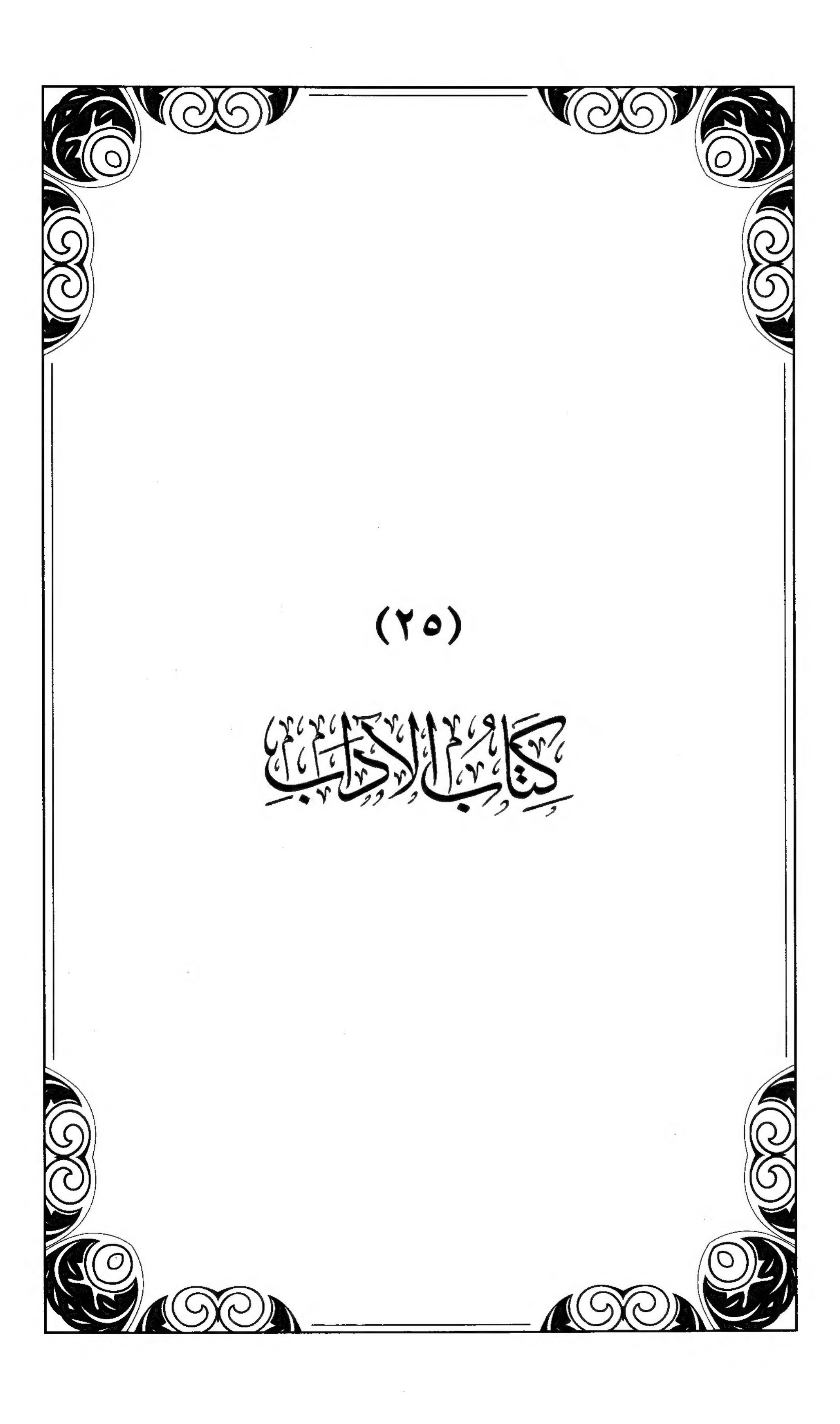
MOZAFFAR PUR, AZAMGARH, U.P.(INDIA).

الهاتف: 0091-5462270104

متحرك: 0091-9450876465

الفاكس: 0091-5462270786

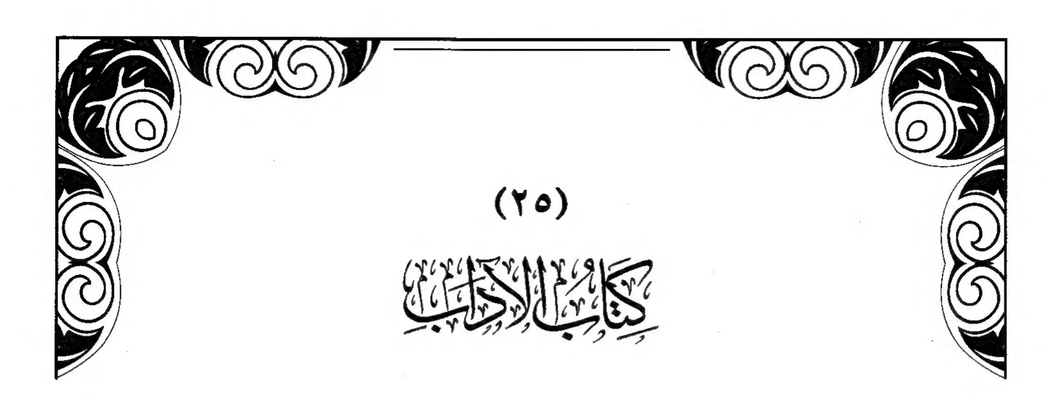
البريد الإلكتروني: drnadwi@gmail.com



(٢٥)

كتاب الآداب





٢٥ ـ كتاب الآداب

قال الطيبي[١]: الأدب اسم يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وتركيبه يدل على الجمع والدعاء، ومنه الأدب، بمعنى جمع الناس إلى الطعام ودعائهم إليه، وقيل للصنيع: مأدبة، كما قيل له: مدعاة، ومنه الأديب؛ لأنه يأدِبُ الناس إلى المحامد، [أي]: يدعوهم إليها، وفي (القاموس)[٢]: الأدب: حسن التناول، أَدُب كَحَسُنَ، أدَباً، فهو أديب، والجمع أُدباء، وأدَّبه: علمه، فتأدّب واستأدب، والأدب بالفتح: العجب.

وفي (الصراح)[٣]: أدب بفتحتين: فرهنگ ونگاه داشت حد هر چيز، ويقال: أدب الرجل يأدب بالضم فهو أديب، وأدبته فتأدب.

وقال السيوطي: الأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع الحسنات، وقيل: تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، ويقال: إنه مأخوذ من المأدَبَة، وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه،

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٨).

(٣) «الصراح» (ص: ١٨).

١ - باب السلام

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٦٢٨ - [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، . . . .

وفي (مجمع البحار)[1]: الأدب: حسن الأخلاق، انتهى.

١ - باب السلام

هو اسم من التسليم بمعنى السلامة والبراءة من النقائص والعيوب، واسم من أسماء الله تعالى، وقيل: التسليم مشتق من اسم الله السلام، لسلامته من العيب والنقص، ومعنى قولهم: السلام عليك: أن الله مطلع عليك فلا تغفل، أو اسم الله عليك، أي: أنت في حفظه، كما يقال: الله معك، وقيل: اسم السلام عليك إذا كان اسم الله يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتفاء عوارض الفساد عنه، وقيل: أي سلمت مني فاجعلني أسلم منك، من السلامة بمعنى السلم، أي: المصالحة، شرع هذا في ابتداء الإسلام لتمييز المسلم من الكافر فلا يتعرض له.

الفصل الأول

٤٦٢٨ - [١] (أبو هريرة) قوله: (خلق الله آدم على صورته) اختلف العلماء، فمنهم من أمسك عن تأويله، قال: هو من حديث الصفات فتمسك عن تأويلها، ومنهم من أوله فقال: الصورة بمعنى الصفة كما يقال: صورة المسألة هكذا، أي: خلقه مظهراً لصفاته وجعله موصوفاً بصفات هي آثار صفاته الكريمة، أو الإضافة للتشريف، كبيت الله وروح الله، وقيل: الضمير لآدم، أي: خلقه أول أمره بشراً سويًّا بطول ستين،

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٥٦).

طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ:.....................

لا كغيره نطفة في الأطوار فصبياً فرجلاً، أو على صورته التي لا يشاركه [فيها] نوع آخر من الحيوانات؛ فإنه يوصف مرة بالعلم، ومرة بالجهل، ومرة بالاجتباء، ومرة بالعصيان، والظاهر أن الصورة على هذا الوجه بمعنى الصفة، أو على الصورة الخاصة التي أبدعها، وجعلها نسخة جامعة من جملة المخلوقات، إذ ما من مخلوق إلا وله مثال في صورته، ولهذا قيل: هو عالم صغيرٌ.

ويمكن أن تكون الصورة على هذا التقدير أيضاً بمعنى الصفة، يعني خلقه على صفات جامعة لصفات العالم كله، أو الصورة بمعنى الأمر والشأن في كونه مسجود الملائكة، مالكاً للحيوانات، مسخراً لها، وقيل: الضمير للأخ في قوله: (إذا ضرب أحدكم أخاه فليجتنب الوجه)، وجاء في رواية أخرى: أن النبي ﷺ رأى رجلاً يضرب وجه غلام، فقال: (لا تضرب الوجه؛ فإن الله تعالى خلق آدم على صورته)، كأنه قيل هذا المضروب من أولاد آدم فاجتنبوا ضرب أشرف أجزائه؛ إذ أكثر الحواس فيه، ويضعف هذين الوجهين أنه قد جاء في حديث آخر: (خلق آدم على صورة الرحمن)، وقيل: لم يثبت هذا عند المحدثين، والله أعلم.

وقوله: (**طوله ستون ذراعاً**) أي: هذا أنسب بجعل الضمير (لآدم) المفيد لكونه مخلوقاً من أول أمره كما هو، فيكون كالبيان لخلقه على صورته، وأما على تقدير كون الضمير لله يكون بياناً لوصف آخر له بعد ذكر كونه مخلوقاً على صفته تعالى، وأما على تقدير كون الضمير للأخ؛ فلا يخلو ربطه بما قبله عن بعد، وإنما خص بيان الطول بالذكر لكونه مما لا يتعارف بخلاف سائر صفاته التي كانت عليها.

وفي (القاموس)[1]: الذراع بالكسر: من طرف المرفق إلى طرف الأصبع

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٠).

اذْهَـبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ ـ وَهُـمْ نفَرٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ ـ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّـةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ»، قَالَ: «فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللهِ». . . . . . .

الوسطى، ويعلم بالمقايسة إليه حال العرض أيضاً مجملاً.

وقوله: (**وهم نفر من الملائكة**) النفر: رهط من الناس من الثلاثة إلى العشرة؛ فإما أن يكـون المراد هنا أيضاً هـذا العدد، ويكون الملائكة الجالسون هذا المقدار، أو يكون المراد مطلق الجماعة وإن كانوا أكثر، والله أعلم.

ثـم الظاهر أن هذا مـن كلام النبي ﷺ، ويحتمل أن يكـون مـن كلام الله تعالى بياناً للمشار إليهم، وسيجيء في الفصل الثالث مثل هذه العبارة المحتملة للوجهين، لكن الاحتمالين هناك يتساويان وهنا الراجح أحدهما، فافهم.

وقوله: (**ما يحيونك**): (ما) موصولة، ويحتمل أن تكون استفهامية، وفي أكثر الأصول بالحاء المهملة والياء المشددة، وفي بعضها: (**يجيبونك**) بالجيم والياء التحتانية والموحـدة، من الجواب، والتحية: السلام، وهي (تفعلة) من الحياة بمعنى الإحياء والتبقية، حيّاه، أي: أحياه وعمّره، ويجيء التحية بمعنى الملك والبقاء، وبالكل فسر في (التحيات لله تعالى).

وقولـه: (**ذريتك**) الذرية مشتق من الذر بمعنى البث والنشر، جمعه الذراري، ومنه: الذرة للنملة.

وقولـه: (**فزادوه ورحمة الله**) زيادة (ورحمة الله) مستحب في ردِّ السلام، وقد جاء زيادة (وبركاتـه) أيضاً، وورد فـي بعض الروايات (ومغفرته) أيضاً كما يجيء في الفصل الثاني.

قَالَ: «فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٢٧، م: ٢٨٤١].

٤٦٢٩ ـ [٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتُقْرِئُ السَّلَامَ. . . . .

وقوله: (فكل من يدخل الجنة) إلى آخر الحديث؛ فيه تقديم وتأخير في البيان، أي: خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، وكانت ذريته كذلك، ثم لم يزل أولاده ينقص بعده حتى الآن، فلما أدخلوا الجنة أعيدوا إلى ما كان أبوهم عليه من طول القامة والحسن والجمال، أي: كلهم على هذه الهيئة، وأما الجهنميون فضرس أحدهم مثل أحد على أقبح شكل وأفظعه، نعوذ بالله منها.

٤٦٢٩ ـ [٢] (عبدالله بن عمرو) قوله: (أي الإسلام) أي: أيّ أحكام الإسلام وآدابه.

وقوله: (تطعم الطعام وتقرأ السلام . . . إلخ)، خبران في معنى الأمر، والأظهر بحسب المعنى أن يكونا بتقدير (أن)، وهو إشارة إلى السخاوة والتواضع؛ فإنهما أصل حمايد الصفات وعمدة الخصائل التي تجب رعايتها بالنسبة إلى الخلق وتعاملهم.

وقال الطيبي[1]: ولعل تخصيصهما من جهة المناسبة بحال السائل، ولذلك أسندهما إليه بلفظ الخطاب، انتهى.

والدليل على ذلك أنه قد أجاب في أحاديث أخر بخصائل أخر مثل: (الصلاة بالليل والناس نيام)، ونحو ذلك.

و(تقرئ) بضم التاء وكسر الراء من الإقراء، وقد يقرأ: (تقرأ) بفتح التاء والراء

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٧).

عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٣٦، م: ٣٩].

٤٦٣٠ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، ....

من القراءة، ومعناه ظاهر، والصحيح الفصيح هو الأول كما جاء في الأحاديث مثل: (الله يقرئك السلام) وغيره، ويقال: أَقْرِئْ فلاناً السلام، واقرأ عليه السلامَ، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده، وقيل: إن كان بالكتابة فمن الإقراء، وإن كان بالكلام فمن القراءة، وقد سبق مثل هذا.

وقوله: (**على من عرفت ومن لم تعرف**) وهو معنى ما جاء في حديث آخر: (أفشوا السلام)، ويحتمل أن يكون ذلك بمعنى إظهار لفظه حتى يسمع المسلم عليه، وكذلك حكم الرد، وفي الحديث إشارة إلى أن السلام من حق الإسلام دون الصحبة، وكذلك حكم العيادة هو نحوها كما يأتي في الحديث الآتي.

٤٦٣٠ ـ [٣] (**أبو هريرة**) قوله: (**للمؤمن على المؤمن**) لما كانت هذه الأشياء سنة مؤكدة أو مستحبة متأكدة الاستحباب أدخل حرف (على) المفيدة في الظاهر الوجوب مبالغة وتأكيداً.

وقوله: (**يعوده إذا مرض**) من العود، وفي (القاموس)[1]: العود: الرجوع، والصرف، والرد، وزيارة المريض، كالعياد والعيادة، والعواد بالضم، والمريض معود، انتهى.

ولعله إنما سميت عيادة لرجوع العائد إلى المريض، أو لأنه يعود ويكررها.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٨).

وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَنْصَحُ لَهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ»، لَمْ أَجِدْهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَلاَ فِي كِتَابِ «الْحُمَيْدِيِّ»، وَلَكِنْ ذَكَرَهُ صَاحِبُ «الْجَامِعِ» بِرِوَايَةِ النَّسَائِيِّ. [ن: ١٩٣٨].

وقوله: (**ويشهده إذا مات**) أي: صلاة الجنازة وتشييعها والدفن.

وقوله: (**ويجيبه إذا دعاه**) أي: للطعام إن لم يكن هنا مانع من بدعة ومنة ومفاخرة وغير ذلك كما عرف في موضعه.

وقوله: (**ويسلم عليه إذا لقيه**) ولم يقل: ويرد عليه إذا سلم؛ لأن ذلك واجب لازم للسلام.

وقوله: (**ويشمته إذا عطس**) التشميت بالشين والسين: جواب العاطس، وأصل التشميت بالمعجمة: إزالة الشماتة، فاستعمل للدعاء بالخير لتضمنه ذلك، ومعناه: جنّبك الله تعالى الشماتة وأبعدك عما يشمت به عليك، والمعنى في ذلك أن العطاس علامة صحة المزاج وقوته، ففيه إزالة شماتة الأعداء، وقيل: مشتق من الشوامت بمعنى القوائم، كأنه دعا بالثبات على الطاعة.

والتسميت بالمهملة معناه جعلك الله على سمت حسن، وسيجيء ذكره وذكر أحكامه في (باب العطاس والتثاؤب).

وقوله: (**وينصح له إذا غاب أو شهد**) أي: يريد به خيراً حاضراً وغائباً، يقال: نصحته ونصحت له، وهو باللام أفصح، والنصح: إرادة الخير، وهو في الأصل الخلوص، والناصح: العسل الخالص، كذا في (القاموس)[١].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٣٦).

٤٦٣١ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُم». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٥٤].

٤٦٣٢ ـ [٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٣٢، م: ٢١٦٠].

٤٦٣٣ ـ [٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٢٣٠].

وفي (الصحاح)[١]: قال الأصمعي: الناصح: الخالص من العسل وغيره مثل ناصع، وكل شيء خلص فقد نصح، والتوبة النصوح: الصادقة، وهو أن لا يرجع إلى ما تاب عنه، أو لا ينوي الرجوع.

٤٦٣١ ـ [٤] (وعنه) قوله: (ولا تؤمنوا) الظاهر إثبات النون، وهكذا وجد في بعض الأصول، وفي بعضها بحذف النون للمجانسة والازدواج.

٤٦٣٢ ـ [٥] (وعنه) قوله: (يسلم الراكب على الماشي) أي: ينبغي له أن يفعل ذلك، وإن ابتدأ الماشي فله الفضل.

٤٦٣٣ ـ [٦] (وعنه) قوله: (يسلم الصغير على الكبير . . . إلخ)، قالوا: هذا إذا تلاقى اثنان، أما الوارد فيبدأ بالسلام سواء كان كبيراً أو صغيراً.

---

(١) «الصحاح» (١/ ٤١١).

٤٦٣٤ ـ [٧] وَعَن أَنَسٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٤٨٠، م: ٢١٦٨].

٤٦٣٥ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ، وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٦٧].

٤٦٣٦ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: وَعَلَيْكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٥٧، م: ٢١٦٤].

٤٦٣٧ ـ [١٠] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكتابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٥٨، م: ٢١٦٣].

٤٦٣٤ ـ [٧] (أنس) قوله: (مرّ على غلمان فسلم عليهم) فيه غاية التواضع والشفقة على الأمة منه ﷺ، وتعليم أن التسليم على المار.

٤٦٣٥ ـ [٨] (أبو هريرة) قوله: (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام) مفهومه جواز الرد، ويجيء طريقه في الأحاديث الآتية، وجاء في بعض الروايات زيادة: (وهداك الله).

وقوله: (فاضطروه إلى أضيقه) أي: اغلبوه حتى يضطر إلى التنحي من وسط الطريق إلى طرفه، وفي بعض الحواشي: مروه ليعدل عن الوسط إلى طرفيه.

٤٦٣٦ ـ [٩] (ابن عمر) قوله: (السَّام عليك) أي: الموت.

٤٦٣٧ ـ [١٠] (أنس) قوله: (فقولوا: وعليكم) جاءت الروايات بضمير الواحد والجمع، وبإثبات الواو وحذفها، فقيل: المختار حذفها؛ لئلا يلزم المشاركة فيما

٤٦٣٨ ـ [١١] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ[١] ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «عَلَيْكُمْ» وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَاوَ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ قَالَتْ: إِنَّ الْيَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَهْلاً يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بالرِّفق، وإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ والفُحْشَ»، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَولَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «لاَ تَكُونِي فَاحِشَةً، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحبُّ الفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٩٢٧، م: ٢١٦٥].

قالوا، وقال بعضهم: لا بأس بالتشريك؛ لأن الموت مشترك بين الكل، وقيل: الواو ليس للتشريك بل للاستئناف، أي: وعليكم ما تستحقونه، والصواب جواز الوجهين، وللطيبي[٢] هنا كلام طويل، فانظر[ه] ثمة.

٤٦٣٨ ـ [١١] (عائشة) قوله: (الفحش والتفحش) الفحش: هو ما اشتد وظهر قبحه من الذنوب، والفحش في كلام: الغلظ فيه، والتفحش: التعمد والتكلف فيه.

---

(١) في نسخة: «رَسُوْلِ اللهِ».

(٢) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ١١).

٤٦٣٩ ـ [١٢] وَعَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَـدَةِ الأَوْثَـانِ وَالْيَهُودِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٦٥٤، م: ١٧٩٨].

٤٦٤٠ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِـي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى..........

٤٦٣٩ ـ [١٢] (أسامة بن زيد) قوله: (من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود) قال الطيبي[1]: (عبدة الأوثان) بدل من (المشركين)، وكذا قوله: (اليهود)، وجعلهم مشركين إما لقولهم: عزير ابن الله، وإما للتغليب، أقوال. ويراد بالمشركين الكافرون، أو يعطف اليهود على المشركين، وإبدال عبدة الأوثان من المشركين للإشارة إلى أن مشركي العرب لم يكونوا إلا المشركين في العبادة دون الوجود والخلق.

وقوله: (فسلّم عليهم) وقصد التسليم على المسلمين.

٤٦٤٠ ـ [١٣] (أبـو سعيـد الخـدري) قولـه: (ما لنـا مـن مجالسنا بـد) فـي (القاموس)[2]: بدده تبديداً: فرقه، ولا بد: لا فراق ولا محالة.

وقوله: (إلا المجلس) في أكثر النسخ المصححة بكسر اللام، وهو الظاهر، وفي بعض الحواشي أنه بفتح اللام، مصدر ميمي.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٥٦).

وَرَدُّ السَّلَامِ، والأَمـرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْـيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٢٩، م: ٢١٢١].

٤٦٤١ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ: «وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَقِيبَ حَدِيثِ الْخُدْرِيِّ هَكَذَا. [د: ٤٨١٦].

٤٦٤٢ ـ [١٥] وَعَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ: «وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ، وَتَهْدُوا الضَّالَّ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَقِيْبَ حَدِيْثِ أَبِـي هُرَيْرَةَ هَكَذَا، وَلَمْ أَجِدْهُمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ». [د: ٤٨١٧].

وقوله: (ورد السلام) إنما قال: رد السلام بناء على السنة أن يسلم الماشي على القاعد.

وقوله: (والأمر بالمعروف) أي: ما عرف في الشرع وجوده وحسنه، و(المنكر) ما لم يعرف فيه وجوده وحسنه.

٤٦٤١ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (رواه أبو داود عقيب حديث الخدري هكذا) يعني أنه روى ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة مع زيادة: (وإرشاد السبيل).

٤٦٤٢ ـ [١٥] (عمر) قوله: (وتغيثوا الملهوف) أي: المظلوم المكروب، وفي (القاموس)[1]: الملهوف واللهيف واللهفان واللاهف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر، وهو عطف على (وإرشاد) بتقدير (أن)، وإرشاد السبيل أعمّ من هداية الضال.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٨).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٦٤٣ ـ [١٦] عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ بِالْمَعْرُوفِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَتْبَعُ جِنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٢٧٣٦، دي: ٢/ ٢٧٦].

٤٦٤٤ ـ [١٧] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٦٨٩، د: ٥١٩٥].

الفصل الثاني

٤٦٤٣ ـ [١٦] (علي) قوله: (بالمعروف) أي: ملتبسة بالمعروف، ويحتمل أن تكون الباء بمعنى (من).

وقوله: (ويتبع جنازته) وهو إنما يكون بعد الصلاة، فكأنها مذكورة في ضمنها، أو يقال: الصلاة واجبة، واتباع الجنازة من حسن الخلق، وزيادة في أداء حقه، ولذلك خصه بالذكر.

٤٦٤٤ ـ [١٧] (عمران بن حصين) قوله: (عشر) أي: له بذلك عشر حسنات، وفي الحديث استحباب أن يسلم بلفظ الجمع وإن كان المسلَّم عليه واحداً؛ لتقريره ﷺ إياه.

٤٦٤٥ ـ [١٨] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعْنَاهُ، وَزَاد: ثُمَّ أَتَى آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ، فَقَالَ: «أَرْبَعُونَ»، وَقَالَ: «هَكَذَا تَكُونُ الْفَضَائِلُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٩٦].

٤٦٤٦ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٥/ ٢٥٤، ت: ٢٦٩٤، د: ٥١٩٧].

٤٦٤٧ ـ [٢٠] وَعَنْ جَرِيرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٤/ ٣٥٧].

٤٦٤٥ ـ [١٨] (معاذ بن أنس) قوله: (وزاد: ثم أتى آخر) وروى صاحب (سفر السعادة)[1] الحديثين حديثاً واحداً، وقال: وفي إسناد هذا الحديث ضعف.

وقال صاحب (جامع الأصول)[2]: معاذ بن أنس الجهني معدود من أهل مصر، وحديثه عندهم، روى عنه ابنه سهل، وابنه لين الحديث، وأحاديثه حسان في الرغائب والفضائل.

٤٦٤٦ ـ [١٩] (أبو أمامة) قوله: (إن أولى الناس بالله) أي: أقربهم وأخصهم إليه، والمراد من الناس المتلاقيين؛ لأنهما متساويان في حق السلام، أما إذا كان أحدهما وارداً والآخر قاعداً فالتسليم حق الوارد؛ فإذا ابتدأ به لا يكون أولى.

٤٦٤٧ ـ [٢٠] (جرير) قوله: (فسلم عليهن) قيل: هذا مختص بالنبي ﷺ

---

(١) «سفر السعادة» (ص: ٢٣٧).

(٢) «جامع الأصول» (١٢/ ٨٥٣).

٤٦٤٨ ـ [٢١] وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: يُجْزِىءُ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِىءُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» مَرْفُوعاً، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ: رَفَعَهُ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ، وَهُوَ شَيْخُ أَبِي دَاوُدَ. [شعب: ١١/ ٢٦٨، د: ٥٢١٠].

٤٦٤٩ ـ [٢٢] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ. [ت: ٢٦٩٥].

لأمنه من الوقوع في الفتنة، وأما غيره فيكره أن يسلم على المرأة الأجنبية وبالعكس، إلا أن تكون عجوزة بعيدة عن مظنة الفتنة.

٤٦٤٨ ـ [٢١] (علي بن أبي طالب) قوله: (يجزئ عن الجلوس) جمع جالس، كقعود جمع قاعد، والظاهر أن حكم التلاقي كذلك، والحاصل أن سنية التسليم ووجوب رده على الكفاية، إن فعل واحد سقط عن الجماعة.

وقوله: **(وروى أبو داود، وقال: رفعه الحسن بن علي، وهو)** أي: الحسن ابن علي **(شيخ أبي داود)**، يعني أن أبا داود رواه موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه من طريق بعض شيوخه، ورواه من طريق الحسن بن علي ـ وهو أيضاً شيخه ـ مرفوعاً كما رفعه البيهقي.

٤٦٤٩ ـ [٢٢] (عمرو بن شعيب) قوله: (إسناده ضعيف) قال الطيبي[1]: فيه

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧).

٤٦٥٠ ـ [٢٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٠٠].

٤٦٥١ ـ [٢٤] وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهِ، وَإِذَا خَرَجْتُمْ فَأَوْدِعُوا أَهْلَهُ بِسَلَامٍ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» مُرْسَلاً. [شعب: ٨٨٤٥].

إيماء إلى أن الحكم قد يكون على خلافه، وليس بذلك، وأقول: لا يلزم من تضعيف الإسناد كون الحكم على خلافه، لعله ثبت بدليل آخر؛ فإن من عادة المحدثين أن يبينوا حال الإسناد ضعفاً وقوة وليس لهم غرض بالحكم، وإنما مقصودهم بيان الواقع من غير تعرض للحكم، صرح بمثل ذلك السيوطي، فتدبر.

٤٦٥٠ ـ [٢٣] (أبو هريرة) قوله: (**فإن حالت بينهما شجرة أو جدار... إلخ**)، فيه تأكيد للتسليم وإن قربت مدة المفارقة.

٤٦٥١ ـ [٢٤] (قتادة) قوله: (**فسلموا على أهله**) أي: أهل البيت، وإن لم يكن في البيت أحد يقول: السلام على عباد الله، يريد به الملائكة.

وقوله: (**فأودعوا أهله بسلام**) أي: اجعلوه وديعة عندهم، والمقصود سلموا عليهم، ولما كان هذا التسليم وقت الخروج جعله كأنه وديعة عندهم يجده، أي: خيره وبركته عندهم في الآخرة، وقال الطيبي[1]: كي ترجعوا إليهم وتستردوا وديعتكم؛ فإن الودائع تستعاد تفاؤلاً بالسلامة والمعاودة مرة بعد أخرى.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٩).

٤٦٥٢ ـ [٢٥] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٦٩٨].

٤٦٥٣ ـ [٢٦] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «السَّلَامُ قَبْلَ الْكَلَامِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ. [ت: ٢٦٩٩].

٤٦٥٤ ـ [٢٧] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَقُولُ: أَنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْناً، ....

٤٦٥٢ ـ [٢٥] (أنس) قوله: (يكون) أي: السلام، (بركة) أي: زيادة خير ودواماً فيه.

٤٦٥٣ ـ [٢٦] (جابر) قوله: (السلام قبل الكلام) أي: ينبغي أن يسلم ثم يكلم، ولا يبادر بالكلام ويترك السلام، أو يسلم بعده.

٤٦٥٤ ـ [٢٧] (عمران بن حصين) قوله: (أنعم الله بك عيناً) من النعومة بمعنى اللين، نعم الشيء بالضم نعومة، أي: صار ناعماً ليناً، وقد يجيء من باب سمع، وقد يتداخل مثل فَضُلَ يَفْضُلُ، ثم الظاهر أن الباء للسببية، و(عيناً) مفعول (أنعم)، والمراد عين من يحب المخاطب، فيكون كناية عن طيب عيشه ورفاهية حاله، ويقال: الباء زائدة و(عيناً) تمييز، أي: أقر عينك برؤية ما تحب، أو (أنعم) بمعنى دخل في النعيم، فيعدى بالباء، و(عيناً) تمييز.

وهنا عبارة أخرى، وهي: نعم الله بك عيناً على لفظ المجرد، فبعضهم منعوا عنها إذ يلزم منها وصف للباري تعالى بالحاسة.

وَأَنْعِمْ صَبَاحاً، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلَامُ نُهِينَا عَنْ ذَلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٢٧].

٤٦٥٥ ـ [٢٨] وَعَنْ غَالِبٍ قَالَ: إِنَّا لَجُلُوسٌ بِبَابِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ائْتِهِ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَبِي يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ السَّلَامُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٣١].

وقال الزمخشري: هي صحيحة فصيحة، والباء للتعدية، و(عيناً) تمييز من الكاف، فيكون المعنى نعم اللهُ عينَك، وقد جاء نعَّمك الله عيناً بحذف الجار وإيصال الفعل، والمانع حَسِبَ أنه تمييز عن الفاعل، كما في نعمتَ بهذا الأمر عيناً، وأما قولهم (**وأنعم صباحاً**) بمعنى صر ذا نعومة، والمقصود يطيب عيشه في الصباح، فيكون (صباحاً) ظرفاً، ويحتمل أن يكون تمييزاً، أي: صار صباحك ناعماً، وإنما خص الصباح؛ لأن الغارات والمكاره أكثر ما تقع في وقت الصباح.

وقوله: (**فلما كان الإسلام نهينا عن ذلك**) وكذلك عن مثل: أسلم، وزه هزار سال[١]؛ فإنه كان لكل قوم تحية وتعظيم لملوكهم ورؤسائهم، وهذا ما قيل في معنى: التحيات لله، أي: التحيات والتعظيمات كلها لله تعالى، ولذلك جمع ليشمل الكل.

٤٦٥٥ ـ [٢٨] (**غالب**) قوله: (**فأقرئه**) من الإقراء، وكذلك قوله: (**يقرئك**).

وقوله: (**فقال عليك وعلى أبيك السلام**) فالسنة إذا بلّغ أحد السلام عن أحد أن يرد السلام على المبلغ والمبلغ عنه.

---

(١) معناه: عش سالماً ألف سنة، انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٨٩).

٤٦٥٦ ـ [٢٩] وَعَنِ ابْنِ الْعَلاَءِ بْنِ الحَضْرَمِيِّ: أَنَّ الْعَلاَءَ الْحَضْرَمِيَّ كَانَ عَامِلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٣٤].

٤٦٥٧ ـ [٣٠] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ كِتَاباً فَلْيُتَرِّبْهُ؛ فَإِنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ. [ت: ٢٧١٣].

٤٦٥٦ ـ [٢٩] (ابن العلاء) قوله: (وعن ابن أبي العلاء بن الحضرمي أن العلاء ابن الحضرمي) النسخ في هذا الموضع مختلفة، ففي نسخة هكذا كما صورناه بوجود الابن في الموضعين، وفي نسخة مصححة: عن أبي العلاء الحضرمي أن العلاء الحضرمي بلفظ (أبي) مكان (ابن) في الأول وترك (ابن) في الثاني، وقد غير في بعض نسخ (المصابيح) هكذا: عن ابن العلاء بن الحضرمي.

وفي (التقريب)[1]: العلاء بن الحضرمي كان حليف بعض بني أمية، صحابي جليل، عمل على البحرين لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ﵄، وقال: ابن العلاء بن الحضرمي، عن أبيه، مقبول، من الثالثة، وأظن اسمه عبدالله.

وقوله: (بدأ بنفسه) يعني كان يكتب: من العلاء الحضرمي إلى رسول الله: السلام عليكم ورحمة الله، وهكذا كان النبي ﷺ يكتب: من رسول الله إلى فلان، ثم يكتب السلام عليه إن كان من المسلمين، أو يكتب على العموم كقوله: سلام على من اتبع الهدى إن كان من المشركين كما كتب إلى هرقل.

٤٦٥٧ ـ [٣٠] (جابر) قوله: (فليتربه؛ فإنه أنجح للحاجة) قيل: المراد بالتتريب

---

(١) «تقريب التهذيب» (٢/ ٤٣٤).

٤٦٥٨ ـ [٣١] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَاتِبٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ[1]، فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمَآلِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، . . . .

ذر التراب على المكتوب، في (القاموس)[2]: أتربه وتربه: جعل عليه التراب، وفي بعض الروايات: (أتربوا الكتاب؛ فإنه أنجح للحاجة).

قال في (النهاية)[3]: أتربته: إذا جعلت عليه التراب، فإنجاحه للحاجة بالخاصية لا يعلم سره إلا بنور النبوة، وقيل: المراد المبالغة في التواضع في الخطاب، وعلى هذا يكون الضمير في (فليتربه) لـ (أحد)، أي: يذلّله ويضعه في مقام أدنى، ويجوز أن يكون الكتاب بتقدير (في)، وقيل: المراد فليسقطه على التراب حتى كأنه يصير أقرب إلى المقصد، وقال أهل التحقيق: إنما أمره بالإسقاط على التراب اعتماداً على الحق سبحانه تعالى في إيصاله إلى المقصد، أو بإسقاطه من اليد والاعتماد عليه.

٤٦٥٨ ـ [٣١] (زيد بن ثابت) قوله: **(فإنه أذكر للمآل)** أي: أشد وأسرع تذكيراً للعاقبة، أي: فيما يراد ويقصد من إنشاء العبارات في أداء المقاصد، والظاهر أنه بالخاصية كذر التراب على الكتاب كما ذكرنا، وأما ما نقل الطيبي[4] مما حاصله: أن السر في ذلك أن القلم أحد اللسانين، واللسان مترجم عما في القلب، والأذن محل

---

(١) في نسخة: «أذنيك».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧١).

(٣) «النهاية» (١/ ١٨٥).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٢١).

وَفِي إِسْنَادِهِ ضُعْفٌ. [ت: ٢٧١٤].

٤٦٥٩ ـ [٣٢] وَعَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ. وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ: «إِنِّي مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ»، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُ، فَكَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ[١] ....

الاستماع، فيقرب منه ليسمعه القلب ما يريده من العبارات وفنون الكلام، فمناسبة ونكتة تخييلية، ومع ذلك لا يخلو عن خفاء، فافهم.

وقوله: (**وفي إسناده ضعف**) وكذا في الحديث قبله، كذا ذكره التُّورِبِشْتِي[٢].

٤٦٥٩ ـ [٣٢] (**وعنه**) قوله: (**السريانية**) أي: اللغة السريانية، وهي لغة التوراة، والمراد بكتاب يهود خطبهم ومكاتيبهم، وعدم الأمن من يهود بأن يكتب أحد منهم شيئاً من قبله ﷺ، أو يقرأ عليه شيئاً من كتاب ليس فيه، أو يزيد وينقص في الكتابة والقراءة، والأظهر في تفسيره ما ذكره الطيبي[٣]: أخاف إن أمرت يهوديًّا بأن يكتب عني كتاباً إلى اليهود أن يزيد أو ينقص، وأخاف إن جاء كتاب من اليهود فيقرأ يهودي فيزيد وينقص فيه، وهو الأوفق بقول زيد بن ثابت: (**فكان إذا كتب إلى يهود . . . إلخ**).

وقوله: (**حتى تعلمت**) أي: حصل لي العلم بكتابهم.

---

(١) في نسخة: «عليه».

(٢) «كتاب الميسر» (٣/ ١٠٢٦).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٢).

كِتَابَهُمْ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٧١٥].

٤٦٦٠ ـ [٣٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٧٩٦، د: ٥٢٠٨].

٤٦٦١ ـ [٣٤] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ خَيْرَ فِي جُلُوسٍ فِي الطُّرُقَاتِ إِلاَّ لِمَنْ هَدَى السَّبِيلَ، وَرَدَّ التَّحِيَّةَ، وَغَضَّ الْبَصَرَ، وَأَعَانَ عَلَى الْحُمُولَةِ» رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي جُرَيٍّ فِي «بَابِ فَضْلِ الصَّدَقَةِ». [شرح السنة: ٣٣٣٩].

٤٦٦٠ ـ [٣٣] (أبو هريرة) قوله: (فليست الأولى بأحق من الآخرة) الظاهر أن المراد بيان مساواة التسليمتين لا أحقية الآخرة كما هو المتعارف من مثل هذا التركيب عند البعض.

٤٦٦١ ـ [٣٤] (وعنه) قوله: (وأعان على الحمولة) بالفتح: الدواب الحاملة للأثقال كالركوبة، وبالضم الأحمال، أي: يعين صاحبه على حمل الأثقال على الحمولة، ويروى بالفتح والضم، والأول أقوى رواية، والثاني أظهر دراية، وأما الحمول بلا هاء فهي الإبل التي عليها الهوادج كان فيها نساء أو لا.

فإن قلت: الحمول بمعنى الحامل، و(فعول) إذا كان بمعنى (الفاعل) لا يدخلها الهاء؟ قلنا: معناه محمول بها، كذا في (الصحاح)[1].

---

(١) «الصحاح» (٤/ ١٦٧٨).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٦٦٢ ـ [٣٥] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ يَا آدَمُ! اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ ـ إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ ـ فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ لَهُ اللهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ؟ فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي ....

الفصل الثالث

٤٦٦٢ ـ [٣٥] (أبو هريرة) قوله: (فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه) يعني إنما حمده بتوفيقه؛ لأن حمده تعالى أمر عظيم لا يتيسر إلا به، فقوله: (فحمد الله) ليس بياناً لتحميده حتى يكون المعنى كما قال الطيبي[١]: المعنى أراد أن يحمده فحمده.

وقوله: (إلى ملأ منهم) الظاهر أنه من كلام النبي ﷺ بياناً للمشار إليهم في كلام الله تعالى، ويجوز أن يكون من كلام الله، والملأ: الجماعة لأنهم يملؤون المجلس.

وفي (النهاية)[٢]: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم؛ لأنهم ملئوا بالرأي والغنى.

وقوله: (ثم رجع إلى ربه) أي: إلى مكان كان فيه لما كلمه ربه.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٣).

(٢) «النهاية» (٤/ ٣٥١).

وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ ذُرِّيَّتُكَ، . . . .

وقوله: (**وكلتا يدي ربي يمين مباركة**) من كلام آدم، أو من كلام النبي ﷺ، ولهم في شرح هذا القول معان وتأويلات:

أحدها: أن الثابت له يد صفة لا يد جارحة، وهذه العبارة كناية عن نفي اليد الجارحة؛ لأنه لو كانت لكانت يميناً وشمالاً، وقد أشار في آخر الكلام أن المراد وجود الخير والبركة التي هي لازمة لليد اليمين ومادة استقامة، فافهم.

وثانيها: أن الشمال تكون ناقصة في القوة والبطش، فكنى بكون كلتيهما يميناً نفي النقصان عن صفاته تعالى، وأن صفاته كلها كاملة.

وثالثها: أن آدم لما قال: اخترت يمين ربي قال: وكلتا يدي ربي يمين، أراد به الشكر على جميع نعمه، وأن له الفضل والنعمة، وأن جميع ما بيده فضل وطول؛ دفعاً لما يتوهم من الاختيار وترجيح صفاته اللطفية على القهرية.

ورابعها: أنه أراد به وصف الله تعالى بغاية الجود والكرم والإحسان والتفضل؛ لأن العرب تقول لمن ينفع مطلقاً: كلتا يديه يمين، ولمن يضر: جعل سهمه بالشمال، ولمن لا ينفع ولا يضر: ليس فلان باليمين ولا بالشمال.

وخامسها: أن اليد تطلق على القدرة والنعمة، وعلى الأول اليدان عبارة عن خلق الهدى والإيمان والضلال والكفر، وعلى الثاني عن منح الألطاف وتيسر الهدى للمهتدي، وكل من ذلك عدل وحكمة؛ لأنه عزيز يتصرف في ملكه ما يشاء، حكيم يعلم ما يخفى على من سواه، يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم.

وقوله: (**فإذا فيها آدم وذريته**) أي: مثلهم في عالم الغيب.

فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَين عَيْنَيْهِ، فَإِذا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ ـ أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ ـ قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ وَقَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْ فِي عُمْرِهِ، قَالَ: ذَلِكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي........................

وقوله: (فإذا فيهم رجل أضوؤهم) أظهر الله تعالى داود على آدم عليهما السلام بنوع من الامتياز في الظهور والنورانية ليحمله على السؤال ويترتب عليه ما ترتب من قصة عمره وجحوده، وليس المراد بأضوئيته زيادة في صفات الكمال بأسرها، ولعله كان في صورة داود عليه السلام نوع من الضوء والنورانية في ذلك العالم أو في الدنيا أيضاً يمتاز به عن سائر إخوانه من النبيين، وكل من الأنبياء يختص بصفة ويمتاز، وليس يلزم من ذلك فضله على سائر الأنبياء.

وقد بين الرواية الثانية أعني من أضوئهم أن الأضوئية مشتركة بينه وبين طائفة من الأنبياء، ولا يجب أن يكون الباعث على سؤاله عن حال داود ورؤيته إياه ممتازاً عن الكل بل اتفق بوقوع نظره عليه قصداً، ولا يفهم هذا المعنى من لفظ هذا الحديث على ما ذكر في أول الكتاب في (باب الإيمان بالقدر): (وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه)، فليفهم.

وقوله: (وقد كتبت له عمره أربعين سنة) قال الطيبي[1]: نصب (أربعين) على المصدر على تأويل: كتبت له أن يعمر أربعين سنة، ويمكن أن يضمن (كتبت) معنى الجعل، وفي بعض النسخ: (عمر أربعين) بدون الضمير، والإضافة بيانية.

وقوله: (قال: أي رب) ذكر في بعض المواضع: (أي)، وفي بعضها: (يا) إشارة

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٦).

سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ»، قَالَ: . . . .

إلى قربه تعالى من جهة لطفه ورحمته بعباده، وبُعده من حيث الكبرياء والعظمة، وذكر لفظ البعيد بعد القريب والقريب بعد البعيد إيماء إلى أنه في عين قربه بعيد، وفي بعده قريب من جهتين لا يتقيد بأحدهما، فليفهم.

وقوله: (أنت وذاك) من قبيل: كل رجل وضيعته، أي: أنت وهذا المطلوب مقرونان، أي: الاختيار لك إن جعلت له من عمرك فلا بأس.

وقوله: (فأتاه) أي: لما بلغ تسع مئة وأربعين، يفهم ذلك من سياق الكلام.

وقوله: (ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة) اعلم أنه ذكر فيما سبق في (باب الإيمان بالقدر) عكس ما ذكر هنا، فهناك جعل عمره أولاً ستين سنة، فجعل له آدم من عمره أربعين، ولا يرى ذلك إلا سهواً من الراوي، وفي الحديثين اختلاف من غير هذا الوجه أيضاً، فتدبر.

وقوله: (فجحد) المراد به قوله: (قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة) فهو في صورة الجحد، فكأنه عطف تفسيري له، فيكون هذا في حكم المعاريض التي قد صدرت مثلها من الأنبياء، وإلا فالجحد والإنكار صريحاً كيف يتصور وهو كذب، أو يكون هذا مبنياً على النسيان، وأما الذرية فقد جحدوا صريحاً وتعمداً، هذا ما يخطر لي في توجيهه، ولم أر من الشراح من ذكر فيه شيئاً.

وأما النسيان في قوله: (فنسي) فهو إشارة إلى ما ذكر في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ

«فَمِنْ يَوْمَئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٠٧٦، ٣٠٧٨].

٤٦٦٣ ـ [٣٦] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيْدَ قَالَتْ: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارِمِيُّ. [د: ٥٢٠٤، جه: ٣٧٤٥].

٤٦٦٤ ـ [٣٧] وَعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي ابْنَ عُمَرَ فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ لَمْ يَمُرَّ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَّاطٍ وَلاَ عَلَى صَاحِبِ بَيْعَةٍ وَلاَ مِسْكِينٍ وَلاَ أَحَدٍ إِلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ يَوْماً فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا تَصْنَعُ فِي السُّوقِ وَأَنْتَ لاَ تَقِفُ عَلَى الْبَيْعِ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلاَ تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ، فَاجْلِسْ بِنَا هَهُنَا نَتَحَدَّثْ، قَالَ: فَقَالَ لِي عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: . . . .

﴿إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥]، وهو نسيان النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، ويحتمل أن يكون المراد النسيان في هذه القضية، أي: جحد بناء على نسيانه كما أشرنا إليه، والله أعلم، وزاد فيما سبق في (باب القدر): (وخطأ وخطأت ذريته)، أي: عصى فعصت ذريته.

٤٦٦٣ ـ [٣٦] (أسماء بنت يزيد) قوله: (في نسوة) حال من الضمير في (علينا).

٤٦٦٤ ـ [٣٧] (الطفيل بن أُبي) قوله: (سقاط) السَّقَط: رديء المتاع، وبائعه السَّقَّاط والسَّقطي.

وقوله: (بيعة) بالكسر، ويروى بالفتح، (فعلة) من البيع.

يَا أَبَـا بَطْنٍ ـ قَالَ: وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ ـ إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلاَمِ نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَاهُ[١]. رَوَاهُ مَالِكٌ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [ط: ٢/ ٩٦١، شعب: ٨٤١١].

٤٦٦٥ ـ [٣٨] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِـيَّ ﷺ فَقَالَ: لِفُلاَنٍ فِي حَائِطِي عَذْقٌ، وَإِنَّـهُ قَـدْ آذَانِي مَكَانُ عَذْقِـهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِـيُّ ﷺ: «أَنْ بِعْنِي عَذْقَـكَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَبْ لِي»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَبِـعْنِيهِ بِعَذْقٍ فِي الْجَنَّةِ»؟ فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ الَّذِي هُوَ أَبْخَلُ مِنْكَ إِلاَّ الَّذِي يَبْخَلُ بِالسَّلاَمِ». رَوَاهُ أَحْمَـدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُـعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٣/ ٣٢٨].

٤٦٦٦ ـ [٣٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَادِئُ بِالسَّلاَمِ..

وقوله: (على من لقيناه) بالضمير المرفوع للمتكلم، وفي بعض النسخ: (لَقِيَنَا) بالضمير المنصوب.

٤٦٦٥، ٤٦٦٦، [٣٨، ٣٩] (جابر، وعبدالله) قوله: (عذق) في (القاموس)[٢]: العذق بالفتح: النخلة، وبالكسر: القنو منها والعنقود من العنب، والمراد هنا الأول، فإنه كان في بستانه عذق لغيره، و(مكان) فاعل (آذاني) مقحم، أي: وجوده. وقوله: (قـال: لا) قيل: كلامه ﷺ كان شفاعة لا أمراً، والرجل كان مسلماً بدليل قوله: (في الجنـة)، والصحابة إنما تهذبـت أخلاقهم وحصل لهم الكمال بطول صحبة النبي ﷺ

---

(١) في نسخة: «لقينا».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٣٦).

بَرِيءٌ مِنَ الْكِبْرِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٨٧٨٦].



٢ ـ باب الاستئذان

وملازمته ﷺ، وكأن الرجل كان في ابتداء إسلامه، والله أعلم.

٢ ـ باب الاستئذان

الاستئذان: طلب الإذن، والإذن يجيء بمعنى العلم، يقال: أذن بالشيء: علم به، كما في قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، أي: كونوا على علم، وأذن له في الشيء: أباحه له، واستأذنه: طلب منه الإذن، وأجمعوا على أن الاستئذان مستحب، والقرآن المجيد ناطق بذلك، وهو قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٧]، والمراد بالاستئناس الاستئذان.

والسنة أن يجمع بينه وبين السلام، والصحيح تقديم السلام على الاستئذان، كما وقع في الأحاديث الصحيحة، وقيل بتقديم الاستئذان على السلام تمسكاً بالآية المذكورة؛ لأن الواو وإن لم تدل على الترتيب لكن التقديم في الذكر لا يخلو عن إشارة ما إلى أوليته، وما قدمه الله في الذكر يكون تقديم العبد إياه في العمل أفضل، كما يشير إليه الحديث الوارد في الابتداء بالصفا على المروة من قوله: (أبدأ بما بدأ الله به)، ولكن الجمهور يقولون: إن الآية مجملة بينتها السنة، ومن قال: إنه إن وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قبل الدخول قدم السلام وإلا قدم الاستئذان، فلعله أخذ بالأنسب عقلاً، ولكن لا بد من إثباته بالنقل، والأحاديث دالة

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٦٦٧ ـ [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَتَانَا أَبُو مُوسَى قَالَ: إِنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ آتِيَهُ، فَأَتَيْتُ بَابَهُ، فَسَلَّمْتُ ثَلاَثاً فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنَا؟ فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى بَابِكَ ثَلاَثاً فَلَمْ تَرُدُّوْا عليَّ فَرَجَعْتُ، وَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثاً فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ»، فَقَالَ عُمَرُ: أَقِمْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَقُمْتُ مَعَهُ فذهبتُ إلى عمرَ فشهِدتُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٤٥، م: ٢١٥٣].

٤٦٦٨ ـ [٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ..............................

على خلافه، والله أعلم.

الفصل الأول

٤٦٦٧ ـ [١] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فسلمت ثلاثاً) أي: للاستئذان.

وقولـه: (فقال عمر: أقم عليه البينة) لما كان هذا مقام التأكيد والاحتياط شدّد الأمـر؛ لئلا يتهاون الناس في امتثال أمر الخلفاء وائتمارهم، لا لأجل أن خبر الرجل الواحد غير مقبول؛ فإنه مجمع عليه سيما مثل أبي موسى الأشعري، وقد كان عمر رضي الله عنه يقبله من غير نكير، فلا تمسك فيه لمن أنكر قبول خبر الواحد مع أن المراد بخبر الواحد في مبحث الإنكار والإقرار ما سوى المتواتر والمشهور، فخبر الاثنين أيضاً خبر الواحد، فلا يفيده، فافهم.

٤٦٦٨ ـ [٢] (عبدالله بن مسعود) قوله: (إذنك علي) متعلق بـ (إذنك) باعتبار تضمين معنى الدخول.

أَنْ تَرْفَعَ الْحِجَابَ، وَأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي حَتَّى أَنهَاكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٦٩].

٤٦٦٩ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ: «مَنْ ذَا؟» فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ: «أَنَا أَنَا»، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٥٠، م: ٢١٥٥].

وقوله: (أن ترفع الحجاب) وكان لبيوته ﷺ حجب من حصير، و(السواد) بكسر السين: المساودة، يقال: ساودته مساودة وسواداً، أي: مسارة وسراراً، وهو المكالمة سرًّا، والمراد به المبالغة، أي: وإن كنت أسارر أحداً ففي صورة المجاهرة يدخل بطريق الأولى، والغرض المعرفة بوجوده ﷺ في البيت.

٤٦٦٩ ـ [٣] (جابر) قوله: (في دين) أي: في قضية دين أو من جهته؛ فإن أباه عبدالله الأنصاري قد استشهد في غزوة أحد وترك ديناً، فشدد على جابر غرماؤه، فأتى جابر النبي ﷺ ليعرض قصته عليه، وكان مال أبيه الذي تركه قليلاً، وما هو إلا شيء من التمر على النخل، فبورك فيه بمعجزته ﷺ وبقي بعد وفاء الدين كما كان، وذلك مذكور في الأحاديث.

وقوله: (كأنه كرهها) وجه الكراهة أن السؤال للاستكشاف ودفع الإبهام، ولا يحصل ذلك بمجرد قوله: (أنا) إلا أن يضم إليه اسمه أو كنيته أو لقبه.

نعم قد يحصل التعيين بمعرفة الصوت، ولكنه ﷺ أنكر هذه الكلمة على جابر تعليماً للأدب، وبياناً لقاعدة الباب، وقيل: إنما كرهها لتركه الاستئذان بالسلام، والأول هو الأظهر، وإنما كرر (أنا) تأكيداً، وهو الذي يفهم منه الإنكار عرفاً، فافهم.

وأما ما حكي من بعض المتصوفة من أنه يكره للرجل أن يجري على لسانه (أنا)

٤٦٧٠ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ لَبَناً فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ الْحَقْ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ»، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٢٤٦].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٦٧١ ـ [٥] عَنْ كَلَدَةَ بْنِ حَنْبَلٍ: أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ............

لإشعاره بالوجود والأنانية فليس بكلي، وإنما هو إذا كان على قصد التكبر والنفسانية، وإلا فقد وقع من الصحابة كثيراً، كما مر في (كتاب الجنائز): أنه ﷺ سأل (من عاد اليوم مريضاً؟) فقال أبو بكر ﷺ: أنا، ثم قال: (من أصبح صائماً؟) فقال ﷺ: أنا، الحديث، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، بل وقع ذلك من بعضهم في مقام الافتخار والمباهاة وإظهار الفضيلة لغرض صحيح ديني.

٤٦٧٠ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (فأقبلوا فاستأذنوا) وكأنّ أبا هريرة ﷺ لم يجئ معهم، وإلا لم يحتاجوا إلى الاستئذان، لما يأتي في الفصل الثاني من حديث أبي هريرة من أنه: (إذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن)، وأيضاً في صورة المجيء مع الرسول لا يحتاج إلى الاستئذان، ولكنه ليس بممنوع، فهم استأذنوا معه احتياطاً وتأدباً، والمقصود بيان ما وقع منهم، وقال الطيبي[1]: هذا الحديث دل على أن الدعاء لا يكفي بل لا بد من الاستئذان، اللهم إلا أن يقرب زمان الإذن.

الفصل الثاني

٤٦٧١ ـ [٥] (كلدة بن حنبل) قوله: (عن كلدة) بفتحات أخو صفوان بن

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣١).

أُمَيَّـةَ بَعَثَ بِلَبَنٍ أَو جِدَايَـةٍ وَضَغَابِيسَ إِلَـى النَّبِـيِّ ﷺ، وَالنَّبِـيُّ ﷺ بِأَعْلَى الْوَادِي، قَـالَ: فَـدَخَلْتُ عَلَيْـهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ، فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «ارْجِـعْ فَقُلِ: السَّـلاَمُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ؟». رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ وَأَبُـو دَاوُدَ. [ت: ٢٧١١، د: ٥١٧٦].

٤٦٧٢ ـ [٦] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَجَاءَ مَعَ الرَّسُولِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَفِي رِوَايَـةٍ لَهُ قَالَ: «رَسُولُ.......................................

أمية لأمّه.

وقوله: (أو جداية) بفتح الجيم وكسرها والتحتانية: ما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر من أولاد الظبـاء، ذكراً كـان أو أنثى، بمنزلة الجدي مـن المعز، كذا في بعض الحواشي، وفي (القاموس)[1]: الجداية بالفتح ويكسر: الغزال، وقال في (الصراح)[2]: جداية بالفتـح والكسر: آهـو بـره، (والضغابيس) صغار القثاء، جمع ضُغْبُوس، كذا في (القاموس)[3]، والمراد بـ (الوادي) مكة.

٤٦٧٢ ـ [٦] (أبو هريرة) قوله: (فإن ذلك له إذن) أي: لا يحتاج إلى الاستئذان، ويجوز أن يكتفي بمجيئه مـع الرسول، فلـو استأذن احتياطاً وتأدباً لكان أحسن، كما يفهم من الحديث السابق من استئذان أهل الصفة مع مجيئهم مع أبي هريرة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٧).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٤٩).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٥١٢).

الرَّجُلِ إِلَى الرَّجُلِ إِذْنُهُ». [د: ٥١٩٠].

٤٦٧٣ ـ [٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ، فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ»، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا سُتُورٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٨٦].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَنَسٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1]: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ» فِي «بَابِ الضِّيَافَةِ».

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٦٧٤ ـ [٨] عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا». رَوَاهُ مَالِكٌ مُرْسَلاً. [ط: ٢/ ٩٦٣].

٤٦٧٣ ـ [٧] (عبدالله بن بسر) قوله: (السلام عليكم، السلام عليكم) ليس التكرار أمراً لازماً، وإنما هو على طريق العادة في الاستئذان تأكيداً.

الفصل الثالث

٤٦٧٤ ـ [٨] (عطاء) قوله: (أستأذن على أمي) فيه وجوب الإذن على المحارم، وفي تخصيص الأم بالذكر مبالغة.

---

(١) سقط في نسخة.

٤٦٧٥ ـ [٩] وَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كَانَ لِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَدْخَلٌ بِاللَّيْلِ وَمَدْخَلٌ بِالنَّهَارِ، فَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ بِاللَّيْلِ تَنَحْنَحَ لِي، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. [ن: ١٢١٢].

٤٦٧٦ ـ [١٠] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَأْذَنُوا لِمَنْ لَمْ يَبْدَأْ بِالسَّلاَمِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٨٨١٦].



٣ ـ باب المصافحة والمعانقة

٤٦٧٥ ـ [٩] (علي ﷺ) قوله: (تنحنح لي) قال الطيبي[١]: علامة الإذن بالليل التنحنح، انتهى.

أقول: وقع في رواية أخرى (فكنت إذا دخلت بالليل، فإن تنحنح انصرفت)، فيكون علامة عدم الإذن، ويمكن حمل عبارة حديث الكتاب على هذا، فتدبر.

٤٦٧٦ ـ [١٠] (جابر) قوله: (لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام) صريح في استحباب الابتداء بالسلام قبل الاستئذان.

٣ ـ باب المصافحة والمعانقة

في (القاموس)[٢]: المصافحة: الأخذ باليد، كالتصافح، وقول الطيبي[٣]: المصافحة: الإفضاء بصفحة اليد، إشارة إلى ما هو معنى التصفح في الأصل، وهو

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٢٢).

(٣) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٣٤).

....

العرض، فصفح الوجه والسيف عرضه، ويقال: صفح بالسيف: ضرب بعرضه، والصفح: السماء، ووجه كل شيء عريض.

والمصافحة سنة بكلتي يديه، ولا بأس بمصافحة عجوز لا تشتهى، وكذا إن كان شيخاً يأمن على نفسه، وروي: أن أبا بكر رضي الله عنه كان في خلافته يخرج إلى بعض القبائل الذي كان مسترضعاً فيهم، فكان يصافح العجائز، ولما مرض ابن الزبير رضي الله عنه بمكة، استأجر عجوزاً لمرضه، وكانت تغمز رجله، وتفلي رأسه، وينبغي أن يحترز عن مصافحة الأمرد الحسن الوجه، كذا في (مطالب المؤمنين).

وأما المعانقة فالصحيح أنها جائزة إن لم يكن هناك خوف فتنة، لما سيأتي من حديث زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وعند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله: يكره أن يقبل الرجل فم الرجل أو يده أو شيئاً منه، أو يعانقه، لورود النهي عنه كما سيأتي من حديث أنس رضي الله عنه، ونقل عن الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمه الله في التوفيق بين الأحاديث: أن المكروه من المعانقة ما كان على وجه الشهوة، وأما على وجه البر والكرامة فجائزة، وقيل: الخلاف فيما إذا لم يكن عليه غير الإزار، أما إذا كان عليه قميص أوجبة فلا بأس بالإجماع، وهو الصحيح، وكل من حرم النظر إليه حرم مسه، بل المس أشد؛ فإنه يحل النظر إلى أجنبية إذا أراد أن يتزوجها، وفي حال البيع والشراء، ولا يجوز مسها في شيء من ذلك، وقيل: تقبيل يد العالم على سبيل التبرك جائز، وتقبيل يد غيره لا يرخص فيه، قال الصدر الشهيد: هو المختار، وما يفعله الجهال من تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فليس بشيء، بل مكروه، وقال الفقيه أبو جعفر: من قبل الأرض بين يدي سلطان أو أمير أو سجد له؛ فإن كان على

. . . .

وجه التحية لا يكفر، ولكن يصير آثماً مرتكباً للكبيرة.

وعن الفقيه أبي جعفر الهندواني أنه قال: لا بأس بأن يقبل الرجل وجه الرجل إذا كان عالماً أو زاهداً، يريد بذلك إعزاز الدين، ويكره تقبيل امرأة فم امرأة عند الوداع أو اللقاء، وإن طلب أحد من عالم أو زاهد أن يرفع قدميه ليقبله لا يرخص، ولا يجيب إلى ذلك، ولا بأس بالقبلة للولد الصغير بل مأجور فيها، وقيل: تقبيل الرجل ولده واجب ذكراً أو أنثى على وجه الشفقة والرحمة، وكان رسول الله ﷺ يقبل رأس فاطمة، ويقول: (إني لأجد ريح الجنة)، وكان إذا قدم من السفر بدأ بها فعانقها، وقبّل رأسها، كذا في السغناقي.

وأما ما ذكر في بعض الكتب من أن وجدان رائحة الجنة من تقبيل فاطمة من جهة أن رسول الله ﷺ أكل ليلة المعراج من فاكهة الجنة، ومنها كان علوق فاطمة فخطأ؛ لأن ولادتها ﷺ قبل النبوة بخمس سنين حين بنت قريش البيت، وقيل: ولدت سنة إحدى وأربعين من الفيل، ولا يجب أن يكون وجدان رائحة الجنة منها من جهة ما ذكر، بل يجوز أن يكون لها رائحة مثل رائحة أوراد الجنة وأزهارها، كما كان يوجد لرسول الله ﷺ رائحة طيبة.

ويقال: القبلة على خمسة أوجه: قبلة المودة، وهي قبلة الوالدين للولد على الخد، وقبلة الرحمة، وهي قبلة الولد لوالديه على الرأس، وقبلة الشهوة وهي قبلة الزوج للزوجة على الفم، وقبلة التحية وهي قبلة المؤمنين فيما بينهم على اليد، وقبلة الشفقة وهي قبلة الأخت للأخ على الجبهة؛ وإذا كان تقبيل يد غيره لدنياه وثروته وشوكته في الدنيا فهو مكروه أشد كراهة، وفي هذا فروع ومسائل كثيرة مذكورة في موضعها.

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٦٧٧ ـ [١] عَـنْ قَتَـادَةَ قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَكَانَـتِ الْمُصَافَحَةُ فِـي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نعَمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٢٦٣].

٤٦٧٨ ـ [٢] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَـالَ: قَبَّلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ». . .

الفصل الأول

٤٦٧٧ ـ [١] (قتادة) قوله: (أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟) إنما خص السؤال بكونها في الصحابة؛ لأنهم القدوة في السنة؛ دفعاً لأن يتوهم حدوثه بعدهم فيكون بدعة، أو دفعاً لأن يتوهم نسخها لوجودها بعده ﷺ.

٤٦٧٨ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (من لا يرحم) أي: خلق الله، ويدخل فيه الأولاد وغيرهم، أو المراد على الأولاد بقرينة السياق، وقال الطيبي[1]: لعل وضع الرحمة في الأولى للمشاكلة؛ فإن المعنى من لم يشفق على الأولاد لا يرحمه الله، أو أتى بالعام لتدخل فيه الشفقة دخولاً أولياً، انتهى.

لعل مراده أن الرحمة إن كانت مخصوصة بما هو صفة الله كان إطلاقها على ما هو صفة العبد ـ وهي الشفقة ـ بطريق المشاكلة، وإن كانت أعم فلا حاجة إلى اعتبار المشاكلة؛ لأن الرحمة لما كانت عامة شاملة للشفقة أيضاً كان إطلاق الرحمة عليها حقيقة لا يحتاج إلى القول بالمشاكلة؛ لأنها إنما تناسب على تقدير أن يكون مبايناً لها كما يظهر من الأمثلة التي ذكروا لها من نحو: جزاء سيئة سيئة مثلها، ونحو: اطبخوا

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٥).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَسَنَذْكُرُ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَثَمَّ لُكَعُ» فِي (بَابِ مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَذَكَرَ حَدِيثَ أُمِّ هَانِئٍ فِي (بَابِ الأَمَانِ). [خ: ٥٩٩٧، م: ٢٢١٨].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٦٧٩ ـ [٣] عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ(١): «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا اللهَ وَاسْتَغْفَرَاهُ، غُفِرَ لَهُمَا». [ت: ٢٧٢٧، جه: ٣٧٠٣، د: ٥٢١١].

لي جبة وقميصاً؛ فإنه لو قيل هنا: اصنعوا أو اعملوا لي جبة لا يكون من باب المشاكلة بلا شبهة، ولا يخفى أن الظاهر هو الثاني، فالوجه أن يكتفى به.

وقوله: (وذكر حديث أم هانئ في باب الأمان) لأنه أنسب وأوفق بذلك الباب، وإنما ذكره صاحب (المصابيح) هنا لأنه وقع في ذلك الحديث: (مرحباً بأم هانئ)، والترحيب في معنى المصافحة ومناسب لها، كما ذكر حديث عكرمة بن أبي جهل في (الفصل الثاني) باعتبار اشتماله على الترحيب، لكن الحديث طويل، وهو بطوله مسوق لثبوت الأمان، فالمناسب ذكره في بابه، وإنما وقع فيه كلمة واحدة مناسبة لباب المصافحة، وهو قوله: (مرحباً بأم هانئ)، وصاحب (المصابيح) لم يذكر منه ههنا إلا هذه الكلمة.

الفصل الثاني

٤٦٧٩ ـ [٣] (البراء بن عازب) قوله: (وفي رواية) الفرق بين الروايتين أن في

---

(١) في نسخة: «رسول الله».

٤٦٨٠ ـ [٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٧٢٨].

٤٦٨١ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ. . . . .

الثانية زيد قيد الحمد والاستغفار، ولم يقيده بقوله: (قبل أن يتفرقا)، والظاهر أنه عبارة عن سرعة وجود المغفرة، فافهم.

٤٦٨٠ ـ [٤] (أنس) قوله: **(أينحني له؟)** في بعض الحواشي: الانحناء: إمالة الرأس والظهر، وهو المشهور، والظاهر أن المراد هنا انحناء الظهر كما قال محيي السنة: إن انحناء الظهر مكروه، وإن كان يفعله كثير ممن ينسب إلى علم وصلاح، ونقل عن الشيخ أبي منصور: أن تقبيل الأرض وانحناء الظهر وإمالة الرأس لا يكون كفراً بل إثماً ومعصية كبيرة؛ لأن المقصود التعظيم دون العبادة، انتهى.

وبعض المشايخ رحمهم الله تعالى قد شددوا في المنع عن ذلك، وقالوا: كاد الانحناء أن يكون كفراً، والله أعلم.

وقوله: **(قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا)** وهذا متمسك ما روي عن أبي حنيفة ومحمد من كراهة المعانقة والتقبيل، وقيل: المكروه إنما هو ما كان على سبيل التملق والتعظيم، والجائز ما كان عند التوديع والقدوم، أو لطول عهد الملاقاة، أو شدة الحب في الله، وعند الأمن من الفتنة، وإن قبّل لا يقبّل الفم بل اليد أو الجبهة، والصحيح أنه عند القدوم جائز بالاتفاق.

٤٦٨١ ـ [٥] (أبو أمامة) قوله: **(أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده)**

عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ فَيَسْأَلَهُ: كَيْفَ هُوَ؟ وَتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ بَيْنَكُمُ الْمُصَافَحَةُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَضَعَّفَهُ. [حم: ٥/ ٢٦٠، ت: ٢٧٣١].

٤٦٨٢ ـ [٦] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ الباب، فقامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُرْيَاناً يَجُرُّ ثَوْبَهُ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَاناً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٧٣٢].

٤٦٨٣ ـ [٧] وَعَنْ أَيُّوبَ بْنِ بُشَيْرٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ عَنَزَةَ أَنَّه قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَافِحُكُمْ إِذَا لَقِيتُمُوهُ؟ قَالَ: مَا لَقِيتُهُ قَطُّ إِلاَّ صَافَحَنِي، وَبَعَثَ إِلَيَّ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَمْ أَكُنْ فِي أَهْلِي، فَلَمَّا جِئْتُ أُخْبِرْتُ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ فَالْتَزَمَنِي، ....

هذا إذا كان المرض سارياً في البدن كالحمى ونحوه، وأما إذا كان الألم في موضع مخصوص فالأولى أن يضع يده فيه.

وقوله: (وتمام تحياتكم بينكم المصافحة) يدل على أن السنة المصافحة مع السلام لا بدونه.

٤٦٨٢ ـ [٦] (عائشة) قوله: (في بيتي) بيان للواقع أو مبالغة في المقصود، فافهم.

وقوله: (ما رأيته عرياناً) أي: في مثل هذه الحال على هذا الوجه، والعري إنما كان من الرداء، وهو ظاهر.

٤٦٨٣ ـ [٧] قوله: (وعن أيوب بن بشير) بلفظ التصغير من البشارة.

فَكَانَتْ تِلْكَ أَجْوَدَ وَأَجْوَدَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢١٤].

٤٦٨٤ ـ [٨] وَعَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ جِئْتُهُ: «مَرْحَباً بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٧٣٥].

٤٦٨٥ ـ [٩] وَعَن أُسَيدِ بْنِ حُضَيرٍ ـ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ـ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ . . . .

وقوله: (فكانت تلك) أي: الفعلة ـ وهي الالتزام ـ (أجود) الالتزامات، أو أجود من المصافحة.

وقوله: (وأجود) تكريره للتوكيد والتقرير، وعلم من هذا الحديث جواز المعانقة في غير حالة القدوم؛ إظهاراً لشدة المحبة والعناية.

٤٦٨٤ ـ [٨] قوله: (عكرمة بن أبي جهل) كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ هو وأبوه، وكان فارساً مشهوراً، وهرب يوم الفتح فلحق باليمن، فلحقت به امرأته أم حكيم بنت حارث بن هشام، بنت عمه، فأتت به النبي ﷺ، فلما رآه قال: (مرحباً بالراكب المهاجر)، وفي رواية: لما رآه قام إليه فاعتنقه، وقال: (مرحباً بالراكب المهاجر)، فأسلم بعد الفتح سنة ثمان، وحسن إسلامه.

٤٦٨٥ ـ [٩] قوله: (وعن أسيد بن حضير) بلفظ التصغير فيهما.

وقوله: (رجل من الأنصار) الظاهر من لفظ (المصابيح)، ومما أورده المؤلف أيضاً أن لفظ (رجل) مجرور بدل من (أسيد)، أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو رجل، وأنه القائل والمحدث والمضحك، ولكن لفظ (جامع الأصول)[1] هكذا:

---

(١) «جامع الأصول» (١١/ ٥٦).

الْقَوْمَ ـ وَكَانَ فِيهِ مُزَاحٌ ـ بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ فَقَالَ: أَصْبِرْنِي، قَالَ: «اصْطَبِرْ»، قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَمِيصِهِ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٢٤].

٤٦٨٦ ـ [١٠] وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَقَّى جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَالْتَزَمَهُ وقبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي ....

أن أسيد بن حضير قال: إن رجلاً من الأنصار كان فيه مزاح، فبينما هو يحدث القوم يضحكهم، إذ طعنه النبي ﷺ، الحديث، وقد تركه الشيخ التُّورِبِشْتِي على ظاهره، ووجه الطيبي[1] عبارة (المصابيح)، ووفقه بلفظ (جامع الأصول) بما لا يخلو عن تكلف، حمله على ذلك أن أسيد بن حضير من عظماء الصحابة ونقباء الأنصار، وصدور أمثال هذه الأفعال عنه مستبعد جدًّا، والله أعلم.

و(المزاح) بالضم الاسم، وبالكسر مصدر مازحه.

وقوله: (أصبرني) بفتح الهمزة، والإصبار والاصطبار: الاقتصاص، والمراد مكِّني من القصاص حتى أطعن من خاصرتك كما طعنت خاصرتي.

وقوله: (اصطبر) أي: اقتص من نفسي.

وقوله: (عن قميصه) عدّي بـ (عن) لتضمنه معنى (كشف).

وقوله: (فاحتضنه) أي: اعتنقه، وهذا موضع الاستدلال؛ لتقريره ﷺ.

٤٦٨٦ ـ [١٠] (الشعبي) قوله: (وعن الشعبي) بفتح الشين وسكون المهملة من

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٣٧).

«شُعَبِ الإِيمَانِ» مُرْسَلاً. وَفِي بَعْضِ نُسَخِ «الْمَصَابِيحِ» وَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» عَنِ البَيَاضِي مُتَّصِلاً. [د: ٥٢٢٠، شعب: ١١/ ٢٩٥].

٤٦٨٧ - [١١] وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي قِصَّةِ رُجُوعِهِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ قَالَ: فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَتَلَقَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاعْتَنَقَنِي، ثُمَّ قَالَ: «مَا أَدْرِي: أَنَا بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَفْرَحُ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ؟». وَوَافَقَ ذَلِكَ فَتْحَ خَيْبَرَ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ١٢/ ٢٩١].

٤٦٨٨ - [١٢] وَعَنْ زَارِعٍ - وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ - قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا، ....

التابعين، و(البياضي) صحابي، وفي (جامع الأصول)[1]: البياضي بفتح الباء وتخفيف الياء تحتها نقطتان والضاد المعجمة منسوب إلى بياضة بن عامر، خزرجي.

٤٦٨٧ - [١١] (جعفر بن أبي طالب) قوله: (فاعتنقني) ذكر السمهودي في كتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى): أنه قدم سفيان بن عيينة على مالك فصافحه مالك، وقال: عانقتك أيضاً لو لم تكن بدعة، فقال سفيان: قد عانق من هو أفضل منك ومني، عانق رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب وقبله عند قدومه من الحبشة، فقال مالك: ذاك مخصوص بجعفر، فقال سفيان: لا بل هو عام، وحكمنا وحكم جعفر واحد إن كنا من الصالحين، أتأذن لي أن أحدثك بذلك؟ قال مالك: نعم قد أذنت لك، فروى سفيان هذا الحديث بسند كان له، وسكت مالك.

٤٦٨٨ - [١٢] (زارع) قوله: (فجعلنا نتبادر من رواحلنا) وروي أنه لما قدم

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ٢٣٤).

فَنُقَبِّلُ يَدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِجْلَهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٢٥].

٤٦٨٩ ـ [١٣] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشْبَهَ سَمْتاً وَهَدْياً وَدَلاًّ. . . . .

وفد عبد القيس تبادروا من رواحلهم وسقطوا منها على الأرض وفعلوا ما فعلوا، وقررهم على ذلك النبي ﷺ، وأما الذي كان رأسهم ومقدمهم اسمه الأشج، نزل أولاً في منزل له، واغتسل ولبس الثياب البيض، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ودعا، فقصد إلى النبي ﷺ خاضعاً خاشعاً بتأن ووقار، فلما رأى ﷺ هذا الأدب أثنى عليه، وقال: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة)، انتهى.

و(الأناة) على وزن (نواة): الوقار، وهذا الذي ذكر من الأشج هو أدب زيارته ﷺ الآن.

وفي الحديث دليل على جواز تقبيل الأرجل، وجاء في غير هذا الحديث أيضاً.

٤٦٨٩ ـ [١٣] (عائشة) قوله: (سمتاً وهدياً ودلاًّ) قال في (القاموس)[(١)]: السمت: الطريق، وهيئة أهل الخير، والسير على الطريق بالظن، وحسن النَّحو، وقصد الشيء، سمت يسمِت ويسمُت، وسمَت لهم يسمِت: هيأ لهم وجهَ الكلام، والهَدْي والهَدْية ويكسر: الطريقة والسيرة، والهادي المتقدم، والدَّل كالهدي، وهما من السكينة والوقار وحسن المنظر، وفي (الصراح)[(٢)]: سمت: راه وروش نيكو وبحدس وگمان وبراستي رفتن، وميانه راه رفتن، من نصر ينصر، هدي وهديه بالكسر روش وكار وجهت، ويقال: ما أحسن سمته، أي: هديه، وسمته، أي: قصده، وما أحسن

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٦٤).

- وَفِي رِوَايَةٍ: حَدِيثاً وَكَلَاماً - بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِها. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢١٧].

٤٦٩٠ - [١٤] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟ وَقَبَّلَ خَدَّهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٢٢].

هديه وما أحسن هديته بالفتح والكسر، أي: سيرته، وهَدَى هدْيَ فلانٍ، أي: سار سيرته، وقال أبو عبيد: الدل قريب المعنى من الهدي، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك، وفي الحديث: كان أصحاب عبدالله يرحلون إلى عمر فينظرون إلى سمته وهديه ودلّه فيتشبهون به، هذه عبارة (القاموس)[1] و(الصراح)، ويظهر منها أن الثلاثة قريب في المعنى.

وقال التُّورِبِشْتِي[2]: وكأنها أشارت بالسمت إلى ما يرى على الإنسان من الخشوع والتواضع لله، وبالهدي إلى ما يتحلى من السكينة والوقار، وإلى ما يسلكه من المنهج المرضي، وبالدلّ: دماثة الخلق وحسن الحديث.

وقوله: (**وفي رواية: حديثاً وكلاماً**) هما بمعنًى، إلا أن يراد بأحدهما نص الكلام وبالآخر التكلم وطريقته.

٤٦٩٠ - [١٤] (البراء) قوله: (**دخلت مع أبي بكر**) أي: بيته، وفي الحديث

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٠، و١٢٣٤).

(٢) «كتاب الميسر» (٣/ ١٠٣٠).

٤٦٩١ ـ [١٥] وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِصَبِيٍّ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ، وَإِنَّهُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللهِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [١٣/ ٣٥].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٦٩٢ ـ [١٦] عَنْ يَعْلَى قَالَ: إِنَّ حَسَناً وَحُسَيْناً اسْتَبَقَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ: «إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٤/ ١٧٢].

٤٦٩٣ ـ [١٧] وَعَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تَصَافَحُوا يُذْهِبِ الْغِلَّ، ....

دليل على تقبيل الرجل خدَّ ولده ولو كانت بنتاً.

٤٦٩١ ـ [١٥] (عائشة) قوله: (لمن ريحان الله) الريحان: الرزق والنعمة، مشتق من الروح بمعنى الانتعاش، والرزق سببه، والنبت الطيبة الرائحة المشهورة، أو كل نبت كذلك، وكلا المعنيين محتمل في الحديث.

الفصل الثالث

٤٦٩٢ ـ [١٦] (يعلى) قوله: (إن الولد مبخلة مجبنة) قالوا: المراد هنا إظهار غاية المحبة والشفقة والمدح، وفيما سبق الكراهة والذم، واللفظ يحتملهما، فيحمل في كل مقام على ما يليق به، واللائق بالثاني إظهار المحبة والمدح لذكر الحسن والحسين.

٤٦٩٣ ـ [١٧] (عطاء) قوله: (يذهب) بالجزم والرفع بلفظ المعلوم من الذهاب أو الإذهاب، وكذلك (تذهب) الثاني، و(الغل) على الأول منصوب وعلى الثاني

وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ». رَوَاهُ مَالِكٌ مُرْسَلاً. [م: ٢: ٩٠٨].

٤٦٩٤ - [١٨] وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى أَرْبَعاً قَبْـلَ الْهَاجِـرَةِ فَكَأَنَّمَا صَلاَّهُـنَّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالْمُسْلِمَانِ إِذَا تَصَافَحَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمَا ذَنْبٌ إِلاَّ سَقَطَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ».
[شعب: ٨٩٥٥].

❁ ❁ ❁

مرفـوع[1]، وهو بالكسر الحقد والضغن، وذلك لما في المصافحـة من ظهور التوادد والتحاب.

وقوله: (**وتهادوا**) بفتح الدال مخففة، و(**تحابوا**) بضم الباء مشددة، و(**الشحناء**) على وزن حمراء: العداوة التي تملأ القلب.

٤٦٩٤ - [١٨] (البراء بن عازب) قوله: (**قبل الهاجرة**) الهاجرة: وقت اشتداد الحر نصف النهار، والظاهر أن المراد بها صلاة الظهر، فهو ترغيب على محافظة راتبة الظهر أربعاً أو على صلاة في الزوال، والله أعلم.

وقوله: (**لم يبق بينهما ذنب**) يعني أنه يغفر بها ذنبهما كما سبق من الأحاديث.

وقال الطيبـي[2]: المراد بالذنـب الغـل والشحناء وضعاً لسبب مقام المسبب، ولعله إنما حمل على ذلك رعاية للفظ بينهما.

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر: «على الأول مرفوع وعلى الثاني منصوب». انظر: «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٩٧١).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٤١).

٤ ـ باب القيام

٤ ـ باب القيام

قد ادعى بعضهم أن القيام للداخل سنة، واحتجوا بما يجيء من قوله ﷺ: (قوموا لسيدكم)، ويجيء جوابه أيضاً، وذهب بعضهم إلى أنه مكروه منهي عنه؛ لما ثبت من حديث أنس من كراهته ﷺ قيام الصحابة له، وقال: إنه من عادة الأعاجم، وقد يحتج أيضاً على جواز القيام بما روي من قيام النبي ﷺ لعكرمة بن أبي جهل حين قدم، وبما روي عن عدي بن حاتم: ما دخلت على رسول الله ﷺ إلا قام أو تحرك، وتعقب بأنه لا يصح الاحتجاج لضعف الرواية، ولو ثبت فيحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال، وقد كان عكرمة من رؤساء قريش، وعدي كان سيد بني طيئ، فرأى تأليفهما بذلك على الإسلام مع ما عرف من جانبهما تطلعاً عليه بمقتضى حب الرياسة، كذا قال الطيبي[1].

ومن الحجة على ذلك ما سبق من حديث عائشة ﵂: كانت فاطمة إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، ويقال: إن ذلك قيام محبة وإقبال لا تعظيم وإجلال كما هو المتعارف المعهود بقرينة تعديته بـ (إلى) دون اللام كما في حديث معاذ، ولا يخفى ما فيه.

والصحيح أن احترام أهل الفضل من أهل العلم والصلاح والشرف بالقيام جائز، وفي (مطالب المؤمنين): لا يكره قيام الجالس لمن دخل عليه تعظيماً، والقيام ليس بمكروه لعينه، وإنما المكروه محبة القيام من الذي يقام له؛ فإن لم يحب القيام وقام لا يكره، كذا في (القنية)، وسيجيء في الحديث: (من سره أن يتمثل

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٤٢).

. . . .

له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)، قالوا: هذا إذا طلب من أحد، أما لو لم يطلب ولم يتوقع أن يقوم له أحد ووقف أحد من تلقاء نفسه طلباً للثواب فلم يكن عليه بأس، ويستحب للرجل أن يكرم أهل الفضل من غير إفراط، ولا يجوز أن يكرم أحداً لأجل دنياه، فقد ورد فيه وعيد شديد، وما جاء في حديث أنس ﷺ من كراهته ﷺ قيام الصحابة له؛ فإنما هي من جهة الاتحاد الموجب لرفع التكلف والحشمة لا للنهي عنه.

وقال الشيخ محيي الدين النووي[1]: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاءت فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح، ونقل القاضي عياض: القيام المنهي عنه هو أن يقوموا عليه طول جلوسه، وعن الغزالي[2] أنه قال: المنهي القيام للتعظيم لا على سبيل الإكرام، أو لا بد من بيان الفرق بين التعظيم والإكرام، فافهم.

وقال الطيبي[3]: إن ذلك يختلف بحسب الأزمان والأحوال والأشخاص، انتهى.

قد عرفت مما ذكرنا أن القيام المذكور مما تكلم فيه العلماء واختلفوا، ليس كما يقال: إن ذلك بدعة لم يكن في زمن النبي ﷺ، نعم لم يكن ذلك متعارفاً فيه كما في هذا الزمان، بل كانوا غير متكلفين في أحد الجانبين، بل الظاهر أن الغالب في ذلك الزمان عدم القيام، وأما أنه بدعة مطلقاً فكلاً، والله أعلم، فتدبر.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ٩٣).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٠٥).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٤٣).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٦٩٥ ـ [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ ـ وَكَانَ قَرِيباً مِنْهُ ـ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَمَضَى الْحَدِيثُ بِطُولِهِ فِي «بَابِ حُكْمِ الأُسَرَاءِ». [خ: ٤١٢١، م: ١٧٦٨].

٤٦٩٦ ـ [٢] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٦٩، م: ٢١٧٧].

الفصل الأول

٤٦٩٥ ـ [١] (أبو سعيد الخدري) قوله: (قوموا إلى سيدكم) قال التُّورِبِشْتِي[1]: ليس هذا من القيام الذي يراد به التعظيم على ما كان يتعاهده الأعاجم في شيء، فكيف يجوز أن يأمر بما صح أنه نهى عنه، وإنما كان سعد بن معاذ وجعاً لما رمي في أكحله؛ فالمعنى قوموا إليه لإعانته وإنزاله من المركب، ولو كان للتوقير والتعظيم يقال: قوموا لسيدكم، انتهى. وأقول: يمكن أن تكون الحكمة في الأمر بالقيام لسعد [و]مراعاة تبجيله وتوقيره في هذا المقام أنه إنما طلبه ليحكم في القوم، وإعلاء شأنه أدخل في ذلك؛ ليبعثهم إلى الإطاعة والانقياد لقبول حكمه، والله أعلم.

٤٦٩٦ ـ [٢] (ابن عمر) قوله: (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه)

---

(١) «كتاب الميسر» (٣/ ١٠٣١).

٤٦٩٧ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٧٩].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٦٩٨ ـ [٤] عَنْ أَنسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٢٧٥٤].

٤٦٩٩ ـ [٥] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ..................................

في المسجد أو في غيره، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه، ولعل ذلك كان احتياطاً منه رضي الله عنه؛ لكونه مشابهاً لما وقع النهي عنه وإن لم يكن ذلك بإقامة إياه أو لكراهة قيامه له، ويجيء في حديث سعيد بن الحسن من قول أبي بكرة النهي عن قيام أحد ليجلس فيه غيره، والله أعلم.

٤٦٩٧ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: **(من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به)** قالوا: هذا إذا قام على قصد الرجوع للوضوء أو لشغل يسير، فإن قعد غيره فله أن يقيمه.

الفصل الثاني

٤٦٩٨ ـ [٤] (أنس) قوله: **(لما يعلمون من كراهيته لذلك)** قد سبق أن هذه الكراهية لم تكن للنهي، بل لرفع التكلف وصفاء المحبة، فالقيام يختلف بحسب الأزمان والأحوال والأشخاص.

٤٦٩٩ ـ [٥] (معاوية) قوله: **(من سره أن يتمثل)** أي: ينتصب قائماً، في

الرِّجَالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٧٥٥، د: ٥٢٢٩].

٤٧٠٠ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئاً عَلَى عَصاً، فَقُمْنَا لَهُ فَقَالَ: «لاَ تَقُومُوا كَمَا يَقُومُ الأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضاً». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٣٠].

٤٧٠١ ـ [٧] وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ: جَاءَنَا أَبُو بَكْرَةَ. . . .

(القاموس)[١]: مثل: قام منتصباً، مثولاً، ولطأ بالأرض، ضد، وفي (الصراح)[٢]: مثول بالضم: بخدمت پيش استادن وبر زمين چسپيدن، وهو من الأضداد.

٤٧٠٠ ـ [٦] (أبو أمامة) قوله: (متكئاً على عصاً) رمح وعنزة وعصاً، فالرمح أطول من العنزة، والعنزة أطول من العصا، والعنزة نحو ثلاثة أذرع لها سنان الرمح، وأكثر ما يطلقون العصا على خشبة قصيرة تضرب بها الدابة، وأما العصا التي يتعارف أخذها الآن؛ فلا يوجد في السنة أنها كانت لرسول الله ﷺ يمشي بها.

نعم قد كان من عادته الكريمة أنه كانت في يديه خشبة معوجة الرأس كما ذكر في (كتاب الحج)، والعنزة كانت تحمل بين يديه وتنصب بين يديه فيصلي إليها كما مر في (باب السترة)، والله أعلم.

٤٧٠١ ـ [٧] (سعيد) قوله: (وعن سعيد بن أبي الحسن) هو أخو الحسن البصري، و(أبو بكرة) على صيغة كنية الصديق مع تاء في آخره، وهو نفيع بن الحارث

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٤٩).

فِي شَـهَادَةٍ، فَقَامَ لَـهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِـهِ، فَأَبَـى أَنْ يَجْلِسَ فِيـهِ وَقَالَ: إِنَّ النَّبِـيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ذَا، وَنَهَى النَّبِـيُّ ﷺ أَنْ يَمْسَحَ الرَّجُلُ يَدَهُ بِثَوْبِ مَنْ لَمْ يَكْسُهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٢٧].

٤٧٠٢ ـ [٨] وَعَن أَبِـي الْدَّرْدَاءِ قَـالَ: كَانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ وَجَلَسْنَا حَوْلَـهُ، فَقَامَ فَـأَرَادَ الرُّجُوعَ، نَـزَعَ نَعْلَهُ أَوْ بَعْضَ مَا يَكُونُ عَلَيْـهِ، فَيَعْرِفُ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ فَيَثْبُتُونَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٥٤].

٤٧٠٣ ـ [٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٧٥٢، د: ٤٨٤٥].

الثقفي بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء.

وقوله: (في شهادة) أي: في أداء شهادة كانت عنده.

وقوله: (أن يمسح الرجل يده بثوب من لم يكسه) يعني إذا تلطخ يد أحد بطعام أو نحوه فلا يمسح يده بثوب غيره إلا من كساه الثوب من خدامه وعبيده وأولاده.

٤٧٠٢ ـ [٨] (أبو الدرداء) قوله: (فأراد الرجوع) أي: بعد القيام من المجلس إلى البيت.

وقوله: (نزع نعله) أي: تركها هناك ومشى إلى البيت حافياً.

وقوله: (بعض ما يكون عليه) أي: من الثوب ونحوه.

٤٧٠٣ ـ [٩] (عبـدالله بن عمرو) قوله: (بين اثنين) أي: الذين بينهما أخوة أو مودة؛ فـإن عرف ذلك قطعـاً كره التفريق، وإن عـرف عدم ذلك جزماً لم يكره، وإن

٤٧٠٤ ـ [١٠] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْلِسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٤٤].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٧٠٥ ـ [١١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُنَا، فَإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَاماً حَتَّى نَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضَ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ.

٤٧٠٦ ـ [١٢] وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ قَاعِدٌ، فَتَزَحْزَحَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فِي الْمَكَانِ سَعَةً، ....

أبهم فالاحتياط أن يتوقف لئلا يلزم الإيذاء.

٤٧٠٤ ـ [١٠] (عمرو بن شعيب) قوله: (لا تجلس بين رجلين) فيه تصريح بأن المراد بالتفريق في الحديث السابق الجلوس فيهما وإن كان ظاهر مفهومه أعم.

الفصل الثالث

٤٧٠٥ ـ [١١] (أبو هريرة) قوله: (فإذا قام قمنا) قد يستأنس به لقيامهم عند دخوله أيضاً؛ فإن الحق أن القيام عند الدخول كان واقعاً في زمنه ﷺ، والكراهة إنما كانت للتكلف ولم يكن معتاداً.

٤٧٠٦ ـ [١٢] (واثلة بن الخطاب) قوله: (فتزحزح) أي: تنحى عن مكان هو فيه، و(سعة) بفتح السين وكسرها، كذا يفهم من (القاموس)[١].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٠).

فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلْمُسْلِمِ لَحَقًّا إِذَا رَآهُ أَخُوهُ أَنْ يَتَزَحْزَحَ لَـهُ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٨٩٣٠، ٨٩٣٣].



٥ ـ باب الجلوس والنوم والمشي

٥ ـ باب الجلوس والنوم والمشي

ذكرها بهذا الترتيب؛ لأن الإنسان يكون جالساً لطعام ونحوه، ثم ينام، ثم يقوم ويمشي إلى المسجد مثلاً، ثم الجلوس والقعود واحد، وقد يفرق بينهما بأن القعود من القيام والجلوس من الضجعة ومن السجود، كذا في (القاموس)(١)، وفيه كلام أكثر من هذا ذكرته في موضع آخر من الكتاب، والنوم: فترة تحصل في قوى الإدراك من استرخاء الأعصاب من صعود بخار من الجوف إلى الرأس.

وأنواع المشي عشرة: أحدها: التماوت، وهو المشي في غاية الضعف والسكون، وإرسال الأعضاء، كأنه لا حركة، كما يفعله بعض النسّاك المراؤون، ويقال للناسك المرائي: المتماوت، وثانيها: الانزعاج، وهو المشي في غاية الطيش والاضطراب، وكلاهما مذموم ومستقبح، وهما دليلان على موت القلب وخفة عقل، وثالثها: الهون بفتح الهاء وسكون الواو، وهو بتمام الحركة وشيء من السرعة، وهو التوسط المحمود، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣]، قال المفسرون: أي بسكينة ووقار من غير كبر ولا تماوت، وهو مشية النبي ﷺ، ومع ذلك كان كأنه ينحط من صبب، فكأنه تطوى له الأرض.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٥).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٧٠٧ ـ [١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ مُحْتَبِياً بيدَيْهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٢٧٢].

٤٧٠٨ ـ [٢] وَعَنْ عبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ مُسْتَلْقِياً وَاضِعاً إِحْدَى قَدَمَيْهِ عَلَى الأُخْرَى. . . . .

ورابعها: السعي، وهو المشي بسرعة، وخامسها: الرمل بفتح الميم، وهو رفع الأقدام، وتحريك الأكتاف كما في الطواف، وسادسها: النَّسَلان، وهو العدو أسرع من السعي، وسابعها: حَوْزي، وهو المشي مع التمايل، وفي (القاموس)[١]: الحوز: السير اللين، وثامنها: قهقرى، وهو المشي إلى الوراء، وتاسعها: الجمز، وهو الوثبة في الطريق، ويقال للناقة: الجمازة بهذا المعنى، وعاشرها: التبختر، وهو مشي المتكبرين، وأكمل هذه الأنواع وأفضلها وأعدلها الهون، كذا ذكروا.

الفصل الأول

٤٧٠٧ ـ [١] (ابن عمر) قوله: (محتبياً) الاحتباء: أن تنصب الركبتين، وتضع الرجلين على الأرض، وتحلق باليدين على الساقين، سواء وضعت الأليتين على الأرض أم لا، وهو قد يكون بالثوب كالرداء أو المنديل، وقد يكون باليدين كما فسرنا، وفي (القاموس)[٢]: احتبى بالثوب: اشتمل، وجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، ورئي ﷺ محتبياً بيديه، وقد يروى احتباؤه بالثوب أيضاً.

٤٧٠٨ ـ [٢] (عباد بن تميم) قوله: (مستلقياً واضعاً إحدى قدميه على الأخرى)

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٧٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٠).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٨٧، م: ٢١٠٠].

٤٧٠٩ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْفَعَ الرَّجُلُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٠٩٩].

٤٧١٠ ـ [٤] وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٠٩٩].

الظاهر من العبارة أن تكون الرجلان ممدودتين إحداهما فوق الأخرى، ولكن الأظهر أن يكون المقصد بيان كون ركبة إحدى الرجلين منتصبة موضوعة عليها الرجل الأخرى؛ فإن الصورة الأولى لا تنكشف فيها العورة، فلا تحتاج إلى البيان، ويجوز إطلاق القدم على الركبة مجازاً بالمجاورة، وفيه جواز الاستلقاء في المسجد، وقيل: كان ذلك لضرورة من تعب ونحوه.

٤٧٠٩ ـ [٣] (جابر) قوله: **(نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل إحدى رجليه على الأخرى)** المدار في المنع والجواز على كشف العورة وعدمه؛ فإن انكشفت العورة؛ بأن كان الإزار أو ذيل القميص ضيقاً، ونصب ركبة إحدى الرجلين، ووضع الرجل الأخرى على هذه الركبة لم يجز، وإن لم تنكشف؛ بأن كان واسعاً، أو تكون رجلاه ممدودتين، ووضع إحداهما فوق الأخرى، وفي هذه الصورة إن انكشفت العورة كان ممنوعاً، وفي الصورة الأولى إن لم تنكشف كان جائزاً، لكن الغالب في الأولى الانكشاف وفي الثانية عدمه.

٤٧١٠ ـ [٤] (وعنه) قوله: **(لا يستلقين أحدكم ثم يضع إحدى رجليه على الأخرى)** المنهي عنه هو المجموع من هذه الهيئة الحاصلة من الاستلقاء مع الوضع، فتارة ينسب النهي إلى الوضع حالة الاستلقاء، وأخرى إلى الاستلقاء المقيد

٤٧١١ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْنِ، وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ خُسِفَ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٧٨٩، م: ٢٠٨٨].

بالوضع، فافهم.

٤٧١١ ـ [٥] (أبو هريرة) قوله: (بينما رجل) المراد رجل [من] هذه الأمة، أو إخبار عن رجل من الأمم السابقة، قيل: هو من أعراب فارس، وقيل: هو قارون، كذا في الحواشي، (يتبختر) أي: يفتخر ويتكبر في مشيته، ويعجب بنفسه ببرديه، والتبختر أحد أنواع المشي كما عرف، ومعناه بالفارسية: خراميدن.

وقوله: (في بردين)، في (الصراح)[1]: برد: جامه، وفي (القاموس)[2]: البُرْدُ: ثوب مخطط، والجمع برود وأبراد وأبرد، وأكسية يلتحف بها، والواحدة بهاء.

وقوله: (خسف به الأرض) ببناء المجهول، و(به) نائب مناب الفاعل، و(الأرض) منصوب بنزع الخافض، والخسوف: النزول في الأرض، وهو يعدى بالباء، كما في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[القصص: ٨١]، ويستعمل مجهولاً[3] كقوله تعالى: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾[القصص: ٨٢].

وقوله: (فهو يتجلجل) الجلجلة: التحريك، والتجلجل: الحركة مع الصوت، ومنه جلاجل الدف.

---

(١) «الصراح» (ص: ١٢٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٥٦).

(٣) كذا في الأصل، والظاهر: «معلوماً».

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٧١٢ ـ [٦] عَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُتَّكِئاً عَلَى وِسَادَةٍ عَلَى يَسَارِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٧٨٠].

٤٧١٣ ـ [٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ اِحْتَبَى بِيَدَيْهِ. رَوَاهُ رَزِينٌ.

٤٧١٤ ـ [٨] وَعَنْ قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ: أَنَّهَا رَأَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ، ....

الْفَصْلُ الثَّانِي

٤٧١٢ ـ [٦] (جابر بن سمرة) قوله: (متكئاً على وسادة) فيه جواز الاتكاء على الوسادة، ويكون ذلك في غير حالة الأكل، وكان ﷺ يحب الوسادة، وينبغي أن يكون على يسار المتكئ.

٤٧١٣ ـ [٧] (أبو سعيد الخدري) قوله: (إذا جلس في المسجد احتبى بيديه) يعني أنه كان يحتبي في بعض أوقات جلوسه في المسجد، كأنه يريد دفع توهم استبعاد الاحتباء في المسجد، لما يرى في الظاهر في صورة خلاف الأدب، فافهم.

٤٧١٤ ـ [٨] (قيلة بنت مخرمة) قوله: (وهو قاعد القرفصاء) وهو بضم القاف وسكون الراء، وضم الفاء وفتحها، والصاد المهملة ممدوداً ومقصوراً، وقيل: على تقدير القصر بكسر القاف والفاء، وقال في (القاموس)[1]: مثلثة القاف والفاء: نوع من الجلوس، وهو أن يجلس على أليتيه ويلصق الفخدين بالبطن، ويحتبي بيديه، أو يتكئ على الركبتين ويلصق الفخدين بالبطن، ويدخل الكفين في الإبطين، اليمنى في

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٧٨).

قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْمُتَخَشِّعَ أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٤٧].

٤٧١٥ ـ [٩] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَناً[١]. . . . .

الإبط اليسرى، واليسرى في اليمنى، وهذه جلسة الأعراب، وقد يجلس الغرباء المشتغلون بالله المعتبرون في الأكوان الذين في قلوبهم فكر وعبرة، ولا يدرى أنه ﷺ في أيّ حال كان في ذلك الوقت، حتى إن تلك المرأة التي رأته فيها أُرعدت من الخوف والهيبة.

وقوله: (المتخشع) صفة رسول الله ﷺ، ولا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً؛ لأن (رأيت) بمعنى أبصرت، كذا نقل الطيبي[٢] عن القاضي البيضاوي، ويجوز أن يكون (رأيت) بمعنى علمت، ولا بعد في ذلك كل البعد، والله أعلم.

٤٧١٥ ـ [٩] (جابر بن سمرة) قوله: (تربع) أي: جلس متربعاً، وصورته أن يقعد على وركيه ويمد ركبتيه اليمنى إلى جانب يمينه، واليسرى إلى جانب يساره، ويجعل قدمه اليمنى إلى جانب يساره، واليسرى بالعكس، ويقال للتربع: چار زانو نشستن، وقال في (الصراح)[٣]: گرد پا نشستن.

وقوله: (حسناً) أي: طلوعاً حسناً، وقد يروى (حسناء) على وزن (فعلاء) حال من الشمس، أي: بيضاء نقية من الغبار، وقد يروى (حيناً) أي: جلس إلى زمان يريد،

---

(١) في نسخة: «حسناء».

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٥٠).

(٣) «الصراح» (ص: ٣١٢).

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٥٠].

٤٧١٦ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ[1]، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٣٥٩].

والصواب الوجه الأول، كذا قيل.

٤٧١٦ ـ [١٠] (أبو قتادة) قوله: (إذا عرس بليل) الحديث، التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة، وكانت عادته ﷺ أنه إذا عرس ونام وكان بقية من الليل ولم يكن الصبح قريباً ينام على شقه الأيمن، كما كان ذلك عادة له في النوم بدون التعريس أيضاً، وإن كان الصبح قريباً نصب ذراعه، ووضع الرأس على كفه ونام، وكل ذلك لتيسير التنبّه، فلا يغرق [في] النوم ولا يفوت صلاة الفجر تعليماً للأمة، أما في الصورة الأخيرة فظاهر، وفي الأول: لأن القلب في الجانب الأيسر، فإذا نام على الجنب الأيمن بقي القلب معلقاً، ولم يستقر في حيزه، ولم يتمكن، فلم يحصل السكون والقرار، فلا يغرق [في] النوم، ولو نام على الجنب الأيسر تمكن واطمأن، واستفرغ للنوم، ولهذا استحسن الأطباء الذين غرضهم من النوم السكون وهضم الطعام النومَ على الأيسر ليحتبس بسبب السكون والاستراحة حرارة في الباطن، ويوجب الهضم، وقد جاء في بعض الروايات: أنه إذا عرس بليل وضع لبنة تحت الرأس، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ساعده، ووضع رأسه على كفه؛ لئلا يتمكن من النوم.

---

(١) في نسخة: «ذراعيه».

٤٧١٧ ـ [١١] وَعَنْ بَعْضِ آلِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَحْواً مِمَّا يُوضَعُ فِي قَبْرِهِ، ....

٤٧١٧ ـ [١١] (أم سلمة) قوله: (نحواً مما يوضع في قبره) الظاهر (وضع) بلفظ الماضي، ولعله روى الحديث في حال الوضع، والله أعلم. اعلم أنه قد روي أنه كان له ﷺ قطيفة حمراء عتيقة، كانت فراشه للنوم، فلما وضع ﷺ في القبر وضعت تلك القطيفة تحته.

وقد رُوِي: أن شُقْران مولاه ﷺ حين وضع رسول الله ﷺ في قبره أخذ قطيفة نجرانية حمراء أصابها يوم خيبر، وكان رسول الله ﷺ يلبسها ويفرشها، فطرحها تحته فدفنها معه في قبره، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك، وبني [في] قبره اللبن، يقال: تسع لبنات، قيل: فلما فرغوا عن وضع اللبنات، أخرجوا القطيفة، قاله أبو عمرو والحاكم(١).

وقال النووي(٢): وقد نص العلماء على كراهة وضع قطيفة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر، وقد شذَّ البغوي من أصحابنا فقال: لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهته كما قاله الجمهور، وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة، وقد صرح أنها أخرجت ـ يعني القطيفة ـ من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع، كذا في (سيرة مغلطاي)، انتهى. كذا في الكتب المعتبرة في السير.

وقد رأيت في كتاب: أنه وضع الجسد الشريف حين وضع في القبر على

---

(١) انظر: «تاريخ الخميس» (٢/ ١٧٢).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/ ٢٤).

وَكَانَ الْمَسْجِدُ عِنْدَ رَأْسِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٠٤٤].

٤٧١٨ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً مُضْطَجِعاً عَلَى بَطْنِهِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ لاَ يُحِبُّهَا اللهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٧٦٨].

القطيفة، فنسوا رفع القطيفة لاضطراب لحقهم في ذلك الوقت، فبقيت القطيفة في القبر فتذكروها بعد الدفن وتغطية القبر، فلم يرضوا بنبش القبر وإخراج القطيفة منه.

والحاصل أن الراوي قال: إن فراشه كان نحواً من تلك القطيفة التي وضعت في القبر، وإنما قال نحواً؛ لأنه قد يكون فراشه في بعض الأوقات نحوها من الثياب الآخر، والله أعلم.

وقوله: (وكان المسجد عند رأسه) أي: كان رسول الله ﷺ إذا نام يكون رأسه إلى جانب المسجد، كذا قال الطيبي[1]، وذلك لأنه ﷺ كان ينام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة، وقبلة المدينة إلى جهة الجنوب، والمسجد على جهة المشرق من الحجرة الشريفة، فيكون رأسه إلى جانب المسجد لا محالة. وفي بعض الحواشي: أن المراد بالمسجد هنا المصلى، أي: موضع كان يصلي فيه الليل، أي: يضع رأسه عند موضع صلاته استئناساً بذلك الموضع وتيسيراً للقيام للصلاة، ولا شك أن حمل المسجد على هذا المعنى بعيد إلا أن يقرأ بفتح الجيم، لكن الرواية بكسرها، وإن كان ظاهرُ لفظ (عند) ظاهراً فيه.

٤٧١٨ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (هذه ضجعة لا يحبها الله) قيل: لما فيه من

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٥١).

٤٧١٩ ـ [١٣] وَعَنْ يَعِيشَ بْنِ طِخْفَةَ بْنِ قَيْسٍ الْغِفَارِيِّ عَنْ أَبِيْهِ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ـ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ مِنَ السَّحَرِ عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ»، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ. [د: ٥٠٤٠، جه: ٣٧٢٢].

٤٧٢٠ ـ [١٤] وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ.....................

وضع الصدر والوجه اللذين هما أشرف الأعضاء على الأرض وإذلالهما في غير السجود.

٤٧١٩ ـ [١٣] (يعيش) قوله: (وعن يعيش) بلفظ المضارع من العيش بمعنى الحياة (ابن طخفة) بكسر الطاء وسكون الخاء المعجمة ثم فاء، ويقال بالغين المعجمة مكان الخاء، وقيل: طهفة بالهاء مكانها.

وقوله: (من السحر) بضم السين وسكون الحاء المهملتين وبفتح وسكون وبفتحتين: الرئة، وما لصق بالحلقوم والمرئي من أعلى البطن، وفي حديث عائشة: مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري، أي: مات وهو مستند إلى صدرها ويحاذي نحرها منه، والمراد هنا داء السحر، أي: كان في صدره داء نام على بطنه لأجل ذلك، ومع ذلك نهاه عنه، أما قبل العلم بالعلة أو معه مبالغة واحتياطاً، والله أعلم.

وقيل: السحر بسكون الحاء: الرئة، وبفتحها: مرض يعرض للرئة.

٤٧٢٠ ـ [١٤] (علي بن شيبان) قوله: (من بات على ظهر بيت) الحديث، البيتوتة: شب گزاشتن، كذا في (الصراح)[1]، والمراد هنا نام، والمراد بالحجاب:

---

(١) «الصراح» (ص: ٦٠).

ـ وَفِي رِوَايَةٍ: حِجَارٌ ـ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّـةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَفِي «مَعَالِمِ السّنَنِ» لِلْخَطَّابِـي: «حِجًى». [د: ٥٠٤١].

٤٧٢١ ـ [١٥] وَعَنْ جَابِـرٍ قَالَ: نَهَـى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَنَـامَ الرَّجُلُ عَلَى سَطْحٍ لَيْسَ بِمْحجُورٍ عَلَيْهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٨٥٤].

٤٧٢٢ ـ [١٦] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَـالَ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَـانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ قَعَدَ وَسْطَ الْحَلَقَةِ..............................

السترة المانعة عن السقوط، سواء كان جداراً أو غيره.

وقوله: (وفي رواية حجار) جمع حجر بكسر الحاء، وهو ما يحجر به من حائط ونحوه، وأما رواية (حجى) فهو بكسر الحاء وفتحها، أما الكسر فبمعنى العقل، شبه به الحاجب المانع من السقوط، كالعقل يمنع من الأفعال الرديئة والسقوط في مهاوي الردى، ذُكِـر المشبه بـه وأريد به المشبه استعارة، كذا قال الطيبي[1]، وأما الفتح فهو بمعنـى الطرف والناحية، وهو أظهر معنى من المكسور، ومعنى براءة الذمة: انقطاع عهد الله بالحفظ والكلاءة التي جعلها للعباد، كقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[الرعد: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ﴾[الأنبياء: ٤٢]، وغير ذلك.

٤٧٢١ ـ [١٥] (جابر) قولـه: (ليس بمحجور) يؤيد رواية (حجار) بالراء كما في الحديث السابق.

٤٧٢٢ ـ [١٦] (حذيفة) قولـه: (من قعـد وسط الحلقـة) قيل: معناه أن يأتي

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٥٢).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٧٥٣، د: ٤٨٢٦].

٤٧٢٣ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٢٠].

٤٧٢٤ ـ [١٨] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ جُلُوسٌ فَقَالَ: «مَا لِيَ أَرَاكُمْ عِزِينَ؟». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٢٣].

مجلس قوم فيتخطى رقابهم، ويقعد وسطها بغير رضاهم، ولا يجلس حيث ينتهي به المجلس كما هو المأمور به، وهذا الوجه لا يخلو عن بعد وعدم تبادر من العبارة، والظاهر منها ما قيل: إنه يقعد وسط الحلقة فيحول بين الوجوه ويحتجب بعضهم عن بعض فيتأذون به، وإيذاء الناس بغير وجه شرعي يوجب الذم واللعنة، اللهم إلا أن لا يتأذوا به وكانوا راضين بذلك، والله أعلم. وما قيل: إنه لما تأذى به أهل المجلس وتضرروا بذلك ذموه ولعنوه، ففيه أن ظاهر قوله: (ملعون على لسان محمد) يأبى عنه؛ لأن ظاهره أنه ملعون ومذموم في نفس الأمر، وقال التُّورِبِشْتِي[1]: إن المراد به الماجن الذي يقيم نفسه مقام السخرية، فيكون ضحكة بين الناس، انتهى.

والماجن: من لا يبالي قولاً وفعلاً، كذا في (القاموس)[2].

٤٧٢٣ ـ [١٧] **(أبو سعيد الخدري)** قوله: **(خير المجالس أوسعها)** لأنها أبعد من تأذي أهلها، وإمكان التفسح المأمور به.

٤٧٢٤ ـ [١٨] **(جابر بن سمرة)** قوله: **(ما لي أراكم عزين)** أي: فرقاً شتى،

---

(١) «كتاب الميسر» (٣/ ١٠٣٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٦).

٤٧٢٥ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الْفَيْءِ فَقَلَصَ عَنْهُ الظِّلُّ، فَصَارَ بَعْضُهُ فِي الشَّمْسِ وَبَعْضُهُ فِي الظِّلِّ فَلْيَقُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٢١].

٤٧٢٦ ـ [٢٠] وَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» عَنْهُ قَالَ: «وَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الْفَيْءِ فَقَلَصَ عَنْهُ فَلْيَقُمْ، فَإِنَّهُ مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ»....................

وجاء في رواية أخرى: دخل رسول الله ﷺ وهم حلق، أي: جالسون حلقة حلقة منفردين غير مجتمعين في مجلس، و(عزين) جمع عزة بالتخفيف، وفي (القاموس)[1]: والعزة كعدة: العصبة من الناس، وعزاه، أي: نسبه إلى أبيه، وقال البيضاوي[2] في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ [المعارج: ٣٦]، أي: حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] أي: فرقاً شتى، جمع عزة، وأصلها (عزوة) من العزو، كأنّ كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى، وكان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقاً حلقاً، ويستهزئون بكلامه.

٤٧٢٥، ٤٧٢٦ ـ [١٩، ٢٠] (أبو هريرة) قوله: **(فقلص عنه الظل)** أي: انقبض وانكمش، في (القاموس)[3]: أقلص الظل عني: انقبض، وقلص الثوب بعد الغسل: انكمش، وفي (الصراح)[4]: قلوص: برآمدن سايه، وكوته شدن جامه بعد أز شستن.

وقوله: **(فصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل)** لا يخفى عليك أن هذا القول

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٤).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٤٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٥٨٠).

(٤) «الصراح» (ص: ٢٧٣).

هَكَذَا رَوَاهُ مَعْمَرٌ مَوْقُوفاً. [شرح السنة: ٣٣٣٥].

٤٧٢٧ ـ [٢١] وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرجالُ مَعَ النِّسَاء فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ لِلنِّسَاء: «اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، . . . .

يدل على أن مجلس الشيطان هو هذا الموضع الذي هو مجمع الظل والشمس وبرزخ بينهما، أما إن كان كله في الشمس فهو ليس كذلك.

نعم قد يكره ذلك أيضاً من جهة أنه إلقاء النفس في التعب والمشقة لا من جهة أنه مكان الشيطان، حتى إن الظاهر أنه لا يكره الجلوس في شمس الشتاء، ويكره فيما يكون بعضه في الشمس وبعضه في الظل بحكم هذا الحديث، فما ذكر في بعض الحواشي أن الإضافة إلى الشيطان لأنه الباعث عليه والآمر به، ليصيبه السوء من التعب والمشقة فليس بشيء، فهذا من الأسرار التي لا ينكشف إلا بنور النبوة، والسبيل في أمثاله التسليم والتفويض، وليس لأحد إلى درك كنهه سبيل، ولهذا كان روايته موقوفاً ـ كما رواه معمر ـ في حكم المرفوع؛ ولأن حكم الصحابي فيما لا يدرك بالقياس والاجتهاد لا يكون إلا بالسماع من النبي ﷺ، فالموقوف في هذا الباب له حكم المرفوع، كما تقرر في موضعه.

٤٧٢٧ ـ [٢١] (أبو أسيد) قوله: **(وعن أبي أسيد الأنصاري)** بلفظ تصغير أسد: الحيوان المفترس المشهور.

وقوله: **(أنه سمع رسول الله ﷺ يقول)** مقول القول محذوف، أي: يكلم الناس ويدعوهم إلى الأحكام فاختلط لسماع كلامه الناس في الطريق.

وقوله: **(أن تحققن)** بفتح التاء وضم القاف الأولى، على صيغة جمع المؤنث

عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ» فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْصَقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [د: ٥٢٧٢].

٤٧٢٨ ـ [٢٢] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَمْشِيَ ـ يَعْنِي الرَّجُلَ ـ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٧٣].

٤٧٢٩ ـ [٢٣] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَذُكِرَ حَدِيثَا عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو فِي (بَابِ الْقِيَامِ)، وَسَنَذْكُرُ حَدِيثَيْ عَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ. . . . .

المخاطبة، وهو من الحاقِّ بمعنى الوسط، يقال: سقط فلان على حاقِّ رأسه وحقِّه، أي: وسط رأسه، كذا في (القاموس)[1]، و(الحافات) بالفاء جمع حافة مخففة، وهي الناحية.

٤٧٢٨ ـ [٢٢] (ابن عمر) قوله: (أن يمشي ـ يعني الرجل ـ) تفسير من الراوي بقرينة لفظ الذكر والسياق، ووجه النهي أن ذلك ينافي الحياء والمروءة، وقد يتشاءم به الناس، ولا أصل له، والله أعلم.

٤٧٢٩ ـ [٢٣] (جابر بن سمرة) قوله: (جلس أحدنا حيث ينتهي) يعني لم يرجع ولم يقصد الصدر ومزاحمة الناس، اللهم إلا أن يتسع المكان ولم يؤد إلى إيذاء الجالسين، كما علم من حديث: الثلاثة الذين رجع أحدهم، ودخل الآخر في المجلس، وجلس ثالثهم حيث انتهى.

وقوله: (وذكر حديثا عبدالله بن عمرو) وأولهما: (لا يحل لرجل أن يفرق بين

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٠٦).

فِي (بَابِ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَصِفَاتِهِ) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. [د: ٤٨٢٥].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٧٣٠ - [٢٤] عَن عَمْرِو بْنِ الشَّرِيْدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي. فَقَالَ: «أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٤٨].

اثنين إلا بإذنهما)، والثاني: (لا تجلس بين رجلين إلا بإذنهما)، وقد ذكر هذان الحديثان في (المصابيح) في البابين مكرراً، فذكرهما المؤلف في (باب القيام) لتقدمه دون (باب الجلوس)، وإن كان الأنسب ذكرهما فيه.

فإن قلت: الحديث الثاني منها ليس عن عبدالله بن عمرو بل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قلت: هو أيضاً من عبدالله بن عمرو؛ لأن عمرو بن شعيب بن محمد ابن عبدالله بن عمرو بن العاص.

وقوله: (في باب أسماء النبي ﷺ وصفاته) لكون الحديثين في بيان شمائله وصفاته الخاصة به ﷺ، فالمناسب ذكرهما فيه، وصاحب (المصابيح) ذكرهما هنا لاشتمالهما على ذكر مشيه ﷺ.

الفصل الثالث

٤٧٣٠ - [٢٤] (عمرو بن الشريد) قوله: (عن عمرو بن الشريد) بفتح الشين المعجمة وكسر الراء.

وقوله: (واتكأت على ألية يدي) أي: اليمنى، الألية بفتح الهمزة وسكون اللام:

٤٧٣١ ـ [٢٥] وَعَن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: مرَّ بِي النَّبِيُّ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «يَا جُنْدُبُ! إِنَّمَا هِيَ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه. [جه: ٣٧٢٤].

❖ ❖ ❖

٦ ـ باب العطاس والتثاؤب

العجيزة واللحمة في أصل الإبهام، والمراد هنا المعنى الثاني، وفي (الصراح)[1]: أليه: سرين وذنبه، وأيضاً گوشت انگشت بزرك، والمراد بـ (المغضوب عليهم) اليهود، وهم المرادون بقوله في الفاتحة بهذا اللفظ، وورد فيهم من غضب الله عليه ولعنه، وكانوا يقعدون بهذه الهيئة.

٤٧٣١ ـ [٢٥] (أبو ذر) قوله: (إنما هي ضجعة أهل النار) هذا الحديث في معنى حديث أبي هريرة الذي مر في (الفصل الثاني)، غير أن التشديد هنا أكثر، لأن عدم محبة الله لا يستلزم دخول النار، ولا كونه محرماً ولا مكروهاً، فافهم.

٦ ـ باب العطاس والتثاؤب

في (القاموس)[2]: العطاس بضم العين مصدر عطس يعطس عطساً وعطاساً، وفي (الصراح)[3]: العطاس: عطسه زدن، والتثاؤب مصدر تثاءب، والاسم ثُوَباً بضم

(١) «الصراح» (ص: ٥٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥١٦).

(٣) «الصراح» (ص: ٢٤٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٧٣٢ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ: ....

الثاء وفتح الواو: فتور وكسل يعرض طبعاً ينفتح به الفم، وفي (الصراح)[١]: ثوباء بضم وفتح والمد: خاميازه، وهو مهموز لا أجوف، وقال الكرماني[٢]: بالهمزة على الأصح، وقيل: بالواو، ونقل عن (المغرب)[٣] الهمزة بعد الألف، والواو خطأ.

الفصل الأول

٤٧٣٢ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (إن الله يحب العطاس) لأن العطسة سبب لخفة الدماغ وصفاء القوى الإدراكية، فيعين صاحبه على الطاعة وحضور القلب مع الله، والتثاؤب ينشأ من امتلاء وثقل وكدورة الحواس، وهو يورث الغفلة والكسالة وسوء الفهم، ويمنع الإنسان من النشاط في الطاعة، فرضي به الشيطان، ومن هذا نسبه إلى الشيطان، وورد: (ما تثاءب نبي قط)، نقله في (شرح المشارق)، فعلم أن محبة الله تعالى العطاس وكراهة سبحانه التثاؤب باعتبار ثمراتها ونتائجها، فتفريع الطيبي[٤] عليه أن المحبة والكراهة ينصرف إلى الأسباب الجالبة لهما، غير ظاهر.

وقوله: (فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول:

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٠).

(٢) «شرح الكرماني» (٢٢/ ٦٨).

(٣) «المغرب» (١/ ٦٥).

(٤) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٥٦).

يَرْحَمُكَ اللهُ، ....

يرحمك الله) ظاهـر هـذه العبارة دال على أن جواب العاطس بـ (يرحمك الله) فرض عين على كل مسلم، وقد اختلف العلماء في ذلك، والصحيح من مذهب الحنفية أنه واجب علـى الكفاية، إن أتى بـه واحد من الحاضرين يجزئ عن الكل، وفي رواية: يستحب، وقـال صاحب (سفر السعادة)[1]: إن ظاهر الأحاديث الصحيحة أن جواب العاطس فرض علـى كـل أحد، ولا يجزئ جواب واحد عن الكل، قال: وهذا قول الأكابر من العلماء، انتهى.

ومذهب الشافعية أنـه سنة علـى الكفاية، إن أتـى بـه واحد سقط عن الباقين، ولكـن الأفضل أن يأتـي بـه الكل، وللمالكية خلاف في أنه واجب أو سنة، والأظهر الأول، واتفقوا على أن وجوبه أو سنيته إنما هو على تقدير أن يحمد العاطس ويسمعه الحاضر؛ فـإن لم يحمد لـم يستحق الجواب، وإن أخفـى بحيث لـم يسمعه الحاضر لـم يلزمـه أيضاً، والمستحب أن يجهر بالحمد حتـى يسمعه الناس، كذا في (مطالب المؤمنين).

ثـم الحكمة فـي تشريع الحمد عنـد العطاس أنـه نعمة دينية وبدنية، أما الدينية فلكونها معينة على الطاعة وحضور القلب مع الله كما عرف، وأما كونها بدنية فلحصول المنفعة فيه بخروج البخارات المختفية من الدماغ التي بقاؤها يورث الأمراض والأوجاع، وقالوا: إن العطسة علامـة علـى صحة الدماغ وقـوة مزاجه؛ لأن المؤذي يصعـد من الجوف إلـى الدماغ؛ فإذا كان الدماغ صحيحاً قويًا دفعه ولم يقبله، وذلك بالعطسة، وإن كان ضعيفاً ولـم يقدر على دفعه قبله، ولـم تجئ العطسة لمنعه.

---

(١) «سفر السعادة» (ص: ٢٤٣).

فَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرَدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذا قَالَ: هَا؛ ضَحِكَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ». [خ: ٦٢٢٦].

٤٧٣٣ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ ـ أَوْ صَاحِبُهُ ـ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٢٢٤].

٤٧٣٤ ـ [٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، ....

وقوله: (**فليرده ما استطاع**) بتطبيق السن وضم الشفتين ووضع اليد على الفم.

وقوله: (**إذا تثاءب**) أي: بالغ فيه وفتح الفم، و(**ضحك الشيطان**) كناية عن فرحه به ورضاه عنه، ويمكن حمله على ظاهره، والله أعلم.

٤٧٣٣ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (**ويصلح بالكم**) خطاب الجمع باعتبار الغالب من اجتماع الناس في المجالس أو تعظيماً، وهو واقع وإن كان على قلة، أو إدخالاً لجميع أمة محمد ﷺ في الدعاء تغليباً للحاضرين على الغائبين.

٤٧٣٤ ـ [٣] (أنس) قوله: (**فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر**) اعلم أن التشميت جواب العاطس بيرحمك الله، وقد جاء بالشين المعجمة والمهملة كما قيل، والمعجمة أعلى وأفصح، وهو مشتق من الشماتة بمعنى فرح الأعداء والحساد لوجود البلية، ومعنى التشميت: إزالة الشماتة، بناء على أن باب التفعيل قد يجيء للإزالة،

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ! شَمَّتَّ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ وَلَمْ تَحْمَدِ اللهَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢٢٥، م: ٢٩٩١].

٤٧٣٥ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلاَ تُشَمِّتُوهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٩٢].

فاستعمل للدعاء بالخير لتضمنه ذلك، فمعناه: جنبك الله عن الشماتة وأبعدك، أو المعنى: التجنب عن الشماتة والبعد عما يشمت به، وذلك لأن العطسة علامة الصحة كما قلنا؛ فإذا عطس نجا عن شماتتهم وزالت، وقيل: الشوامت هي قوائم الدابة كما ذكر في كتب اللغة، فكأنه دعا بثبات قدمه في مقام الطاعة والعافية.

وأما التسميت بالسين المهملة فهو من السمت بمعنى طريق أهل الخير وهيئتهم، فكأنه دعاء بكونه على السمت الحسن والهيئة الحسنة، وذلك لأن العاطس قد يقبح منظره وهيئته بالعطاس.

وقال في (النهاية)[1]: التسميت: الدعاء، كما جاء في حديث الأكل: (سموا الله وسمتوا) أي: ابتدؤوا الطعام بالتسمية لله واختموه بالدعاء لصاحب الطعام، كذا في (مجمع البحار)[2].

٤٧٣٥ ـ [٤] (أبو موسى) قوله: **(وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه)** قالوا: إن عطس من وراء جدار مثلاً ولم يعلم تحميده ولا عدمه، يقول: يرحمك الله إن حمدت.

---

(١) «النهاية» (٢/ ٣٩٧).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١١٥).

٤٧٣٦ ـ [٥] وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللهُ»، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ قَالَ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ: «إِنَّهُ مَزْكُومٌ». [م: ٢٩٩٣، ت: ٢٧٤٣].

٤٧٣٧ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فَمِهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٩٥].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٧٣٨ ـ [٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ ثَوْبِهِ، وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ. . . . .

٤٧٣٦ ـ [٥] (سلمة بن الأكوع) قوله: (الرجل مزكوم) يعني أنه مريض، والتشميت إنما هو لصحيح، وأما المريض فيدعى له بالعافية بوجه آخر، والتشميت دعاء خاص لمن لا يكون مريضاً، والزكام بالزاي المضمومة والزكمة: تجلُّبُ فضولِ رطبةٍ من بطني الدماغ المقدمين إلى المنخرين.

٤٧٣٧ ـ [٧] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فليمسك بيده على فمه) وهذا أدب حسن، إذ لا يخلو فتح الفم عن ظهور فضلة وتشويه صورة.

الفصل الثاني

٤٧٣٨ ـ [٨] (أبو هريرة) قوله: (وغض) أي: خفض.

وقوله: (بها) أي: بالعطسة، متعلق بـ(صوته)، ويحتمل أن يكون الباء للملابسة.

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٢٧٤٥، د: ٥٠٢٩].

٤٧٣٩ - [٨] وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلِ الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَهْدِيكُمُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٢٧٤١، دي: ٢/ ٢٨٣].

٤٧٤٠ - [٩] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٧٣٩، د: ٥٠٣٨].

٤٧٣٩ - [٩] (أبو أيوب) قوله: (الحمد لله على كل حال) قيل: قد يشعر قول القائل: (على كل حال) بنوع من الشكاية، ولذا كرهه هذا القائل في جواب من قال: كيف حالك؟ والحق أن الأمر ليس كما قال على إطلاقه.

نعم قد يقول بعض الناس بحيث يفهم ذلك منه عرفاً، وعلى تقدير التسليم لما كان في العطاس من عروض عارض على المزاج يغير الحال كاد أن يكره حمد الله عليه، ويذكر ما في ضمنه من النعمة، والله أعلم.

٤٧٤٠ - [١٠] (أبو موسى) قوله: (يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله) فإن قلت: كيف يرجون بركة دعائه وهم كافرون ينكرونه؟ قلنا: كان إنكارهم عناداً واستكباراً؛ لأنهم كانوا يعرفونه حق معرفته، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقوله: (فيقول: يهديكم الله) فيه أنهم داخلون في الأمر بالتشميت لكن لهم

٤٧٤١ ـ [١٠] وَعَنْ هِـلاَلِ بْنِ يَسَافٍ قَـالَ: كُنَّا مَعَ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدٍ، فَعَطَـسَ رَجُـلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ لَـهُ سَـالِمٌ: وَعَلَيْـكَ وَعَلَى أُمِّكَ، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْ إِلاَّ مَا قَالَ النَّبِـيُّ ﷺ، إِذْ[1] عَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِـيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّـلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّكَ، إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، . . . .

تشميت مخصوص.

٤٧٤١ ـ [١١] (هلال بن يساف) قوله: (هلال بن يساف): (يساف) بفتح الياء تحتها نقطتان وتخفيف السين المهملة وبالفاء، وفي (المغني)[2]: هو بفتح الياء وكسرها، وقيل: بكسر همزة مكان الياء، ثم المصحح في أكثر النسخ بالتنوين منصرفاً، وصحح في نسخة مصححة بالفتح غير منصرف وحك التنوين، كأنه جعله منقولاً من المضارع، كيزيد ويشكر، والله أعلم.

وقوله: (وجد في نفسه) وجد موجدة ووجداناً: غضب، ووجد وجداً: حزن، وفي (الصراح)[3]: موجدة ووجدان: خشم گرفتن بركسي، ووجد بالفتح: أندوهگين شدن.

وقولـه: (فقال النبـي ﷺ: «عليـك وعلى أمـك، إذا عطـس أحدكـم فليقل: الحمد لله . . . إلخ»)، يعنـي أن الوظيفة في العطاس هـذه الأذكار وهـذه الأدعيـة،

---

(١) في نسخة: «إذا».

(٢) «المغني في ضبط الأسماء» (ص: ٢٩٦).

(٣) «الصراح» (ص: ١٤٩).

وَلْيَقُلْ لَهُ مَنْ يَـرُدُّ عَلَيْهِ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَلْيَقُلْ: يَغْفِرُ اللهُ لِـي وَلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٧٤٠، ٥٠٣١].

٤٧٤٢ ـ [١١] وَعَنْ عُبَيْـدِ بْـنِ رِفَاعَـةَ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «شَمِّتِ الْعَاطِسَ ثَلاَثـاً، فَمَا زَادَ فَإِنْ شِئتَ فَشَمِّتْهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَلاَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [د: ٥٠٣٦، ت: ٢٧٤٤].

٤٧٤٣ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِـيْ هُرَيْـرَةَ قَـالَ: شَـمِّتْ أَخَـاكَ ثَلاَثـاً، فَـإِنْ زَادَ فَهُوَ زُكَامٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ: ....

والسـلام على الحاضريـن ليس بشـيء معتبـر في ذلك، ولكن لمـا سلم الرجـل رد رسول الله ﷺ.

وأما قوله: (على أمك) فذكروا فيه وجوهاً: الأول أنه إشارة إلى أن السلام في هـذا المحل لم يقع فـي موقعه كما أن يسلم أحـد عنـد إرادة السلام عليـك [و]علـى أمـك، الثاني: أنه تذكير لـه أن هـذا أدب الأميين الذين لم تصلهم التربية من الرجال واكتسبوا فـي حجر الأمهات الآداب النسائية، الثالث: أنـه تنبيه على حماقته من جهة سرايـة صفات أمه إليه، فافتقر إلى الدعاء لأمه بالسلامة عن الآفات، وذكر في بعض الحواشي [أن] التقدير: عليك الويل وعلى أمك؛ لعدم تأدبك بآداب الرجال، ولعدم تأديبها إياك وحسن تربيتها إياك، والله أعلم.

٤٧٤٢ ـ [١٢] (عبيـد) قوله: (وعـن عبيـد) بلفظ التصغير (ابن رفاعة) بكسر الراء.

٤٧٤٣ ـ [١٣] (أبـو هريرة) قولـه: (وقال) ظاهـره أن فاعـل (قال) أبو داود،

لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ أَنَّهُ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. [د: ٥٠٣٥].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٧٤٤ ـ [١٣] عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ رَجُلاً عَطَسَ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عمرَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا أَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَلَيْسَ هَكَذَا، عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٧٣٩].



وليس كذلك، بل الفاعل الراوي عن أبي هريرة، وهو سعيد المقبري على ما يفهم من (سنن أبي داود)، كذا في الحاشية، ويمكن أن يكون المعنى قال أبو داود في حديثه: قال الراوي عن أبي هريرة: لا أعلم إلا أنه رفع الحديث، أي: لا أعلمه إلا مرفوعاً، أي: أن الحديث مرفوع البتة وليس موقوفاً على أبي هريرة.

الفصل الثالث

٤٧٤٤ ـ [١٤] (نافع) قوله: (وأنا أقول) أي: أنا أقول: (الحمد) ثابت (لله والسلام على رسول الله)، ولكن ليس المسنون في هذه الحال هذا القول، وإنما الذي علمنا فيها (أن نقول: الحمد لله على كل حال) فقط من غير زيادة سلام، فنبّه على أنه ينبغي في الذكر والدعاء الاقتصار على المأثور من غير أن يزاد أو ينقص، فالزيادة في مثله نقصان في الحقيقة، كما لا يزاد في الأذان بعد التهليل: محمد رسول الله ﷺ، وأمثال ذلك كثيرة.

٧ ـ باب الضحك

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٧٤٥ ـ [١] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٠٩٢].

٤٧٤٦ ـ [٢] وَعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي ....

---

٧ ـ باب الضحك

فيه أربع لغات: بفتح الضاد وكسرها وسكون الحاء، وبكسرهما، وبفتح الأول وكسر الثانية.

الفصل الأول

٤٧٤٥ ـ [١] (عائشة) قوله: (مستجمعاً ضاحكاً) استجمع السيل: اجتمع، و(ضاحكاً) حال أو تمييز على نحو: لله دره فارساً، وحاصل المعنى: ما ضحك ضحكاً تامًّا، و(اللهوات) جمع لهاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق.

وقوله: (إنما كان يتبسم) في (القاموس)[1]: بَسَم يَبسِم بَسْماً، وابتسم وتبسم، وهو أقل الضحك، والمبسم كمنزل: الثغر، وكمقعد: التبسم.

٤٧٤٦ ـ [٢] (جرير) قوله: (ما حجبني) أي: ما منعني عن الدخول عليه في أيّ وقت شئت في مجلس الرجال، أو ما منعني ما سألت منه، وأعطاني كل ما سألت،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٩٧).

إِلاَّ تَبَسَّمَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٨٩، م: ٢٤٧٥].

٤٧٤٧ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: يَتَنَاشَدُونَ الشِّعْرَ. [م: ٢٣٢٢، ت: ٢٨٥٠].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٧٤٨ ـ [٤] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ.......................................

أو ما منعني عما فعلت، أي: ما صدر مني ما يكرهه حتى يمنع.

٤٧٤٧ ـ [٣] (جابر بن سمرة) قوله: (ويتبسم) وذلك لغاية حلمه وخلقه وشفقته ﷺ على المسلمين وإيلافه قلوبهم، ولا بد أن لا يكون في تحديثهم حرام ومكروه، وقد ورد في خلقه ﷺ: كنا إذا ذكرنا الدنيا ذكر معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، أو كما ورد.

الفصل الثاني

٤٧٤٨ ـ [٤] (عبدالله بن الحارث) قوله: (ابن جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي.

وقوله: (ما رأيت أحداً أكثر . . . إلخ)، قد تقرر أن مثل هذا التركيب يفيد أكثرية مدخول (من).

رَسُولِ اللهِ ﷺ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٦٤٢].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٧٤٩ ـ [٥] عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ: هَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَضْحَكُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَالإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الْجَبَلِ، وَقَالَ بِلاَلُ بْنُ سَعْدٍ: أَدْرَكْتُهُمْ يَشْتَدُّونَ بَيْنَ الأَغْرَاضِ، وَيَضْحَكُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ كَانُوا رُهْبَاناً. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السّنة». [شرح السنة: ١٢/ ٣١٨].



الفصل الثالث

٤٧٤٩ ـ [٥] (قتادة) قوله: (والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل) أي: لا يضحكون كما يضحك الغافلون يميت قلوبهم ويطفئ نور الإيمان، والمراد أنهم مع كون الإيمان راسخاً في قلوبهم يضحكون، فليس الإيمان منافياً للضحك، فافهم.

وقوله: **(يشتدون)** الشد: العدو، والغرض: الهدف زنةً ومعنىً، يعني كانوا يترامون ويلعبون بالرمي، ويضحك ويميل ويباسط بعضهم إلى بعض في الترامي وغيره.

وقوله: **(رهباناً)** أي: خائفين من الله تعالى متعبدين وخاشعين، ورهب كعلم رهبة، ورهباً بالضم والفتح وبالتحريك، ورهباناً: خاف، والراهب واحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية، وقد يجمع الرهبان على رهابين ورهابنة ورهبانون، و(لا رهبانية في الإسلام) هي كالاختصاء، واعتناق السلاسل، ولبس المسوح، وترك

٨ ـ باب الأسامي

اللحم، ونحوها، كذا في (القاموس)[1]، وفي (الصراح)[2]: رهب بفتحتين ورهبة بسكون، ورهب بالضم: ترسيدن، من سمع يسمع، رجل رهوب بفتح راء: مرد ترسنده، والمراد في الحديث: التشبه بهم في الرياضة والعبادة والخوف، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الخوف من قبيل: رجل عدل، والمصدر لا يجمع.

٨ ـ باب الأسامي

[أي] في بيان ما يجوز التسمية به وما لا يجوز، و[ما] يحسن التسمية به وما يكره، والمراد بالاسم هنا أعم من العلم واسم الجنس، وقد ذكر في الباب التسمية والتكني باسم رسول الله وكنيته ﷺ.

واعلم أن في هذه المسألة أقوالاً: الأول: أنه يجوز التسمية باسمه ﷺ ولا يجوز التكنية بكنيته، سواء كان الاسم محمداً حتى يجتمع الاسم والكنية، أو لا يكون حتى تكون الكنية وحدها، وهذا القول منقول عن الشافعي رحمه الله، ويتمسك بهذين الحديثين، إذ ظاهرهما تجويز التسمية وإباحتها والنهي عن التكني، سواء كان الاسم محمداً أو لا، والحمل على النهي عن الجمع بعيد.

الثاني: أنه لا يجوز الجمع بين الاسم والكنية، حتى لا يجوز أن يقال لأحد: محمد أبو القاسم، ولكن التكني بكنيته ﷺ من غير التسمية جائز، والدليل عليه حديث أبي داود[3] عن جابر عن النبي ﷺ قال: (من تسمى باسمي فلا يكتن بكنيتي، ومن تكنى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٩).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٢).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٩٦٦).

. . . .

بكنيتي فلا يتسم باسمي)، وحديث الترمذي[1]: (إذا تسميتم باسمي فلا تكتنوا بكنيتي)، وعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ نهى أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته، ويسمى محمداً أبا القاسم، وفي رواية: (إذا تسميتم بي فلا تكتنوا بي)، وهؤلاء يقولون: إن هذه الأحاديث تقيد وتفسر الحديثين السابقين، يعني أن النهي عن التكني فيهما مقيد بأن يكون الاسم محمداً، والمراد بهما أيضاً النهي عن الجمع، كأنه قال: سموا باسمي، وإذا سميتم باسمي فلا تكتنوا بكنيتي، حتى يلزم الجمع بينهما، ونقل عن (المحيط) أن هذا قول محمد رحمه الله.

الثالث: أن الجمع بين الاسم والكنية أيضاً جائز، ونقل هذا القول عن مالك رحمه الله، واستدلاله حديث أبي داود عن علي ﷺ قال: قلت: أرأيت يا رسول الله إن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: (نعم)، صححه الترمذي، وفي (جامع الأصول)[2] أورده عن أبي داود عن محمد بن الحنفية عن أبيه، ويحدثه عن عائشة قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني قد ولدت غلاماً فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم، فذكر لي أنك تكره ذلك، فقال: (ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي)، وهذه الطائفة تقول: إن الأحاديث التي جاءت في المنع عن الجمع بينهما منسوخة، وهو جائز في حياة النبي وبعد وفاته ﷺ.

الرابع: أن التكني بأبي القاسم كان ممنوعاً في حياته ﷺ، أما بعد وفاته فجائز؛ لأن سبب المنع كان الالتباس على ما علم من الحديث المتفق عليه: أنه ﷺ كان في

(١) «سنن الترمذي» (٢٨٤٢).

(٢) «جامع الأصول» (١/ ٣٨١).

. . . .

السوق ـ وفي رواية: بالبقيع ـ فنادى رجل يا أبا القاسم! فالتفت إليه النبي ﷺ، الحديث المذكور في أول الباب، وهذا المحذور إنما يلزم في حياته، وفي حديث علي رضي الله عنه إشارة إلى ذلك، حيث قال رضي الله عنه: إن ولد لي بعدك، وقد ضعف بعضهم هذا الحديث، كذا قيل، ولكن الترمذي صححه، والصحيح في الجواب أن هذه الرخصة كانت مخصوصة بعلي رضي الله عنه حيث جاء في حديث الترمذي: وقال: وكانت رخصة لي.

وذكر السيوطي في (جمع الجوامع)[1]: عن ابن عساكر أنه وقع بين علي وطلحة كلام، قال طلحة لعلي: أنت سميت ولدك باسم النبي ﷺ وكنيته بكنيته ﷺ، وقد نهى عن الجمع بينهما، فقال علي المرتضى رضي الله عنه: المجترئ من تجرأ على الله ورسوله، فدعا جماعة من الصحابة من قريش فحضروا وشهدوا أن النبي ﷺ رخص لعلي في الجمع بينهما، وحرم على سائر الأمة ممن سواه.

وهذه الأقوال الأربعة هي المشهورة الدائرة بين الألسنة، وقد ذهب بعض العلماء أنه قد صح النهي عن التكنية، فلا يجوز التسمية أيضاً قياساً على التكنية، لعدم الفرق بينهما؛ لأن كلاهما علم مخصوص بذاته؛ ولأن المحذور اللازم من التكني كما علم من نداء شخص رجلاً بأبي القاسم لازم في التسمية أيضاً، ولا تعريج على هذا القول، ولعل وجهه أن اختصاص الكنية أشد وأقوى وأشهر بالنسبة إلى الاسم، ولزوم المحذور المذكور في النداء بالاسم محل منع للعلم باشتراك الاسم، فلا يقع الالتفات عند النداء به؛ ولأن التسمية باسمه ﷺ تجوز بلا شبهة، وكم من الصحابة

---

(١) انظر: «جامع الأحاديث» (٣٤٩٧٤).

. . . .

كانوا مسمين باسم محمد، وقد قرره النبي ﷺ، بل يكاد يستحب؛ لورود صيغة الأمر ووجود الترغيب والتبشير به في بعض الأحاديث وإن كانت ضعيفة، فهو قياس وتعليل في مقابلة النص، فلا يجوز.

هذا وقد ذكر الطيبي[1] في المنع عن التسمية باسمه ﷺ أنه قد جاء فيه أنه قال ﷺ: (تسمـون أولادكم محمداً ثـم تلعنونهم)، وفـي دلالة هـذا الحديث على المنع خفاء ظاهر.

نعـم ما نقـل أنـه كتب عمر إلـى أهل الكوفة: لا تسموا أحداً باسم النبي ﷺ، وسببه أنه سمع رجلاً يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب ابن أخيه: فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر رضي الله عنه، فقال: أرى رسول الله ﷺ يسب بك، والله لا تدعى محمداً ما بقيت، وسماه عبد الرحمن.

وذهــب بعض العلماء أن التسمية بالقاسم أيضاً مكروه؛ لأنه إذا سمي بالقاسم كان أبوه أبا القاسم ضرورة، فيلزم التكني بكنيته، وقد رُوي أن عبد الملك بن مروان كـان اسمه في الأصل قاسماً؛ فلما سمع مروان النهي عن التكني بكنيته ﷺ غير اسمه وسماه عبد الملك، وقد جاء مثله من بعض الأنصار أيضاً.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الصواب من هذه الأقاويل أن التسمية باسمه ﷺ جائزة، والتكني بكنيته ممنوع، ومنعه في زمنه ﷺ كان أقوى وأشد، والجمع بين الاسم والكنية ممنـوع بطريق الأولى، والجواب عن حديث عائشة رضي الله عنها: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، الحديث: أنه غريب لا يعارض الحديث الصحيح، والله أعلم.

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٦٦).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٧٥٠ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِـيُّ[1] ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِـيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّمَا دَعَوْتُ هَذَا، فَقَالَ النَّبِـيُّ: «سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢١٢٠، م: ٢١٣١].

٤٧٥١ ـ [٢] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي، فَإِنِّي إِنَّمَا جُعِلْتُ قَاسِماً أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣١١٤، م: ٢١٣٣].

الفصل الأول

٤٧٥٠ ـ [١] (أنس) قوله: (ولا تكتنوا) رويت هذه اللفظة بوجوه: بفتح تاء وكاف ونون مشددة من باب التفعل بحذف إحدى التاءين، وبفتح تاء وسكون كاف من الكنية، وبضم التاء وفتح كاف ونون مشددة من التفعيل، و(تكتنوا) بفتح التاءين بينهما كاف ساكنة من الافتعال، وأكثر ما يوجد في نسخ (المشكاة) المصححه هذا، ويكتبون في الهامش من التفعيل، والله أعلم.

٤٧٥١ ـ [٢] (جابر) قوله: (فإني إنما جعلت قاسماً أقسم بينكم) يعني إنما كنيت بأبي القاسم رعاية لمعنى القسمة، فإني أقسم بينكم بأمر الله تعالى العلم والمال والبشارة والنذارة وخير الأعمال، ولا يشاركني في هذا المعنى أحد، فلم يجز أن يكنى به. هذا، وقد يذهب الفهم إلى أن تكنيته ﷺ بأبي القاسم من جهة ابنه القاسم الذي ولد قبل النبوة، ولكن الحديث يدل على ما يدل، فتدبر. وذهب بعضهم أنه يمنع من

---

(١) في نسخة: «رسول الله».

٤٧٥٢ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ: عَبْدُاللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٣٢].

٤٧٥٣ ـ [٤] وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُسَمِّيَنَّ غُلاَمَكَ يَسَاراً، وَلاَ رَبَاحاً، وَلاَ نَجِيحاً، وَلاَ أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلاَ يَكُونُ، فَيَقُولُ: لاَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ: «لاَ تُسَمِّ غُلاَمَكَ رَبَاحاً، وَلاَ يَسَاراً، وَلاَ أَفْلَحَ، وَلاَ نَافِعاً». [م: ٢١٣٦].

التكنية بأبي القاسم إذا روعي فيه معنى القسمة التي كني بها رسول الله ﷺ، ولو كني به أحد للنسبة إلى ابن له اسمه قاسم أو للعلمية المجردة جاز، وهذا القول ضعيف.

٤٧٥٢ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: (إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن) لما فيهما من الاعتراف بالعبودية والتعلق بذات الله تعالى المستجمع لصفات الكمال، والتمسك بصفاته المقدسة، والظاهر أن حكم جميع الأسماء التي يضاف فيها العبد إلى اسم من أسمائه تعالى كذلك، اللهم إلا أن يفرق بين الصفات اللطفية والقهرية، ثم إنه قد قيد في بعض الحواشي بقوله: بعد أسماء الأنبياء، وإضافة أسماء إلى ضمير المخاطبين ربما يشعر بذلك، وسيجيء في آخر (الفصل الثالث) ما يتعلق به.

٤٧٥٣ ـ [٤] (سمرة بن جندب) قوله: (فلا يكون) أي: فلا يوجد ذلك الغلام في ذلك المكان.

وقوله: **(فيقول)** أي: المجيب، **(لا)** أي: لا يسار ولا رباح، ولا يحسن هذا النفي، وليس هذا من النظير؛ لأنه إنما يكون عند إرادة الفعل والشروع فيه، فافهم.

وقوله: **(ولا نافعاً)** قد ذكر في هذه الرواية نافع لا نجيح، ويستشعر من ذلك بعدم الانحصار في هذه الأسماء، وذلك ظاهر، وقد جاء التصريح به في حديث جابر

٤٧٥٤ ـ [٥] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَنْهَى عَنْ أَنْ يُسَمَّى بِيَعْلَى، وَبِبَرَكَةَ، وَبِأَفْلَحَ، وَبِيَسَارٍ، وَبِنَافِعٍ، وَبِنَحْوِ ذَلِكَ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ سَكَتَ بَعْدُ عَنْهَا، ثُمَّ قُبِضَ وَلَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٣٨].

٤٧٥٥ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْنَى الأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ» . . . .

حيث قال: وبنحو ذلك.

٤٧٥٤ ـ [٥] (جابر) قوله: **(ثم رأيته سكت بعد عنها، ثم قبض ولم ينه عن ذلك)** هذا الخبر ناف، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة النهي، والمثبت مقدم على النافي، أو المراد النهي التحريمي.

٤٧٥٥ ـ [٦] (أبو هريرة) قوله: **(أخنى الأسماء)** أي: أقبحها وأفحشها، في (الصراح)[١]: خنى: سخن بيهوده گفتن، وأخنى عليه في منطقه: إذا فحش، وأخنى عليه الدهر: أي أبى عليه وأهلكه.

وقوله: **(رجل يسمى ملك الأملاك)** أي: اسم رجل سمي بهذا الاسم، و(يسمى) بلفظ المجهول من التسمية، وهو الصحيح، وفي بعض النسخ [بفتح الفوقية] بصيغة المعلوم من التسمي، ومعناه بالفارسية: شاهنشاه، وفي رواية: (أخنع)، وفي (القاموس)[٢]: أخنع الأسماء عند الله ملك الأملاك، أي: أذلها وأقهرها، وفي (الصراح)[٣]: خنعة بدگماني، ويروى أيضاً أنخع الأسماء، وفسّره أيضاً في (القاموس):

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٥٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٥٨).

(٣) «الصراح» (ص: ٣١٠).

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ، لاَ مَلِكَ إِلاَّ اللهُ». [خ: ٦٢٠٦، م: ٢١٤٣].

٤٧٥٦ ـ [٧] وَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَتْ: سُمِّيتُ بَرَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، ....

بأذلها وأقهرها، وقال في (الصراح)[1]: الانتخاع: دور شدن، فيكون معناه: أبعدها عن رضا الله وقبوله.

وقوله: (وفي رواية لمسلم قال: أغيظ رجل) في (القاموس)[2]: الغيظ: الغضب، أو أشده، أو سَورتُه وأوله، غاظه يَغيظه فاغتاظ، وغيَّظه، فتغيَّظ، وأغاظه وغايظه، قال الطيبي[3]: أي أكثر من يغضب عليه غضباً، اسم تفضيل بني للمفعول، وفي (الصراح)[4]: غيظ: خشم پنهان وبخشم در آوردن، وعلى المعنى الثاني يجوز حمله على المبني للفاعل.

وفي قوله: (لا ملك إلا الله) مبالغة؛ لأنه إذا لم يكن غيره تعالى ملكاً فكيف يكون ملك الأملاك.

٤٧٥٦ ـ [٧] (زينب بنت أبي سلمة) قوله: (لا تزكوا أنفسكم) تزكية الرجل

---

(١) «الصراح» (ص: ٣٢٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٤٣).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٦٨).

(٤) «الصراح» (ص: ٣٠٣).

اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ، سَمُّوهَا زَيْنَبَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٤٢].

٤٧٥٧ ـ [٨] وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ اسْمُهَا بَرَّةُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْمَهَا جُوَيْرِيَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٤٠].

٤٧٥٨ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ بِنْتاً كَانَتْ لِعُمَرَ يُقَالُ لَهَا: عَاصِيَةُ، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَمِيلَةَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢١٣٩].

نفسه: ثناؤه عليها، و(البر) اسم لكل فعل مرضي.

٤٧٥٧ ـ [٨] (ابن عباس) قوله: (كانت جويرية) هي زوجة النبي ﷺ من قبيلة بني المصطلق.

وقوله: (وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة) علل النهي عن التسمية ببرة في زينب بتوهم التزكية، وهنا بهذه الكراهة، وكل منهما يصلح للسببية، ولا مزاحمة في الأسباب، ولعله ﷺ وجد من قوم زينب التمدح في التسمية دون جويرية، والله أعلم. ولا يخفى أن ما ذكر في النهي عن تسمية الغلام بنجيح وأفلح يجري ههنا أيضاً، وما ذكر هنا يجري هناك.

٤٧٥٨ ـ [٩] (ابن عمر) قوله: (عاصية) كانت العرب يسمون بالعاصي والعاصية ذهاباً إلى معنى التكبر والتعظيم عن الذل والانقياد والعجز والتنزه عن العيب والنقصان، فلما جاء الإسلام نهوا عنه.

وقوله: (فسماها جميلة) قريب التضاد من معنى العاصية، مع أنه لا يلزم أن يكون التغير إلى الضد، بل من القبح إلى الحسن.

٤٧٥٩ ـ [١٠] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أُتِـيَ بِالْمُنْذِرِ بْنِ أَبِـي أُسَيْدٍ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ حِينَ وُلِدَ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ فَقَالَ: «مَا اسْمُهُ؟» قَالَ: فلاَنٌ، قَالَ: «لاَ، لَكِنِ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٩١، م: ٢١٤٩].

٤٧٦٠ ـ [١١] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيدُاللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي، وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَلاَ يَقُلِ الْعَبْدُ: رَبِّـي، ....

٤٧٥٩ ـ [١٠] (سهل بن سعد) قوله: (قال: فلان) قال الشيخ[١]: لم أقف على تعيينه.

وقوله: (لا) أي: لا تسموه به، أو لا أرضى بأن يكون اسمه ذلك، والمنذر في معنى الفقيه، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾[التوبة: ١٢٢].

٤٧٦٠ ـ [١١] (أبو هريرة) قوله: (ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي) قال في (القاموس)[٢]: الغلام من حين يولد إلى حين يشبّ، وفي (الصراح)[٣]: غلام: كودك، وجارية: دختر خرد، وفتى: مرد جوان، وفتاة: زن جوان، وفي إطلاق الغلام على العبيد والإماء رحمة وشفقة لهم، وإنما أطلق الفتى والفتاة لأنه يعامل معهم معاملة الشباب ولا يوقرون كالمشايخ، ويمكن أن يكون لأجل أنهم يتجلدون في الخدمة كتجلد الشباب وإن كانوا هرمى.

وقوله: (ولا يقل العبد: ربي) لأنه وإن كان مربياً للعبد ولكن التربية على الحقيقة

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٥٧٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٥٤).

(٣) «الصراح» (ص: ٤٨٥).

وَلَكِنْ لِيَقُلْ: سَيِّدِي». وَفِي رِوَايَةٍ: «لِيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ يَقُلِ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ: مَوْلَايَ، فَإِنَّ مَوْلَاكُمُ اللهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٤٩].

٤٧٦١ ـ [١٢] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُولُوا: الْكَرْمَ؛ فَإِنَّ الْكَرْمَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٤٧].

٤٧٦٢ ـ [١٣] وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: «لاَ تَقُولُوا: الْكَرْمَ؛ وَلَكِنْ قُولُوا: الْعِنَبَ وَالْحَبَلَةَ». [م: ٢٢٤٨].

صفة خاصة لله رب العالمين، فإطلاقه يوهم الاشتراك، وكذلك حال المولى، ولكن يجوز إطلاق الموالاة دون الربوبية؛ فإن أمرها أقوى وأشد، وأما السيادة والرياسة والفضيلة فثابتة للمالك على المملوك لا محالة.

٤٧٦١ ـ [١٢] **(أبو هريرة)** قوله: **(لا تقولوا: الكرم؛ فإن الكرم قلب المؤمن)** الكرم بفتح الراء وسكونها مصدر كرم يكرم، يوصف به للمبالغة على طريقة رجل عدل، يستوي المذكر والمؤنث والمفرد والتثنية والجمع، ويقال: رجل كرم وامرأة كرم ورجلان كرم ورجال كرم ونسوة كرم بمعنى كريم، كذا قال الطيبي[١]، والكرم يطلق على العنب وشجره، وجاء في رواية: (فإن الكرم الرجل المسلم)[٢].

٤٧٦٢ ـ [١٣] **(وائل بن حجر)** قوله: **(والحبلة)** بالحاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين، وقد تسكن الباء، اسم لشجر العنب، وقد يطلق على العنب نفسه مجازاً.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٧).

٤٧٦٣ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، ....

وقد ذكروا في الحديث وجهين:

أحدهما: أن المقصود هو النهي عن تسمية العنب أو شجره كرماً، فإن العرب كانوا يسمونه كرماً بسكون الراء لما أن شرب الخمر التي تحصل منه يورث الكرم والسخاوة فنهي عنه؛ لأن وصف ما هو أم الخبائث ومنشأ الآثام ورجس من عمل الشيطان ذريعة إلى مدح المحرمات، وتهييج للنفوس إليها وترغيب لها فيها، وقال: إن هذا الاسم إنما يليق بالمؤمن أو بقلبه لكونه معدن أنوار العلم والتقوى ومنبع الأسرار والمعارف، لأن لفظ الكرم شامل لجميع الخيرات والمكارم، قالوا: إذا وصفت أحداً بالكرم فكأنك أثبتَّ له الخيرات والحسنات كلها.

وثانيهما: إنه ليس المقصود الأصلي من الحديث النهي عن التسمية، بل نهى عن تخصيص هذا الاسم به، والمراد تنبيه المؤمنين وتحريضهم على تحلية القلوب بالتقوى ومكارم الأخلاق ومحامد الصفات، وعلى أن لا يرضوا بأن يوسم هذا النوع من الأشجار باسم الكرم وهم أحقاء بذلك، فكأنه قال: تسمون العنب بالكرم وتخصونه به، وينبغي لكم أن تكونوا أصحاب هذا الاسم ومتصفين بهذه الصفة، وهذا حاصل ما ذكره الزمخشري أن المقصود من هذا الحديث تقرير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وتأكيده بطريق أنيق ومسلك لطيف بأن المؤمن المتقي متأهل ومستحق بالاسم المشتق من الكرم، وهو الكريم.

٤٧٦٣ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (لا تسموا العنب الكرم) قد يستأنس بالاكتفاء

وَلاَ تَقُولُوا: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدهرُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٦١٨٢].

٤٧٦٤ ـ [١٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَسُبُّ أَحَدُكُمُ الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٤٧].

٤٧٦٥ ـ [١٦] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٧٩، م: ٢٢٥٠].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدمَ» فِي (بَابِ الْإِيمَانِ).

بالنهي عن التسمية من غير تعليله بقوله: (فإن الكرم قلب المؤمن) بأن الظاهر هو الوجه الأول من الوجهين المذكورين للنهي عن التسمية بالكرم، والله أعلم.

٤٧٦٤ ـ [١٥] (وعنه) قوله: (فإن الله هو الدهر) أي: المصرف الفعال، قد سبق شرحه في أول الكتاب في (كتاب الإيمان).

٤٧٦٥ ـ [١٦] (عائشة) قوله: (ولكن ليقل: لقست نفسي) قال في (القاموس)[1]: لقست نفسه إلى الشيء كفرح: نازعته إليه، ومنه: غَثَتْ وخبثت، وفي (الصراح)[2]: لقس: شوريدن دل وتباه شدن.

وإنما كره ﷺ لفظ خبثت لقبحه، ولئلا ينسب المسلم الخبث إلى نفسه، والحاصل أن خبثت ولقست عبارتان في الغثيان، وكره الأول لما ذكر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٠).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٥٠).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٧٦٦ ـ [١٧] عَن شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ أبيهِ: أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يُكَنُّونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ؟» قَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ بِحُكْمِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا!، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُاللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ: قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: «فَأَنْتَ...................................

الفصل الثاني

٤٧٦٦ ـ [١٧] (شريح بن هانئ) قوله: (أنه) أي: إياه، و(أبو الحكم) بفتحتين هو الحاكم، وقد يضيفون الأب في الكنى إلى المشتق الدال على الذات مع الصفة مثل أبو القاسم، والمقصود هو الصفة.

وقوله: (ما أحسن هذا) الظاهر أنه صيغة تعجب، رد ﷺ عليه عذره وحاله؛ فإنه لما كان الحكم هو الله تعالى، وانحصرت هذه الصفة في الله تعالى، لم يكن تكنية القوم إياه الحكم عذراً في ذلك، ولكنه ﷺ منعه على وجه لطيف، وحسن أمره بأن ذلك حسن، ولكن التكنية به لا تحسن، كذا قال الطيبي[١]، وفي بعض الحواشي: أن كلمة (ما) نافية، و(هذا) إشارة إلى التكني، ولكن صيغة الإفعال لا تلائمه إلا أن تكون للضرورة، والظاهر: ما حسن، والوجه هو الأول لفظاً ومعنًى، فافهم.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٧٥).

أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ. [د: ٤٩٥٥، ن: ٥٣٨٧].

٤٧٦٧ ـ [١٨] وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: لَقِيتُ عُمَرَ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ. قَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الأَجْدَعُ شَيْطَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وابنُ مَاجَه. [د: ٤٩٥٧، جه: ٣٧٣١].

٤٧٦٨ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ؛ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٥/ ١٩٤، د: ٤٩٤٨].

٤٧٦٧ ـ [١٨] (مسروق) قوله: (الأجدع شيطان) قال في (القاموس)[1]: الجدع: قطع الأنف والأذن واليد والشفة، والأجدع: الشيطان، ووالد مسروق التابعي الكبير، وغيّره عمر بن الخطاب وسماه عبد الرحمن، انتهى.

٤٧٦٨ ـ [١٩] (أبو الدرداء) قوله: (تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم) قد جاء في بعض الروايات أنه يدعى الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم، وقيل: الحكمة في ذلك ستر حال أولاد الزنا لئلا يفتضحوا لعدم الآباء لهم، وقيل: ذلك لرعاية حال عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام إذ لا أب له، وقيل: لإظهار فضل الحسن والحسين وشرفهما سلام الله تعالى عليهما بإظهار نسبتهما إلى رسول الله ﷺ، فإن ثبتت هذه الرواية حمل الآباء على التغليب كما في الأبوين، ويحمل أنهم يدعون تارة بالآباء وأخرى بالأمهات، أو يدعى البعض بالآباء والبعض بالأمهات، أو في بعض المواطن بهم وفي بعضها بهن، والله أعلم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٥٢).

٤٧٦٩ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَجْمَعَ أَحَدٌ بَيْنَ اسْمِهِ وكُنْيَتِهِ، وَيُسَمِّي مُحَمَّداً أَبَا الْقَاسِمِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٨٤١].

٤٧٧٠ ـ [٢١] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمَّيْتُمْ بِاسْمِي فَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: «مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِي فَلاَ يَكْتَنِ بِكُنْيَتِي، وَمَنْ تَكَنَّى بِكُنْيَتِي فَلاَ يَتَسَمَّ بِاسْمِي». [ت: ٢٨٤٢، جه: ٥٧٨٦، د: ٤٩٦٦].

٤٧٧١ ـ [٢٢] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي وَلَدْتُ غُلاَماً فَسَمَّيْتُهُ مُحَمَّداً وَكَنَّيْتُهُ أَبَا الْقَاسِمِ، فَذُكِرَ لِي أَنَّكَ تَكْرَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: «مَا الَّذِي أَحَلَّ اسْمِي وَحَرَّمَ كُنْيَتِي؟ أَوْ مَا الَّذِي حَرَّمَ كُنْيَتِي وَأَحَلَّ اسْمِي؟». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ مُحْيِي السُّنَّةِ: غَرِيبٌ. [د: ٤٩٦٨].

٤٧٦٩ ـ [٢٠] (أبو هريرة) قوله: (ويسمي محمداً أبا القاسم) في بعض الروايات (يسمى) على بناء المجهول و(محمد) مرفوع، فيكون (أبا القاسم) مفعولاً ثانياً، وفي بعضها على بناء الفاعل، وعلى هذا يحتمل أن يكون (أبا القاسم) مفعولاً ثانياً، أو يكون بدلاً من (محمداً) كما يقع في التراكيب والتراجم، والمفعول الأول لـ (يسمى) محذوفاً، أي: يسميه محمداً أبا القاسم، فافهم.

٤٧٧٠ ـ [٢١] (جابر) قوله: (إذا سميتم باسمي فلا تكتنوا بكنيتي) ظاهر في عدم الجمع بين الاسم والكنية وجواز التكني مفرداً، ورواية أبي داود أصرح في ذلك.

٤٧٧١ ـ [٢٢] (عائشة) قوله: (أنك تكره ذلك) أي: الجمع.

وقوله: (أو ما الذي) شك من الراوي بتقديم إحدى الجملتين على الأخرى،

٤٧٧٢ ـ [٢٣] وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي بَعْدَكَ وَلَدٌ أُسَمِّيهِ بِاسْمِكَ وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ؟ قَالَ: «نعَمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٦٧].

٤٧٧٣ ـ [٢٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَنَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَقْلَةٍ كُنْتُ أَجْتَنِيهَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَفِي «الْمَصَابِيحِ» صَحَّحَهُ. [ت: ٣٨٣٠].

وهذا الحديث يدل على أن النهي من ذلك للتنزيه لا للتحريم، لكن الحديث ضعيف.

٤٧٧٢ ـ [٢٣] (محمد بن الحنفية) قوله: (إن ولد لي بعدك) يدل على أن النهي مقصور على زمانه ﷺ.

وقوله: (رواه أبو داود) وفي بعض النسخ: وكانت رخصة لي، وكتب في الحاشية: هذه رواية الترمذي، وقد سبق تفصيل الكلام في هذا المقام.

٤٧٧٣ ـ [٢٤] (أنس) قوله: (ببقلة كنت أجتنيها) وهي الحمزة، وهي بقلة خريفية في طعمها حموضة، يقال لها بالفارسية: تره تيزك، وفي (الصراح)[1]: حمز: زبان كزشدن شراب وگياه، حمزة: تره تيزك، وكنية أنس ﷺ بأبي حمزة بهذا الوجه.

وقوله: (وفي المصابيح صححه) أي: حكم بصحة هذا الحديث، وإن ذكره في (الفصل الثاني) من الحسان ردًّا على الترمذي حيث حكم بغرابته، حيث قال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ولا يذهب عليك أن توحد الطريق والغرابة لا ينافي الصحة، إلا أن يراد بالغريب الشاذ؛ فإنه قد يطلق عليه، ولكن ظاهر عبارته لا يلائمه كما حققناه

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٢٤).

٤٧٧٤ ـ [٢٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُغَيِّرُ الِاسْمَ الْقَبِيحَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٨٣٩].

٤٧٧٥ ـ [٢٦] وَعَنْ بَشِيرِ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَمِّهِ أُسَامَةَ بْنِ أَخْدَرِيٍّ: أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ: أَصْرَمُ كَانَ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ: أَصْرَمُ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٥٤].

٤٧٧٦ ـ [٢٧] وَقَالَ: وَغَيَّرَ النَّبِيُّ ﷺ اسْمَ الْعَاصِ، ....

في المقدمة، فتدبر.

٤٧٧٤ ـ [٢٥] (عائشة) قوله: (كان يغير الاسم القبيح) إما إلى ضده وهو الأكثر، كما روي: أن رجلاً كان اسمه أسود فسماه أبيض، وإما إلى اسم آخر ليس فيه قباحة وإن لم يكن ضدًّا كما أشرنا إليه سابقاً.

٤٧٧٥، ٤٧٧٦ ـ [٢٦، ٢٧] قوله: (وعن بشير بن ميمون) بفتح الباء و(أخدري) على وزن الأشعري.

وقوله: (قال: بل أنت زرعة) لما كان الصرم بمعنى القطع منبئاً بانقطاع الخير والبركة غيّره إلى زرعة المشتق من الزرع المشعر بهما، وفيهما معنى التضاد، وهو من باب الزراعة، إذ الصرم هو قطع النخل والشجر، في (القاموس)[1]: صرم النخل والشجر: جزّه.

وقوله: (وغير النبي ﷺ اسم العاص) الحديث، العاص مخفف العاصي، وهو

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٠).

وَعَزِيزٍ، وَعَتَلَةَ، وَشَيْطَانٍ، وَالْحَكَمِ، وَغُرَابٍ، وَحُبَابٍ، وَشِهَابٍ، وَقَالَ: تَرَكْتُ أَسَانِيدَهَا لِلاِخْتِصَارِ.

يدل على العصيان وعدم الإطاعة والانقياد، وشعار المؤمن الإطاعة والاستسلام، **(وعزيز)** دال على العزة والغلبة، ودأب العبد الذل والخضوع، والعزة وإن كانت ثابتة للمؤمن ولكنه بإعزاز الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، وشأنه في نفسه الذل ولا يصح ادعاؤه لنفسه، والتسمية به تنبئ عن الادعاء. **(وعتلة)** بفتحات: المدرة الكبيرة تنقلع من الأرض [إذا أثيرت]، وحديدة كأنها رأس فأس، والعصا الضخمة من حديد لها رأس مُفَلْطَحٌ يُهدم بها الحائط، وبيرم النجار، وهي تشعر بالغلظة والشدة والخشونة، وصفات المؤمن خلاف ذلك، **(وشيطان)** إن اعتبر ما في أصل معناه الذي هو الشَّطَن من البعد والخبث، يقال: بئرٌ شَطونٌ: بعيدة القعر، والشاطن: الخبيث، أو الشوط من الطرد والإعياء والاحتراق والهلاك، فذاك، وإن اعتبر اسم إبليس فظاهر.

(والحكم) قد علم أنه الحاكم الذي لا يرد حكمه، ولا حاكم إلا الله، **(وغراب)** إن اعتبر أصل معناه ففيه معنى البعد والذهاب والتنحي والحدة والنشاط والتمادي والغربة، وإن اعتبر اسماً للطائر المعروف فهو أخبث الطيور؛ لوقوعه على الجيف والقاذورات، **(وحباب)** اسم للحية وجمع حبابة: دويبة سوداء مائية، واسم الشيطان، **(وشهاب)** اسم شعلة نار ساطعة يرمى بها الشياطين، فكرِه التسمية بهذه الأسماء، ثم إنهم لم يذكروا أسماء غيَّرها إليها، والله أعلم.

وقوله: **(وتركت أسانيدها للاختصار)** لأنه لا يتعلق بها غرض واجب شرعي يهتم بصحة إسناده أو ضعفه، بل هو أمر استحساني يعمل به على وجه الاستحسان وإن ضعف الإسناد.

٤٧٧٧ ـ [٢٨] وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ لأَبِي عَبْدِاللهِ ـ أَوْ قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ لأَبِي مَسْعُودٍ ـ: مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي «زَعَمُوا؟». قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. . . . .

٤٧٧٧ ـ [٢٨] (أبو مسعود الأنصاري) قوله: **(في زعموا)** أي: في شأن هذه اللفظة ومعناها، والزعم بضم الزاي وفتحها قريب من معنى الظن، كذا في (النهاية)[١]، وفي (الصراح)[٢]: زعم: گفتن أز باب نصر ينصر، وفي (المجمل): الزعم قول بلا صحة واعتماد، وفي (القاموس)[٣]: الزعم مثلثة: القول الحق والباطل والصدق والكذب، ضد، وأكثر ما يقال فيما شك فيه.

وقوله: **(بئس مطية الرجل)** أي: زعموا، والمخصوص محذوف، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه شبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه يتوصل به إلى غرضه ومقصوده منه بالمطية، أي: المركب الذي يصل به إلى حاجته، يعني أن (زعموا) بئس مطية يجعلها المتكلم مقدمة كلامه، والمقصود أن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت، ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية على ظن وحسبان كما جاء في الحديث: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)، وفي المثل: زعموا مطية الكذب.

وثانيهما: أنه لا ينبغي للرجل أن ينسب الزعم والكذب إلى الناس ويقول:

---

(١) «النهاية» (٢/ ٣٠٣).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٧٤).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٠).

وَقَالَ: إِنَّ أَبَا عَبْدِاللهِ حُذَيْفَةُ. [د: ٤٩٧٢].

٤٧٧٨ ـ [٢٩] وَعَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٥/ ٣٨٤، د: ٤٩٨٠].

زعم فلان إلا أن يكون على يقين من كذبه ويريد أن يجنب عن كذبه الناس ويحذرهم عن ذلك، فيجوز لمثل هذه المصلحة نسبة الزعم والكذب إلى أحد كما يفعله المحدثون وأمثالهم في الجرح والتعديل، ومناسبة هذا الحديث للباب لا تخلو عن خفاء، فكأن (زعموا) صار اسماً لهذا الجنس من الخبر.

٤٧٧٨، ٤٧٧٩ ـ [٢٩، ٣٠] (حذيفة) قوله: (**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان**) لسوء الأدب وتوهم الإشراك، إذ مشيئة الله تعالى هي المشيئة، لا يعتبر في جنبها مشيئة العبد، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: (**ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**) يعني إن كان لا بد تذكرون مشيئة العبد اعتباراً لظاهر الأسباب العادية اذكروا ما يدل على تبعيتها وتأخرها عن مشيئة الله في الرتبة، ولا تذكروها بحيث يدل على مساواتها لها، هذا في حق العامة، وأما في حق نفسه ﷺ فلا يجوز إلا التوحيد، ونهى أن يقولوا: (**ما شاء الله وشاء محمد**)، بل ينبغي أن يقولوا: (**ما شاء الله وحده**)، وذلك لكونه في غاية العبودية الحقيقية والتواضع لجناب عزة الله، ومستغرقاً في بحر التوحيد، وأيضاً لرفعة شأنه وعلو قدره يغلب توهم الإشراك فيه كما تقول العامة: ما فعل الله ورسوله، ما شاء الله ورسوله، كما يتوهم ذلك في الوزير مع الملك، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾[آل عمران: ٧٩].

٤٧٧٩ ـ [٣٠] وَفِي رِوَايَةٍ مُنْقَطِعاً قَالَ: «لاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ١٢/ ٣٦١].

٤٧٨٠ ـ [٣١] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٧٧].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٧٨١ ـ [٣٢] عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ جَدَّهُ حَزْناً قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟» ....

و(حذيفة) قوله: (وفي رواية منقطعاً) أي غير متصل سنده، وهو معنى الحديث المنقطع، ويخص بغير صورة الإرسال، وقد يستعملان مترادفين.

٤٧٨٠ ـ [٣١] (وعنه) قوله: (فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم) قيل: معناه إن يك سيداً وجب طاعته، وذلك موجب لسخط الرب تعالى، وحاصله أن القول بكون المنافق سيداً اعتراف بوجوب طاعته وانقياده موجب لسخطه تعالى، وقيل: أراد أنكم بهذا القول أسخطتم ربكم، فوضع الكون موضع القول، وقيل: معناه إن يك سيداً؛ أي: ذا مال وجاه دنيوي أغضبتم الله؛ لأنكم عظمتم من لا يستحق التعظيم، وإن لم يكن كذلك فقد كذبتم، فافهم.

الفصل الثالث

٤٧٨١ ـ [٣٢] (عبد الحميد) قوله: (فحدثني أن جده حزناً) وكان من المهاجرين

قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْماً سَمَّانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٨٣٦].

٤٧٨٢ ـ [٣٣] وَعَنْ أَبِي وَهَبٍ الْجُشَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَسَمُّوا بِأَسْمَاءِ الأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُاللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وهمامٌ، ....

من أشراف قريش في الجاهلية، روى عنه ابنه المسيب، وقتل يوم اليمامة، وكان المسيب ممن بايع تحت الشجرة، و(الحزن) بفتح الحاء وسكون الزاي: ما غلظ من الأرض، ضد السهل، وفي (الصراح)[1]: الحزن: زمين درشت، سهل: زمين نرم، نقيض جبل، ولما استقبح رسول الله ﷺ هذا الاسم لإنبائه عن حزونة الحال وشدته أشفق عليه وأراد أن يغيره بضده، لكنه لم يقبله لكونه جافي الطبع، فأظهر الجفاء والخشونة، ولعل عدم قبوله تغير اسمه كان في أول قدومه وهجرته للإسلام حين لم يحسن إسلامه، ولم يتهذب أخلاقه، ولم يتشرف بطول صحبته ﷺ، والصحابة إنما تهذب أخلاقهم بصحبته وطول خدمته ﷺ، اللهم إلا من كان صافي الجوهر وصيقله من الأصل، وقليل ما هم، والله أعلم.

٤٧٨٢ ـ [٣٣] (أبو وهب) قوله: (**وعن أبي وهب الجشمي**) بضم الجيم وفتح الشين المعجمة، منسوب إلى جشم بن سعد.

وقوله: (**وأصدقها حارث وهمام**) قال في (القاموس)[2]: الحرث: الكسب،

---

(١) «الصراح» (٤٣٠، ٥٠٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٦٦).

وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ ومُرَّةُ». رَوَاهُ أَبُو داوُدَ. [د: ٤٩٥٠].

❖ ❖ ❖



وجمع المال، والزرع، وهمام من الهم، ولا يخلو أحد من الكسب والهم، ولو لوحظ معنى الزرع وأريد التوفيق لعمل الآخرة تفاؤلاً بحكم الدنيا مزرعة الآخرة والاهتمام له لم يبعد، وأما معنى جمع المال والميل إليه والمحبة له فلا يشمل الكل، اللهم إلا بحكم الطبيعة والجبلة، والأصح الأظهر إرادة معنى الكسب.

واعلم أنه ﷺ أمر أولاً بالتسمي بأسماء الأنبياء، ولما كان في ذلك شائبة عجب وتزكية للنفس نزل إلى قوله: (أحب الأسماء عبدالله وعبد الرحمن)؛ لأن فيه خضوعاً واستكانة على ما سبق، ثم نظر إلى أن العبد قد يقصر في العبودية فلا يكون هذا الاسم صادقاً [عليه، فـ] نزل إلى نحو حارث وهمام؛ فإنه صادق قطعاً، كذا قال الطيبي[1].

٩ ـ باب البيان والشعر[2]

(البيان) في الأصل: الكشف والظهور، في (القاموس)[3]: بان بياناً: اتضح، فبان وبيّن وتبيّن وأبان واستبان كلها لازمة متعدية، وفي (الصراح)[4]: بيان: سخن

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٨٠).

(٢) اختلفت الروايات في الشعر، وحاصل ما قاله الشامي أن ما كان فيه هجو المسلم وغيره فحرام، وما كان فيه التغزل فمكروه، وما كان فيه من ضرورة فعلى قدر الضرورة، قاله في «التقرير».

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٨٩).

(٤) «الصراح» (ص: ٥٠٢).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٧٨٣ ـ [١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ.......

پيدا وكشاده گفتن وفصاحت، ويقال: فلان أبين من فلان، أي: أفصح وأوضح كلاماً، تبين: پيدا شدن وكردن، وقال البيضاوي[١]: البيان: الكشف عما في الضمير وإفهام الغير، وقال الطيبي[٢]: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وقيل: هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، والكل متقارب في المعنى، والكلام في أن المراد بالفصاحة والبلاغة في تعريفه هو المعنى اللغوي لهما أو الاصطلاحي، فتدبر.

و(الشعر) في اللغة: العلم والفطنة، شعر به كنصر وكرم: علم به وفطن له وعقله، ومنه قولهم: ليت شعري، والشاعر: العالم والفطن، وفي الاصطلاح: كلام موزون مقفى قصد القائل موزونيته، والشاعر بهذا المعنى كتامر ولابن، أي: صاحب شعر، اللهم إلا أن يفسر بإنشاء كلام كذلك.

الفصل الأول

٤٧٨٣ ـ [١] (ابن عمر) قوله: (قدم رجلان من المشرق) نقل الطيبي[٣] عن الميداني أن الرجلين أحدهما الزبرقان بن بدر بكسر زاي وسكون موحدة وكسر راء وبقاف، وثانيهما عمرو بن أهتم بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح الفوقية، وفي (القاموس)[٤]: زبرق ثوبه: صبغه بحمرة أو صفرة، والزبرقان بالكسر: القمر والخفيف

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٧٠).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٨١).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٨١).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٨٢٠).

فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٧٦٧].

اللحية، ولقب الحصين بن بدر الصحابي؛ لجماله أو لصفرة عمامته، أو لأنه لبس حلة وراح إلى ناديهم، فقالوا: زبرق حصين.

والأهتم لقب سنان بن خالد؛ لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب، أي: كسرت، وقصتهما أن الزبرقان تفاخر وتكلم في فضائله بكمالات[١] فصيحة، فأجابه عمرو ونسبه إلى اللؤم بكلام بليغ، وقال الزبرقان: والله يا رسول الله! إنه قد علم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلم بذلك إلا الحسد، فأجابه عمرو ثانياً بما هو أبلغ من الأول.

وفي (إحياء العلوم)[٢]: مدحه يوماً ثم ذمه يوماً آخر، فقال رسول الله ﷺ: (ما هذا؟) قال: لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت ثانياً، هو أرضاني أمس فقلت أحسن ما علمت فيه، وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما وجدت فيه، فقال ﷺ: **(إن من البيان لسحراً)** يعني بعض البيان بمثابة السحر في صرف القلوب وإمالتها إلى الباطل، وظاهر سياق المقصد أنه ذمه على تشدق اللسان وتلون الكلام تارة فتارة، لكنهم اختلفوا في تأويله، فمنهم من حمله على الذم في التصنع في الكلام والتكلف لتحسينه ليشتمل به قلوب السامعين ويصرفها إلى قبول قوله، وإن كان غير حق، ويتكلف بزيادة ما لا يعني، ويخلط بالتلبيس، ويذهب بحق الغير، كحديث: (لعل بعضكم ألحن بحجته)، وذهب آخرون أن المراد منه مدح البيان والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ، ولفظ الحديث على ما رواه المؤلف محتمل للوجهين، فالحاصل

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر: «بكلمات».

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٦).

٤٧٨٤ ـ [٢] وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦١٤٥].

٤٧٨٥ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ». قَالَهَا ثَلَاثاً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٧٠].

أن بعض البيان بمنزلة السحر في ميلان القلوب إليه أو في العجز عن الإتيان بمثله، وهذا النوع ممدوح إذا صرف إلى الحق، ومذموم إذا صرف إلى الباطل، فيكون على نمط قوله: (الشعر كلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح).

٤٧٨٤ ـ [٢] (أبي بن كعب) قوله: **(إن من الشعر حكمة)** في (القاموس)[1]: الحكمة: العدل والعلم والحلم، وأحكمه: أتقنه ومنعه عن الفساد، وعن الأمر: منعه مما يريد، والفرس: جعل للجامه حكمة، والحكمة محركة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه، والظاهر أن المراد هنا العلم وأحكامه كالأشعار المشتملة على الموعظة والنصيحة، وقيل: معناه إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع عن الجهل والسفه.

وأصل الحكمة المنع، وبها سمي اللجام، لأنها تمنع الدابة، ثم قيل: هذا يدل على أن المراد بقوله: (إن من البيان لسحرا) مدح البيان، وقد روي القرينان في حديث واحد، وقد يقال: يمكن أن يكون قوله: (وإن من الشعر حكمة) ردًّا لمن زعم أن الشعر كله مذموم، والبيان كله حسن، فقال: إن بعض البيان كالسحر في البطلان، وبعض الشعر كالحكمة في الحقيقة، والحق أن الكلام ذو وجهين يختلف بحسب المقاصد، كذا قالوا.

٤٧٨٥ ـ [٣] (ابن مسعود) قوله: **(هلك المتنطعون)** في (القاموس)[2]: تنطع

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠١١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٠٨).

٤٧٨٦ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٦١٤٧، م: ٢٢٥٦].

٤٧٨٧ ـ [٥] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْماً فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ. . . . .

في الكلام: تعمق، وغالى، وتأنق، وفي عمله: تحذق، والنطع كعنب: ما ظهر من الغار الأعلى في الحنك، فيه آثار كالتحزيز، والحروف النطعية الطاء والدال والتاء، انتهى. وفي (شرح الأرجوزة) للجزري: سميت نطعية لخروجها من نطع الغار، أي: سقفه، والمراد المتشدقون المتكلفون في الكلام المقتصرون من الألفاظ والعبارات الهائلة المعجبة للناس من غير رعاية المعنى وملاحظة الحق رياءً وتصنعاً، وقال الطيبي[1]: أراد به المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من الكلام.

٤٧٨٦ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (كلمة لبيد).

وقوله: **(باطل)** أي: فانٍ مضمحل، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] الآيتين، وآخره:

وكلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

سوى جَنَّةِ الفردوسِ إن نعيمَها ... سيبقى وإن الموتَ لابد نازل

٤٧٨٧ ـ [٥] (عمرو بن الشريد) قوله: (أمية بن أبي الصلت) قال النووي: هو كافر، وسمع النبي ﷺ شعره الذي فيه حكمة، واسم أبي الصلت عبدالله بن ربيعة

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٨٣).

شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، ....

ابن عوف بن عقدة بن غيرة ـ بكسر الغين المعجمة ـ ابن عوف بن قسي، وهو ثقيف، كان أمية يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث وينشد في إثباته الشعر المليح، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ثبت في (صحيح مسلم) عن الشريد بن سويد، فذكر الحديث، ومن شعره ما رأيته منقولاً عن البغوي أنه قال: روي عن أمية أنه لما غشي إليه أفاق فقال:

كل عيش وإن تطاول دهراً ... صائرٌ مَرّة إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

إن يوم الحساب يوم عظيم ... شاب فيه الوليد يوماً ثقيلا

قال الدميري: وذكر عن السهيلي[1] أن النبي ﷺ لما سمع قول أمية:

لك الحمد والنعماء والفضل ربّنا ... فلا شيءَ أعلَى منك حمداً ومجداً

قال: آمن شعر أمية وكفر قلبه، وهو أول من كتب باسمك اللهم، ومنه تعلمت قريش، فكانت تكتب كذلك في الجاهلية.

قال: ولتعلم أمية هذه الكلمة سبب عجيب ذكره المسعودي، وذلك أن أمية كان مصحوباً تبدو له الجن، فخرج في عير قريش، فمرت بهم جنِّية فقتلوها، فاعترضت لهم جنّية تطلب بثأرها وقالت: قتلتم فلانة، ثم ضربت الأرض بقضيب فنفرت الإبل، فلم يقدروا عليها إلا بعد عناء شديد، فلما جمعوها جاءت فضربت ثانية فنفرتها، فلم يقدروا عليها إلى نصف الليل، ثم جاءت فنفرتها، حتى كادوا أن يهلكوا بها

---

(١) «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ٦١ ـ ٦٢)، و«حياة الحيوان» (٢/ ٢٤٣).

قَالَ: «هِيهِ»، فَأَنْشَدْتُـهُ بَيْتاً، فَقَالَ: «هِيهِ»، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتاً، فَقَالَ: «هِيهِ»، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِئَةَ بَيتٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٥٥].

عطشاً وعناء، وهم في مفازة لا ماء فيها، فقالوا لأمية: هل عندك من حيلة أو غناء؟ فقال: لعلها، ثم ذهب حتى جاوز كثيباً، فرأى ضوء نار على بُعد، فأتبعه حتى أتى على شيخ في خباء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه، وكان الشيخ جنيًّا، فقال: اذهب فإذا جاءتكم فقل: باسمك اللهم سبعاً، فرجع إليهم وهم قد أشرفوا على الهلكة، فلما جاءتهم الجنّية قالوا ذلك، فقالت: تبًّا لكم، مَن علَّمكم، فذهبت وأخذوا إبلهم، وكان فيهم حرب بن أمية جد معاوية، فقتلته بعد ذلك الجن بثأر تلك الجنّية، وقالوا فيه شعراً:

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفر ... وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ذكر هذا كله في (الكوكب المنير لشرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير).

وروي أنه كان أمية متديناً متعبداً في الجاهلية، وكان حريصاً على استعلام النبي الموعود من العرب، وكان يرجو أن يكون نفسه، فلما أخبر أنه من قريش منعه الحسد من الإيمان به ﷺ.

وذكر ابن الجوزي في (كتاب الوفاء): أنه لما سمع منهم علامات نبوة محمد ﷺ كان يقول: لئن ظهر وأنا حي لأبلِيَنَّ الله في نصره عذراً، فلما ظهر ﷺ نكص على عقبيه، وقال: ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً، وكان هو من ثقيف. وذكر في سماع أمية علامات نبوته ﷺ حكايات عجيبة، فعليك بـ (كتاب الوفاء).

وقوله: (هيه) بكسر الهاء وسكون الياء بمعنى (إيه)، و(إيه) اسم فعل، وهو بغير تنوين أمر باستزادة حديث معهود، وبه بغير معهود، و(إيهاً) بالنصب للتسكيت

٤٧٨٨ ـ [٦] وَعَنْ جُنْدُبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَقَدْ دَمِيَتْ أُصْبُعُهُ، فَقَالَ:

«هَلْ أَنْتِ إِلاَّ أُصْبُعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ»

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٨٠٢، م: ١٧٩٦].

والكف إذا وقف على آخر الكلمة بالتسكين، وإذا لم يوقف حرك بالكسر، وإذا نكر نون، وقال الكرماني[1]: (هيه) بكسر الهاء الأولى لاستزادة حديث أو فعل، وقد تحذف الهاء الثانية، ومنه: هي يا بن الخطاب، أو هي ضمير قصة، و(هيه) استزادة لشعر أمية؛ لأنه كان تقيًّا ترهب قبل الإسلام.

٤٧٨٨ ـ [٦] (جندب) قوله: (**في بعض المشاهد**) وهو غزوة أحد على ما قال الطيبي[2]، أصاب الحجر أصبع رجله ﷺ، كذا في (سفر السعادة).

وقوله: (**وفي سبيل الله ما لقيت**) (ما) موصولة، وهو مبتدأ خبره مقدم، وقيل: نافية، أي: ما لقيت شيئاً في سبيل الله، تحقيراً لما لقيت من الجراحة، و(دميت) على بناء الفاعل على وزن (رضيت)، وكذا (لقيت)، والتاء مكسورة فيهما، وقيل: هما بالسكون فيهما فراراً من الوزن، ورد بأنه مع السكون أيضاً موزون من الكامل.

واختلفوا في أنه هل قاله النبي ﷺ منشئاً أو متمثلاً؟ وبالثاني جزم الطبري وغيره، فقيل: هو للوليد بن الوليد، وقيل: لعبدالله بن رواحة، قاله في غزوة مؤتة، وقد أصيبت

---

(١) «شرح الكرماني» (٢٥/ ١٩٩).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٨٥).

٤٧٨٩ ـ [٧] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ: «اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ»، وَكَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «أَجِبْ عَنِّي، اللهمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٢١٢، ٢٤٨٥].

أصبعه، ذكر ذلك كله السيوطي، وقيل: هذا رجز ومثله لا يعدّ شعراً، وأيضاً وقع موزوناً من غير قصد، فلا يكون شعراً، ولا يعد قائل مثله شاعراً، وأما ما قيل: إن قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩] وأمثاله مسوق لتكذيب الكفار فيما نسبوه، ولا يقال لمن تفوه ببيت واحد على ندر: إنه شاعر، فمحل نظر؛ لأنهم فسروا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] بمعنى أنه لا يتيسر ولا يتصور ولا يأتي منه الشعر قطعاً.

٤٧٨٩ ـ [٧] (البراء) قوله: (لحسان) هو منصرف إن كان من الحسن، وغير منصرف إذا كان من الحس.

وقوله: (اهج) في (القاموس)[١]: هجاه هجواً: شتمه بالشعر، وفي (الصراح)[٢]: هجاء بالكسر والمد: نكوهيدن، خلاف المدح، وقال السيد في (شرح الكشاف): إن التهجي تعديد الحروف بأساميها، ومن المجاز يهجو فلاناً: يعد معايبه.

وقوله: (اللهم أيده بروح القدس) المراد به جبرئيل، سمي به لأنه يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلب، والقدس بمعنى المقدس، وهو الله تعالى بإضافة الروح إليه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٣٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٩٧).

٤٧٩٠ ـ [٨] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشاً؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٩٠].

٤٧٩١ ـ [٩] وَعَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»، وَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانٌ فَشَفَى وَاشْتَفَى». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٤٩٠].

للتشريف، أو القدس صفة الروح لكونه بمعنى المقدس، أو باعتبار الوصف بالمصدر، وإنما أضيف إليه تنبيهاً على زيادة الاختصاص، كقولهم: حاتم الجود، ورجل صدق.

٤٧٩٠ ـ [٨] (عائشة) قوله: (من رشق النبل): (الرشق) بالفتح: الرمي بالنبل وغيره، مصدر رشقه: إذا رماه بالسهام، وبالكسر الوجه من الرمي، وإذا رمى القوم كلهم دفعة واحدة، قالوا: رمينا رشقاً، و(النبل) بفتح وسكون: السهام، وهي جمع لا واحد لها، وقيل: واحد، وجمعه نبال وأنبال ونبلان.

٤٧٩١ ـ [٩] (وعنها) قوله: (ما نافحت) نافحه: كافحه وخاصمه، ونافحت عن فلان: خاصمت عنه.

وقوله: (فشفى) أي: غيره، (واشتفى) أي: بنفسه، وفي (القاموس)[1]: اشتفى بكذا: تشفى من غيظه، وفي (الصحاح)[2]: استشفى، أي: طلب الشفاء.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٥).

(٢) «الصحاح في اللغة» (١/ ٣٦٢).

٤٧٩٢ ـ [١٠] وَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى اغْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ:

وَاللهِ لَـوْلاَ اللهُ مَـا اهْتَـدَيْنَا ... وَلاَ تَـصَدَّقْنَا وَلاَ صَـلَّيْنَا

فَـأَنْزِلَنْ سَـكِينَةً عَلَينَـا ... وثبـِّتِ الأَقْـدَامَ إِنْ لاَقَيْنَـا

إِنَّ الأُلَـى قَـدْ بَغَـوْا عَلَيْنَـا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَـةً أَبَيْنَـا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ: «أَبَيْنَا أَبَيْنَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤١٠٤، م: ١٨٠٣].

٤٧٩٣ ـ [١١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ.........................

٤٧٩٢ ـ [١٠] (البراء) قوله: (فأنزلن) أمر من الإنزال بالنون الخفيفة، خطاب على طريقة الالتفات.

وقوله: (إن الأولى) على وزن العلى، أي: الذين (بغوا علينا) أي: الأحزاب أو أهل مكة.

وقوله: (إذا أرادوا فتنة) أي: ردنا إلى الكفر.

وقوله: (يرفع بها) أي: بهذه الكلمة المذكورة، يفسرها قوله: (أبينا أبينا)، (صوته) ويكررها، وفيه مشروعية الجهر بالذكر، وقالوا: هذا الرجز من عبدالله بن رواحة.

٤٧٩٣ ـ [١١] (أنس) قوله: (يحفرون الخندق) في (القاموس)[1]: الخندق

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨١٢).

وهم يَقُولُونَ:

نَحْـنُ الَّـذِينَ بَـايعُوا محمَّـدَا عَلَـى الْجِهَـادِ مَـا بَقِينَـا أَبَـدَا

يَقُولُ النَّبِـيُّ ﷺ وَهُوَ يُجِيبُهُمْ:

«اللهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ فَـاغْفِرْ للأَنْـصَارِ وَالْمُهَـاجِرَةِ»

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٨٣٥، م: ١٨٠٥].

٤٧٩٤ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٥٥، م: ٢٢٥٧].

كجعفر: حفيرٌ حول أسوار المدن، معربُ كَنْدَة، حفروه حول المدينة في غزوة الأحزاب بالتماس سلمان الفارسي أن ذلك من عادة الفرس، فقبل ذلك منه رسول الله ﷺ وأمر بحفره.

٤٧٩٤ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (يريه) بفتح الياء وكسر الراء مضارع وَرَى، مثل وعـد يعد، مـن الوري، علـى وزن الرمي، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحاً يأكـل جوفه ويفسده، والمـراد الشعر المذموم، وفي قوله: (يمتلئ) إشارة إلى كون الشعـر مستولياً عليـه بحيث يشغلـه عن القرآن والذكر والعلوم الشرعية، وهو مذموم مـن أي شعر كان، وفي (القاموس)[1]: الوري: قيح في الجوف، أو قرح شديد يُقَاء منه القيح والدم، وَرَى القَيْحُ جوفَه: أفسده.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٣٢).

* **الْفَصْلُ الثَّانِي:**

٤٧٩٥ ـ [١٣] عَنْ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ أَنَّـهُ قَالَ لِلنَّبِـيِّ ﷺ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ فِي الشِّعْرِ مَا أَنْزَلَ، . . . .

الفصل الثاني

٤٧٩٥ ـ [١٣] (كعب) قوله: (**عن كعب بن مالك**) أحد شعراء المسلمين، وكان شعراؤهم: حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وقيل: كان كعب يخوفهم بالحرب، وحسان بن ثابت يقبل على الأنساب، وعبدالله بن رواحة يعيرهم على الكفر، وقيل: إن دوساً إنما آمنت ورقّت من قول كعب حيث قال:

قضينا من تهامة كل وتر ... وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

نخيّرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهنّ دوساً أو ثقيفاً

فقالت دوس: انطلقوا وخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف، كذا في (أسد الغابة)(١).

وروي أنه ﷺ قال لحسان بن ثابت: (تقبل على أنسابهم وتهجوهم بها ولي فيهم نسب، فاحذر أن تقع في نسبي)، قال: أخرجك يا رسول الله منهم كما يخرج الشعر من الخمير، فقال رسول الله ﷺ: (شاور في ذلك أبا بكر)، وكان ﷺ أعلمهم بالأنساب وأيام العرب.

وقوله: (**إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل**) يعني قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٤]، فأجاب ﷺ بأنه ليس على إطلاقه، بل للهائمين في أودية

---

(١) «أسد الغابة» (٢/ ٤٣٩).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنَّمَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحَ النَّبْلِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٤٠٩].

وَفِي «الِاسْتِيعَابِ» لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَاذَا تَرَى فِي الشِّعْرِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِد بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ».

٤٧٩٦ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»..........

الضلال، والذين يقولون ما لا يفعلون، وقد استثنى سبحانه المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية [الشعراء: ٢٢٧].

وقوله: (لكأنما ترمونهم به) أي: بالشعر الذي تهجونهم به، و(النضح) بمعنى الرمي، يقال: نضح فلاناً بالنبل، أي: رماهم.

فقوله: (نضح النبل) مفعول مطلق أو مفعول به، أي: ترمونهم به النبل المنضوحة، والمراد أن هجاءكم إياهم يؤثر فيهم كتأثير النبل، وفي هذا إثبات كونه جهاداً باللسان.

٤٧٩٦ ـ [١٤] (أبو أمامة) قوله: (الحياء والعي شعبتان من الإيمان) أما كون الحياء شعبة من الإيمان فقد سبق تحقيقه في (كتاب الإيمان)، وأما العي بكسر العين وإدغام الياء فهو العجز والحصر في الكلام، ضد البيان، عَيِي في منطقه عِيًّا كرضي رضاً: حَصِر، وَعَيِيٌّ على وزن (فعيل)، وعَيٌّ أيضاً على (فَعْل) صفة منه، والجمع أعياء وأعيياء، والعِيُّ أيضاً: عدم الاهتداء بالأمر، عَيِي كرضي وعَيَّ، والإدغام أكثر، وتعايا واستعيا: لم يهتد لوجه مراده، أو عجز عنه، ولم يطق إحكامه، والظاهر أن المراد هنا المعنى الأول بقرينة قوله: (والبذاء والبيان شعبتان من النفاق) والبذاء:

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠٢٧].

الفحش في الكلام، وقال في (القاموس)[١]: البذاء: الكلام القبيح، والبذي كرضي: الرجل الفاحش، وفي (الصراح)[٢]: البذاء: بيهوده گفتن، وأصله بذاءة فحذفت الهاء، مثل كرامة وصلابة، والبيان عرف معناه، وإنما كان العي شعبة من الإيمان، والبذاء والبيان شعبة من النفاق؛ لأن المؤمن لحيائه وانكساره ومسكنته وشغله بالعبادات وإصلاح الباطن وهمّ الآخرة وعدم تشدقه باللسان لا يقدر على التقرير والبيان، ويعجز عن ذلك، بخلاف المنافق؛ فإنه بذيء فاحش جريء على البيان والتشدق، ويؤول معنى هذا الحديث إلى معنى قوله ﷺ: (المؤمن غر كريم، والمنافق خب لئيم)، ويمكن حمل العي على المعنى الثاني، وهو عدم الاهتداء في الأمور والعجز عن أحكامها، فيكون أقرب معنى إلى هذا الحديث.

وقال الطيبي[٣]: إن الإيمان يكون باعثاً على الحياء والتحفظ في الكلام والاحتياط فيه، وهو علامة الإيمان، وما يخالفها من النفاق، وعلى هذا يكون المراد بالعي ما يكون بسبب التأمل في المقال والتحرز عن الوبال، لا لخلل في اللسان، وبالبيان ما يكون سببه الاجتراء وعدم المبالاة بالطغيان وعدم التحرز عن الزور والبهتان، ولعله إنما قوبل العي في الكلام مطلقاً بالبيان الذي هو التعمق في المنطق وإظهار التقدم على الناس مبالغة في ذم البيان، وإن هذه النقيصة ليست بمضرة للإيمان مضرة ذلك البيان، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦١).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٤٤).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٩٠).

٤٧٩٧ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقاً، الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٤٦١٦].

٤٧٩٨ ـ [١٦] وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ نَحْوَهُ عَنْ جَابِرٍ، وَفِي رِوَايَتِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ ....

٤٧٩٧ ـ [١٥] **(أبو ثعلبة الخشني)** قوله: **(إن أبغضكم إلي)** الظاهر أن الخطاب للمؤمنين، ولا شك أن فيهم محبوبين ومبغوضين من جهات مختلفة، وإن كانوا جميعاً محبوبين، ثم هم يتفاوتون في مراتب المحبة والبغض، فبعضهم أحب وبعضهم أبغض، فلا إشكال في هذه العبارة، ولا حاجة إلى التمحلات والتكلفات التي ذكروها كما يظهر بالنظر في كلام الطيبي[1]، فتأمل.

وقوله: **(مساوئكم)** الظاهر أنه جمع سوء، كمحاسن جمع حسن بالضم على غير قياس، كما في (القاموس)[2] وغيره، فهو مصدر وصف به ثم جمع، وفي رواية: (أساوئكم) جمع أسوأ، كأحاسن جمع أحسن، وهذه الرواية أظهر وإن كانت الأولى أقوى.

٤٧٩٨ ـ [١٦] **(جابر)** قوله: **(الثرثارون)** في (الصراح)[3]: ثرثرة الكلام: كثرته

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٩٠).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٤).

(٣) «الصراح» (ص: ١٦٥).

وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُوْنَ». [ت: ٢٠١٨].

٤٧٩٩ ـ [١٧] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ.................

وترديده، يقال: ثرثر فهو ثرثار، أي: مكثار مهذار، وفي (القاموس)[1]: الثرثرة: كثرة الكلام وترديده، والإكثار من الأكل وتخليطه.

وقوله: (المتشدقون) في (القاموس)[2]: الشدق بالكسر ويفتح، والدال مهملة: طِفْطَفَةُ الفم من باطن الخدين، والجمع الأشداق، والشَّدق محركة: سعة الشدق، وخطيب أشدق: بليغ، وامرأة شدقاء، وتشدق: لوى شدقَه للتفصح.

وقوله: (المتفيهقون) في (القاموس)[3]: فهق الإناء كفرح فهقاً ويحرك: امتلأ، والفهيق: الواسع من كل شيء، وبئر مفهاق: كثيرة الماء، وأفهقه: ملأه، وتفيهق في كلامه: تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه، وفي (الصراح)[4]: فلان يتفيهق في كلامه، أي: يتوسع فيه ويتنطع، وأصله فهق، وهو الامتلاء، كأنه ملأ فمه، ولا يخفى أن هذا من التكبر والرعونة، ولهذا فسره في الحديث بالمتكبرين.

٤٧٩٩ ـ [١٧] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (يأكلون بألسنتهم) أي: يجعلون ألسنتهم وسائل أكلهم، فيمدحون الناس ويذمونهم بالباطل، ويكذبون ويتشدقون، ويلقون الكلام بألسنتهم في ذلك حتى يحصل لهم شيء من الدنيا وشهوات نفوسهم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٢٦).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٨٤٨).

(٤) «الصراح» (ص: ٣٨٩).

كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ بِأَلْسِنَتِهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ١/ ١٨٤].

٤٨٠٠ ـ [١٨] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٨٥٣].

(كما تأكل البقرة) الحشيش (بألسنتها) وتلف، فلا تميز بين الرطب واليابس، والجيد والرديء، ولهذا سميت بقرة، لأن البقر هو الشق والتوسع، ومنه سمي الإمام محمد ابن علي بالباقر، لتبقره في العلم وتبحره فيه، بخلاف سائر الحيوانات التي تأكل بأسنانها، فهؤلاء أيضاً لا يميزون بين ما ينبغي من القول وما لا ينبغي، ولا بين ما يحصل بسببه من الحلال والحرام.

٤٨٠٠ ـ [١٨] (عبدالله بن عمر) قوله: (يتخلل بلسانه) أي: من يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًّا، هكذا فسروه، وأصل التخلل الدخول في خلال الشيء، يقال: تخلله: ثقبه ونفذه، ومنه الخلال يتخلل بين الأسنان، شبه إدارة لسانه في الفم حال التكلم تفاصحاً بما تفعل البقرة بلسانها، وأما من يخطب ويفصح من غير تكلف فلا يدخل فيه، فلا يكره.

و(الباقرة) جمع بقر، وأكثر استعماله بدون التاء، قال في (القاموس)[1]: وأما باقر والبقير والبيقور والباقور وباقروة فأسماء للجمع، هذا وأما البقرة فالظاهر أن التاء للوحدة كما في تمرة، ومع ذلك جمع اللسان في قوله: (كما تأكل البقرة بألسنتها)، وقال: (الباقرة بلسانها)، وأما الثاني فيظهر وجهه بإرادة الجنس، وأما الأول فلا يظهر له وجه إلا أن يقال: إن التاء للنقل دون الوحدة، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣١).

٤٨٠١ ـ [١٩] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِقَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1] وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

٤٨٠٢ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الْكَلَامِ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ أَوِ النَّاسِ...............

٤٨٠١ ـ [١٩] (أنس) قوله: (هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون) ومن هذا الوجه ورد: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه)[2].

٤٨٠٢ ـ [٢٠] (أبو هريرة) قوله: (من تعلم صرف الكلام) صرف الحديث: أن يزاد فيه ويحسن، من الصرف في الدراهم، وهو فضل بعضه على بعض في القيمة، وكذلك صرف الكلام، وله عليه صرف، أي: شرف وفضل، وهو من صرفه يصرفه؛ لأنه إذا فضل صرف عن إشكاله، وقال الطيبي[3]: صرف الكلام: فضله، وما يتكلف الإنسان من الزيادة فيه وراء الحاجة، يدخله الرياء ومخالطة الكذب ويحوله عن موضعه بلسان إرادة التلبيس والتخليط، وبهذا الوجه شبه بالسحر الذي أصله الصرف، وقيل: صرف الكلام: إيراده على وجوه مختلفة.

وقوله: (ليسبي به قلوب الرجال أو الناس) شك من الراوي، والسبي: الأسر،

---

(١) الحديث غير موجود في «الترمذي» ولا في «الشمائل»، نعم أخرجه أحمد في «مسنده» (١٢٢١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٩٩٢)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٩).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٨١).

لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٠٠٦].

٤٨٠٣ ـ [٢١] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ يَوْماً، وَقَامَ رَجُلٌ فَأَكْثَرَ الْقَوْلَ. فَقَالَ عَمْرٌو: لَوْ قَصَدَ فِي قَوْلِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ ـ أَوْ أُمِرْتُ ـ أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ، فَإِنَّ الْجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٠٠٨].

سبى العدو سبياً وسباء: أسره كاستباه، فهو سبي وهي سبي أيضاً، والجمع سبايا، والمراد هنا الإمالة والصرف، والمراد التعلم بتحصيل الجاه، فإن الجاه تملك القلوب.

وقوله: (صرفاً ولا عدلاً) الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، أو الصرف النافلة، والعدل الفريضة، أو بالعكس، أو الصرف الوزن، والعدل الكيل، أو الصرف الاكتساب، والعدل الفدية أو الحيلة، ومنه ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: ١٩] معناه ما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب، ذكر ذلك كله في (القاموس)[1].

٤٨٠٣ ـ [٢١] (عمرو بن العاص) قوله: (لو قصد في قوله لكان خيراً) في (القاموس)[2]: القصد: استقامة الطريق وضد الإفراط، كالاقتصاد (لقد رأيت) أي: علمت (أو أمرت) بلفظ المجهول، شك من الراوي.

وقوله: (أن أتجوز في القول) تجوز في الصلاة: خفف، وفي الكلام: تكلم بالمجاز، والمراد هنا الإسراع والتخفيف، وفي (الصراح)[3]: الجواز رواني وروان شدن، وگذشتن از جاىٔ وراهي، وسبك گزاردن نماز، وسخن بمجاز گفتن.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٦٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٤).

(٣) «الصراح» (ص: ٢٢٣).

٤٨٠٤ ـ [٢٢] وَعَنْ صَخْرِ بْـنِ عَبْدِاللهِ بْنِ بُرَيْـدَةَ عَن أَبِـيهِ عَن جَـدِّه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَـانِ سِحْراً، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً، ....

٤٨٠٤ ـ [٢٢] (صخر بن عبدالله) قوله: (وإن من العلم جهلاً) قال الطيبي نقلاً عن (النهايـة)[1]: هو أن يتعلم من العلوم ما لا يحتاج إليـه، كالنجوم وعلم الأوائل، ويـدع ما يحتاج إليه مـن القرآن والسنة فيجهلـه، وقيل: هـو أن لا يعمل بعلمه فكأنه جاهـل، انتهى. ويمكـن أن يقال: إن مـن يدعي لنفسه بزعمه علماً وليس كذلك في نفس الأمر لبطلان زعمـه فهو جهل، أو المـراد من يتوغل في ذات الله وصفاته بالكنه ويريد أن يعلمه بالكنه، وذلك العلم جهل في الحقيقة، إذ لا سبيل إلى العلم بالكنه، أو المـراد أن الاعتراف بالجهل في بعض المواضع علم؛ لكونه مما لا يعلم، فيكون هذا فرد العلم، وهو جهل، فيكون بعض العلم جهلاً، فافهم.

وقوله: (وإن من الشعر حكماً) وفي رواية: (لحكماً)، أي: كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، قيل: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس، والحكم: العلم، والفقه، والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم، ويروى (لحكمة)، وهو بمعنى الحكم، كذا ذكر في (مجمع البحار)[2] نقلاً عن (النهاية).

والحاصل أن الحكم والحكمة يجيء بمعنى واحد، ففي رواية وقع فيها الحكمة يجـوز أن تحمل علـى معنى الحكم، وفـي رواية جاء فيهـا الحكم يحمل على معنى الحكمة.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٩٣).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٥٣٤).

وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالاً». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٠١٢].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٨٠٥ ـ [٢٣] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَراً فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِماً، يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ يُنَافِحُ. وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٨٠٦ ـ [٢٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَادٍ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، . . . .

وقوله: (وإن من القول عيالاً) أي: وبالاً على القائل، أو على السامع الجاهل الذي لا يفهمه، أو العالم الذي يعلمه، أو ثقلاً على من لا يريد أن يسمعه، كذا فسروه.

الفصل الثالث

٤٨٠٥ ـ [٢٣] (عائشة) قوله: (يفاخر) في (القاموس)[1]: الفخر: التمدح بالخصال كالافتخار، وفاخره مفاخرة وفخاراً: عارضه بالفخر.

٤٨٠٦ ـ [٢٤] (أنس) قوله: (حاد) اسم فاعل من الحداء، قال في (القاموس)[2]: حَدَا الإبلَ حدواً وحُداء وحِداء: زجرها وساقها، وفي (الصراح)[3]: حدا: راندن شتر بسرود وآواز، والحداء من الغناء مباح لا خلاف فيه لأحد، و(أنجشة) بفتح الهمزة

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٢٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧١).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٥١).

وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ! لاَ تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ»، قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعْفَةَ النِّسَاءِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٢١١، م: ٢٣٢٣].

وسكون النون وفتح الجيم والشين المعجمة آخره تاء، وكان أنجشة يحدو بالنساء، والبراء بن عازب يحدو بالرجال.

وقوله: (**رويدك**): (رويد) تصغير رود بالضم، يقال: امش على رود، أي: مهل، أرواد ومرود نرم رفتن وراندن، ويقال: أرود في السير والسفر، ويقال: رويدك عمراً، فالكاف للخطاب لا موضع لها من الإعراب، و(رويد) غير مضاف إليها، وهو متعد إلى عمرو؛ لأنه اسم سمي به الفعل، ويعمل عمل الفعل؛ لأن الكاف إنما تدخله إذا كان بمعنى أفعل، ويقال: رويدكني، رويدكماني، رويدكموني، رُوَيدكُنَّنِي، وحركة الدال لالتقاء الساكنين، ويستعمل على وجوه أربعة: اسم فعل كقولك: رويد زيداً: أمهله، وصفة نحو سار سيراً رويداً، وحالاً مثل سار القوم رويداً، ومصدر نحو قولك: رويد عمرو بالإضافة، ومنصوب بفعله المقدر، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[محمد: ٤]، كذا في (القاموس)[1].

وقوله: (**لا تكسر القوارير، قال قتادة: يعني ضعفة النساء**) فسر قتادة القوارير بالنساء، يعني شبه النساء بالقوارير في الرقة والضعف وسرعة الانكسار، فذكر اسم المشبه به وأراد المشبهة استعارة، أمر ﷺ أنجشة أن يغض من صوته الحسن، وخاف الفتنة عليهن من حداه بأن يقع من قلوبهن موقعاً؛ لضعف عزائمهن وسرعة تأثرهن، وقيل: خاف ضعفهن وتعبهن من سرعة مشي الإبل بحداه، والأول أصح وأشهر،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٧١).

٤٨٠٧ ـ [٢٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الشِّعْرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُوَ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ». رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ. [قط: ٤/ ١٥٥].

٤٨٠٨ ـ [٢٦] وروى الشَّافِعِيُّ عَنْ عُرْوَةَ مُرْسلاً. [مسند الشافعي: ٩٢١].

٤٨٠٩ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٢٥٩].

كذا في (مجمع البحار)[١].

٤٨٠٧، ٤٨٠٨ ـ [٢٥، ٢٦] (عائشة) قوله: (هو كلام . . . إلخ)، يعني أن الشعر كلام لا يزيد إلا بوزن وقافية وما فيهما من شيء، والكلام ينقسم إلى حسن وقبيح باعتبار حسن مضمونه وقبحه، فكذلك الشعر.

٤٨٠٩ ـ [٢٧] (أبو سعيد الخدري) قوله: (بالعرج) بفتح العين وسكون الراء المهملتين وبالجيم: اسم موضع.

وقوله: (أو أمسكوا الشيطان) شك من الراوي، لعله كان ينشد من أشعار الجاهلية ما فيه فحش أو هجو أو شرك أو نحو ذلك مما اشتملت عليه أشعار أهل الجاهلية من الغاوين.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٩٦).

٤٨١٠ ـ [٢٨] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٤/ ٢٧٩].

٤٨١١ ـ [٢٩] وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي طَرِيقٍ، فَسَمِعَ مِزْمَاراً، فَوَضَعَ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَنَاءَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ، ثُمَّ قَالَ لِي بَعْدَ أَنْ بَعُدَ: يَا نَافِعُ هَلْ تَسْمَعُ شَيْئاً؟ قُلْتُ: لاَ، فَرَفَعَ أُصْبُعَيْهِ مِنْ أُذُنَيْهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ يَرَاعٍ، فَصَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ، قَالَ نَافِعٌ: فَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ صَغِيراً. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٢/ ٣٨، د: ٤٩٢٤].



٤٨١٠ ـ [٢٨] (جابر) قوله: (الغناء ينبت النفاق) الكلام في حرمة الغناء والمزامير طويل، وبعض المحدثين على أنه لم يصح حديث فيها، وقد تكلمنا فيه في (شرح سفر السعادة) وغيره من المواضع، وقد اكتفينا به، فإن المسألة مشهورة.

٤٨١١ ـ [٢٩] (نافع) قوله: (فسمع صوت يراع) في (القاموس)[1]: اليراع: القصب، قال النووي: في اليراع وجهان، صحح البغوي الحرمة، والغزالي الجواز، وليس المراد من اليراع كل قصب بل المزمار العراقي، ثم قال: والأصح حرمة اليراع، وهو هذه الزمارة التي تسمى الشبابة.

وقوله: (فكنت إذ ذاك صغيراً) جواب عما يقال لم يمنع ابن عمر نافعاً من سماعه،

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧١٧).

١٠ ـ باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٨١٢ ـ [١] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤٧٤].

فعلم أن سماعه مباح، والنهي للتنزيه، وكان اجتناب ابن عمر للورع.

١٠ ـ باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

ذكر الغيبة والشتم بعد حفظ اللسان من ذكر الخاص بعد العام، تقدير الكلام: حفظ اللسان عن السوء وعن الغيبة والشتم، خصهما بالذكر لكثرة وقوعهما وورود الأحاديث فيهما، والغيبة بكسر الغين المعجمة اسم من الاغتياب، ويعرف معناه وأحكامه من الأحاديث وشرحها.

الفصل الأول

٤٨١٢ ـ [١] **(سهل بن سعد)** قوله: **(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)** اللحيان بفتح اللام وسكون الحاء: عظمان ينبت عليهما الأسنان علواً وسفلاً، واحده لحي، ومنه اللحية، وهو اسم لما نبت من الشعر على الخدين والذقن.

والمراد بما بين لحييه اللسان ونطقه بما لا يعنيه وما يوجب المعصية، وقيل: أراد الفم؛ ليتناول الأكل والشرب والكلام، قالوا: والأول أصوب؛ لأن المقصود التنبيه على معظم ما يأتي منه المعصية، وهو اللسان والفرج، ولذا جعل المؤلف عنوان الباب: (حفظ اللسان والغيبة والشتم).

والمراد بما بين رجليه الفرج وخطيئاته، والمراد بضمانهما حفظهما عما لا ينبغي

٤٨١٣ - [٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ.............................

مؤكداً كالذي يضمنه بحق واجب الأداء، وكذا المراد بضمان الرسول الجنة التي تترتب عليه، وهو في الحقيقة من الله وبحكمه وأمره.

وقد وقع مثل هذا الضمان في مواضع متعددة منه ﷺ، ويجوز للأنبياء مثل ذلك نيابة عن الله وإخباراً من جهته تعالى، وتسمية بعض الأنبياء بذي الكفل بهذا المعنى؛ فإنه تكفل لأمته بالجنة لمن اتبعه، وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة: ١١١]، وحمله الطيبي[١] على التمثيل، نحو: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فافهم.

٤٨١٣ - [٢] (أبو هريرة) قوله: (بالكلمة من رضوان الله) رضي عنه وعليه يرضى رضاً ورضواناً - ويُضَمَّانِ - ومرضاة: ضدُّ سخط، كذا في (القاموس)[٢]، وفي (الصراح)[٣]: رضوان: خوشنودي، مرضاة كذلك، وپسنديدن، والظاهر أن (من) ابتدائية، أي: الكلمة الصادرة أو صادرة من مقام رضي الله عنه، ويحتمل أن يكون تعليلية متعلقة بقوله: (ليتكلم)، أي: يتكلم لأجل رضا الله ومن جهته.

وقال الطيبي[٤]: بيانية حال من الكلمة، وهو صحيح إن جعل المصدر بمعنى المفعول، أو يقدر: من كلمة فيه رضوان الله، كما في بعض الشروح، وقد أشرنا إلى ذلك، وأيضاً لا يتعين كونه حالاً، ويجوز كونه صفة، بل قد يرجح كونه صفة على

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٩٨).
(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٨٤).
(٣) «الصراح» (ص: ٥٦١).
(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٩٨).

لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤٧٨].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

[خ: ٦٤٧٧، م: ٢٩٨٨].

٤٨١٤ - [٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، ....

كونه حالاً في مثل هذا التركيب، فتدبر.

وقوله: (لا يلقي لها بالاً) هذا أيضاً صفة أو حال من ضمير (يتكلم)، والضمير في (لها) للكلمة، و(البال) يجيء بمعنى القلب والحال والخاطر، أي: لا يلقي العبد لتلك الكلمة ولا يحضر لها قلبه ولا يلتفت إلى عاقبتها، أو لا يلقي لها الحال والخاطر، ولا يتأمل فيها وفي عاقبتها، ولا يرى فيها بأساً.

وقوله: (يرفع الله) جملة مستأنفة جواب عن سؤال: ما ثمرتها ونتيجتها؟ والتنوين في (درجات) للتكثير والتعظيم، أي: درجات كثيرة عظيمة.

وقوله: (يهوي) أي: يسقط العبد بسبب تلك الكلمة، وهوى يهوي من ضرب يضرب بمعنى السقوط، ومن سمع يسمع بمعنى المحبة.

وقوله: (أبعد ما بين المشرق والمغرب) صفة مصدر محذوف أي: هوياً بليغاً بعيد المبدأ والمنتهى، كذا قال الطيبي[1].

٤٨١٤ - [٣] (عبدالله بن مسعود) قوله: (سباب المسلم) بالكسر، في

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٩٨).

وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨، م: ٦٤].

٤٨١٥ ـ [٤] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٠٤، م: ٦٠].

(النهاية)(١): السب والسباب: الشتم، والإضافة إما إلى الفاعل أو إلى المفعول، وفي بعض الحواشي: أنها إلى الفاعل؛ لأنه جاء في رواية الترمذي: (سباب المسلم أخاه فسق، وقتاله إياه كفر)، وأما قوله: (**وقتاله كفر**) تغليظ، أو المراد استباحته أو لكونه مسلماً كما هو المشهور.

٤٨١٥ ـ [٤] (**ابن عمر**) قوله: (**أيما رجل قال لأخيه: كافر... إلخ**)، اعلم أن هذا الحديث والحديثين بعده تدل بظاهره على أن من قال لأحد: هو كافر، وقال: يا كافر، وهو ليس بكافر فقد كفر، واستشكل بأن غاية ما فيه أنه كذب ومعصية، والكذب ليس بكفر، والمؤمن لا يكفر بالمعاصي.

وتوجيهه أنه لما قال للمسلم: كافر فقد جعل الإسلام كفراً، واعتقد بطلان دين الإسلام، فافهم، وأما إذا قال بقصد الكذب والسب من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، فقد يوجه بأنه محمول على المستحل لذلك، واستحلال المعصية كفر، والضمير في (**بها**) لهذه الكلمة، أي: بما يلزمها من المعصية؛ فإن صدق رجع بها أخوه بما فيه من الكفر، وإن كذب رجع بها القائل بما يلزمه من معصية الكذب وتكفير من ليس بكافر، وبأن المراد أنه يوؤل ويفضي به إلى الكفر؛ لأن المعصية قد تجرّ إلى الكفر، وبأن الراجع إلى القائل ليس هو الكفر حقيقة، بل المراد أنه لما كفر أخاه فكأنه كفر نفسه، لكونه كفر من هو مثله، أو لأنه فعل مثل فعل الكافر؛ لأنه لا يكفر المسلم

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٣٣٠).

٤٨١٦ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٠٤٥].

٤٨١٧ ـ [٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلاَّ حارَ عَلَيْهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). [م: ٦١].

إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام.

وقيل: إنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا مبني على قول من يكفر أهل القبلة، والجمهور على خلافه، نقل هذه التوجيهات الطيبي(٢) عن محيي السنة، وهي إنما يحتاج إليها إذا لم يكن حكم تكفير المسلم من غير تأويل، وهو المراد هنا الكفر، وهو محل نظر، وليس بمستبعد، فقد يكون بعض الكذبات كفراً كما ذهب إليه الجويني والد إمام الحرمين، [حيث ذهب] إلى تكفير من تعمد الكذب على النبي ﷺ وخلوده في النار استدلالاً بظاهر حديث: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، فهذه الأحاديث أيضاً دالة على تكفير المكفر، وتوجيهه ما ذكرنا، والله أعلم.

٤٨١٦ ـ [٥] (أبو ذر) قوله: (إلا ارتدت) أي: الكلمة عليه، أما الفسق فظاهر، وأما الكفر فحاله ما ذكرنا.

٤٨١٧ ـ [٦] (عنه) قوله: (من دعا رجلاً بالكفر) أي: قال له: يا كافر.

وقوله: (إلا حار) أي: رجع عليه، قيل: (من) استفهامية، أي: لم يدع إلا رجع عليه، وقيل: شرطية وجواب الشرط محذوف، وهو المستثنى منه.

---

(١) لعل المراد بالمتفق عليه التخريج بالمعنى، أما هذه الرواية فقد تفرد بها مسلم.

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٩٩).

٤٨١٨ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ، فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٨٧].

٤٨١٩ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لعَّاناً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٩٧].

٤٨٢٠ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ..............................

٤٨١٨ ـ [٧] (أنس وأبو هريرة) قوله: (المستبان ما قالا، فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم): (المستبان) مبتدأ، و(ما قالا) مبتدأ ثان متضمن لمعنى الشرط.

وقوله: (فعلى البادئ) خبر المبتدأ الثاني، (ما لم يعتد) قيد للنسبة في الظرف، أي: إذا سب كل واحد الآخر فإثم ما قالا على الذي بدأ في السب، أما إثم ما قاله فظاهر، وأما إثم الآخر فلكونه الذي حمله على السب وظلمه، وهذا إذا لم يعتد ويتجاوز المظلوم الحد، بأن سبه أكثر وأفحش منه، وأما إذا اعتدى كان إثم ما اعتدى عليه والباقي على البادئ.

٤٨١٩ ـ [٨] (أبو هريرة) قوله: (لا ينبغي لصديق) في (القاموس)[1]: الصديق هو بمعنى كثير الصدق، و(اللعن) الطرد والبعد، وهو لعين وملعون، واللُّعْنة بالضم: من يلعنه الناس، وكهُمَزة: كثير اللعن لهم، وامرأة لعين، فإذا لم يذكر الموصوف فبالهاء، انتهى.

٤٨٢٠ ـ [٩] (أبو الدرداء) قوله: (إن اللعانين) أي: الذين يكون ديدنهم اللعنة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٢٩).

لاَ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلاَ شُفَعَاء يَوْمَ الْقِيَامَـةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٩٩].

٤٨٢١ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٢٣].

٤٨٢٢ ـ [١١] وَعَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْـهٍ، وَهَؤُلاَء بِوَجْـهٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٥٨، م: ٢٥٢٦].

٤٨٢٣ ـ [١٢] وَعَنْ حُذَيْفَـةَ قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُـولُ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. ....

على الخلق.

وقوله: (لا يكونون شهداء) أي: للمطيعين.

وقوله: (ولا شفعاء) أي: للعاصين.

٤٨٢١ ـ [١٠] (أبـو هريرة) قولـه: (فهو أهلكهـم) يروى بصيغة التفضيل من الهلاك، أي: أكثرهم هلاكاً؛ لأنه اشتغل بعيب الناس وأعجب بنفسه، وبصيغة الماضي مـن الإهلاك، أي: أوقعهم في الهلاك؛ لأن قوله لهم هذا يوجب نأيهم عن الطاعة، وانهماكهم في المعاصي، والظاهر هو الأول.

٤٨٢٢ ـ [١١] (وعنه) قوله: (ذا الوجهين) إما أن يكون المراد المنافق، ويكون عذابه أشد، أو المراد من صفته هذه من المؤمنين، ويكون حاله شرًّا من سائر المؤمنين.

٤٨٢٣ ـ [١٢] (حذيفة) قولـه: (قتات) بالتشديد، قال الطيبي[1]: القتات هو

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٠٢).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «نَمَّامٌ». [خ: ٦٠٥٦، م: ١٠٥].

٤٨٢٤ ـ [١٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً، . . . .

الذي يتسَمَّعُ على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم، وقال في (القاموس)[1]: رجل قتات: نمام، أو يسَّمَّع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون، سواء نمّها أو لم ينمّها.

وقال السيوطي في (مختصر النهاية)[2]: القتات: النمام، وقيل: هو الذي يسمّع على القوم وهم لا يعلمون، والنمام: الذي يكون معهم.

وأما ما قال الطيبي: قتَّ الحديث: إذا زوَّره، وهيأه، وسواه، فهو بمعنى الافتراء والبهتان، ولم يذكر في كتب اللغة للقتِّ هذا المعنى، نعم ذكر في (القاموس) من معاني النمِّ: تزيين الكلام بالكذب، ولما كان القتُّ بمعنى النمِّ كان ذلك معناه أيضاً، وهو نقله برمز (النهاية)، ولم يذكرها السيوطي في مختصرها، والله أعلم.

٤٨٢٤ ـ [١٣] (عبدالله بن مسعود) قوله: **(فإن الصدق يهدي إلى البر)** لعل الصدق بخاصيته يفضي إلى أعمال البر، أو المراد من البر هو الصدق نفسه، كما تدل عليه الرواية الأخرى لمسلم، وهدايته إليه بالمغايرة الاعتبارية في المفهوم والعنوان، كقولهم: صفة العلم لزيد توجب صفة كمال له.

وقوله: **(حتى يكتب عند الله صديقاً)** الظاهر أن المراد كتابته في ديوان الأعمال

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٨).

(٢) «الدر النثير» (٢/ ٨١٧).

وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ». [خ: ٦٠٩٤، م: ٢٦٠٧].

٤٨٢٥ ـ [١٤] وَعَنْ أُمِّ كُلْثُوم قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْراً وَيَنْمِي..............

في الملأ الأعلى، ويحتمل أن يكون المراد الحكم بالصديقية وإثبات الصفة له، والمقصود إظهار ذلك في الناس وإعلامهم له بهذه الصفة وبهذا الاسم في قلوبهم وعلى لسانهم، على قياس قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، وعلى هذا القياس التقرير في الكذب.

٤٨٢٥ ـ [١٤] (أم كلثوم) قوله: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً) حاصله أن الكذب ورفع الحديث لإصلاح ذات البين جائز، وليس هو من النميمة والكذب المذموم؛ فإن النميمة رفع الحديث إشاعة له وإفساداً، ثم الظاهر من العبارة أن يكون (الكذاب) اسم (ليس) وخبره (الذي يصلح)، أي: ليس الكذب المذموم في الدين المصلح بل غيره، ويجوز أن يكون خبراً مقدماً على الاسم، ويؤيده ما جاء في بعض الروايات: ليس بالكذاب.

وقوله: (ينمي) بفتح الياء وسكون النون مخففة الميم، وقال عياض في (المشارق)[1]: قال أبو عبيد: نمى الحديث مخفف الميم، أي: أبلغه، ونميته إلى غيري

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٥).

خَيْراً». مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٢٦٩٢، م: ٢٦٠٥].

٤٨٢٦ ـ [١٥] وَعَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». . . . .

مثل أسندته، ونمَّيته بالتشديد: أبلغته على وجه النميمة، وقال ابن قتيبة وغيره: نمَّيته بالتثقيل: نقلته على جهة الإفساد، وقال في (القاموس)[1] أيضاً: نمى الحديث: ارتفع، ونميته ونمّيته: رفعته وعزوته، وأنماه: أذاعه على وجه النميمة، وفي (الصراح)[2]: نمو نما: گواكيدن وبرداشتن حديث وخبر بكسي، يقال منه: نموت ونميت إليه الحديث، ونسبت كردن بكسي، انتمى كذلك، يقال: نما إليه، وينمي إليه، وسخن رسانيدن بوجه إصلاح ونيكوئي، وتنمية: سخن رسانيدن ببدي وسخن چيني كردن، وهيزم نهادن برآتش.

٤٨٢٦ ـ [١٥] **(المقداد بن الأسود)** قوله: **(المداحين)** المراد بالمداح من اتخذ مدح الناس حرفة ليتأكل به، ولا يراعي الحق في ذلك، ولا يميز بين من يستحق ومن لا يستحق، وهو مذموم مكروه؛ لأنه يتضمن الكذب من المادح، ومداخلة العجب من الممدوح.

وقوله: **(فاحثوا في وجوههم التراب)** أي: ارموه، في (القاموس)[3]: حثا التراب يحثوه ويحثيه حثواً وحثياً، والحثى كالثرى: التراب المحثو، والحثي كالرمي: ما رفعت به يدك، وأرض حثواء: كثيرة التراب، والمراد في الحديث لا تعطوه شيئاً

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٣٠).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٩٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٠).

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٣٠٠٢].

٤٨٢٧ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ» ثَلاثاً، «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحاً لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاَناً وَاللهُ حَسِيبُهُ، إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلاَ يُزَكِّي على اللهِ أَحَداً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٦٢، م: ٣٠٠٠].

واحرموه، وقيل: أراد الرضخ، وهو العطاء القليل المشبه لقلته وحقارته بالتراب، ومنهم من حمله على ظاهره، وقد يروى أن المقداد حثا في وجه المادح عند عثمان ﷺ التراب.

٤٨٢٧ ـ [١٦] (أبو بكرة) قوله: (قطعت عنق أخيك) أي: أهلكته لوقوعه في العجب والكبر، و(ثلاثاً) متعلق بـ (قال).

وقوله: (أحسب فلاناً والله حسيبه) أي: أظن فلاناً كذا وكذا، أي: موصوفاً بالصفات الحميدة، والله عليم بحقيقة حاله وسرّه، ومحاسبه ومجازيه على أعماله، وعلى هذا يكون قوله: (والله حسيبه) من تتمة مقول (فليقل)، ويحتمل أن يكون معترضاً من قول النبي ﷺ بين قوله: (فليقل: أحسب فلاناً) وبين ما يتعلق به من الشرط وهو قوله: (إن كان يرى أنه كذلك) أي: إنما يقول: أحسب فلاناً كذا وكذا إن كان المادح يظن أن الممدوح كذلك، أي: كما مدحه، ولا يقول ذلك أيضاً كاذباً من غير ظن وحسبان.

وقوله: (ولا يزكي على الله أحداً) نفي في معنى النهي عطف على قوله: (فليقل)، وهو نهي عن الجزم بكونه كما مدحه، أي لا يثني [على] أحد ولا يظهره حاكماً على الله وموجباً عليه، كأنه لما جزم بمدحه حكم على الله وأوجب عليه أن يكون ما علمه كما مدحه، ولعله لا يكون كذلك.

٤٨٢٨ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: «إِذَا قُلْتَ لِأَخِيكَ مَا فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». [م: ٢٥٨٩].

٤٨٢٩ ـ [١٨] وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ......

٤٨٢٨ ـ [١٧] (أبو هريرة) قوله: (ذكرك أخاك بما يكره) سواء في دينه أو دنياه، في نفسه أو فيما يتعلق به، والمراد ما يفهم به معنى سواء كان باللفظ أو بالكتابة أو بالإشارة، وتفصيله في كتاب (الإحياء) وأمثاله.

٤٨٢٩ ـ [١٨] (عائشة) قوله: (أن رجلاً استأذن) هو عيينة بن حصن ولم يحسن إسلامه حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام، قالوا: ضعيف الإسلام، وكان يظهر منه مدة حياته ما يدل على ضعف إيمانه، وقد ارتد بعده ﷺ وجيء به أسيراً إلى الصديق ﷺ، وقد عدّ قوله ﷺ فيه: (بئس أخو العشيرة) من علامات النبوة؛ لأنه ظهر كما أخبر، والعشيرة: القبيلة، وقد روي: ابن العشيرة وفتى العشيرة، وفي الحديث دليل على مداراة من يخاف شره، والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة تكون لاتقاء الشر وحفظ الوقت عن التفرقة والتضيع وللمصلحة الدينية، والمداهنة لأجل النفس وتحصيل شهواتها وللغرض الدنياوي، وأيضاً فيه دليل على جواز الغيبة للفاسق المجاهر ليتقي

«مَتَى عَاهَدْتِنِي فَحَّاشاً؟ إِنَّ شَرَّ النَّاس مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» وَفِي رِوَايَةٍ: «اتِّقَاءَ فُحْشِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٣٢، م: ٢٥٩١].

٤٨٣٠ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرُونَ، ....

الناس من شره.

وقوله: (متى عاهدتني) أي: وجدتني، يعني إنما ألنت له لذم الفحش ولم أكن قط فحاشاً، والفحش: التجاوز عن الحد في الكلام وفي غيره، وإنما قلت في غيبته تنبيهاً على حاله ليتقه الناس، وفيه مصلحة.

وقوله: (إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره) قال الشراح: معناه إني إنما ألنت له الكلام وتطلقت في وجهه وانبسطت إليه اتقاء الشر والفحش لئلا أكون من الأشرار الفحاشين الذين يتركهم الناس لفحشهم، لأني لو قلت له في حضوره ما قلت فيه غيبته لتركني اتقاء فحشي، وقيل: معناه إنما فعلت ذلك مع الرجل وتركته غير مفتش عن حقيقة حاله ومتعرض لكشفها اتقاء شره وفحشه، وشر الناس من تركه الناس ولم يتعرضوا له مداراة معه، ورواية (اتقاء شره) تنظر إلى هذا المعنى، ورواية (اتقاء فحشه) إلى المعنى الأول، فافهم.

٤٨٣٠ ـ [١٩] (أبو هريرة) قوله: (كل أمتي معافى) التذكير باعتبار لفظ (كل)، وفي أكثر الأصول (معافاة) باعتبار المضاف إليه، في (القاموس)[1]: أعفاه من الأمر، أي: برأه، والمعنى: كل أمتي مبرأ ومسلم ومتروك عن الغيبة إلا من جاهر بالمعصية ولم يسترها، وأما رفع قوله: (إلا المجاهرون) فللتأويل بالمنفي، أي: لا يغتاب أحد

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٦).

وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ فَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ! عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «من كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ» فِي (بَابِ الضِّيَافَةِ). [خ: ٦٠٦٩، م: ٢٩٩٠].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٨٣١ ـ [٢٠] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «من تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ بُنِيَ لَهُ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، ....

إلا المجاهرون، وقد يروى بالنصب فلا إشكال، واتفقوا على جواز غيبة الفاسق المجاهر، والإمام الجائر، والمبتدع الداعي، وراوي الأخبار، وعند التظلم والنصيحة وتزكية الشهود، وفي صورة التظلم إن صبر فهو الأفضل.

وقوله: (وإن من المجانة) مصدر مجن يمجن مجانة من باب نصر، وهو أن لا يبالي الإنسان بما يفعله ويقوله، ولا بما قيل له وصنع به من غيبته ومذمته، فمن أظهر ذنبه للناس فهو لا يبالي بأن يغتابه الناس ويذمونه، وهذا يضر به وبالناس.

الفصل الثاني

٤٨٣١ ـ [٢٠] (أنس) قوله: (وهو باطل) احتراز عن مواضع يرخص فيها الكذب مما فيه إصلاح ذات البين والمعاريض، والكذب في الحرب من أقسام الخدعة، وقيل: هو تأكيد لما قبله.

وقوله: (الربض) بفتحتين: سور البلد، وفي (الصراح)[1]: ربض: ديوار گرد

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٧٩).

وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِـيَ لَهُ فِي أَعْلاَهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَكَذَا فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَفِي «الْمَصَابِيحِ» قَالَ: غَرِيبٌ. [ت: ١٩٩٣].

٤٨٣٢ ـ [٢١] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَـدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، أَتَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ الأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٠٠٤، جه: ٤٢٤٦].

شهر.

وقوله: (ومن ترك المراء) أي: الجدال والخصومة، (وهو محق) أي: مع أن الحق في جانبه يتركه كسراً لنفسه كيلا تترفع نفسه على خصمه بظهور فضله، وينكسر قلب خصمه بعجزه وإفحامـه، وهذا إنما يجوز إذا لم يكن متعلقاً بأمر ديني، ولم يقع فيه خلل بسكوته، أو يتوقع ظهور الحق بالآخرة بوجه آخر، وقد يسكت الخصم الألد بإلانة الكـلام والسكوت والإعراض، وينفـع ذلك فـي ظهور الحق ما لم ينفع المراء والجدال، وحسن الخلق شامل لجميع الحمايد والكمالات، وأكثر ما يستعمل حسن الخلق في العرف في لين الجانب وطلاقة الوجه والبشاشة.

٤٨٣٢ ـ [٢١] (أبو هريرة) قوله: (تقوى الله وحسن الخلق) لا شك أن التقوى شامل لإتيان المأمورات وترك المنهيات كلها، وحسن الخلق أيضاً داخل فيها، فذكره بعدها من باب التخصيص بعد التعميم، إلا أن يراد بالتقوى الأعمال الظاهرة، وبحسن الخلق الأخلاق الباطنة، وقال الطيبي[١]: التقوى إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٠٩).

٤٨٣٣ ـ [٢٢] وَعَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا، يَكْتُبُ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». وَرَوَى مَالِكٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه نَحْوَهُ. [شرح السنة: ٤١٢٥، ت: ٢٣١٩، جه: ٣٩٦٩، ط: ٢/ ٩٨٥].

٤٨٣٤ ـ [٢٣] وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْلٌ لِمَنْ يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ..................

وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق، والمراد الدخول مع السابقين الفائزين بالدرجات والكرامات، أو يقال: المراد أن اجتماع هذين الصفتين يوجب بالحكم الإلهي دخول الجنة، وإلا فأصل الدخول يكفي فيه أصل الإيمان كما هو المذهب، وإنما قيد بالأكثر لأنه يرجى بدون هذه الصفتين دخول الجنة ونيل الدرجات أيضاً بفضل الله تعالى وشفاعة رسول الله ﷺ، فافهم.

٤٨٣٣ ـ [٢٢] **(بلال بن الحارث)** قوله: **(يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه)** المراد تحقق رضاه تعالى له في الدنيا والآخرة، فالغاية داخلة في الحكم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]، و(ما) في (ما يعلم) نافية.

٤٨٣٤ ـ [٢٣] **(بهز)** قوله: **(وعن بهز)** بفتح الموحدة وسكون الهاء آخره زاي.

وقوله: **(فيكذب)** فيه أنه إن صدق في الحديث ليضحك به فلا بأس، ومع ذلك لا ينبغي أن يكون مطمح نظره محض الإضحاك، بل يكون مقصوده الإفادة مع تضمنه

لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ. [حم: ٥/ ٣، ت: ٢٣١٥، د: ٤٩٩، دي: ٢/ ٢٩٦].

٤٨٣٥ ـ [٢٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقُولُ الْكَلِمَةَ لاَ يَقُولُهَا إِلاَّ لِيُضْحِكَ بِهِ[١] النَّاسَ، يَهْوِي بِهَا أَبْعَدَ مِمَّا[٢] بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَإِنَّهُ لَيَزِلُّ عَنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَنْ قَدَمِهِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٤٤٩٢].

٤٨٣٦ ـ [٢٥] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٢/ ١٧٧، ت: ٢٥٠١، دي: ٢/ ٢٩٩، شعب: ٤٦٢٩].

نوعاً من الطيبة وحسن المعاشرة مع الأصحاب، كما يدل عليه الحديث التالي: (لا يقولها إلا ليضحك)؛ فإن المزاح مشروع مسنون، ولكن لا يتخذ[ه] حرفة ولا يفرط فيه.

٤٨٣٥ ـ [٢٤] (أبو هريرة) قوله: (يهوي) أي: يسقط (بها) أي: بتلك الكلمة إلى جهنم، أو يبعد عن مقام الخير والرحمة.

٤٨٣٦ ـ [٢٥] (عبدالله بن عمرو) قوله: (من صمت نجا) قال الإمام الغزالي[٣]: ويدلك على لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم ضرر ومنفعة، وقسم لا ضرر ولا منفعة، أما الذي هو

---

(١) كذا في «المشكاة»، وفي «الشعب»: «بها».

(٢) في نسخة: «ما».

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١١١).

٤٨٣٧ ـ [٢٦] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ فَقَالَ: «أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ..............

ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذا ما فيه ضرر ومنفعة؛ لأن دفع الضرر أهم، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فالاشتغال به تضييع للوقت، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الثاني وفيه خطر، إذ يمتزج به ما فيه [إثم] من دقائق الرياء والتصنع وتزكية النفس، وكلام الغزالي في أمثال هذه المقامات إكسير للنفس وشفاء للقلوب، ولقد أكثر الطيبي فيها النقل منه، وهو جدير بذلك.

٤٨٣٧ ـ [٢٦] (عقبة بن عامر) قوله: (ما النجاة) أي: سبب النجاة.

وقوله: (أملك عليك لسانك) المصحح في النسخ: (أملك) بفتح الهمزة من الإملاك، ومعناه غير ظاهر؛ لأن الإملاك بمعنى التمليك كما ذكر في (القاموس)[١]، ولا معنى له ههنا، وقد ضبطه في بعض الشروح بكسر الهمزة، وقال: أما بفتحها فغير ظاهر، وقال في (مجمع البحار)[٢]: هو أمر من الثلاثي، أي: احفظها عما لا خير فيه، وأما عبارة الطيبي[٣] فظاهر في كونه من الثلاثي، ولكنه لم يصرح بذلك، قال: أي لا تُجْرِهِ إلا بما يكون لك لا عليك، وعن بعضهم: أي اجعل لسانك مملوكاً لك فيما عليك وباله وتبعته، وأمسكه عما يضرك، وأطلقه فيما ينفعك، انتهى. وهذا ظاهر في الإملاك.

وقوله: (وليسعك) أمر من وسع يسع، كناية عن القعود في بيته اشتغالاً بالطاعة.

---

(١) انظر: «القاموس» (ص: ٨٧٨).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٦٢٨).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ١١١).

بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٥/ ٢٥٩، ت: ٢٤٠٦].

٤٨٣٨ - [٢٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَفَعَهُ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٠٧].

٤٨٣٩ - [٢٨] وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ. [ط: ٢/ ٩٠٣، حم: ١/ ٢٠١].

٤٨٤٠ - [٢٩] وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. [جه: ٣٩٧٦].

٤٨٣٨ - [٢٧] (أبو سعيد) قوله: (تكفر اللسان) في (القاموس)[1]: التكفير: أن يخضع الإنسان لغيره، وورد: يكره التكفير في الصلاة، وهو الانحناء الكثير في حالة القيام قبل الركوع، والمراد إطاعة الأعضاء وانقيادها لما يجري على اللسان، وذلك باعتبار كونه ترجمان القلب وخليفته، فحكمه حكمه، فلا يرد أن استقامة الجوارح واعوجاجها وصلاحها وفسادها بالقلب، وصلاحه وفساده لا باللسان، فلا ينافي حديث: (إن في الجسد لمضغة) الحديث.

وقوله: (فإن استقمت استقمنا. . . إلخ)، بيان للمراد بقوله: (نحن بك).

٤٨٣٩، ٤٨٤٠، ٤٨٤١ - [٢٨، ٢٩، ٣٠] (علي بن الحسين) قوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه): (من) تبعيضية؛ لأن ترك ما لا يعنيه بعض حسن

(١) «القاموس» (ص: ٤٣٨).

٤٨٤١ ـ [٣٠] وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» عَنْهُمَا. [ت: ٢٣١٨، شعب: ٤٦٣٢، ٤٦٣٣].

الإسلام وشطره، وثاني شطريه هو الاشتغال بالعبادة كالتحلية بعد التخلية، فيكون في معنى قوله: (الطهور شطر الإيمان) على تأويل.

ومن العجب ما نقل الطيبي عن بعضهم من أنه يجوز أن يكون (من) بيانية، أقول: فأين المُبين، نعم لو قال: يجوز أن تكون زائدة لكان له وجه، وإن لم يكن من مواقع زيادة (من)، إلا أن يكون قوله: (بيانية) سهو القلم في مكان (زائدة)، والله أعلم.

ومعنى قوله: (ما لا يعنيه) ما لا يعتني ولا يهتم به المرء، أي: ما من شأنه أن لا يهتم ويشتغل به، من قولهم عنى به، أي: اهتم به واشتغل، وعلى هذا يكون الضمير المستتر في (يعنيه) للمرء، والبارز لـ (ما)، من عناه الأمر: إذا تعلقت عنايته به وكان من غرضه وإرادته، وقال في (القاموس)[1]: عناه الأمر يعنوه ويعنيه: أهمه، فعلى هذا المستتر لـ (ما)، والبارز لـ (المرء)، أي: ما يهمه ويجعله ذا هم إليه، والذي يعني الإنسان من الأمور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه ويرويه، ويستر عورته ويعف فرجه، ونحو ذلك مما يدفع الضرورة، دون ما فيه تلذذ واستمتاع واستكثار وفضول من الأقوال والأفعال وسائر الحركات والسكنات، [و]ما يتعلق بسلامته في معاده، وهو الإسلام والإيمان والإحسان، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام مما يعدّ تمامه أو نصفه أو ثلثه أو نحو ذلك، وهو من جوامع الكلم.

قال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، وانتخبت منها

---

(١) «القاموس» (ص: ١٢٠٨).

٤٨٤٢ ـ [٣١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَلاَ تَدْرِي، فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لاَ يَنْقُصُهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣١٦].

٤٨٤٣ ـ [٣٢] وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِاللهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَخْوَفُ. . . . .

مما يتضمنه هـذا الكتاب يعنـي (كتاب السنن)، وجمعت فيـه أربعة آلاف وثمان مئة حديث، وقال في آخر هذا الكلام: ويكفي للإنسان لأمر دينه أربعة أحاديث منها: أولها: (إنما الأعمال بالنيات)، وثانيها: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وثالثها: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه)، ورابعها: (إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات)، الحديث.

قال الغزالي: وما لا يعنيك من الكلام أن تتكلم بكل ما لـو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مآل.

٤٨٤٢ ـ [٣١] (أنس) قولـه: **(أولا تدري)** روي بفتـح الواو عطفاً علـى مقدر أي: أتقـول هذا ولا تدري ما يقـول؟ أو للحال، أي: والحال أنك لا تدري، وروي بسكونها عطفاً على مقدر أيضاً، أي: أتدري أنه من أهل الجنة أو لا تدري؟ أي: بأي شيء علمت ذلك؟ والرواية الأولى أشهر، ومعناها أظهر.

وقوله: **(أو بخل بما لا ينقصه)** كتعليم العلم وأداء الزكاة، أو المراد إنفاق شيء قليل من مال كثير، والحال في ضميري (ما لا ينقصه) كما في ضميري (ما لا يعنيه)، وجعل المستتر فيه لـ (ما) أظهر، فافهم.

٤٨٤٣ ـ [٣٢] (سفيان) قوله: **(ما أخوف)** اسم تفضيل مبني للمفعول، و(ما)

مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وَقَالَ: «هَذَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. [ت: ٢٤١٠].

٤٨٤٤ ـ [٣٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيلاً مِنْ نَتْنِ مَا جاءَ بِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ١٩٧٢].

٤٨٤٥ ـ [٣٤] وَعَنْ سُفيانَ بْنِ أَسَدٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَبُرَتْ خِيَانَةً..................

الثانية موصولة والعائد محذوف، أي: تخافه، أي: شره.

وقوله: (فأخذ بلسان نفسه) أي: أخذ رسول الله ﷺ بلسانه الشريف، ولم يقل: بلسانه؛ لئلا يتوهم رجوع الضمير إلى السائل، وإنما لم يجبه بقوله: اللسان، لأن الإشارة الحسية أظهر كما في التمثيل بالمحسوسات، وإنما أخذ ﷺ بلسانه لأن في أحد لسان السائل تكلفاً وسماحة؛ ولأنه أدخل في المقصود لما فيه من المبالغة والتأكيد والإشارة إلى أن الحكم عام، ولو أخذ بلسان السائل لاحتمل اختصاصه به، فافهم.

٤٨٤٤ ـ [٣٣] (ابن عمر) قوله: (من نتن) قال في (القاموس)[1]: النتن ضد الفوح، وفاح المسك فوحاً وفوحاناً وفيحاً وفيحاناً: انتشرت رائحته، ولا يقال في الكراهة، والله أعلم.

٤٨٤٥ ـ [٣٤] (سفيان) قوله: (سفيان بن أسد) بمفتوحة فمكسورة على الأكثر، ويقال: على لفظ التصغير، ويقال: (أسد) بفتحتين، كذا في (المغني)[2].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٩).

(٢) «المغني في ضبط الأسماء» (ص: ٣٦).

أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثاً هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٧١].

٤٨٤٦ ـ [٣٥] وَعَنْ عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢/ ٣١٤].

٤٨٤٧ ـ [٣٦] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ بِاللَّعَّانِ، وَلاَ الْفَاحِشِ، وَلاَ الْبَذِيءِ». رَوَاهُ. . . . .

وقوله: (**أن تحدث**) فاعل (كبرت)، وإنما أنث بتأويل الخصلة والفعلة، أو باعتبار المعنى لأنه نفس الخيانة، وإنما كان خيانة كبيرة لأن الكذب خيانة في نفسه، وفيما ذكر أشد وأشنع؛ لأن أخاه المسلم اعتمد عليه ووثق به وظن أنه مسلم لا يكذب، ومع ذلك كذب، فيكون أقبح.

٤٨٤٦ ـ [٣٥] (**عمار**) قوله: (**من كان ذا وجهين**) المراد به المنافق؛ بأن يتوجه تارة إلى قوم فيقول بما يوافقهم، وأخرى إلى عدوهم فيقول خلافه، أو يري نفسه عند شخص أنه من جملة محبيه وناصحيه ويحدث في غيبته بمساوئه وعيوبه.

٤٨٤٧ ـ [٣٦] (**ابن مسعود**) قوله: (**ليس المؤمن بالطعان**) أي: في أعراض الناس، كذا في (الصحاح)[1]، (**ولا باللعان**) أي: داعياً على أحد بالطرد والبعد عن رحمة الله.

وقوله: (**ولا البذيء**) (فعيل)، من البذاء بالمد وفتح الموحدة: الفحش في القول

---

(١) «الصحاح في اللغة» (١/ ٤٢٥).

التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». وَفِي أُخْرَى لَهُ: «وَلاَ الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ». وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ١٩٧٧، شعب: ٤٧٨٦].

٤٨٤٨ ـ [٣٧] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّاناً». وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ لَعَّاناً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠١٩].

٤٨٤٩ ـ [٣٨] وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلاَ بِغَضَبِ اللهِ، وَلاَ بِجَهَنَّمَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلاَ بِالنَّارِ». رَوَاهُ.......................................

كما مر، يقال: بذوت على القوم، وبذيت أبذو، فهو بذيّ، وقد يهمز، وليس بكثير، كذا في (مجمع البحار)[1].

وذكر في (القاموس)[2] في الموضعين: وقال فيهما: البذاء والبذيء كالبذيع: الرجل الفاحش، فعلى هذا يراد بـ (الفاحش) المقابل له الفحشُ في غير الكلام، ويفهم من كلام (الصحاح): أن البذاء المعتل بمعنى التكلم بكلام لا ينفع، فتدبر، ويفهم من لفظ الرواية الأخرى: أن البذيء هو المبالغ في الفحش، فافهم.

٤٨٤٨ ـ [٣٧] (ابن عمر) قوله: (لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً) فيه بيان للمراد بقوله: (لا يكون المؤمن لعاناً)، والله أعلم.

٤٨٤٩ ـ [٣٨] (سمرة بن جندب) قوله: (لا تلاعنوا) بفتح التاء، أصله

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ١٦٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٥، ١١٦١).

التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ١٩٧٦، د: ٤٩٠٦].

٤٨٥٠ ـ [٣٩] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٠٥].

٤٨٥١ ـ [٤٠] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلاً نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ فَلَعَنَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئاً لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ١٩٧٨، د: ٤٩٠٨].

لا تتلاعنوا، أي: تسابوا باللعنة صريحاً أو كناية، وهذا في الشخص المعين إذا لم يعلم موته على الكفر.

٤٨٥٠ ـ [٣٩] (أبو الدرداء) قوله: (دونها) أي: عندها، و(دون) يجيء بمعنى أمام ووراء.

وقوله: (فتغلق أبوابها) يفهم منه أن للأرض أيضاً أبواباً كما للسماء، و(لعن) بلفظ المجهول، وجزاء (فإن كان) محذوف، أي: لحق به.

٤٨٥١ ـ [٤٠] (ابن عباس) قوله: (فإنها مأمورة) في معنى قوله: (لا تسبوا الدهر فأنا الدهر).

وقوله: (من لعن شيئاً) إنساناً كان أو غيره.

٤٨٥٢ ـ [٤١] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٦٠].

٤٨٥٣ ـ [٤٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ـ تَعْنِي قَصِيرَةً ـ فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. . . . .

٤٨٥٢ ـ [٤١] (ابن مسعود) قوله: (لا يبلغني من أصحابي) الحديث، وفي هذا تعليم للأمة بعدم التبليغ إلى أحد من الكبراء ـ بل وإلى غيرهم ـ عن أحد شيئاً بأنه شتمك أو فيه خصلة سوء، بل يجب الستر، اللهم إلا أن تكون فيه مصلحة حميدة.

٤٨٥٣ ـ [٤٢] (عائشة) قوله: (حسبك من صفية) أي: من معايبها.

وقوله: (تعني قصيرة) أي: تكني عائشة بقولها: كذا وكذا أنها قصيرة، وليست في الحسن والاعتدال كما ينبغي.

وقوله: (لو مزج بها البحر) من باب القلب مبالغة، وقيل: على ظاهره؛ لأن كلاً من الممتزجين يمتزج بالآخر، وقد يروى: (لو مزجت بالبحر).

وقوله: (لمزجته) أي: غيرته، فكيف لا تغير أعمال البر، وهذه غاية زجر وتأديب من النبي الأمين ﷺ في اغتيابها صفية مع غاية محبته إياها، وكان قد يقع بينها وبين صفية شيء من آثار الغيرة، روي أن عائشة قالت لصفية يوماً: يهودية، فشكت صفية إليه ﷺ فقال: (قولي: أنا بنت النبي وأنت بنت أبي بكر)، وكانت صفية من أولاد

وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٦/ ١٨٩، ت: ٢٥٠٢، د: ٤٨٧٥].

٤٨٥٤ ـ [٤٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ١٩٧٤].

٤٨٥٥ ـ [٤٤] وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» يَعْنِي مِنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ، لِأَنَّ خَالِداً لَمْ يُدْرِكْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ. [ت: ٢٥٠٥].

٤٨٥٦ ـ [٤٥] وَعَنْ وَاثِلَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيْكَ فَيَرْحَمُهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيْبٌ.

هارون عليه السلام.

٤٨٥٤ ـ [٤٣] (أنس) قوله: (إلا شانه) أي: عابه، شانه يشينه ضد زانه يزينه، والحياء قريب التضاد من الفحش.

٤٨٥٥ ـ [٤٤] (خالد) قوله: (يعني من ذنب قد تاب منه) قيل: هذ التفسير منقول عن الإمام أحمد.

٤٨٥٦ ـ [٤٥] (واثلة) قوله: (لا تظهر الشماتة) شمت كفرح شماتاً وشماتة: فرح ببلية العدو.

وقوله: (فيرحمه الله ويبتليك) بالرفع والنصب.

٤٨٥٧ ـ [٤٦] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ أَحَداً وَأَنَّ لِيْ كَذَا وَكَذَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ: [٢٥٠٣].

٤٨٥٨ ـ [٤٧] وَعَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ عَقَلَهَا، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَتَى رَاحِلَتَهُ فَأَطْلَقَهَا، ثُمَّ رَكِبَ ثُمَّ نَادَى: اللهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّداً، وَلاَ تُشْرِكْ فِي رَحْمَتِنَا أَحَداً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَقُولُونَ هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيرُهُ؟ أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى مَا قَالَ؟» قَالُوا: بَلَى؟ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٨٥].

وَذُكِرَ حَدِيْثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً» فِي (بَابِ الاِعْتِصَامِ) فِي (الْفَصْلِ الأَوَّلِ).

٤٨٥٧ ـ [٤٦] (عائشة) قوله: (أني حكيت أحداً) في (القاموس)[1]: حكيته أحكيه، وفلاناً، وحاكيته: شابهته، وفعلت فعله وقوله سواء، وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة؛ بأن يمشي متعارجاً أو مطأطئاً رأسه، وغير ذلك من الهيئات المضحكة تقليداً له.

٤٨٥٨ ـ [٤٧] (جندب) قوله: (ألم تسمعوا إلى ما قال) إشارة إلى قوله: (ولا تشرك في رحمتنا أحداً) نسب إليه الضلالة، والمراد به الجهل، لأنه ضيق رحمة الله الواسعة، فالحجر في الدعاء ممنوع، بل ينبغي أن يشرك في دعائه المؤمنين كما هو المأثور، هذا ما قالوا، وأيضاً في تشريكه نفسه معه ﷺ في الرحمة الخاصة المخصوصة به ﷺ سوء أدب لا يخفى.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٣).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٨٥٩ ـ [٤٨] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ غَضِبَ الرَّبُّ تَعَالَى وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٤٥٤٤].

٤٨٦٠ ـ [٤٩] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلاَلِ كُلِّهَا إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ٢٥٢].

٤٨٦١ ـ [٥٠] وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ. [شعب: ٤٤٦٩].

الفصل الثالث

٤٨٥٩ ـ [٤٨] (أنس) قوله: (واهتزَّ له العرش) يحتمل أن يكون على ظاهره، ويحتمل أن يكون كناية عن وقوع هذا الأمر العظيم، وقد ورد: اهتزاز العرش بموت سعد بن معاذ على القول بأن ذلك لمصيبته، وظاهر الحديث مطلق في التحذير عن مدح الفاسق، وقيل: هذا إذا مدح على وجه عام، ولو مدح بوجه خاص فيه كالسخاوة والتواضع فجائز.

٤٨٦٠، ٤٨٦١ ـ [٤٩، ٥٠] (أبو أمامة) قوله: (إلا الخيانة والكذب) إما أن يكون المراد اجتماعهما، والإشكال باق بعد؛ إذ ربما يكون المؤمن اجتمعتا فيه، أو المراد المبالغة في نفي هاتين الصفتين عن المؤمن، والأظهر أن الغرض الأصلي النهي عنهما، أي: لا ينبغي أن يتصف المؤمن بهما ويجتهد في إزالتهما؛ لأنه محل الصدق وحامل أمانة الله.

٤٨٦٢ ـ [٥١] وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَاناً؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقيل لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلاً؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقِيلَ لَهُ[1]: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّاباً؟ قَالَ: «لاَ». رَوَاهُ مَالِكٌ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» مُرْسَلاً. [ط: ٢/ ١٩، شعب: ٤٤٧٢].

٤٨٦٣ ـ [٥٢] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلاً أَعْرِفُ وَجْهَهُ وَلاَ أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [مق: ١/ ١٢].

٤٨٦٢ ـ [٥١] (صفوان) قوله: (قال: لا) مبالغة في نفي الكذب عن المؤمن مع ما في صيغة الكذاب من المبالغة.

٤٨٦٣ ـ [٥٢] (ابن مسعود) قوله: (إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل) ظاهر سياق الحديث يدل على أن المراد شيطان الجن، فيدل على أن الشيطان يقدر على الكذب على النبي ﷺ في الحديث إن كان المراد بالحديث الحديث النبوي، وإن لم يقدر على التمثل بصورته الكريمة، وبينهما فرق؛ لأن الكذب فعل اختياري يتعلق بكل ما يشاء، ولا يلزم نقص بالنسبة إليه ﷺ، بخلاف التمثل بالصورة؛ فإنه تحقق بحقيقته ﷺ وتصرف فيها، وهو يستلزم النقص.

وهذا نظير ما قالوا: إن النبي ﷺ لو أحيا ميتاً بإعجازه فكذبه لم يضر ذلك بصدقه؛ لأنه فاعل مختار مثل سائر الكفار، وقد ظهرت المعجزة الدالة على صدقه، بخلاف

---

(١) «له» سقط في نسخة.

٤٨٦٤ ـ [٥٣] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ فَوَجَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ مُحْتَبِياً بِكِسَاءٍ أَسْوَدَ وَحْدَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ[1] مَا هَذِهِ الْوَحْدَةُ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، ....

ما [لو] أنطق جماداً بالمعجزة فتكلم بتكذيبه فإنه يضر، فافهم.

والأولى أن يراد أحاديث الناس لا حديث النبي ﷺ، ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون المراد شيطان الإنس يجيء في صورة رجل صالح ثقة فيحدث بالكذب، هذا ما يخطر ببالي في شرح الحديث، ولا أدري ما قال الشراح فيه، والظاهر أن النووي قد تكلم في (شرح مسلم) فيه، وليس الكتاب حاضراً حتى يعلم ما قال، والله أعلم.

وبالجملة المقصود من الحديث التنبيه على الاحتياط والتحري في سماع الحديث وتحمله بمعرفة حال راويه والوثوق بصدقه، حتى لا يحدث بكل ما سمع من كل من سمع منه، ولا يدخل تحت قوله: (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع)، ثم إن المؤلف لم يورد الحديث مرفوعاً إلا أنه حكم لا يعرف إلا بسماع من النبي ﷺ إن كان المراد شيطان الجن، فيكون في حكم المرفوع كما تقرر في محله.

٤٨٦٤ ـ [٥٣] (عمران) قوله: **(عمران بن حِطّان)** بحاء مهملة مكسورة وبطاء مهملة مشددة آخره نون.

وقوله: **(والجليس الصالح خير من الوحدة)** يعني أنه لم يكن في ذلك من أصحابه الخلص الذين يعتمد على خيريتهم حاضراً في المجلس، وقد كان يجالسهم

---

(١) في نسخة: «يا با ذر».

وَإِمْلاَءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِملاءِ الشَّرِّ».

٤٨٦٥ ـ [٥٤] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَقَامُ الرَّجُلِ بِالصَّمْتِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً».

٤٨٦٦ ـ [٥٥] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهُ أَزْيَنُ لأَمْرِكَ كُلِّهِ»، قُلْتُ: زِدْنِي، ....

في وقت آخر، فلا يقال: إنه كيف يقول هذا في زمانه مع كثرة وجود الصحابة وقد أصابه ﷺ من بعض بني أمية في زمن عثمان ﷺ ما أوحشه ونفره من الصحبة، فخرج من المدينة، وأخذ منزلاً خارجه وتوفي هناك، كما جاء في الأخبار، والله أعلم.

وقوله: (**وإملاء الخير**) أي: إلقاؤه والتحديث به من أمليت الكتاب وأمللته.

٤٨٦٥ ـ [٥٤] (**عمران بن حصين**) قوله: (**مقام الرجل بالصمت**) أي: مرتبته ومنزلته (**أفضل من عبادة ستين سنة**) أي: قد يكون كذلك؛ بأن يكون في الصمت مشغولاً بالفكر ومستغرقاً في الذكر الخفي، وتخصيص عدد الستين موكول إلى علم الشارع، وقد يروى: (من عبادة سنتين).

٤٨٦٦ ـ [٥٥] (**أبو ذر**) قوله: (**أوصيك**) في (القاموس)[1]: أوصاه ووصّاه توصية: عهد إليه.

وقوله: (**قلت: زدني**) أي: في الإيضاح والبيان بذكر بعض تفاصيل التقوى، وإلا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٣٢).

قَالَ: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ ﷻ، فَإِنَّـهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَنُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ»، قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ؛ . . . .

فالكل مندرج في التقوى، ولو أريد الزيادة في الإيصاء بأن يكرره وإن كان الموصى به راجعاً إلى أمر واحد فلا إشكال، وفي الكرات الأخر يصح إرادة الزيادة في الإيصاء وفي الموصى به.

وقوله: (**وذكر الله**) في (القاموس)[1]: الذكر ضد النسيان، وهو فعل القلب أصالة، ونفي تسميته ذكراً كما وقع في كلام بعض الفقهاء مكابرة صريحة.

نعم ما يترتب على فعل اللسان من الثواب ومما يتعلق بلفظه لا يكون إلا بالذكر اللساني، وكل فعل خير يقصد فيه التقرب إلى الله فهو ذكر، فلو حمل على هذا المعنى لكان تعميماً بعد تخصيص، وقد جاء في الحديث: (أفضل الذكر لا إله إلا الله)، وإن حمل على هذا المعنى بناء على أن المطلق ينصرف إلى الكامل يكون من قبيل عطف الخبر على الكل لزيادة شرفه وعظمته.

وقوله: (**فإنه**) أي: الذكر، أو كل واحد من القرآن والذكر (**ذكر لك في السماء**) يذكرك الملائكة بالدعاء والاستغفار، ويذكرك الله سبحانه تعالى في الملأ الأعلى إن ذكرته في ملأ، وفي نفسه إن ذكرته في نفسك كما جاء في الحديث.

وقوله: (**ونور لك في الأرض**) أي: في هذا العالم السفلي بظهور نور المعرفة واليقين والاهتداء وهداية الناس.

وقوله: (**عليك بطول الصمت**) أي: مع التفكر في آلاء الله.

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٦٩٤).

فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ»، قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحْكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ»، قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا»، قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «لاَ تَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ»، قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: «لِيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ».

٤٨٦٧ - [٥٦] وَعَنْ أَنَسٍ عَنْ[١] رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ[٢] أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، ....

وقوله: (**فإنه مطردة**) فإنه إذا ذكر الله خنس الشيطان، وأيضاً أنه يمنع عن الوقوع فيما لا يعني وفيما يضر في الدين من الكلام.

وقوله: (**وعون لك على أمر دينك**) وهو السلامة عن آفات اللسان، وتنور القلب بنور الذكر الخفي، وحصول المعارف الإلهية.

وقوله: (**فإنه**) أي: الضحك الكثير (**يميت القلب**) بسبب طريان ظلمة الغفلة والقساوة وانطفاء نور العلم والمعرفة، وفيه حياة القلب.

وقوله: (**ويذهب بنور الوجه**) وهو لمعان نور القلب من سيماء الوجه، ولا بد إذا مات القلب أظلم الوجه، فإن وضاءة الوجه ونضارة الجسد بالحياة حسًّا ومعنًى.

وقوله: (**ما تعلم من نفسك**) أي: من العيوب، إشارة إلى أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومع ذلك لا يرى عيوب الناس ولا يزكي نفسه، وينبغي أن يرى نفسه أصغر وأحقر وأنقص من الكل، فافهم.

٤٨٦٧ - [٥٦] (**أنس**) قوله: (**هما أخف على الظهر**) حملهما والعمل بهما،

---

(١) في نسخة: «أنّ».

(٢) في نسخة: «يا با ذر».

وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «طُولُ الصَّمْتِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا».

٤٨٦٨ ـ [٥٧] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَعَّانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟ كَلَّا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، فَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: لَا أَعُودُ. رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الْخَمْسَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٣٩٢٦، ٤٦٣٩، ٤٥٩٢، ٤٥٩١، ٤٧٩١].

٤٨٦٩ ـ [٥٨] وَعَنْ أَسْلَمَ قَالَ: إِنَّ عُمَرَ دَخَلَ يَوْماً عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَهْ غَفَرَ اللهُ لَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ. رَوَاهُ مَالِكٌ. [ط: ٢/ ٩٨٨].

ولما كان الظهر له دخل في الحمل كنى به عن العمل.

وقوله: (ما عمل الخلائق بمثلهما) الباء زائدة؛ فإن قلت: حسن الخلق ليس بعمل؟ قلت: المراد تحسينه، والمعاملة مع الناس على الوجه الحسن.

٤٨٦٨ ـ [٥٧] (عائشة) قوله: (لعانين وصدّيقين) أي: هل رأيت جامعين بين الصديقية واللعن؟ المؤمن لا يكون لعاناً، خصوصاً الصديق.

٤٨٦٩ ـ [٥٨] (أسلم) قوله: (وهو يجبذ) أي: يجذب لسانه، ولعل مقصوده رضي الله عنه إظهار الزجر والقهر على اللسان، وإلا كيف يمكن إخراجه؟ وكيف يجوز ذلك شرعاً؟ والجبذ: الجذب.

قال في (القاموس)[1]: وليست مقلوبة بل لغة صحيحة، ووهم الجوهري وغيره.

---

(١) «القاموس» (ص: ٣١٣).

٤٨٧٠ ـ [٥٩] وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».

٤٨٧١، ٤٨٧٢ ـ [٦١، ٦٢] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ وَأَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، وَالْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ....

وقال الطيبي[1]: الجبذ لغة في الجذب، وقيل: مقلوب منه.

٤٨٧٠ ـ [٥٩] (عبادة بن الصامت) قوله: (أضمن لكم الجنة) مبالغة وتأكيد في الوعد، وقد سبق، ووعد الله سبحانه بدخول المؤمنين الجنة خصوصاً الجامعين لهذه الصفات، ووعد الله لا يُخلف.

٤٨٧١، ٤٨٧٢ ـ [٦٠، ٦١] (عبد الرحمن) قوله: (غنم) بفتح المعجمة وسكون النون.

وقوله: (إذا رؤوا ذكر الله) لظهور سيماء العبادة في وجوههم، وتذكير حالهم ومشاهدتها نعم الله وألطافه التي أفاض عليهم وخصهم بها، أو المراد أن رؤيتهم كذكر الله تعالى، والنظر إليهم عبادة.

وقوله: (الباغون) أي: الطالبون، و(البراء) مفعول أوّل، جمع بريء كعجيب وعجاب، ويستوي فيه الواحد والمجموع، وقد يجمع على برآء على وزن فقهاء، وهذا

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٢٣).

الْعَنَتَ». رَوَاهُمَا أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٤/ ٢٢٧، شعب: ٦٢٨٢].

٤٨٧٣ ـ [٦٢] وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلَيْنِ صَلَّيَا صَلَاةَ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ وَكَانَا صَائِمَيْنِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: «أَعِيدُوا وُضُوءَكُمَا وَصَلَاتَكُمَا، وامْضِيَا فِي صَومِكُمَا، وَاقْضِيَا يَوْماً آخَرَ»، قَالاَ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «اِغْتَبْتُمْ فُلَاناً».

أنسب بالمقام، لكن المصحح في النسخ على وزن عجاب، و(العنت) بفتحتين: الفساد، والإثم، والهلاك، ودخول المشقة على الإنسان، كذا في (القاموس)[1]، وهو مفعول ثان.

٤٨٧٣ ـ [٦٢] (ابن عباس) قوله: (أعيدوا وضوءكما) هكذا وجدنا في النسخ، والظاهر (أعيدا) بالتثنية كما في قرينته، وقد وقع لفظ الجمع في قوله: (اغتبتم) فعلم منه أن يصح في الاثنين إيراد صيغة الجمع والتثنية.

وظاهر الحديث يدل على أن الغيبة تنقض الوضوء وتفسد الصوم، وقالوا: هو وارد على سبيل التغليظ والتشديد، ولم يذهب إليه أحد من العلماء، وقال في (إحياء العلوم)[2]: إن الغيبة مفسدة للصوم على مذهب سفيان الثوري، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: لو فسد الصوم بالغيبة أيّنا يتم له الصوم، وقد يستأنس بقوله: (امضيا في صومكما) أنه لا يفسد، والقضاء للاحتياط، نعم قد يمضي في الصوم مع عدم صحته، كما في المرأة حاضت في نهار رمضان تمسك يومها.

---

(١) «القاموس» (ص: ١٥٧).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٣٤).

٤٨٧٤، ٤٨٧٥ ـ [٦٣، ٦٤] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَجَابِرٍ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَكَيْفَ الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَزْنِي فَيَتُوبُ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: «فَيَتُوبُ فَيَغْفِرُ اللهُ لَهُ» ـ وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لاَ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَهَا لَهُ صَاحِبُهُ».

٤٨٧٦ ـ [٦٥] وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ قَالَ: «صَاحِبُ الزِّنَا يَتُوبُ، وَصَاحِبُ الْغِيبَةِ لَيْسَ لَهُ تَوْبَةٌ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الثَّلاَثَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ».

[شعب: ٦٣٠٣، ٦٣١٥، ٦٣١٦].

٤٨٧٧ ـ [٦٦] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ كَفَّارَةِ الْغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ، تَقُولُ: ....

٤٨٧٤، ٤٨٧٥، ٤٨٧٦ ـ [٦٣، ٦٤، ٦٥] (أبو سعيد، وجابر، وأنس) قوله: (صاحب الغيبة ليس له توبة) بالمعنى المذكور في الرواية الأولى، أو المراد أنه لا يبالي بها فلا يتوب، بل ربما يقع في ورطة الاستخفاف والاستحلال فيكون أمرها أشد، فعلم من هذا أن المراد بقوله ﷺ: (الغيبة أشد من الزنا) أي: من بعض الوجوه، لا أن إثمه أشد من إثم الزنا، والله أعلم.

٤٨٧٧ ـ [٦٦] (أنس) قوله: (يقول: اللهم اغفر لنا وله) بتقديم الاستغفار لنفسه كما هو المعهود في الاستغفار، والأصل في كفارة الغيبة أن يستحل من المغتاب إن أمكن، والأولى أن لا يعين الغيبة؛ لما في التعيين من تجديد الإيذاء، وإلا ندم واستغفر، والاستغفار للمغتاب أيضاً كفارة، فعلم منه معنى (من) التبعيضية في قوله: (إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته).

اللهُمَّ اغْفِرْ لنَا وَلَـهُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّعَوَاتِ الْكَبِـيرِ» وَقَـالَ: فِي هَذَا الْإِسْنَادِ ضَعْفٌ. [الدعوات الكبير: ٥٧٥].



١١ ـ بابُ الوعد

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٨٧٨ ـ [١] عَنْ جَابِـرٍ قَـالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَاء أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ الْعَلاَءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ....

---

١١ ـ باب الوعد

فـي (القاموس)[١]: وعده الأمر وبـه يعد عدة ووعداً وموعداً وموعدة، وخيراً وشراً؛ فإذا أسقطا قيل في الخير: وعد، وفي الشر: أوعد، والميعاد: وقته وموضعه، والاتعاد: قبول العدة.

وفي (الصحاح)[٢]: يقـال: وعدته خيراً وشرًا؛ فـإذا أسقطوا قالوا في الخير: الوَعْدُ والعِدَةُ، وفي الشر: الإيعادُ والوَعيدُ، والهاء في (العدة) بدل من الواو.

الفصل الأول

٤٨٧٨ ـ [١] (أنـس) قولـه: (مـن قبـل العلاء بـن الحضرمـي) وكـان عامـل النبي ﷺ.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٨).

(٢) «الصحاح في اللغة» (٢/ ٢٨٥).

مَنْ كَانَ لَـهُ عَلَى النَّبِـيِّ ﷺ دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَـهُ قِبَلَهُ عِدَةٌ فَلْيَأْتِنَا، قَـالَ جَابِـرٌ: فَقُلْتُ: وَعَدَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطِيَنِي هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، فَبَسَطَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَـالَ جَابِـرٌ: فَحَثَا لِي حَثْيَـةً، فَعَدَدْتُهَا فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مِئَةٍ، وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٢٩٦، م: ٣٣١٤].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٨٧٩ ـ [٢] عَنْ أَبِـي جُحَيْفَةَ قَالَ: ....

وقوله: (**من كان له على النبي ﷺ دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا**)، وهذا كان قول أبـي بكر ﷺ فيما ترك النبي ﷺ مـن مال: إنـه ليس له ميراث، وأنا خليفته أنفق حيـث كان ينفقها من عياله، وفـي دينه ووعده ﷺ، وسائـر أمور المسلمين التـي كان ينفق فيها النبي ﷺ، ومن جملتها الفدك وأموال بني النضير وغيرهما.

وقوله: (**هكذا وهكذا وهكذا**) أشار إلى الحثيات الثلاثة من يديه.

وقولـه: (**فحثا لي**) يعنـي أبو بكر (**حثية**) أي: ملأ كفه مـن الدراهم، والحثي كالرمـي: ما رفعت به يدك، ومنه حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه حثواً وحثياً، ومنه: (احثـوا التراب في وجوه المداحين)، وقد يجيء بمعنى إعطاء شيء قليل، ولما كان وعده النبي ﷺ أن يعطيه ثلاث حثيات حثا أبو بكر ﷺ حثية واحدة وعدّها؛ فإذا هي خمس مئة، قال: خذ مثليها، يعني ألفاً، فيكون ثلاث حثيات.

الفصل الثاني

٤٨٧٩ ـ [٢] (**أبو جحيفة**) قوله: (**وعن أبي جحيفة**) بتقديم الجيم المضمومة علـى الحاء المهملة المفتوحـة، كان مـن صغار الصحابة، وتوفي رسول الله ﷺ وأبو جحيفة لم يبلغ الحلم.

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْيَضَ قَدْ شَابَ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشْبِهُهُ، وَأَمَرَ لَنَا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ قَلُوصاً، فَذَهَبْنَا نَقْبِضُهَا، فَأَتَانَا مَوْتُهُ فَلَمْ يُعْطُونَا شَيْئاً. فَلَمَّا قَامَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِدَةٌ فَلْيَجِئْ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَمَرَ لَنَا بِهَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٨٢٦].

٤٨٨٠ ـ [٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي الحَسْمَاءِ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ. .

وقوله: (**رأيت رسول الله ﷺ أبيض اللون قد شاب**) أي: ظهر في شعره شيب.

وقوله: (**وكان الحسن بن علي يشبهه**) إنما هو لأجل أن صحبته كانت خفية على الناس، فقال هذا إثباتاً لها.

وقوله: (**بثلاثة عشر قلوصاً**) القلوص بفتح القاف من الإبل: الشابة، أو الباقية على السير، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تُثْنِي، ثم هي ناقة، والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث، وجمعه قلائص وقُلُص.

وقوله: (**فأتانا موته**) أي: خبر موته.

وقوله: (**فلما قام**) أي: خطب[1]، أو قام بأمر الخلافة.

٤٨٨٠ ـ [٣] (**عبدالله بن أبي الحسماء**) قوله: (**أبي الحسماء**) هكذا في نسخ (المشكاة) و(المصابيح) بتقديم السين على الميم، قالوا: هو سهو، والصواب الحمساء بتقديم الميم على السين.

وقوله: (**بايعت**) أي: اشتريت منه شيئاً، وكان رسول الله ﷺ يبيع ويشتري قبل البعثة، وأما بعد البعثة كان الشراء غالباً على البيع، ولم يحفظ البيع بعد الهجرة إلا

---

(١) كذا في الأصل، وفي «المرقاة» (٧/ ٣٠٥٨): «أي: خطيباً».

قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ، فَذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاَثٍ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلاَثٍ أَنْتَظِرُكَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٩٦].

٤٨٨١ - [٤] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَعَدَ الرَّجُلُ أَخَاهُ وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ لَهُ، فَلَمْ يَفِ وَلَمْ يَجِئْ لِلْمِيعَادِ، فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. [د: ٤٩٩٥، ت: ٢٦٣٣].

في ثلاث صور، كذا في (سفر السعادة)[1].

وقوله: (وبقيت له بقية) أي: من ثمن ذلك المبيع عندي.

وقوله: (في مكانه) الضمير للنبي ﷺ أو للبيع.

وقوله: (فإذا هو) أي: النبي ﷺ ثابت في مكانه ينتظر في ذلك المكان وفاءً بما وعد من لزوم المكان حتى أجيئه، وقد ينقل مثل ذلك من إسماعيل عليه السلام، ذكروه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، وقد يحكى عن سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر: أنه وعده رجل فانتظره سنة، ثم جاء الرجل ووعده ثانياً فغاب سنة، هكذا إلى ثلاث مرات، وكان ذلك الرجل الخضر جاء ليختبره، ففتح عليه فتحاً عظيماً.

وقوله: (لقد شققت علي) في (القاموس)[2]: شق عليه: أوقعه في المشقة.

٤٨٨١ - [٤] (زيد بن أرقم) قوله: (فلا إثم عليه) قيل: فيه دليل على أن الوفاء

---

(١) «سفر السعادة» (ص: ٢٧٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٢٧).

٤٨٨٢ ـ [٥] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْماً وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيْهِ[1]؟» قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْراً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيْـهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [د: ٤٩٩١، شعب: ٤٤٨٢].

بالوعد ليس بواجب شرعي، بل هو من مكارم الأخلاق بعد أن كانت نيته الوفاء، وأما جعل الخلف في الوعد من علامات النفاق كما مر في أول الكتاب، فمعناه الوعد على نيـة الخلف، وقيل: الخلف فـي الوعد مـن غير مانع حرام، وهـو المراد هنا، وكان الوفاء بالوعد مأموراً به في الشرائع السابقة أيضاً.

٤٨٨٢ ـ [٥] (عبـدالله بـن عامر) قوله: (ها تعالَ أعطك): (ها) حرف تنبيه، و(تعال) اسم فعـل بمعنى جـئ، و(أعطك) جواب الأمر مجزوم بحـذف الياء، وقد يروى بإثبات الياء على الاستئناف.

وقولـه: (كتبت عليك كذبة) فيـه أن ما يتفوّه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذباً بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب.

وأمـا قوله ﷺ: (لو لم تعطيـه شيئاً) مع أنها أرادت أن تعطيه تمراً، فالظاهر أن يقال: لو لم تعطيه تمراً نظراً إلى ظاهر الإطلاق في قوله: أعطيك؛ لأن قولها: (أردت أن أعطيه تمراً) كان عذراً محضاً عن سؤاله ﷺ: (ما أردت أن تعطيه؟)، والظاهر أنها أرادت تسلية الولد هزلاً من غير إرادة إعطاء شيء معين كما هو العادة، والله أعلم.

وقوله: (أن تعطيه) بجزم الياء أصله: تعطينه.

---

(١) بسكون الياء؛ لأنه صيغة المخاطبة، وعلامة نصبها حذف النون.

* **الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٤٨٨٣ ـ [٦] عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ وَعَدَ رَجُلاً فَلَمْ يَأْتِ أَحَدُهُمَا إِلَى وَقْتِ الصَّلاَةِ وَذَهَبَ الَّذِي جَاءَ لِيُصَلِّيَ، فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ». رَوَاهُ رَزِينٌ.



١٢ ـ باب المزاح

الفصل الثالث

٤٨٨٣ ـ [٦] (زيد بن أرقم) قوله: (من وعد رجلاً فلم يأت أحدهما إلى وقت الصلاة وذهب الذي جاء ليصلي، فلا إثم عليه) صورته تواعد رجلان بحضورهما واجتماعهما في مكان مثلاً، فجاء أحدهما ولم يجئ الآخر، فانتظر الذي جاء للذي لم يجئ إلى وقت الصلاة، ثم ذهب إلى الصلاة، ثم جاء الآخر ولم يجده، لا يكون هذا خلفاً في الوعد؛ لأن الذهاب للصلاة ضروري وعذر صحيح.

نعم ينبغي له أن ينتظر إلى وقت الصلاة؛ فإن لم ينتظر إلى هذا الوقت يكون خلفاً، اللهم إلا أن يعترض مانع آخر، فذلك شيء آخر، وبدونه وجب التوقف إلى وقت الصلاة، فافهم.

١٢ ـ باب المزاح

في (القاموس)[1]: مزح كمنع، [يمزح] مزحاً ومُزاحاً ومُزاحة بضمهما، وهما

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٣٣).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٨٨٤ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: إِنْ كَـانَ النَّبِـيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» كَانَ لَهُ[١] نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٢٩، م: ٢١٥٠].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٨٨٥ ـ [٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، . .

اسمان: دعب، ومازحه ممازحة ومِزاحاً، وفي (الصراح)[٢]: مزح: لاغ كردن، من باب فتح يفتح، والاسم المزاح بالضم، وبالكسر المصدر.

الفصل الأول

٤٨٨٤ ـ [١] (أنس) قوله: (ما فعل النغير؟) بالغين المعجمة على لفظ التصغير، وواحـده نغرة كهمزة، وفـي الحديث جواز تصغير الأسماء، وتكنية الصغار، ورعاية السجع فـي الكلام، وإباحة لعـب الصبي بالطيور إذا لـم يعذبه، وإباحة صيد المدينة كما هـو مذهب الحنفية من أن المدينة ليس بحرم، وإنما سمي حرماً بمعنى الاحترام والتعظيم، لا حرمة الصيد والكلأ ولزوم الجزاء، لكن الدلالة على الأخير محل خفاء، فلعله صيد من خارج المدينة وحد حرمها، والله أعلم.

الفصل الثاني

٤٨٨٥ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (إنك تداعبنا) وفي نسخة: (لتداعبنا)، دعب

---

(١) في نسخة: «وله نغير».

(٢) «الصراح» (ص: ١١٠).

قَالَ: «إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ١٩٩٠].

٤٨٨٦ ـ [٣] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ؟» فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ١٩٩١، د: ٤٩٩٨].

٤٨٨٧ ـ [٤] وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا ذَا الأُذُنَيْنِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. [د: ٥٠٠٢، ت: ١٩٩٢].

كمنع: مزح، وداعبه: مازحه، والدعابة بالضم: اللعب، رجل دعّابة مشدداً، ودعب ككتف، وداعب: لاعب، كذا في (القاموس)[1].

قوله: (لا أقول إلا حقًّا) وإن كان في صورة الباطل عند من لا يفهم حقيقة المقصود، وبهذا يحصل الطيبة والمزاح، وهذا هو الضابط في هذا الباب، ومع ذلك ينبغي أن لا يكون فيه إيذاء للصاحب، ولا يعتاد ذلك؛ فإنه يذهب بالمهابة والوقار.

٤٨٨٦ ـ [٣] (أنس) قوله: (ما أصنع بولد الناقة؟) لما كان المتعارف عند العامة في بادئ الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيراً لا يصلح للركوب، وإنما يقال للصالح: الإبل، توحش الرجل على فهمه المعنى، فأشار ﷺ بأن ذلك صادق في الحقيقة.

٤٨٨٧ ـ [٤] (وعنه) قوله: (يا ذا الأذنين) كل إنسان صاحب الأذنين، ولكنه يفهم من ظاهر أداء هذه العبارة أن هذه صفة خاصة غريبة أسندت إليه لا توجد في

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩١).

٤٨٨٨ ـ [٥] وَعَنْـهُ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ لِامْرَأَةٍ عَجُوزٍ: «إِنَّهُ لاَ تَدْخُلُ الْجَنَّـةَ عَجُوزٌ»، فَقَالَتْ: وَمَا لَهُـنَّ؟ وَكَانَـتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهَـا: «أَمَا تَقْرَئِينَ الْقُرْآنَ؟ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾[الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦]». رَوَاهُ رَزِينٌ. وَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» بِلَفْظِ «الْمَصَابِـيحِ». [شرح السنة: ٣٦٠٦].

٤٨٨٩ ـ [٦] وَعَنْهُ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرَ بْنَ حَرَامٍ، وَكَانَ يُهْدِي لِلنَّبِـيِّ ﷺ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. . . . .

غيره، فيكون مزاحاً بهذا الاعتبار، وقيـل: هـذا مدح منه ﷺ لأنس ﷺ بتيقظـه في الاستماع، أو تنبيـه لـه على أنـه ينبغي أن يكون مستيقظاً؛ لأن من أعطاه الله آلتين مع كفاية واحدة منها في أصل الغرض ينبغي أن يكون كذلك.

٤٨٨٨ ـ [٥] (وعنه) قوله: (لامرأة عجوز) في (القاموس)[1]: العجوز: الشيخ والشيخة، ولا تقـول: عجوزة، أو هي لغة رديئة، والجمع العجائز والعجز، وقيل: العجوز هنا هي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ أمّ الزبير بن العوام، والله أعلم.

وقوله: (بلفظ «المصابيح») وهو روي أنه ﷺ قال لعجوز: (إن الجنة لا تدخلها العجز)، فولّـت تبكي، قـال: (أخبروها بأنهـا لا تدخلها وهـي عجوز، إن الله تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾[الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦]).

٤٨٨٩ ـ [٦] (وعنـه) قوله: (يهدي من البادية) أي: بما يوجد فيها من الثمار والنباتات والبقول.

وقولـه: (فيجهزه رسول الله ﷺ): أي: يعدّ ما يحتاج إليه في البادية من أمتعة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٧٨).

إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ زَاهِراً بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ دَمِيماً، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ يَوْماً وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لاَ يُبْصِرُهُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجعل لاَ يَأْلُواْ مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ. ....

البلدان، وتجهيز الغازي تحميله، وإعداد ما يحتاج إليه في غزوه، ومنه تجهيز الميت والعروس، قال الكرماني[1]: الجهاز بفتح جيم وكسرها: ما يحتاج إليه في السفر، وفي (القاموس)[2]: جهاز الميت والعروس والمسافر بالكسر، والفتح: ما يحتاجون إليه.

وقوله: **(إن زاهراً باديتنا)** أي: ساكن في باديتنا، وفي بعض النسخ: (بادينا)، والبادي: المقيم بالبادية، وهو أظهر من الأول، كذا في (شرح الشمائل).

وقوله: **(ونحن حاضروه)** الحاضر المقيم في المدن، من الحضر مقابل السفر، والمعنى: إنا نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته من أنواع النباتات، ونحن نعدّ له ما يحتاج إليه من البلد، و**(الدميم)** بالدال المهملة، أي: قبيح الوجه، الدمامة بالفتح: القصر والقبح.

وقوله: **(فاحتضنه)** أي: أخذه في حضنه، والحضن بالكسر: ما دون الإبط إلى الكشح، أو الصدرُ، والعضدان وما بينهما، كذا في (القاموس)[3].

وقوله: **(فجعل)** أي: طفق **(لا يألو ما ألزق)** (ما) مصدرية.

---

(١) «شرح الكرماني» (١٥/ ١١٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٧٠).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٧).

بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِذاً وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِداً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٦٠٤].

٤٨٩٠ ـ [٧] وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ عَلَيَّ وَقَالَ: «ادْخُلْ»، فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كُلُّكَ» فَدَخَلْتُ، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ: إِنَّمَا قَالَ: أَدْخُلُ كُلِّي مِنْ صِغَرِ الْقُبَّةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٠٠٠].

٤٨٩١ ـ [٨] وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِياً، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا. . . . .

وقوله: (كاسداً) في (القاموس)[1]: كسد كنصر وكرم، كساداً وكسوداً: لم ينفق، فهو كاسد وكسيد، والكسيد: الدون.

٤٨٩٠ ـ [٧] **(عوف)** قوله: **(فقلت أكلي)** أي: التقدير أدخل كلي، فهو مرفوع، وعلى هذا قوله: (كلك) أيضاً مرفوع، أي: يدخل كلك، أو تقديره: أدخل من الإفعال فهو منصوب.

وقوله: **(كلك)** أيضاً منصوب، أي: أدخل كلك، كذا قال بعض الشارحين، وفيه أنه كما كان رسول الله ﷺ يمازح الصحابة كذلك كانوا يمازحونه.

٤٨٩١ ـ [٨] **(النعمان)** قوله: **(ليلطمها)** اللطم: ضرب الخد بالكف، وهو منهي عنه، ولعل هذا كان قبل النهي، أو وقع ذلك من أبي بكر لغلبة الغضب، وهو ﷺ

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٨).

وَقَالَ: لاَ أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجُزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَباً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: «كَيْفَ رَأَيْتِنِي؟ أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ»، قَالَ[1]: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّاماً، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فَوَجَدَهُمَا قَدِ اصْطَلَحَا[2]، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلاَنِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٩٩].

٤٨٩٢ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تُمَارِ أَخَاكَ، وَلاَ تُمَازِحْهُ، ....

أراد ولم يلطم، وفي (القاموس)[3]: اللطم: ضرب الخد أو صفحة الخدّ بالكف، فارتفع الإشكال.

وقوله: (مغضباً) بفتح الضاد؛ أي: أغضبته عائشة برفع صوتها على النبي ﷺ.

وقوله: (كيف رأيتني؟ أنقذتك من الرجل) لعل معنى المزاح في المطايبة في هذا، ولهذا عبر عن أبي بكر بالرجل، فهو ﷺ أبعده عنها تطييباً وممازحة، ولم يقل: عن أبيك، أو عدم التعبير بالأب؛ لأن ظاهر عنوان الأبوة ينافي الضرب.

وقال الطيبي[4]: المراد الرجل الكامل في الرجولية؛ لأنه غضب لله ولرسوله.

٤٨٩٢ ـ [٩] (ابن عباس) قوله: (ولا تمازحه) أي: بما يؤذيه.

---

(١) في نسخة: «قالت».

(٢) في نسخة: «اضطجعا».

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٧).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ١٣٢).

وَلاَ تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ١٩٩٥].

❖ ❖ ❖



وقولـه: (ولا تعده موعداً) الظاهر أن المصدر للتأكيد، وحمله على النوع كما فعله الطيبي[1] تكلف.

١٣ ـ باب المفاخرة والعصبية

في (القاموس)[2]: الفخر والفَخار والفَخارة بفتحهما: التمدح بالخصال كالافتخار، فخر كمنع فهو فاخر وفَخور، وتفاخروا: فخر بعضهم على بعض، فاخره مفاخرة وفخاراً: عارضه بالفخر ففخره، كنصره: غلبه، كالافتخار، وفخره [عليه]: فَضَّله على غيره، كأفخره عليه، انتهى.

وعلم من هذا أن ليس المراد بالمفاخرة في قول المؤلف معناه، أعني المعارضة بالفخر، بل معنى الفخر، وهو التمدح بالخصال، والمفاخرة إن كان في حق ومصلحة دينية وشكر نعمة وتحديثاً بنعمة الرب تعالى ولإظهار الجلادة على أعداء الدين فهو جائز، وقد جاء عن بعض الصحابة وغيرهم من أهل الدين، وإن على وجه التكبر والنفسانية فهي مذمومة.

والعصبية كون الرجل عصبيًّا، وهو الذي يعصب ويحامي ويغضب لعصبته،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٣٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٢٣).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٨٩٣ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ[1]: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِّي؟». . . . . . .

والعصبة: قوم الرجل الذين يتعصبون له، وغلب في الأقارب من جهة الأب، وفي الفرائض: الذي لم يكن له فريضة مسماة يأخذ من الفرض، والتعصيب: التشديد، ومنه العصب لأطناب المفاصل لشدتها، والرجل يشتد بعصبته ويتقوى بهم، والمتعصب من يأتي بالعصبية أي: الحماية لقومه والغضب لهم، ويقال لمن يجادل بشدة في مذهب لإظهاره القوة فيه، أو لأن أعصابه تنتفخ فيه، والعصبية أيضاً إن كانت بحق فهي مستحسنة كما سيجيء في الحديث: (خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم)، وإن كانت ظلماً من غير حق فهي مذمومة، وقد تعارف إطلاقها في هذا القسم الأخير كما سئل النبي ﷺ ما العصبية؟ قال: (أن تعين قومك على الظلم) كما سيأتي.

الفصل الأول

٤٨٩٣ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (سئل رسول الله ﷺ: أيّ الناس أكرم؟) الحديث، تقريره على ما ذكره الطيبي أنهم إن أرادوا السؤال عن الأكرم عند الله تعالى ذاتاً من غير اعتبار للانتساب إلى الآباء وافتخار بخصائلهم وخصائل نفسه فجوابه أنه الأتقى، فإن أريد تحقيقاً لم يكن إلا فرداً إلا واحداً، وما هو إلا رسول الله ﷺ الذي هو أكرم الأكرمين بعد الله ﷻ، وإن أريد إضافيًا يكون متعدداً، فكل من هو أتقى من

---

(١) في نسخة: «فقال».

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي. . . . .

القوم أو من فرد يكون أكرم منه، وإن أرادوا الأكرم حسباً ونسباً، والحسب ما يعده الرجل ويفتخر به من الفضائل الشريفة والخصائل الحميدة توجد فيه وفي آبائه، فأجاب ﷺ أنه يوسف عليه وعلى آبائه التحية والسلام؛ لأنه اجتمع له شرف النبوة، والعلم والجمال، والعفة وكرم الأخلاق، وكرم الآباء والعدل، ورياسة الدنيا والدين، وشرف النسب؛ لأنه نبي من نبي، رابع أربعة في النبوة، وإن أرادوا الأكرم من حيث الحسب والفضائل التي يعد ويفتخر من غير اعتبار التقوى والنسب، وهو المراد بمعادن العرب، أي: ذواتهم ورجالهم الذين يفتخرون بفضائلهم لقوله ﷺ: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة)، فسألوا أيهم أكرم؟ فأجاب بأن أكرمهم وخيارهم الذين كانوا كذلك في الجاهلية؛ لأنهم إنما كانوا رؤساءهم وكبراءهم في الجاهلية لأجل صفات عظيمة تميزوا وتفوقوا بها على غيرهم، غير أنهم كانوا مظلمين بظلمات الجهل والكفر، منغمسين في مقتضيات أهوائهم وشهواتهم، فلما آمنوا واتصفوا بالعلوم الشرعية والأخلاق الإيمانية ذهبت ظلماتهم وتبدلت صفاتهم العارضة على ذواتهم، وتولى الله تعالى أمرهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين لم يؤمن منهم تركه الله في ظلمات لا يبصرون، كالمعادن بعضها من الفضة وبعضها من الذهب وبعضها من الحديد مثلاً متميزة بأصول ذواتها، غير أنه قد يكون الذهب أو الفضة مختلطاً بالتراب والمواد الكثيفة، فيذاب وينقى عن الكدورات والكثافات فيصير خالصاً نقيًا، فافهم، وبالله التوفيق.

ثم إنه قد كتب (ابن) في (يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله) بدون الألف[1]، وليس واقعاً بين العلمين، اللهم إلا أن يقال: إن (نبي الله) هنا عبارة

---

(١) لعله وقع في نسخة الشارح رحمه الله، وأما النسخة الهندية ففيها بإثبات الألف، وكذا قال =

الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا». مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٤٦٨٩، م: ٢٣٧٨].

٤٨٩٤ ـ [٢] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسحاقَ بْنِ إِبراهيمَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٦٨٨].

٤٨٩٥ ـ [٣] وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ آخِذاً بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ ـ يَعْنِي بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ فَلَمَّا غَشِيَهُ الْمُشْرِكُونَ نزَلَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ». . .

عن العلم.

وقوله: (إذا فقهوا) بضم القاف وكسرها، من باب كرم وعلم، كذا في (القاموس)[1].

٤٨٩٤ ـ [٢] (ابن عمر) قوله: (الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم) هنا أيضاً كتب بدون الألف، وتوجيهه ما قلنا، وقال بعض الشراح: وصوابه أن يكتب بها؛ لوقوعها بين الصفات، بخلاف قوله: (يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)، وعدل[2] في إبراهيم من نبي الله إلى خليل الله لوجود صفة أخص من النبوة، وهو لقب لإبراهيم عليه السلام، فيكون علماً.

٤٨٩٥ ـ [٣] (البراء بن عازب) قوله: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)

= القاري في «المرقاة» (٧/ ٣٠٦٨): بإثبات ألف (ابن) في المواضع الثلاثة.

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٥١).

(٢) قوله: «وعدل في إبراهيم. . . علماً» الظاهر أن تكتب هذه العبارة في شرح الحديث السابق قبل قوله: «إذا فقهوا»، والله أعلم بالصواب.

قَـالَ: فَمَا رُئِـيَ مِـنَ النَّاسِ يَوْمَئِـذٍ أَشَدُّ مِنْـهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ. [خ: ٣٠٤٢، م: ١٧٧٦].

٤٨٩٦ ـ [٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»...................

الكلام فـي كونه شعراً وصدوره منـه ﷺ كالكلام في أمثاله، ثم إنه قد نوقش في كونه من باب الافتخار بأنه لم يصح صدور الافتخار من النبي ﷺ، كيف وقد نفاه في قوله: (أنا سيـد ولد آدم ولا فخر)، فنهـى الأمة عـن الافتخار بالآباء، فكيف يفتخر هو ﷺ بعبد المطلب؟ فالحق أنه إخبار منه ﷺ بأنه النبي الموعود الذي كان أهل الكتاب والكهان يخبرون بأنه سيظهر نبي من أولاد عبد المطلب، ويذكرون علامات نبوته، وأجيب بأن الافتخار في المبارزة والحرب مع الكفار جائز؛ إظهاراً للشجاعة، وإدخالاً للروع والمهابة في قلوب أعداء الدين، وأيضاً المذموم من الافتخار ما يكون على طريق الجاهلية من الافتخار بالآبـاء سمعة ورياء؛ لا ما كان علـى سبيل ذكر نعمة الله والتحديث بها كما ذكرنا، ولذا ضم مع النسب الحسب أيضاً.

٤٨٩٦ ـ [٤] (أنس) قوله: (يا خير البرية) البرية: الخلق، فإن أخذت من البرى بمعنى التراب فلا يهمز، وإن أخذت من البرء بمعنى الإنشاء والخلق فمهموز، ولكن قد تقلب الهمزة ياء وتدغم كخطيئة، قال الطيبي[١]: لم تستعمل مهموزة.

وقولـه: (ذاك إبراهيم) ذكـروا فيـه أوجهاً: الأول: أنـه قالـه تواضعاً واحتراماً لإبراهيم كالذي يقدم على نفسه من هو دونه تواضعاً، الثاني: أنه قال هذا قبل أن يوحى

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٣٧).

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٦٩].

٤٨٩٧ ـ [٥] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٤٥، م: ١٦٩١].

٤٨٩٨ ـ [٦] وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٧٦٥].

إليه بأنه سيد ولد آدم، الثالث: أن المراد خير البرية في عصره، لكن أطلق العبارة مبالغة، ولعل الأظهر والأصوب هو الوسط من الوجوه كما لا يخفى.

٤٨٩٧ ـ [٥] (عمر) قوله: **(لا تطروني كما أطرت)** من المعتل اللام دون المهموز، والإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، كذا في (النهاية)[1].

٤٨٩٨ ـ [٦] (عياض) قوله: **(وعن عياض)** بكسر العين وتخفيف الياء تحتها نقطتان وبالضاد المعجمة، **(ابن حمار)** بكسر الحاء المهملة، التميمي، **(المجاشعي)** يعدّ في البصريين، وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً، روى عنه الحسن البصري وغيره.

وقوله: **(أن تواضعوا)** التواضع: هو التوسط بين الكبر والضعة، والكبر: هو رفع النفس إلى ما هو فوق مرتبتها، والضعة: وضعها في ما دون مرتبتها، والتواضع: وقوفها في مقامها ومرتبتها، وله تفصيل مذكور في موضعه.

---

(١) «النهاية» (٣/ ١٢٣).

* **الْفَصْلُ الثَّانِي:**

٤٨٩٩ ـ [٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، . . . .

الفصل الثاني

٤٨٩٩ ـ [٧] **(أبو هريرة)** قوله: **(لينتهين أقوام . . . إلخ)**، حلف على أحد الأمرين، إما الانتهاء عما هم فيه من الافتخار، وإما الهوان والذل عند الله تعالى بتعذيبه إياهم؛ فإن كان الانتهاء لم يكن الذل، وإن لم يكن الانتهاء كان الذل، والمقصود التأكيد في طلب وجود الانتهاء.

وقوله: **(إنما هم فحم من جهنم)** أي: آباؤهم يحرقون في نار جهنم فصاروا كالفحم، والقصر من باب قصر الموصوف على الصفة إضافيًا بالنسبة إلى ثبوت الفضائل التي يثبتونها لهم، والمراد أنهم في جهنم حتماً إن كان الكلام في المشركين الذين ماتوا على الشرك، أو يحتمل أن يكونوا فيها إن كان أعم، وكذا قيد بالموت لأنه لا يعرف حقيقة الحال إلا بعد الموت.

و**(الجعل)** بضم الجيم وفتح العين: دويبة سوداء معروف، وأما جعل بضم فسكون: ما جعل على العمل من الأجرة، و**(يدهده)** أي: يدحرج ويدير **(الخرء)** بضم الخاء المعجمة: العذرة، وجمعه خروء كجند وجنود، وقد تفتح الخاء، وهو كقرء بضم القاف وفتحها، والهمزة مكتوبة في الحديث بصورة الألف موافقة لحركتها، أو قلبت ألفاً بنقل الحركة إلى الراء فصار ألفاً كالعصا، كذا في بعض الشروح، ويروى (الخراء) بكسر ومد.

إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، . .

وأما ما جاء في الحديث: (إن نبيكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة) فهو بالتاء وبالكسر والمد بمعنى التخلي والقعود للحاجة، الخطابي[١]: أكثرهم يفتحون الخاء، الجوهري[٢]: خري خراءة ككره كراهة، وفي (القاموس)[٣]: خرئ كفرح خرءاً وخراءةً، ويكسر، والاسم من الخراء بالكسر، وقال النووي في (شرح مسلم)[٤]: الخراءة يكسر ويمد: هيئة الحدث، وأما نفس الحدث فبلا تاء وبمد مع فتح الخاء وكسرها، كذا في (مجمع البحار)[٥].

شبه ﷺ المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءهم المفتخر بهم بالعذرة، وافتخارهم بهم بالدهدهة بالأنف.

وقوله: (**عبية الجاهلية**) بضم العين وكسرها، وكسر الموحدة وفتح التحتانية المشددتين، أي: فخرها وتكبرها، وفي (القاموس)[٦]: العبية بالضم والكسر: الكبر والفخر، وفي (الصراح)[٧]: (عبية الجاهلية) أي: نخوتها، أوردها في المضاعف.

وقوله: (**إنما هو**) أي: الإنسان أو المفتخر المتكبر (**مؤمن تقي**) فإذنْ لا ينبغي

---

(١) أي: قال الخطابي في «معالم السنن» (١/ ١١).

(٢) أي: قال الجوهري في «الصحاح» (١/ ٤٦).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٥٠).

(٤) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٣/ ١٥٤).

(٥) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٢٤).

(٦) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦).

(٧) «الصراح» (ص: ٤٢).

أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٣٩٥٥، د: ٥١١٦].

٤٩٠٠ ـ [٨] وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ». فَقُلْنَا: ....

له أن يتكبر على أحد، (أو فاجر شقي) فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال.

٤٩٠٠ ـ [٨] (مطرف) قوله: (عن مطرف) بلفظ اسم الفاعل من التفعيل بالطاء المهملة والفاء، (ابن عبدالله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المعجمتين وسكون الياء، اعلم أن عبدالله بن الشخير أبا مطرف صحابي، وفد إلى النبي ﷺ في بني عامر، وأما مطرف ابنه فتابعي، كذا في (جامع الأصول)[١]، وعلى هذا الضمير في قوله: (قال: انطلقت) لأبيه عبدالله بن الشخير؛ لأنه الذي وفد في بني عامر، وذكر في بعض الحواشي أنه هكذا ذكر في (سنن أبي داود)، فعبارة المؤلف لا تخلو عن شيء، وكان عليه أن يقول: (عن أبيه قال)، ولقد ذكر حديثاً له في (باب ما لا يجوز من العمل في الصلاة)، وقال: وعن مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز، الحديث.

وقوله: (فقال: السيد الله) قال التُّورِبِشْتِي[٢]: سلك القوم في الخطاب معه

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ٥٧٥).

(٢) «كتاب الميسر» (٣/ ١٠٦٤).

وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: «قُولُوا قَوْلَكُمْ أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ...

مسلكهم مع رؤساء القبائل، فإنهم كانوا يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب، فكره ذلك؛ لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي والرسول، فإنها المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر، وحول الأمر فيه إلى الحقيقة فقال: السيد هو الله، أي: الذي يملك نواصي الخلق، ويتولى أمرهم ويسوسهم، انتهى.

حاصل هذا الوجه أنه إنما كره طريق الخطاب وسلوكهم مسلك الخطاب مع الرؤساء والملكوك لا أصل ثبوت السيادة، وهو سيد ولد آدم فكيف النسبة إلى أصحابه؟ ثم أشار إلى أن حقيقة السيادة والتولية والمالكية ثابتة لله تعالى، لا شريك له في ذلك، ويمكن أن يكون ذلك قبل أن يوحى أنه سيد البشر.

وقوله: **(وأفضلنا)** قال الطيبي[1]: إنه عطف على (سيدنا)، كأنهم قالوا: أنت سيدنا وأفضلنا وأعظمنا طولاً، فكره رسول الله ﷺ الكل، وخصّ الرد بالسيد، فأدخل الراوي كلامه بين المعطوف والمعطوف عليه، انتهى. أي: صرح الرد بالسيد خصوصاً، وإلا فهو رد الكل بقوله: **(قولوا قولكم... إلى آخره)**، وهذا أيضاً على تقدير أن يكون معنى قوله: (قولوا قولكم) كقول أهل ملتكم وما هو من شعار المسلمين، وذلك قولهم: رسول الله، ونبي الله، أو القول الذي جئتم له وقصدتموه؛ أي: دعوا هذا المدح وائتوا بمقصودكم وحاجتكم، كما ذكر الطيبي هذين المعنيين، ولا يخفى أن كليهما بعيد لا يلائمه قوله: **(أو بعض قولكم)**، بل الظاهر أن معناه كما ذكره بعضهم: قولوا هذا القول أو أقل منه، ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحوني بشيء يليق بالخالق ولا يليق بالمخلوق، وعلى هذا لا يكون ردًّا للكل، بل الظاهر على هذا المعنى أن

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٤١).

وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٤/ ٢٥، د: ٤٨٠٦].

٤٩٠١ ـ [٩] وَعَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَسَبُ الْمَالُ، وَالْكَرَمُ التَّقْوَى». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابنُ مَاجَه. [ت: ٣٢٧١، جه: ٤٢١٩].

يكون إثباتاً لقولهم: (وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً)، أي: لا تقولوا: سيدنا، بل لو قلتم قولوا قولكم هذا، يعني أفضلنا وأعظمنا، أو بعض هذا القول، وهو أفضلنا، فإن ترك إثبات العظمة لغير الرب تعالى أحوط كما جاء: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري) الحديث، ويكون تقدير قولهم: وأفضلنا وأنت أفضلنا عدولاً عن قولهم: (سيدنا) إلى (أفضلنا)، ولا يكون عطفاً عليه، فيكون الرد مخصوصاً بالسيادة الحقيقية دون الفضيلة، ويناسب أيضاً قوله: (**ولا يستجرينكم الشيطان**) أي: لا يتخذنّكم جريًّا، أي: وكيله المطلق، والجري: الوكيل؛ لأنه يجري مجرى الموكل، أي: لا تكونوا وكلاء الشيطان بحيث تتفوهون من قبله بكل ما أردتم، بل حافظوا واحتاطوا، وقولوا بعض ما قلتم، كالأفضلية دون السيادة، أو لا يجعلنكم جريئاً، أي: ذوي جراءة على التكلم بكل ما لا يجوز، ويظهر من هذا كله أن (أو) في قوله: (أو بعض قولكم) للتنويع دون شك الراوي، فافهم ما ذكرنا، وبالله التوفيق.

٤٩٠١ ـ [٩] (**الحسن**) قوله: (**الحسب المال، والكرم التقوى**) الحسب: ما يعده الرجل ويفتخر به من خصال حميدة فيه أو في آبائه، والكرم معنى شامل جامع لأنواع الخير والفضائل، وهذا هو الحقيقة، وأما عند الناس فالحسب منحصر في المال، وبه يكون الرجل عظيم القدر عندهم؛ فإن الفقير لا توقير له عندهم، ولا يعبأ به أهل الثروة، و(الكرم) أي: الشيء الذي يكون الرجل عند الله تعالى عظيم القدر وكريم المنزلة هو

٤٩٠٢ ـ [١٠] وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلاَ تُكَنُّوا». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّة». [شرح السنة: ٣٥٤١].

٤٩٠٣ ـ [١١] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُقْبَةَ عَنْ أَبِي عُقْبَةَ ـ وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ ـ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُحُداً، فَضَرَبْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلاَمُ الْفَارِسِيُّ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: . .

التقوى، وأما الافتخار بالآباء فليس ذلك في شيء منهما، فافهم.

٤٩٠٢ ـ [١٠] (أبي بن كعب) قوله: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا) تعزى اعتزى: انتسب صدقاً أو كذباً، وعزاه إلى أبيه: نسبه إليه، والمعنى من انتسب بنسبة الجاهلية، أي: افتخر بآبائه، وقال: أنا ابن فلان وآل فلان مفتخراً، أو المراد من انتسب وانتمى إلى الجاهلية بإحياء سنتها السيئة في الشتم واللعن والمواجهة بالفحشاء والمنكر، والمعنى الأول أنسب وأقرب بقوله: (فأعضوه بهن أبيه)، والعض: أخذ الشيء بالأسنان، والإعضاض متعدية، و(الهن) بالتخفيف، وقد يشدد ويصغر على هُنَين: الشيء القبيح الذي يستهجن ذكره من العورات والقبائح، ويطلق على الفرج خاصة، وكلا المعنيين صحيح الإرادة؛ فالمعنى على الأول: اذكروا له قبائح آبائه وشنائع أعمالهم من عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر، وصرحوا بتلك القبائح من غير كناية وإخفاء، لعله يستحيي من الافتخار بهم، ويرتدع عن ذكر قبائح الناس والتعرض لأعراض الناس، وعلى الثاني: قولوا له: اعضض بفرج أبيك، ولا تكنوا في الفرج، بل صرحوا باسم آلة أبيه تشديداً وتغليظاً.

٤٩٠٣ ـ [١١] (عبد الرحمن) قوله: (خذها مني) هذه الكلمة جرت عادة

«هَلاَّ قُلْتَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الأَنْصَارِيُّ؟». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٢٣].

٤٩٠٤ ـ [١٢] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رَدَى فَهُوَ يُنزَعُ بِذَنَبِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٥١١٨].

المحاربين عند إظهار الشجاعة إذا أصابوا في ضربتهم أو طعنهم أن يقولوا بها على سبيل التهكم، أي: خذ هذه العطية مني، كذا قال الطيبي[١].

أقول: ويمكن أن يكون التقدير: خذ هذه الضربة أو هذه البلية والمحنة، وأمثال ذلك، فلا يكون تهكماً.

وقوله: (**هلا قلت: وأنا الغلام الأنصاري**) لأن مولى القوم منهم، كره رسول الله ﷺ الافتخار في هذا المقام بالنسبة إلى فارس وهم المجوس، وحضه أن يفتخر بالأنصار الذين هم شجعان الدين أنصار رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، هذا ويحتمل أن الغلام حقر نفسه وتواضع بأني أنا الغلام الفارسي لا تعبؤون بهم[٢]، فعظمه رسول الله ﷺ ورفع قدره، وقال: بل أنت أنصاري؛ لأن مولى القوم منهم، فانسب نفسك إليهم، والله أعلم.

٤٩٠٤ ـ [١٢] (ابن مسعود) قوله: (**من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردى فهو ينزع بذنبه**) ردى في البئر كرمى: سقط، كتردّى، وردي كرضي: هلك، كذا في (القاموس)[٣]، قال الطيبي[٤]: أي من أراد أن يرفع نفسه بنصر قومه على الباطل،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٤٢).

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: «لا تعبؤون به».

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١١٨٤).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ١٤٣).

٤٩٠٥ ـ [١٣] وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الْعَصَبِيَّةُ؟ قَالَ: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١١٩].

٤٩٠٦ ـ [١٤] وَعَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ....

فهو كبعير سقط في بئر، فما يجدي عنه أن ينزع بذنبه وإن جهد كل الجهد، انتهى. فجعل المشبه بالبعير الناصرَ، وهو الظاهر من لفظ الحديث، وهكذا نقل صاحب (مجمع البحار)[1] عن (النهاية)[2] حيث قال: أراد أنه وقع في الإثم وهلك، كبعير تردى في بئر وأريد نزعه بذنبه، فلا يقدر عليه.

وذكر في بعض الحواشي أنه شبه القوم ببعير هالك؛ لأن من كان على غير حق فهو هالك، وشبه ناصرهم بذنب هذا البعير، فكما أن نزعه بذنبه لا يخلصه من المهلكة، كذلك هذا الناصر لا يخلصهم عن بئر الهلاك التي وقعوا فيها، انتهى. فكأنه جعل المشبه به هيئة منتزعة على وتيرة قوله سبحانه تعالى: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤]، وهذا الوجه أظهر عندي في بيان معنى الحديث، والله أعلم.

٤٩٠٥ ـ [١٣] **(واثلة بن الأسقع)** قوله: **(ما العصبية)** أي: العصبية المذمومة يعاب ويذم بها الرجل، وقد تعارفت في هذا المعنى.

٤٩٠٦ ـ [١٤] **(سراقة بن مالك)** قوله: **(ابن جعشم)** بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٢٢).

(٢) «النهاية» (٢/ ٢١٦).

«خَيْرُكُمْ الْمُدَافِعُ عَنْ عَشِيرَتِهِ مَا لَمْ يَأْثَمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٢٠].

٤٩٠٧ ـ [١٥] وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَصَبِيَّةً، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٢١].

٤٩٠٨ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٣٠].

وقوله: (خيركم المدافع عن عشيرته) أي: يدفع الظلم.

وقوله: (ما لم يأثم) أي: ما لم يظلم، ويقع بالمدافعة في الإثم والظلم، وهذا الحديث جامع لقسمي العصبية: المذموم والمحمود.

٤٩٠٧ ـ [١٥] (جبير بن مطعم) قوله: (ليس منا من دعا إلى عصبية) أي: مذمومة باطلة، سواء بدعاء الناس وجمعهم إليه، أو بالقتال فيها، أو بالموت عليها، بأن تكون مضمرة في قلبه وإن لم يدع ولم يقاتل.

٤٩٠٨ ـ [١٦] (أبو الدرداء) قوله: (حبك الشيء يعمي ويصم) أي: يجعلك أعمى عن رؤية معايبه، وأصمّ عن سماع قبائحه، والحديث محتمل، وإيراده في هذا الباب يدل على أنهم حملوه على ذم العصبية، وقد تكلم بعض المحدثين في هذا الحديث بأنه موضوع، وهو وهم منهم، بل رواه أبو داود وسكت، كذا ذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي، أقول: وما سكت عنه أبو داود من الحديث فهو محتج به، فقيل: إنه حسن، وقيل: ضعيف ليس شديد الضعف كما حقق في موضعه.

وهذا الحديث مما رواه إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى في (مسنده)[1]

---

(١) «مسند أبي حنيفة» (٣١).

* **الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٤٩٠٩ ـ [١٧] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِيِّ مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ، عَن امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: فَسِيلَةُ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ.

[حم: ٤/ ١٦٠، جه: ٣٩٤٩].

٤٩١٠ ـ [١٨] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْسَابُكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ. . . . .

عن عبدالله بن أنيس، قال: ولدت في سنة ثمانين، وقدم عبدالله بن أنيس صاحب رسول الله ﷺ الكوفة سنة أربع وتسعين، فرأيته وسمعت منه وأنا ابن أربع عشرة سنة، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (حبك الشيء يعمي ويصم).

الفصل الثالث

٤٩٠٩ ـ [١٧] (عبادة بن كثير) قوله: (من أهل فلسطين) في (القاموس)[1]: فلسطين وفلسطون، وقد تفتح فاؤهما: كورة بالشام، وقرية بالعراق، تقول في حال الرفع بالواو، وفي النصب والجر بالياء، والنسبة فِلَسْطِيٌّ.

٤٩١٠ ـ [١٨] (عقبة بن عامر) قوله: (أنسابكم هذه ليست بمسبة) في (القاموس)[2]: المسبة بالفتح، وكهُمَزَة: من يسب الناس، وقد فسر في بعض الحواشي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٢).

طَفُّ الصَّاعِ بِالصَّاعِ، لَمْ تَمْلَؤُوهُ، لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إلاَّ بِدِينٍ وَتَقْوًى، كَفَى بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَذِيًّا فَاحِشاً بَخِيلاً». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٤/ ١٥٨، شعب: ٤٧٨٣].



١٤ ـ باب البر والصلة

المسبة بمحل السب والعار أخذاً من السبة بالضم بمعنى العار.

وقوله: (طف الصاع) بالنصب على أنه حال، وبالرفع على أنه بدل، أو خبر بعد خبر، والباء في (بالصاع) للملابسة، أي: ملابساً له مقابلاً به، وطف الصاع وطفافه بالفتح والكسر: قربه من أن يمتلئ ولم يمتلئ، والطفيف: القليل الغير التام، والتطفيف: النقصان في الكيل، أي: كلكم بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام؛ لكونكم أولاد من هو مخلوق من التراب الذي لم يبلغ أن يملأ مكيالاً، كذا في (النهاية)[1].

وقوله: (كفى بالرجل) التمييز محذوف، أي: نقصاناً.

١٤ ـ باب البر والصلة

المراد بالبر هنا الإحسان إلى الوالدين، ضد العقوق، وهو الإساءة إليهما وتضييع حقوقهما، بـر يبر فهو بارّ، وجمعه: بررة، وبَرٌّ وجمعه أبرار، والبر في أسمائه تعالى بمعنى العطوف على عباده ببره ولطفه، ولم يجئ في اسمه تعالى البار.

وبالصلة الإحسان إلى النسب من أولي الرحم، فكأنه بالإحسان [إليهم] وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة.

---

(١) «النهاية» (٣/ ١٣٨).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٩١١ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ»، ....

الفصل الأول

٤٩١١ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (بحسن صحابتي) الصحابة بالفتح مصدر بمعنى الصحبة، في (القاموس)[١]: صحبه كسمعه صحابة ويكسر، وصحبه: عاشره، وهم أصحاب وأصاحيبُ وصُحبانٌ وصِحاب وصِحابة وصَحْبٌ.

وقوله: (قال: أمك) بالرفع، وهو ظاهر، وقد يروى منصوباً؛ لأن من أحق بحسن صحابتي في معنى من أبره، وهو خلاف الظاهر، استدل به من قال للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وذلك لصعوبة الحمل، ثم الوضع، ثم الرضاع، وهذه تنفرد بها الأم، ثم تشارك الأب في التربية، كذا ذكر السيوطي، أخذ ذلك من تكرار حق الأم ثلاث مرات، والظاهر أن يكون تأكيداً ومبالغة في رعاية حق الأم وكونه أعظم من حق الأب، وذلك لتهاون أكثر الناس في حقها بالنسبة إلى الأب، ولا يكون تعييناً لحق الأم بكونه ثلاثة أضعاف ما للأب، وذلك لأن التربية من الأب أكثر وأشد كما لا يخفى، والمذكور في كتب الفقه أن حق الوالد أعظم من حق الوالدة، وبرها أوجب، كذا في (شرعة الإسلام)، قالوا: وإذا تعذر عليه جمع مراعاة حق الوالدين؛ بأن يتأذى أحدهما بمراعاة الآخر يرجح حق الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام، وحق

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٠).

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٧١، م: ٢٥٤٨].

٤٩١٢ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا ثمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٥١].

٤٩١٣ ـ [٣] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي . .

الأم فيما يرجع إلى الخدمة والإنعام، كذا في (القنية).

وقوله: (وفي رواية: أمك، ثم أمك، ثم أمك) في هذه الرواية منصوبة، وكذا (ثم أباك) بتقدير الناصب.

وقوله: (ثم أدناك أدناك) أي: أقربك، وكرره تأكيداً واهتماماً.

٤٩١٢ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (أحدهما أو كلاهما) بالرفع في أكثر الأصول، وقد يروى بالنصب، وهو الأظهر، أي: أدرك عند الكبر أحدهما أو كليهما، ووجه الرفع أنه فاعل الظرف، أو التقدير بكبر، أو المدرك أحدهما أو كلاهما، أو يبلغ الكبر أحدهما أو كلاهما، وهذا أوفق بنظم القرآن، و﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾[الإسراء: ٢٣] وإن كان أبعد في الحديث، وفي رواية الترمذي: (رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة).

٤٩١٣ ـ [٣] (أسماء بنت أبي بكر) قوله: (قدمت عليّ أمي) اسمها قيلة بنت عبد العزى، وأسماء وعائشة أختان من أب، وأم عائشة أم رومان ﷺ.

---

(١) في نسخة: «فأدناك».

وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نعَمْ صِلِيهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٦٢٠، م: ١٠٠٣].

٤٩١٤ ـ [٤] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلاَنٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ ....

وقوله: (في عهد قريش) أي: في المدة التي عاهدهم رسول الله ﷺ على ترك القتال، وهو صلح الحديبية، والقصة مشهورة.

وقوله: (وهي راغبة) في أكثر الروايات بالباء الموحدة أي: ترغب في الإسلام أو عن الإسلام، وهذا أنسب بالمقام وأوفق بالرواية الأخرى: (وهي راغمة)، أي: كارهة ساخطة للإسلام، وقيل: راغبة وطامعة في مال، وراغمة، أي: ذليلة ومحتاجة، فمعنى الروايتين واحد، والله أعلم.

وفي الحديث دليل على وجوب نفقة الأب والأم الكافرين على الولد المسلم، وأن الإحسان إلى الكفار جائز.

٤٩١٤ ـ [٤] (عمرو بن العاص) قوله: (إن آل أبي فلان) هكذا جاء في الرواية، وقالوا: إنه ﷺ صرح باسم فلان وكنى الراوي خوفاً من الفتنة وحذراً من ترتب المفسدة عليه، وفي بعض الأصول ترك بعد (أبي) بياضاً، ولم يذكر الاسم للعلة المذكورة، وقيل: المراد بأبي فلان أبو لهب، وقيل: أبو سفيان، وقيل: حكم بن العاص، وهذا أقرب، ولعل عمرو بن العاص لم يرد أن يذكر نفي الولاية والصلاح عنهم صريحاً وأن يظهر عيوب قومه، والله أعلم.

وقوله: (بأولياء) أي: لا أوالي أحداً ولا أحبه لقرابة، وإنما أحب الله والصالحين من عباده.

وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٩٠، م: ٢١٥].

٤٩١٥ ـ [٥] وَعَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، ....

وقوله: (وصالح المؤمنين) الظاهر أن المراد الجنس، وبه فسر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[التحريم: ٤].

وقوله: (ببلالها) بكسر الباء وفتحها وقد يضم، بمعنى البلة، وقد جعل بعضهم الكسر جمع بلل، كجمل وجمال، في (القاموس)[1]: البلل محركة، والبلة والبلال بكسرهما، والبلال بالضم: الندوة، وككتاب: الماء، ويثلث، وكل ما يبل به الحلق، ولما كانت الرطوبة والبلة سبب اتصال الأشياء، واليبوسة والجفاف موجب افتراقها، استعاروا البل لصلة الرحم واليبس لقطعها.

وقال بعض الشارحين: شبه القطيعة بالحرارة والصلة بالماء الذي يطفـئ تلك الحرارة، والمراد إعطاء شيء قليل يكفي للضرورة.

٤٩١٥ ـ [٥] (المغيرة) قوله: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات) تخصيص الأمهات بالذكر إما لقوة حقوقها وغلبتها كما عرفت، أو لضعف قلوبهن، فيتأثرن ويتأذين بأدنى إيذاء، فالتوجيه في ذلك أهم وأوفر، أو لتقصير الأولاد في حقوقها، فالنهي عنه أهم وأعم، أو من جهة أن الكلام لعلة اتفق فيها، ولهذا جمع بين أشياء متفرقة غير متناسبة في الظاهر، والله أعلم.

وقوله: (ووأد البنات) الوأد: دفن البنات حية كما كانوا يفعلون في الجاهلية،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٩١).

وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرَّهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، . . . .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير: ٨ ـ ٩].

وقوله: (**ومنع وهات**): (منع) على صيغة الماضي، ويروى بلفظ المصدر عبارة عن البخل والإمساك، و(هات) بمعنى آت ـ أمر من الإيتاء بمعنى الإعطاء ـ عبارة عن السؤال من الناس، وقيل: المراد المنع عن أداء الحقوق الواجبة في الأموال وأخذ ما لا يحل من أموال الناس، وقيل: بل منع جميع الحقوق الواجبة في الأموال وغيرها، وتكليف الناس بما لا يجب عليهم من الحقوق، وطلب ذلك منهم، ورعاية طريقة[1] الإنصاف والاعتدال فيها.

وقوله: (**وكره لكم قيل وقال**) الرواية بتشديد الراء، وذكر الحرمة في الأول والكراهة في الثاني لشدة الإثم وقوته في الأول، ومع ذلك نبه بتشديد الراء على الشدة والكراهة قريباً من الحرمة، على أنه قد تجيء الكراهة بمعنى الحرمة، ففي العبارة تفنن، والله أعلم.

و(قيل وقال) بفتح اللام على حكاية صيغة الفعل الماضي مع تضمنه الضمير على ما هو طريقة حكاية الجملة، وهي الرواية في الحديث، وقد يجري[2] مجرى الأسماء بعدم اعتبار الضمير، فينونان أو يعرفان بالألف واللام، والمراد النهي عما هو عادة الناس في المجالسة من التحدث بفضول الكلام وأراجيفه من غير قصد إلى بحث وتحقيق، وقيل: المراد النهي عن الإكثار في الكلام المتجاوز عن الحد؛ فإنه يقسي القلب ويضيع الوقت.

وقوله: (**وكثرة السؤال**) أراد بها كثرة السؤال عن أحوال الناس وتفتيشها والتجسس

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر: «عدم رعاية طريقة. . .».

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: «يجريان».

وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٤٠٨، م: ٥٩٣].

٤٩١٦ ـ [٦] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْـرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَـا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَـاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٧٣، م: ٩٠].

عن أمورهم، أو كثرة السؤال في العلم للامتحان وإظهار الفضيلة والخصومة والجدال، أو كثرة سؤال النبي ﷺ الموجب لمشقته وتأذيه، والباعث على التضييق والتشديد في الأحكام، وقيل: أراد كثرة مسألة الناس أموالهم، ولا يفيد على هذا الوجه قيد الكثرة؛ فإنها منهـي عنها مطلقاً كثيرة كانت أو قليلة من غير ضرورة، اللهم إلا أن يراد بالكثرة إشاعتها وتكثيرهـا؛ بأن تكـون لضرورة أو لغيرهـا، وأيضاً النهـي عـن هات بإطلاقه شامل لهذا المعنى، فيلزم التكرار.

وقوله: **(وإضاعة المال)** وهي إهلاك المال وإنفاقه على وجه الإسراف؛ فإن كان على وجه الحرام فظاهر، ويشمل عند التحقيق بعض المباحات أيضاً، كتشييد الأبنية وتزيينها وزخرفتها، ولبس الثياب الناعمة والأطعمة الشهية، وتزيين الأواني والسيوف بالفضة والذهـب والجواهر، والانهمـاك فـي اللذات المباحة من غير اكتراث ومبالاة خارجاً عـن حد الاعتدال، فإنها وإن كانت ترى مباحة في ظاهر الحكم لمن له وسعة ولا يضيع بها حقًّا واجباً، لكنها توجب القساوة وغلظ الطبع.

٤٩١٦ ـ [٦] **(عبـدالله بن عمرو)** قولـه: **(فيسب أباه)** فيلزم منه كأنه سب أباه بنفسه باعتبار السبب، وسب الأب كبيرة بأي وجه كان؛ لكونه عقوقاً، والعقوق كبيرة وإن لم يكن سب ذلك الرجل كبيرة؛ لكونه مما لم يوجب الحد، فافهم.

٤٩١٧ ـ [٧] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٥٢].

٤٩١٨ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٨٦، م: ٢٥٥٧].

٤٩١٩ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوَيِ الرَّحْمَنِ، ....

٤٩١٧ ـ [٧] (ابن عمر) قوله: (بعد أن يولي) على صيغة المعلوم من التفعيل من ولى تولية: إذا أدبر، كتولى، وذلك إما بالموت أو الغيبة.

٤٩١٨ ـ [٨] (أنس) قوله: (وينسأ له في أثره) نسأه: أخره نسأ ومنسأة، كأنسأه، فقوله: ينسأ على صيغة المجهول من النسأ أو الإنساء، و(الأثر) بقية الشيء وأثر الأقدام، والمراد هنا مدة العمر لبقائه؛ لأن أثر الأقدام إنما يكون للحي؛ فإذا مات لم يبق له أثر، وتأخير الأجل بالصلة إما بمعنى حصول البركة والتوفيق في العمر وعدم ضياع العمر فكأنه زاد، أو بمعنى أنه سبب لبقاء ذكره الجميل بعده، أو وجود الذرية الصالحة، كما يقال: الأولاد ولادة ثانية للرجل، والتحقيق أنها سبب لزيادة العمر كسائر أسباب العالم، فمن أراد الله زيادة عمره وفقه لصلة الأرحام، والزيادة إنما هي بحسب الظاهر بالنسبة إلى الخلق، وأما في علم الله فلا زيادة ولا نقصان، وهو وجه الجمع بين قوله ﷺ: (جف القلم بما هو كائن)، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

٤٩١٩ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (بحقوي الرحمن) الحقو معقد الإزار، وقد يطلق على الإزار أيضاً، وهو على عادة المستجير بأخذ ذيل المستجار، وإذا اشتد المراد

فَقَالَ: مَـهْ؟ قَالَتْ: هَذَا مقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَـالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ! قَـالَ: فَذَاكِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٨٣٠، م: ٢٥٥٤].

٤٩٢٠ ـ [١٠] وَعَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَـنِ، فَقَالَ اللهُ: مَـنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُـهُ، وَمَـنْ قَطَعَـكِ قَطَعْتُـهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٩٨٨].

وأراد أن يضطـر المستجار لإجارتـه أخذ بإزاره، أو معقد إزاره، شبهت الرحم بذلك الشخص المستجير، وقيل: أراد عظمة الله كما جاء في الحديث: (العظمة إزاري) أي: تتمسك بعظمته تعالى وكبريائه.

وقولـه: (فقال: مه؟) يحتمل أن يكون اسم فعل بمعنى اكفف، لكنهم حملوه على (ما) الاستفهامية أبدلت ألفه هاء، ولعل هذا أنسب بالمقام، فافهم.

٤٩٢٠ ـ [١٠] (عنـه) قوله: (**الرحم شجنة**) الشجنة بتثليث المعجمة وسكون الجيم وبنون: عروق الشجر المشتبكة، والمعنى هنا أنها أخذ اسمها من اسم الرحمن فلها علقة بـه، كذا قال السيوطي[١]، كما جاء في حديث آخر: (أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققته اسماً لها من اسمي)، ولا يخفى أنـه يمكن حملها على المعنى من غير إرادة الاسم واشتقاقه، فالمعنى أن الرحم مشتبكـة ومتصلـة بالرحمن تعالى، كما أشار إليه الطيبي[٢] في آخر الكلام حيث قال: والمعنى الرحم أثر من آثار رحمته مشتبكة بها، فافهم.

---

(١) انظر: «التوشيح شرح الجامع الصحيح» (٨/ ٣٦٣٨).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ١٥٥).

٤٩٢١ ـ [١١] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٨٩، م: ٢٥٥٥].

٤٩٢٢ ـ [١٢] وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٨٤، م: ٢٥٥٥].

٤٩٢٣ ـ [١٣] وَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو[1] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، ....

٤٩٢١ ـ [١١] (عائشة) قوله: (الرحم معلقة بالعرش) قالوا: للرحم درجات بحسب القرب والبعد، فالأول: وهو الأخذ بحقوي الرحمن لأخص الأرحام، وهي التي تكون بواسطة الولادة؛ إذ الأخذ بحقوي الرحمن أبلغ في القرب، والثاني: وهو كونها شجنة من الرحمن دونها كالإخوة والأعمام، والثالث: دونها لأن التعلق بالعرش دون التعلق بالرحمن وبحقويه.

٤٩٢٢ ـ [١٢] (جبير بن مطعم) قوله: (لا يدخل الجنة قاطع) أي: قاطع الرحم، وقد تعارف إطلاق القطع في قطعها كالصلة في وصلها، وهذا تشديد وتهديد، وله تأويلات ذكرت في موضعه.

٤٩٢٣ ـ [١٣] (ابن عمرو) قوله: (ليس الواصل) أي: الواصل للرحم الذي

---

(١) قال القاري (٧/ ٣٠٨٦): بالواو، وفي نسخة بلا واو. قال ميرك: الصحيح أن راوي هذا الحديث عبدالله بن عمرو بن العاص لا ابن عمر، والله أعلم.

قلت: وكذا أسنده السيوطي في «الجامع الصغير» إلى ابن عمرو.

وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٩٩١].

٤٩٢٤ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي قَرَابةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِم وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٥٨].

يكافئ ويجزي إحساناً فعل به، (**ولكن الواصل**) الكامل (**الذي إذا قطعت**) بالتشديد، وقيل: بالتخفيف (**وصلها**) كما ورد في مكارم الأخلاق: (صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك).

٤٩٢٤ ـ [١٤] (**أبو هريرة**) قوله: (**لئن كنت كما قلت**) أي: كنت تفعل كما تقول، وفيه: إشارة إلى أن ذلك أمر بعيد.

وقوله: (**فكأنما تسفهم**) بضم تاء وكسر سين وتشديد فاء، أي: تطعمهم (**الملّ**) بفتح الميم، وهو الرماد الحار الذي يحمى، من سَفِفت الدواء وأسففته غيري، وهو السفوف ـ بالفتح ـ أي: قمحته، أو أخذته غير مَلْتُوتٍ، كذا في (القاموس)[١].

ونقل عن (المغرب)[٢]: سف الدواء والسويق وكلَّ شيء يابس: أَكَلَه، من باب علم، شبه ما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكله من الألم، أي: إحسانك إليهم كالملّ تحرق أحشاءهم، وقيل: عبارة عن التحقير والإخزاء، أي: أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم، فصاروا كمن سف الملّ، وقيل: معناه إذا لم يشكروا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٦)، وانظر: «النهاية» (٢/ ٣٧٥).

(٢) «المغرب» (٣/ ٥٤).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٩٢٥ ـ [١٥] عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِـرُّ، ....

كان عطاؤك حراماً عليهم، وناراً في بطونهم، وقيل: من أسففت الوشم، وهو أن يغرز الجلد بإبرة، ثم تحشى الْمَغَارِز كُحلاً، فالمعنى تجعل وجوههم كلون الرماد، وفي الحديث: أتي برجل فقيل: إنه سرق، فكأنما أسف وجهه ﷺ، أي: لأجل إظهار سرقته وعدم سترها والإغضاء عنها؛ لأنه شارع لا بد أن يحكم بقطع يده، فالمناسب على المسلمين ستر عيوب الناس ودرء الحدود مهما أمكن.

الفصل الثاني

٤٩٢٥ ـ [١٥] (ثوبان) قوله: (لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر) القدر: عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور، وهو مصدر قدر يقدر، وقد سبق تحقيق معناه في أول الكتاب، ومعنى رد الدعاء القدر سببيته له بجعل الله، وذلك أيضاً تقدير، كالأدوية الطبية للشفاء، والأعمال لدخول الجنة والنار، وسائر أسباب العالم، فالأمور التي قدر الله دفعها بالدعاء لا يردها إلا الدعاء، ونقل الطيبي[1] عن أبي حاتم السجستاني: أن دوام المرء على الدعاء يطيب له ورود القضاء ويسهله عليه، فكأنما رده، ويختلج في صدري أنه يمكن أن يكون المراد المبالغة في تأثير الدعاء ومدحه وفضله بأنه لا يرد القضاء والقدر شيء، ولو رده شيء لكان هو الدعاء، على وتيرة قوله ﷺ: (لو سابق الأقدار شيء لسبقته العين)، والله أعلم. وكذا قوله: **(ولا يزيد في العمر إلا البر)** قد سبقت له توجيهات أيضاً.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٥٧).

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٩٠].

وأمـا قوله: (وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) فأوله بعضهم بأن المراد رزق الآخرة، وهـو ثوابها، وبعضهم حملوه على رزق الدنيا من المال والصحة، ثم استشكلـوا ذلك لما يشاهد من حال الكفار والفساق في كثرة الأموال ووجود الصحة أكثر مما للصلحاء من المؤمنين، وأجابوا بأن المراد حرمان صفاء الوقت، وطيب العيش، وفراغ البال فـي الرزق الحاصل للمتقين بموجـب قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[النحل: ٩٧] بخلاف أهل الفسق والفجور؛ فإن فـي عيشهم كدرة مـن جهة هَـمّ الدنيا وتعلق القلب بتحصيلها وحفظها، والحزن على خوف فواتها كما أشار إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[طه: ١٢٤]، وإن كان مؤمناً فكر في سوء عاقبة الذنب، وتكدر في صفاء رزقه وطيب عيشه.

وقيل: إن هذا مخصوص ببعض المذنبين من المسلمين ممن أراد الله تعالى أن يدخله الجنة بـلا عذاب يلحقه بذنبه فـي الآخرة، فيعاقبه بذنبه فـي الدنيا، بأن يصيبه عقيـب ذنب ارتكبه فقـر أو مرض أو ضيق أو غير ذلك، ثم يلهمه أن هذا بشؤم ذنبه، فيتنبه ويتوب عنه، أو من أراد الله أن يرفع درجته في الآخرة فيعذبه بسبب ذنبه، فيصفيه من الذنوب في الدنيا.

والحاصل أن المؤمن إذا أذنب عاقبه الله بحرمان الرزق، وهو عناية ولطف خفي من الله في حقه؛ ليمحص ذنوبه ويرفع درجاته، وأما من لم يعنه ولم يلطف به فيتركه وذنوبه، وفيه مكر واستدراج منه تعالى، وقد كنت يوماً في خدمة شيخي وسيدي الشيخ موسـى الحسنـي الجيلانـي رحمـة الله عليـه، فاتفـق ذكـر حديث: (الصُّبْحَة[1] تمنع

---

(١) وهي النوم أول النهار؛ لأنه وقت الذكر، ثم وقت طلب الكسب. «النهاية» (٣/ ٧).

٤٩٢٦ ـ [١٦] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَلِكُمُ الْبِرُّ، كَذَلِكُمُ الْبِرُّ»، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ» بَدْلَ «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ». [شرح السنة: ٣٤١٨، شعب: ٧٤٦٧].

الرزق)[١]، فقلت: يا سيدي كيف هذا وقد نرى أكثر أبناء الزمان مبتلى بهذه الخطيئة وهم مرزوقون أكثر من غيرهم؟ فسكت الشيخ وأطرق مليًّا، ثم رفع رأسه وقال: يا هذا! يعلم من ذلك أن أصل الإيمان قلع من أراضي قلوبهم؛ لأن هذه الأجزية والعقوبات إنما هي في شأن المؤمنين لينتهوا ويكفوا عن سيئاتهم، وأما الكافرون فمتروكون على ما هم عليه لعدم توقع انتباههم؛ لأنه طبع على قلوبهم، كالمريض الذي يرجى شفاؤه يحمى ويمنع من تناول ما يضره، وأما المريض الذي لم يبق له رجاء وتوقع في شفائه، فيترك على ما هو عليه، يتناول ما شاء؛ لليأس عن عوده إلى الشفاء، كذلك هؤلاء لم يبق فيهم إيمان وعود، فتركوا على ما هم عليهم، نسأل الله العافية، ونعوذ بالله من غضب الله.

٤٩٢٦ ـ [١٦] قوله: **(عائشة)** قوله: **(كذلكم البر)** إشارة إلى ما ذكر من الدرجة العليا، أي: مثل ذلك جزاء البر، أي: بر الوالدين، والبر يستعمل في بر الوالدين كالصلة في صلة الأرحام كما قلنا، وهذا قول الرسول ﷺ بدليل خطاب الجمع، إذ لو كان قول الملائكة لقيل ذلك خطاباً له ﷺ، ولما كان هنا محل أن يقال: إن البر يشترك فيه كثير من الناس قال: **(وكان أبر الناس بأمه)** والزيادة في (أبر) إضافية على

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٠٢).

٤٩٢٧ ـ [١٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رِضَا الربِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسُخْطُ الرَّبِّ فِي سُخْطِ الْوَالِدِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ١٨٩٩].

٤٩٢٨ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَحَافِظْ عَلَى الْبَابِ أَوْ ضَيِّعْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه. [ت: ١٩٠٠، جه: ٣٦٦٣].

ما هو المتعارف في مثل هذه العبارة، ويمكن أن تكون حقيقية، ولم يكن أحد مثله في البر، علم ذلك النبي ﷺ بالوحي، والله أعلم.

٤٩٢٧ ـ [١٧] (عبدالله بن عمرو) قوله: (رضا الرب في رضا الوالد) وكذلك الوالدة بطريق الأولى لزيادة حقها، وقيل: الوالد هنا صيغة النسبة، فيشمل الأم، وتخصيص ذكر اسم الرب بالذكر من أسمائه تعالى أنسب هنا؛ لوجود معنى التربية في الوالد.

وقوله: (وسخط الرب) السخط بالضم وكعنق وجبل: ضد الرضا، وسخط كفرح، كذا في (القاموس)[١]، وفي (النهاية)[٢]: السخط بالفتح والضم: الكراهة للشيء وعدم الرضا به، والرواية بفتحتين.

٤٩٢٨ ـ [١٨] (أبو الدرداء) قوله: (الوالد أوسط أبواب الجنة) أي: خيرها وأفضلها، أي: أن للجنة أبواباً وأحسنها دخولاً أوسطها، وإن سبب دخول الجنة من

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٧).

(٢) «النهاية» (٢/ ٣٥٠).

٤٩٢٩ ـ [١٩] وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمَّكَ» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ١٨٩٧، د: ٥١٣٩].

٤٩٣٠ ـ [٢٠] وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا اللهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ١٦٩٤].

ذلك الباب هو محافظة حقوق الوالدين ورضاهما عنك، ولا بد من حمل الوالد على صيغة النسبة؛ لأن الكلام هنا في الأم قصداً، ويبعد ذكرها تبعاً كما في الحديث السابق.

٤٩٢٩ ـ [١٩] (بهز بن حكيم) قوله: (وعن بهز) بفتح الموحدة وسكون الهاء في آخره زاي.

وقوله: (من أبر) على صيغة المتكلم، و(من) مفعوله المقدم، وهذا مثل الحديث المذكور في أول الباب، و(أمك) هنا منصوب قطعاً على المفعولية.

٤٩٣٠ ـ [٢٠] (عبد الرحمن بن عوف) قوله: (بتته) البت: القطع، ومنه تأكيد الفعل بقولهم: البتة مصدراً مؤكداً لغيره، مثل قولهم: زيد قائم الحق، اعلم أني سمعت أحداً من أهل العلم ينقل عن أستاذه أنه قال: إن قول الناس: افعل هذا الأمر البتة ينبغي أن يقرأ إما بالتاء مخففاً بفك الإدغام أو بدونها مدغماً، أما مع التاء مشدداً فخطأ، انتهى.

فقلت له: لم لا يجوز أن يكون مع التاء مدغماً، بأن تكون التاء للوحدة التي

٤٩٣١ ـ [٢١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَنْـزِلُ الرَّحْمَةُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِـمْ قَاطِعُ الرَّحِـمِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٥٩].

٤٩٣٢ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِـي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِـهِ الْعُقُوبَـةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٥١١، د: ٤٩٠٢].

٤٩٣٣ ـ [٢٣] وَعَـنْ عَبْـدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلاَ عَاقٌّ، . . . .

تلحق المصادر مثل الضربة والجلسة على أن فك الإدغام في مثله شاذ، فسكت، فتدبر.

٤٩٣١ ـ [٢١] (عبدالله بن أبي أوفى) قوله: (لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع الرحم) وهذا مثل ما يروى أنه قد ينزل البلاء على قوم فيهم تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[فاطر: ٤٥] على تأويل، وذلك للمجاورة، أي: قد يكون كذلك لأجل عدم منعهم إياه من ذلك، ويمكن أن يراد قوم يبعثون على القطع ويرضون به، والله أعلم، وجاء في لفظ الطبراني: (الملائكة) بدل (الرحمة).

٤٩٣٢ ـ [٢٢] (أبو بكرة) قوله: (من البغي وقطيعة الرحم) لما فيهما من إيذاء الخلق وتضييع حقهم أفحش من غيرهما من الذنوب، وفي قوله: (أحرى) إشارة إلى استحقاق أهلهما هذا الجزاء عقلاً.

٤٩٣٣ ـ [٢٣] (عبدالله بن عمرو) قوله: (منان) يحتمل أن يكون من المنة،

وَلاَ مُدْمِنُ خَمْرٍ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ن: ٥٦٧٢، دي: ٢١٣٨].

٤٩٣٤ ـ [٢٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، ....

أي: يمن على أولي الأرحام بما يعطيهم ويؤذيهم بذلك، أو الذي ينقص من حق ذوي الأرحام، ويجيء المن بمعنى النقص، والتخصيص بقرينة ذكره مع العاق، وقيل: هو من المن بمعنى القطع، أي: قاطع الرحم، ويحتمل أن يكون المراد من يمن على الناس عموماً كما هو الظاهر المتبادر، ويدخل قاطع الرحم في العاق؛ فإن العقوق قد يطلق في الأقربين من غير الأبوين كما ذكره الطيبي[1] في أول الباب، فافهم.

وقوله: (ولا مدمن خمر) أي: من يداوم على شرب الخمر ويعتاد به، من أدمن الشيء: أدامه.

٤٩٣٤ ـ [٢٤] (أبو هريرة) قوله: (ما تصلون به) أي: نسباً تعرفون به أقاربكم الذين تجب صلتهم، فتعلموا أسماء آبائكم وأجدادكم وأعمامكم وأخوالكم وسائر أقاربكم؛ لتعرفوهم فتصلوهم.

وقوله: (فإن صلة الرحم محبة) قال الطيبي[2]: هو مفعلة من الحب كالمظنة من الظن، انتهى. فيكون بكسر الحاء كالمظنة بكسر الظاء، أي: منشأ الحب وسببه ومكانه.

وقوله: (مثراة) بفتح الميم وسكون المثلثة من الثروة، وهي كثرة المال، في

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٤٥).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ١٦٠).

مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ١٩٧٩].

٤٩٣٥ ـ [٢٥] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْباً عَظِيماً فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «وَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَبَرَّهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ١٩٦٨].

٤٩٣٦ ـ [٢٦] وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ بَقِيَ مِنْ..

(القاموس)[1]: هذا مثراة للمال، أي: مكثرة له، و(منسأة) أيضاً بفتح الميم وسكون النون وفتح السين وفتح الهمزة، من النسأ، وهو التأخير، أي: بسبب تأخير الأجل، وقد مرّ.

٤٩٣٥ ـ [٢٥] (ابن عمر) قوله: (فهل لي من توبة) الظاهر أن المراد بالتوبة هنا توبة الله عليه ورجوعه بالرحمة، فافهم.

وقوله: (فبرها) بفتح الباء والراء على صيغة الأمر من بر يبر كسمع يسمع.

٤٩٣٦ ـ [٢٦] (أبو أسيد) قوله: (وعن أبي أسيد) بلفظ التصغير وقد مر.

وقوله: (من بني سلمة) بكسر اللام، بطن من الأنصار، وليس في العرب سلمة غيرهم، كذا في (القاموس)[2].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٥).

بِـرِّ أَبَوَيَّ شَـيْءٌ أَبَرُّهُمَـا بِـهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَـا؟ قَـالَ: «نَعَمْ، الصَّـلاَةُ عَلَيْهِمَا، وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَـهْ. [د: ٥١٤٢، جه: ٣٦٦٤].

٤٩٣٧ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِـيَّ ﷺ يَقْسِمُ لَحْماً بِالْجِعِرَّانَةِ إِذْ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ حَتَّى دَنَتْ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَنْ هِيَ؟ فَقَالُوا: هِيَ أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٥١٤٤].

وقوله: (صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما) ظاهر العبارة أنها صفة للرحم، أي: الرحم التي اختصت لأجلهما كأولاد الأب والأم، فإنها آكد من صلة أولاد الأجداد والجدات، والطيبي[1] جعلها صفة الصلة، أي: الصلة الموصوفة بأنها خالصة لحقهما ورضاهما لا لأمر آخر، أي: لا ينبغي أن يخدم بطلب منزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله في رضا الوالدين، كطاعة الله لا يريد بها إلا رضاه تعالى ولا يريد غيره.

٤٩٣٧ ـ [٢٧] (أبو الطفيل) قوله: (الجعرانة) بكسر الجيم والعين المهملة وتشديد الراء، وقد تسكن العين وتخفف الراء: موضع معروف على مرحلة من مكة، أقام بها رسول الله ﷺ بضعة عشر يوماً لتقسيم غنائم حنين، واعتمر منها، والقصة مشهورة.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٦١).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٤٩٣٨ ـ [٢٨] عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، ....

الفصل الثالث

٤٩٣٨ ـ [٢٨] (ابن عمر) قوله: (صخرة) في (القاموس)[١]: الصخرة: الحجر العظيم الصلب، ويحرك.

وقوله: (أعمالاً عملتموها لله صالحة) صفة ثانية لـ (أعمالاً)، وهو كالصفة الكاشفة؛ فإن الصالحة في الحقيقة هي التي أعملت خالصة لوجه الله تعالى، ولو أريد بالصالحة ما كان مأموراً بها، وبكونها لله عدم مدخلية السمعة والرياء فيها؛ كان الظاهر تقديم قوله: (صالحة) على قوله: (لله)، وقيل: قوله: (لله) متعلقة بـ (صالحة)، أي: تصلح لقبوله، وقد جاء في رواية البخاري: (أعمالاً عملتموها صالحة لله).

وقوله: (يفرجها) أي: الصخرة، أي: الشدة التي حصلت منها.

وقوله: (صبية) بكسر الصاد وسكون الباء وفتح الياء جمع صبي.

وقوله: (أرعى عليهم) ضمن (أرعى) معنى أنفق، أي: أنفق عليهم راعياً

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٤).

فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ قَدْ نَأَى بِي الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي . .

لغنيمات، أو أرعى الغنيمات منفقاً عليهم، كذا قالوا، ولعل تخصيص الغنيمات باعتبار العادة؛ فإن أكثر أحوال الفقراء ذوي العيال رعيها، أو علم ذلك بالنقل.

وقوله: **(وإنه قد نأى)** وفي بعض الروايات: (ناء)، وكلاهما لغتان مشهورتان بمعنى بعد، والأول أكثر استعمالاً، وهو قراءة أكثر القراء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[الإسراء: ٨٣]، وقرأ ابن عامر: ﴿نَاءَ﴾، قال البيضاوي[١]: هو على القلب، وقال الجلبي: نحو راء رأى، والصواب أنهما لغتان.

ومعنى قوله: **(نأى بي الشجر)** أي: ذهبت في طلب المرعى بعيداً حتى أمسيت، والباء في (بي) للتعدية.

وقوله: **(فجئت بالحلاب)** هو يجيء بمعنى المحلوب، والإناء الذي يحلب فيه، وكلاهما محتمل الإرادة هنا.

وقوله: **(يتضاغون)** بالضاد والغين المعجمتين، ضَغَا يَضْغو ضَغْواً وضُغاءً: إذا صاح وزج، وتقديم الأصول في الإنفاق يكون مشروعاً جائزاً في شريعتهم، أو كانت الصبية يطلبون الزائد على سد الرمق، كذا قالوا.

وقوله: **(عند قدمي)** بلفظ الإفراد والتثنية، والثاني أصح.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦٥).

وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَّجَ اللهُ لَهُمْ حَتَّى يَرَوْنَ السَّمَاءَ.

قَالَ الثَّانِي: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَاللهِ! اتَّقِ اللهَ، وَلاَ تَفْتَحِ الْخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا، فَفَرَّجَ لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيراً بِفَرْقِ أَرُزٍّ، . . . .

وقوله: (فافرج) على صيغة الأمر من نصر، وقد يروى من الإفعال، والفرجة بضم الفاء، وهذا البناء للمقدار، وقد يفتح للمرة.

وقوله: (ففرج) بالتشديد، وقد يروى بالتخفيف.

وقوله: (حتى يرون) بإثبات النون في أكثر الروايات على حكاية الحال الماضية نحو: مرض حتى لا يرجونه في الحال المحققة، وقد يروى بحذف النون، و(حتى) بمعنى (كي)، والأول أقوى رواية، وإن كان الثاني أظهر دراية.

وقوله: (فطلبت إليها) أي: طلبت أن تمكنني من نفسها متوجهاً إليها، أو يضمن معنى الإرسال.

وقوله: (ولا تفتح الخاتم) كناية عن الخيانة في الأمانة، أو عن إزالة البكارة.

وقوله: (بفرق أرز) قال القاضي عياض في (المشارق)[1]: في حديث الغسل

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٥٥).

فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَراً وَرَاعِيهَا، ....

من الجنابة في قوله: في إناء هو الفرق، رويناه بإسكان الراء وفتحها عن شيوخنا، والفتح للأكثر، قال الباجي: وهو الصواب، وكذا قيدنا عن أهل اللغة، وقال: لا يقال فيه: فرق بالإسكان، ولكن فرق بالفتح، وكذا حكى النحاس، وحكى ابن دريد أنه قد قيل بالإسكان، ومثله في الحديث الآخر: (بفرق أرز)، وهو نحو ثلاثة آصع، وقيل: يسع خمسة عشر رطلاً، وهو إناء معروف عندهم، انتهى.

وقال في (القاموس)[1]: الفرق مكيال بالمدينة تسع ثلاثة آصع، ويحرك، أو هو أفصح، أو تسع ستة عشر رطلاً.

و(الأرز) حب معروف بفتح الهمزة وضم الراء مع شدة الزاي وخفتها، وبضمتين كذلك، وبضمة وسكون، وقد يجيء بمد الهمزة على وزن كابل، وقد يجيء بحذفها، وقد يجيء مع حذفها بالنون مكان الراء، وكلها لغات فيه، وفي رواية: (ذرة) بضم الذال وخفة الراء المفتوحة، فيجمع بأن الفرق كان من صنفين، أو أنهما لما كانا متقاربين أطلق اسم أحدهما على الآخر، أو أنه استأجر أكثر من واحد، فكان بعضهم بفرق أرز وبعضهم بذرة، كذا قال الشيخ ابن حجر[2].

وقوله: **(حتى جمعت منه بقراً وراعيها)** لأنه الأكثر الأغلب، فلا ينافي رواية: (فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال)، وفيها: (فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق من أجرك)، وفيها: (فاستاقه فلم يترك منه شيئاً)، وما في رواية أنه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٤٥).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٥٠٦).

فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيهَا، فَأَخَذَ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُم». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٢١٥، م: ٢٧٤٣].

دفع إليه عشرة آلاف درهم فمحمول على أنها كانت قيمة الأشياء المذكورة، كذا في الحاشية للعلامة مير جمال الدين رحمة الله عليه[١].

وقوله: **(فخذ ذلك البقر وراعيها)** التذكير باعتبار اللفظ والتأنيث باعتبار المعنى، وهو جائز في أسماء الأجناس والجموع، وقال الطيبي[٢]: ذلك إشارة إلى البقرة باعتبار السواد المرئي أو الشخص، نحو قولك: هند ذلك الإنسان.

ومن فوائد هذا الحديث جواز التوسل بصالح الأعمال بحال الشدة والكرب بل استحبابه، لأنه ﷺ ذكره في معرض الثناء عليهم، وفضل بر الوالدين وإيثارهما على من سواهما وإن كان من الأولاد، والاحتراز والتحاشي عن إيقاعهما في الكلفة والمشقة، وقصر الهمة على طلب الراحة لهما، وكراهة إيقاظ أحد خصوصاً في محل الأدب والتعظيم، وأن النوم ألذ وأطيب من تناول الطعام، وفضل العفة وكف النفس عن المحرمات عند القدرة ووجود داعية النفس وعدم المانع لا سيما في شهوة الفرج؛ لكونها أغلب الشهوات وأعصاها على العقل، وأن تصرف الفضولي جائز وينفذ عند

---

(١) «حاشية جمال الدين» (ص: ٣٠٣).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ١٦٣).

٤٩٣٩ ـ [٢٩] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ: أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: نعَمْ، قَالَ: «فَالْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّـةَ عِنْدَ رِجْلِهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٣/ ٤٢٩، ن: ٣١٠٤، شعب: ٧٤٤٩].

٤٩٤٠ ـ [٣٠] وَعَنِ ابنِ عمرَ قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أُحِبُّهَا وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لِي: طَلِّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طَلِّقْهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ١١٨٩، د: ٥١٣٨].

إذن المالك كما هـو مذهب الحنفية، وفضل حسن التعهد، وأداء الأمانة، والسماحة في المعاملات، واستجابة الدعاء، واستجابته عند الشدة والمحنة، وثبوت الكرامات للأولياء كما هو مذهب أهل الحق.

٤٩٣٩ ـ [٢٩] (معاوية) قوله: (معاوية بن جاهمة) بالجيم وكسر الهاء.

وقوله: (فإن الجنة عند رجلها)[1] يعني كون الرجل عند رجل أمه موجب للجنة، وهذا معنى كون الجنة عند رجلها.

٤٩٤٠ ـ [٣٠] (ابـن عمر) قولـه: (طلقها) إن كان الحـق فـي جانب الوالدين

---

(١) قال الطيبي (٨/ ٣١٧١): كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، ولعلـه ﷺ عرف مـن حاله وحال أمـه حيـث ألزمه خدمتها ولزومها أن ذلك أولى به.

٤٩٤١ ـ [٣١] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا؟ قَالَ: «هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه. [جه: ٣٧٠٦].

٤٩٤٢ ـ [٣٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَمُوتُ وَالِدَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا وَإِنَّهُ لَهُمَا لَعَاقٌّ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو لَهُمَا وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا حَتَّى يَكْتُبَهُ اللهُ بَارًّا».

٤٩٤٣ ـ [٣٣] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مُطِيعاً لِلَّهِ فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِداً فَوَاحِداً، ....

فطلاقها واجب؛ للزوم العقوق، وإن كان في جانب المرأة؛ فإن طلقها لرضا الوالدين فهو جائز.

٤٩٤١ ـ [٣١] (أبو أمامة) قوله: (هما جنتك ونارك) أي: برهما موجب للجنة، وعقوقهما سبب دخول النار.

٤٩٤٢ ـ [٣٢] (أنس) قوله: (حتى يكتبه الله باراً) فيه أن الدعاء والاستغفار للوالدين يزيل إثم العقوق، وذلك كالاستغفار والاعتذار في حالة الحياة.

٤٩٤٣ ـ [٣٣] (ابن عباس) قوله: (له بابان) يحتمل أن يكون جملة حالية، وفي (أصبح) ضمير فاعله، وأن يكون (له) خبر (أصبح)، و(بابان) فاعله.

وقوله: **(وإن كان واحداً فواحداً)** أي: إن كان المطاع واحداً فالباب المفتوح واحد، وفي بعض النسخ: (فواحداً) أي: إن كان الباب المفتوح واحداً.

وَمَنْ أَصْبَحَ[١] عَاصِياً لِلَّهِ فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَـهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ النَّارِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِداً فَوَاحِداً» قَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ ظَلَمَاهُ؟ قَالَ: «وَإِنْ ظَلَمَاهُ، وإِن ظَلَمَاهُ، وإِنْ ظَلَمَاهُ».

٤٩٤٤ ـ [٣٤] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ وَلَدٍ بَارٍّ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدَيْهِ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةً مَبْرُورَةً»، قَالُوا: وَإِنْ نَظَرَ كُلَّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؟ قَالَ: «نعَمْ، اللهُ أَكْبَرُ وَأَطْيَبُ».

٤٩٤٥ ـ [٣٥] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ الذُّنُوبِ يَغْفِرُ اللهُ مِنْهَا مَا شاءَ[٢] إِلاَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، ....

وقوله: (ومن أمسى) وفي بعض النسخ: (أصبح)، وهو أوفق بجوابه، وهو قوله: (أصبح له بابان [مفتوحان] من النار).

وقوله: (قال: وإن ظلماه) بالتكرير ثلاثاً للمبالغة والتشديد، والمراد الظلم في الأمور الدنياوية دون الدينية؛ لأن طاعة الوالدين فيما يخالف الدين غير جائزة.

٤٩٤٤ ـ [٣٤] (ابن عباس) قوله: (الله أكبر وأطيب) أي: أنزه من اعتقادك أنه لا يعطي ذلك الجزاء العظيم.

٤٩٤٥ ـ [٣٥] (أبو بكرة) قوله: (إلا عقوق الوالدين) تغليظ وتشديد، ولذا عد أكبر الكبائر بعد الإشراك، ولعله تعالى يرضي الوالدين عند يوم القيامة كما يرضي الخصوم.

---

(١) في نسخة: «أمسى».

(٢) في نسخة: «مَا يَشَاءُ».

فَإِنَّهُ يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ».

٤٩٤٦ ـ [٣٦] وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَقُّ كَبِيْرِ الإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الْخَمْسَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٥٢٤، ٧٥٣٨، ٧٤٧٢، ٧٥٠٦، ٧٥٥٣].



١٥ ـ باب الشفقة والرحمة على الخلق

وقوله: (فإنه) أي: الله (يعجل) أي: العقوبة.

٤٩٤٦ ـ [٣٦] (سعيد بن العاص) قوله: (حق الوالد على ولده) من قبيل إلحاق الناقص بالكامل مبالغة في الترغيب والترهيب.

١٥ ـ باب الشفقة والرحمة على الخلق

الإشفاق يجيء بمعنى الخوف مطلقاً، وبمعنى الخوف مع النصيحة وإرادة الخير، والشفقة والشفق محركاً اسمان منه، ويستعملان بمعنى الرحمة مطلقاً؛ لأن المشفق يخاف أن يصيب المشفق عليه مكروه، وفي (القاموس)[1]: الشفق محركة: الخوف، والشفقة، وحرص الناصح على صلاح المنصوح، وهو مشفق وشفيق.

والرحمة ويحرك: الرقة والمغفرة والتعطف، كالمرحمة، والرُّحم بالضم وبضمتين، والفعل كعلم، ورحّم عليه ترحيماً، وترحَّم، والأولى الفصحى، والاسم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٢٧).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٤٩٤٧ ـ [١] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٣٧٦، م: ٢٣١٩].

٤٩٤٨ ـ [٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: ....

الرحمى، انتهى.

والرحمة في الإنسان: رقة وانعطاف يحصل في قلبه، وهو محال على الله تعالى، فالمراد به في حقه تعالى الرضا والإحسان، وكذلك سائر الصفات التي من قبيل الانفعال كالغضب ونحوه تطلق عليه تعالى باعتبار الآثار دون المبادئ، كما حقق في موضعه، وقد يشتق منه الرحموت كالرهبوت من الرهب، والجبروت من الجبر، والرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة كندمان ونديم، وهما بمعنى، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على طريق التوكيد، كما يقال: فلان جاد مجد، والرحمن مختص به تعالى، ولذا قال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[الإسراء: ١١٠] أعاده بالاسم ذكراً للاسمين الذين لا يشرك فيهما غيره، كذا في (الصحاح)[١].

الفصل الأول

٤٩٤٧ ـ [١] **(جرير بن عبدالله)** قوله: **(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)** أي: رحمة خاصة مخصوصة بالراحمين الفائزين السابقين.

٤٩٤٨ ـ [٢] **(عائشة)** قوله: **(أتقبلون الصبيان؟)** من التقبيل **(فما نقبلهم)** الهمزة للإنكار، وليس المراد حقيقة الاستفهام؛ لأن الظاهر من سياق الكلام أنه رأى أنهم

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» (١/ ١١٧).

«أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَـزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِـكَ الرَّحْمَةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٩٨، م: ٢٣١٧].

٤٩٤٩ ـ [٣] وَعَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْـدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَـا إِيَّاهَـا، فَقَسَمَتْهَا بَيْـنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِـيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٩٩٥، م: ٢٩٨٢].

يقبلونهم، والفاء فـي (فما نقبلهم) للتعقيب فـي المرتبة نحو (ثم) يجيء للتراخي في الرتبة، تفيد استبعاد التقبيل لكونه منكراً عنده، وقد أتي بمثل هذه الفاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[الكهف: ٥٧]، ولهذا جاء في آية أخرى: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾[السجدة: ٢٢]، فتدبر.

وقولـه: (أن نزع) يروى بفتح الهمزة، والتقدير: لا أملك دفع نزع الله الرحمة عن قلبك، ويكسرها على أنها شرطية.

٤٩٤٩ ـ [٣] (وعنها) قوله: (من ابتلي من هذه البنات بشيء): (من) إما بيانية، و(شيء) كنايـة عن العدد، أي: بواحـدة أو اثنتين منهـن، أو ابتدائية، والمعنى ابتلي بما صدر عنهن من كلفة وإيذاء، ثم اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر على قدر الواجـب أو ما زاد عليه، والظاهر هو الثاني، ولهذا أورد هذا الحديث في (باب الشفقة والرحمة على الخلق) لا في (باب البر والصلة)، فافهم.

والمراد بالإحسان ما يوافق الشرع، وقال الشيخ ابن حجر[1]: الظاهر أن الثواب

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٢٨).

٤٩٥٠ ـ [٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَـا وَهُوَ هَكَذَا»، وَضَـمَّ أَصَابِـعَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٣١].

٤٩٥١ ـ [٥] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ ....

المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر على ذلك إلى تزويجهن أو موتهن.

٤٩٥٠ ـ [٤] (أنس) قوله: (من عال جاريتين) أي: قام بما تحتاجان إليه من قوت وكسوة، والصغيرة تسمى جارية كالصغير يسمى غلاماً.

وقوله: (أنا وهو هكذا) جملة حالية من فاعل (جاء)، ومنه يعلم أن تجريد الجملة الاسمية عن الواو فصيح، ولو كان فيه ضعف لم يبلغ حدًّا يخل بالفصاحة.

وقوله: (وضم أصابعه) المراد ضم أصبعيه السبابة والوسطى ومقارنتهما واتصالهما كما يظهر من حديث سهل بن سعد، والمراد الاقتران في دخول الجنة أو السكنى فيه، أو الاجتماع في المحشر أو جميع المواطن، وهو الأظهر والأنسب بقوله: (يوم القيامة)، والله أعلم.

ثم إنهم ذكروا في حديث: (بعثت أنا والساعة كهاتين) أن المراد اقترانهما أو تقدم أحدهما على الآخر يعني أن الساعة تعقبني، ولو أريد هذا المعنى في هذا الحديث لكان المراد التعقيب في دخول الجنة، لكنهم قالوا: إن المراد هو المقارنة والاتصال كما لا يخفى.

٤٩٥١ ـ [٥] (أبو هريرة) قوله: (الساعي على الأرملة) بفتح الهمزة والميم

كَالسَّاعِي فِي سَبِيلِ اللهِ» وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «كَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٠٧، ٢٩٨٢].

أي: الساعي في أمرها والمنفق عليها، قال الطيبي[١]: الأرملة: امرأة لا زوج لها، سواء تزوجت قبل ذلك أم لا، وقيل: هي التي فارقها زوجها، سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد، وقال في (القاموس)[٢]: رجل أرمل، وامرأة أرملة: محتاجة أو مسكينة، والجمع أرامل وأراملة، والأرمل: العزب، وهي بهاء، ولا يقال للعزبة الموسرة: أرملة، وفي (الصراح)[٣]: أرمل: مرد بے زن، أرملة: زن بے شوي، أرامل: بيوگان ودرويشان ومحتاجان از مرد وزن، أرملت المرأة، أي: مات عنها زوجها.

وقوله: **(وأحسبه)** قال في بعض الشروح: أي قال أبو هريرة: أظن أن النبي ﷺ قال، وفي بعض الحواشي: قائله عبدالله بن مسلمة القعنبي شيخ البخاري ومسلم الراوي عن الإمام مالك كما صرح به البخاري، ومعناه أظن أن مالكاً قال: (كالقائم . . . إلخ)، وظاهر لفظ (المشكاة) يوهم أن قائله أبو هريرة.

وقوله: **(كالقائم)** أي: القائم بالليل للعبادة.

وقوله: **(لا يفتر)** بضم التاء من نصر ينصر، من الفتور، وأما ما هو بمعنى الافتراء فهو بفتح التاء بحذف اللام[٤].

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٦٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٧).

(٣) «الصراح» (ص: ٤٢٧).

(٤) كذا في الأصل.

٤٩٥٢ ـ [٦] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَـهُ وَلِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ هكَذَا»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وفرَّجَ بَينَهُمَا شَيْئاً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٣٠٤].

٤٩٥٣ ـ [٧] وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمِ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذا اشْتَكَى عُضْواً تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠١١، م: ٢٥٨٦].

٤٩٥٢ ـ [٦] **(سهل بن سعد)** قوله: **(أنا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة هكذا)** الحديث، يعلم منـه أن المراد المقارنة في الجنـة، وأن المراد بالضم في حديث أنس مع التفريج شيئاً فيجب حملـه عليـه؛ إذ الأحاديث يشرح بعضها بعضاً، اللهم إلا أن يقال: ثواب عول الجاريتين أكثر من ثواب كفالة اليتيم، فيكون المقارنة في ذلك أشد وأقوى من هذا، ويكون في جميع المواطن لا في الجنة خاصة، والله أعلم.

ثم المراد بكون اليتيم له أن يكون من أقاربـه وأرحامه، كابن الابن أو ابن الأخ وأمثالهما، ومن كونه لغيره أن يكون من الأجانب.

٤٩٥٣ ـ [٧] **(النعمان بن بشير)** قولـه: **(اشتكى عضواً)** في أكثر النسخ هكذا منصوباً على المفعولية أو التمييز، وفاعل (اشتكى) ضمير للجسد، أي: تألم من جهة العضو، وفي بعضها مرفوع على الفاعلية، ومعنى التداعي أن يدعو القوم بعضهم بعضاً ليتفقوا على فعل شيء، وفي (الصراح)[1]: تداعت الحيطان، وللخراب أي: تهادمت، أي: يدعو بعض الأعضاء بعضاً آخر، والمقصود التوافق في الألم والمشقة.

وقوله: **(في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم)** أريد بالتراحم أن يرحم بعضهم بعضاً

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٥٧).

٤٩٥٤ ـ [٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٨٦].

٤٩٥٥ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٢٦، م: ٢٥٨٥].

٤٩٥٦ ـ [١٠] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: «اِشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، ....

بمجرد أخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وبالتواد رعاية الأحوال من جهة التواصل والتحابب بعلاقة زائدة كالتزاور والتهادي، والتعاطف إعانة بعضهم بعضاً بسبب الرقة بمشاهدة العجز والضعف والمسكنة ونحوها.

٤٩٥٤ ـ [٨] (وعنه) قوله: (إن اشتكى عينه اشتكى كله) وروي (عينه) و(رأسه) و(كله) بالنصب والرفع، لكن تذكر (اشتكى) في (اشتكى عينه) يرجح النصب، إلا أن يجعل بدلاً على تقدير الرفع.

٤٩٥٥ ـ [٩] (أبو موسى) قوله: (ثم شبك بين أصابعه) قيل: هذا مما اختص البخاري بذكره ولم يذكره مسلم.

٤٩٥٦ ـ [١٠] (أبو موسى) قوله: (فلتؤجروا) قال الطيبي[1]: الفاء واللام كلتاهما مقحمة للتأكيد، إذ يكفي أن يقال: تؤجروا جواباً للأمر، انتهى.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧١).

وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٤٧٦، م: ٢٦٢٧].

٤٩٥٧ - [١١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْصُرُهُ مَظْلُوماً فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِماً؟ قَالَ: «تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٩٥٢، م: ٢٥٨٤].

٤٩٥٨ - [١٢] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ..............................

وقد صحح في بعض النسخ بكسر اللام، فتكون (أن) مقدرة بعدها، فعلى هذا تكون الفاء مقحمة فقط.

٤٩٥٧ - [١١] (أنس) قوله: (فذلك نصرك إياه) لأنك نصرته على النفس والشيطان الذين بعثاه على الظلم وأمراه به.

٤٩٥٨ - [١٢] (ابن عمر) قوله: (لا يظلمه) خبر في معنى الأمر، والظلم في الأصل: وضع الشيء في غير موضعه، فيتناول الصغيرة والخصلة المباحة التي لا تليق عرفاً، ولهذا قال العباس لعلي رضي الله عنهما في مرافعتهما قضية صدقة بني النضير إلى عمر رضي الله عنه: اقض بيني وبين هذا الظالم، ولم ينكر أحد هذه الكلمة من عباس؛ لأنهم فهموا أنه لا يريد حقيقتها، وهذه كلمة لا يراد بها حقيقتها في العرف في أمثال هذا المقام، وقيل: إن عليًّا كان كالولد للعباس، وللوالد أن يقول لولده ما ليس لغيره، كذا في (مجمع البحار)[1]، وحاشا عليًّا المرتضى أن ينسب إليه الظلم، رضي الله عنه وكرم وجهه.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٤٩٨).

وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٤٤٢، م: ٢٥٨٠].

وقوله: **(ولا يسلمه)** أي: لا يخذله عن النصرة، ولا يتركه مع من يؤذيه بل ينصره، قال الطيبي[١]: يقال: أسلم فلان فلاناً: إذا ألقاه في الهلكة، ولم يحمه من عدوه، انتهى. وهو من الإسلام، والهمزة للسلب، أي: لا يزيل سلمه، والسلم بفتح السين وكسره وسكون اللام: الصلح، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[البقرة: ٢٠٨].

وقوله: **(من فرج عن مسلم كربة)** في (القاموس)[٢]: الكرب: الحزن يأخذ بالنفس كالكربة بالضم، والجمع كروب، وكربه الغم فاكترب، فهو مكروب وكريب.

وقوله: **(من ستر مسلماً)** قالوا: الستر المندوب هو الستر على ذوي الهيئات ممن لا يعرف بالأذى والفساد، وأما المعروف به والمتلبس بالمعصية علانية فيجب إنكاره ورفع الأمر إلى الولاة إن لم يقدر على منعه، وأما جرح الرواة والشهود وأمناء الصدقات فواجب؛ صيانة للدين وحفظاً للحقوق.

وقوله: **(ستره الله يوم القيامة)** أي: ستره عن أهل الموقف، أو ترك المحاسبة، أو ترك ذكر ذنوبه.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٣٣).

٤٩٥٩ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا»، وَيُشِير إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَث مِرارٍ، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ ومالهُ وَعِرْضُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٦٤].

٤٩٥٩ ـ [١٣] (أبو هريرة) قوله: (ولا يحقره) بفتح الياء وسكون الحاء وكسر القاف، قال القاضي عياض في (المشارق)[1]: كذا رواه السمرقندي والسجزي بالحاء المهملة والقاف من الحُقرية، أي: لا يستصغره ويذله ويتكبر عليه، ورواه العذري: (ولا يخفره) بالخاء المعجمة والفاء وضم الياء أوله، أي: لا يغدره ولا يخونه، يقال: خفرت الرجل: أجرته وأمنته، وأخفرته: لم أوف له وغدرته، وكذلك الخلاف في آخر الحديث: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر) على ما تقدم للرواة، والصواب أن يكون من الاستحقار، وهو المروي في غير مسلم، ورواه غيره: (يحتقر)، انتهى كلامه، وفي (القاموس)[2]: الحقر والحُقرية بالضم: الذلّة، والحقارة، مثلثة، والمحقرة: الإذلال، وفي بعض الحواشي: حقره واحتقره واستحقره: استصغره، وحقر بالضم حقارة فهو حقير، وفي (تاج المصادر): الحقر: خوار داشتن، من حد ضرب، والحقارة حقير شدن، من كرم، وظهر من هذا كله أنه ليست الرواية: ولا يحقره من باب التفعيل وإن كان كلام الطيبي[3] يوهمه، فتدبر.

وقوله: (التقوى ههنا، ويشير إلى صدره) الغرض من ذكر هذه الجملة تأكيد النهي

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٣٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٥٤).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧٢).

٤٩٦٠ ـ [١٤] وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَـةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ متصدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، ....

عن احتقار المسلم بأن التقوى أمـر خفي مبطن، فلا ينبغي أن يحقر أحد بما يرى من هوان ظاهر حاله وذله، ويجوز أن يكون معناه محل التقوى القلب، فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقـر مسلماً؛ لأن المتقي ليس من شأنـه أن يحقـر المسلم، ولا شك أن المعنى الأول أظهر وأنسب بسوق الكلام، وأما على المعنى الثاني فليس في ذكر الإشارة كثير فائدة، وقول الطيبي بأن القول الثاني أوجه والنظم له أدعى لأنه ﷺ إنما شبه المسلم بالأخ للتنبيه على المساواة وأن لا يرى لنفسه على أحـد من المسلمين فضلاً ومزيـة، وتحقيره إياه ينافي هذه الحالة، وينشأ منه قطع وصلة المحبة، محل نظر؛ لأنه يحصل هذا الغرض على الوجهين كما لا يخفى.

٤٩٦٠ ـ [١٤] **(عيـاض بن حمـار)** قولـه: **(ذو سلطان)** فـي (القامـوس)[١]: السلطان: الحجـة، وقدرة الملك، وتضم لاَمُه، والوالي، مؤنث، لأنـه جمع سليط للدهن، كأنه به يُضيء الملك، أو لأنه بمعنى الحجة، وقد يذكَّر ذهاباً إلى معنى الرجل، وفي (الصراح)[٢]: سلطان: قهرمان وحجت، يذكر ويؤنث.

وقولـه: **(مقسط)** المقسط: العادل، والقاسط: الجائـر، قولـه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن: ١٥]، ويقال: قسط يقسط من ضرب يضرب قسطاً بالفتح وقسوطاً: جار وعدل عـن الحق، وأما القسط بالكسر فهـو بمعنى العدل، من

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٨).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٩٢).

وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: . . . .

المصادر الموصوف بها كالعدل، يستوي فيه الواحد والجمع، كذا في (القاموس)[١]، ولم يجئ قاسط بمعنى العادل من القسط بالكسر، بل بمعنى الجائر من القسط بالفتح.

وقوله: (**وعفيف متعفف**) في (الصراح)[٢]: عفت: پارسائي وباز ايستادن أز حرام، تعفف: پارسائي نمودن، وفي (القاموس)[٣]: عف عفًّا وعفافاً وعفافة، بفتحهن وعفة بالكسر، فهو عفّ وعفيف: كف عما لا يحل، والجمع أَعِفَّاء، وهي عَفَّة وعفيفة، والجمع عفائف وعفيفات، وتعفف: تكلفها، انتهى. وقيل: أراد بالعفيف من في نفسه القوة المانعة عن الفواحش، وبالمتعفف من يبرزها بالفعل، ويظهر العفة من نفسه، فافهم. وأكثر ما يفسر التعفف بالاجتناب والتحاشي عن السؤال، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[البقرة: ٢٧٣].

وقوله: (**ذو عيال**) أشار به إلى أنه مع كونه محتاجاً ذا عيال يتجنب عن السؤال ويَكِلُ أمرَه وأمرَ عياله إلى الله الرزّاق ذي القوة المتين، ثم اعلم أن الظاهر أن المراد بكون هؤلاء الثلاثة أهل الجنة دخولهم إياها مع السابقين المقربين واحتظاظهم فيها بالنعيم والفوز بالدرجات العالية، وإلا فقد يكون من المؤمنين من ليس [في] هذه الأقسام الثلاثة، وذلك ظاهر، وكذا الكلام في قوله: (**وأهل النار خمسة**) بأنهم يستأهلون دخولها ويحق لهم أن يدخلوها، والمقصود تقبيح هذه الأفعال والتشنيع عليها والتغليظ

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٩).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٥٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٧٣).

الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، . . . .

والتشديد في الوعيد كما كان المراد من قرينة مدح الأفعال المذكورة وتحسينها، وقال الطيبي[١]: إذا استقريت أحوال العباد على اختلافها فلعلك لم تجد أحداً يستأهل أن يدخل الجنة ويحق له أن يكون من أهلها إلا وهو مندرج تحت هذه الأقسام غير خارج عنها، انتهى. ولا يخلو هذا القول عن خفاء.

وقوله: (**لا زبر له**) أي: لا عقل له، كذا في (الصحاح)[٢] وقال الطيبي[٣]: لا زبر له، أي: لا تماسك له، وقال في (مجمع البحار)[٤]: الضعيف: الذي لا زبر له، أي: لا عقل يزبره وينهاه عما لا ينبغي، ومنه حديث: (إذا رددت على السائل ثلاثاً فلا عليك أن تزبره) أي: تنهره وتغلظ عليه في القول والرد، انتهى.

وعلم من هذا أن الزبر بمعنى المنع والنهي، سمي العقل به لكونه مانعاً ناهياً عما لا ينبغي كما سمي بالنهية، وقد قال في (القاموس)[٥]: الزبر: العقل، والصبر، والمنع، والنهي، وقد قيل على تفسيره بالعقل: إن من لا عقل له لا تكليف عليه، فكيف يكون من أهل النار؟ فينبغي أن يفسر بالاستقامة والتماسك، وليس بشيء؛ لأن من الظاهر أن ليس المراد نفي العقل مطلقاً بل العقل الناهي عن ارتكاب ما لا ينبغي، وذلك العقل الذي يقال له: عقل المعاد، الذي يعرف به الصلاح والفساد، وذلك ظاهر.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧٤).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٦٦٧).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧٤).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٤١٧).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٣٧١).

الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعٌ لاَ يَبْغُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً، وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، . . . .

وقال الطيبي[1]: لعل هذا القائل جعل قوله: (**الذين هم فيكم تبع**) قسماً آخر من الأقسام الخمسة وإن كان خلاف الظاهر؛ لعدم ذكره بالواو كما في قرائنه، يعني لما جعله قسماً آخر بقي نفي الزبر مطلقاً، فيرد الإشكال، ولا يخفى أنه مع ذلك قرينة التخصيص ظاهرة، والظاهر أن قوله: (الذين) بيان أو بدل من (الذي لا زبر له) بذكر نوع منه على طريق التمثيل، أو وصف ثان للضعيف، و(الذي) في معنى (الذين) كما في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي خَاضُوٓاْ﴾[التوبة: ٦٩] أراده بمعنى الجنس، أو المراد بالضعيف الجنس، فتارة وصف بالمفرد باعتبار اللفظ وأخرى بالجمع، والمراد بـ(الذين هم فيكم تبع . . . إلخ) هم الذين يدورون حول الأغنياء يخدمونهم ولا يبالون من أيّ وجه يأكلون ويلبسون من الحلال أو من الحرام.

وقوله: (**لا يبغون**) بالغين المعجمة بمعنى الطلب، أي: لا يطلبون أهلاً، فأعرضوا عن التزوج، وارتكبوا الفواحش، ولا يطلبون مالاً بكسب حلال، أو لا رغبة لهم ولا ميل إلى أهل ولا إلى مال، بل قصروا هممهم على المآكل والمشارب وحظوظ أنفسهم حلالاً كان أو حراماً، وفي بعض النسخ: (لا يتبعون) من التبع أو الاتباع.

وقوله: (**والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه**) الطمع مصدر بمعنى المفعول، أي: مما يمكن أن يطمع فيه وإن كان شيئاً دقيقاً يسيراً، إن كان خفيًّا عليه يسعى في التفحص عنه والتطلع عليه حتى يجده ويخونه، وقيل: (ولا يخفى) بمعنى لا يظهر، وقد يجيء الخفاء بمعنى الظهور كما قيل في القول المشهور بالحديث

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧٤).

وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ». وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ، «وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٦٥].

٤٩٦١ ـ [١٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٣، م: ٤٥].

القدسي: (كنت كنزاً مخفياً)، ويؤيده التعدية باللام.

وقوله: (**يخادعك عن أهلك ومالك**) أي: خداعاً صادراً عن إرادة الخداع في أهل الناس وأموالهم، والمعنى يظهر العفة والأمانة وهو بصدد الخيانة.

وقوله: (وذكر) أي: النبي ﷺ (**البخل أو الكذب**) أي: البخيل أو الكاذب، قال الطيبي[1]: لعل الراوي نسي لفظ النبي ﷺ، فذكر بهذه الصيغة، يعني أراد أنه ﷺ ذكر لفظاً يفهم منه معنى البخل أو الكذب، ولا يدري قال: والبخل أو الكذب أو لفظاً غيره، ثم المذكور في أكثر الروايات (أو الكذب) بـ (أو) للشك، وفي بعضها بالواو؛ فإن كان بـ (أو) يكون (الشنظير الفحاش) أي: السيء الخلق الذي يفحش في كلامه خامساً، وإن كان بالواو تم الخمسة بهما، والشنظير الفحاش من وصف الكذب أو البخل؛ لأنهما في معنى البخيل الكاذب، وعلى الأول الأظهر أن يكون مرفوعاً عطفاً على رجل، ويحتمل أن يكون منصوباً عطفاً على البخل أو الكذب، وعلى الثاني يكون منصوباً البتة، أي: ذكر البخل والكذب، وذكر وصفهما الشنظير والفحاش، فليتدبر.

٤٩٦١ ـ [١٥] (أنس) قوله: (**لا يؤمن عبد**) أي: لا يتم ولا يكمل إيمانه (**حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) أي: من الخير، وقد ذكر في بعض الروايات صريحاً،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٧٥).

٤٩٦٢ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠١٦، م: ٤٦].

قالوا: هذا متعسر بل ممتنع، أي: غير واقع حصوله ولا يتصور فيما يعتاد الناس من مقتضيات طبائعهم، ولكن ينبغي أن يعلم أن الخير: خيران: خير الآخرة وخير الدنيا، أما خير الآخرة فهو النجاة من عذاب النار والفوز بدرجات الجنة وما يلزمهما من الإيمان والعمل الصالح، وخير الدنيا الأهل والأولاد والأسباب والأمتعة مما يكون وسيلة وواسطة لخير الآخرة، والمؤمن يحب هذا لنفسه ولجميع إخوانه المؤمنين، وأما من يريد لنفسه بتسويل الشيطان وشره النفس من المال والجاه مما يبعثه على الظلم والفساد والوبال والنكال ويحب ذلك فلا يحبه ويريده للمؤمنين، بل ينبغي أن لا يريده ويحبه لنفسه أيضاً، أو يكون رجل يكون المال في حقه سبباً للخيرات والجاه يكون باعثاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون رجل آخر يبعثه ذلك على الفسق والطغيان والظلم والعتو، فلا ينبغي أن يريده لذلك الرجل كما يريده لنفسه، وبالجملة الذي يكون في نفس الآدمي ضيق وضنّة من إرادة المال والجاه والخيرات لأجل خوف لحوق منقصة ومذلة بنفسه، ولما كان المؤمنون كلهم على طريقة الخير والصلاح من جهة الدين والدنيا ارتفع ذلك الخوف، فالمؤمن يطلب أن يكون كلهم على تلك الطريقة متساويين في ذلك، وهذه الإرادة ميسر[ة] عند أهل الدين والإنصاف، فافهم، وبالله التوفيق.

٤٩٦٢ ـ [١٦] **(أبو هريرة)** قوله: **(والله لا يؤمن)** بالله، مكرر ثلاثاً، وفيه غاية التأكيد، ومع ذلك المراد نفي الإيمان الكامل، و**(بوائقه)** أي: غوائله وشروره، جمع بائقة، وهي الداهية.

٤٩٦٣ ـ [١٧] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٤٦].

٤٩٦٤ ـ [١٨] وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠١٤، م: ٢٦٢٤].

٤٩٦٥ ـ [١٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْزُنَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٦٩٠، م: ٢١٨٤].

٤٩٦٣ ـ [١٧] (أنس) قوله: **(لا يدخل الجنة)** في معنى الإيمان، وحيث أريد بالإيمان الكامل يراد بدخول الجنة مع السابقين الفائزين.

٤٩٦٤ ـ [١٨] (عائشة وابن عمر) قوله: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار)** أي: يوصيني بأن آمر الأمة برعاية حقوق الجار، فيكون معنى قوله: **(أنه سيورثه)** أي: يحكم بتوريث أحد الجارين الآخر، ومن هذا لا يلزم أن يكون له ﷺ ميراث، ولو سلم أن معنى الكلام يوصيني نفسي برعاية حق الجار حتى ظننت أنه سيورثه مني، يكون هذا قبل أن يوحى إليه: إن الأنبياء لا يورثون، لما ثبت ذلك في الصحيح، أو المراد كمال المبالغة في ذلك حتى إنه ظن بالتوريث فيما ليس فيه، فافهم.

٤٩٦٥ ـ [١٩] (عبدالله بن مسعود) قوله: **(من أجل أن يحزنه)** بفتح الياء وضم الزاي من الحزن، وقد يروى بضم الياء وكسر الزاي من الإحزان، حزنه الأمر حزناً بالضم، وأحزنه: جعله حزيناً، فهو محزون ومحزن، وحزين، وحزن بكسر الزاي، ولعل اللغة الفصحى هو الأول، وعليه قراءة القرآن: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟

٤٩٦٦ ـ [٢٠] وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثَلاثاً، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٥٥].

بِهِۦ﴾[يوسف: ١٣]، ولم يرو البيضاوي القراءة من الإحزان ولو شاذة.

ثم إن هذا يؤذن بأن العلة في النهي إيراث الحزن، لكنهم ذكروا في باعث الحزن وجهين: أحدهما: توهم تبييت رأي فيه ودسيس غائلة له، وثانيهما: التأذي من أجل الاختصاص بالتكريم، وعلى الوجه الأول حيث لا مجال لهذا التوهم لا بأس بالنجوى، حتى ذهب بعضهم [إلى] أن هذا النهي إنما هو في السفر وفي موضع لا يأمن الثالث على نفسه، وأما في الحضر وبين ظهراني العمارة فلا، وعلى الوجه الثاني ينبغي أن يكون النهي مطلقاً، ولكن لا يخفى أن هذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال أيضاً، ويدل على ذلك ما روى الطيبي أنه قد صح عن عائشة ﵂: إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده يوماً، فأقبلت فاطمة ﵂، فلما رأها رحّب بها، ثم سارّها، ففيه دليل على أن المسارة في الجمع حيث لا ريبة جائزة، وقد توجد العلة فيما زاد على الثلاثة أيضاً، فالتقييد بالثلاثة اتفاقي واكتفاء بالأدنى، وقد يقال: إن في الأربعة لا بأس بالتناجي، والله أعلم.

٤٩٦٦ ـ [٢٠] (تميم الداري) قوله: (**الدين النصيحة**) أصل النصيحة الخلوص، ويقال: ناصح للعسل الخالص، وكل شيء خلص فقد نصح، ويراد بها إرادة الخير للمنصوح، يقال: نصحته ونصحت له، وهي تجري في كل قول أو فعل فيه صلاح صاحبه، وهي والوصية متقاربتان، كذا في (مجمع البحار)[1].

وقوله: (**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) والنصيحة لله: صحة

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٧٣٢).

٤٩٦٧ ـ [٢١] وَعَنْ جَرِيْـرِ بْنِ[1] عَبْدِاللهِ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٧، م: ٥٦].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٤٩٦٨ ـ [٢٢] عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَة قَالَ: سَمِعْـتُ أَبَـا الْقَاسِمِ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ﷺ يَقُولُ: ....

الاعتقاد في وجوده، كما هو بأسمائه وصفاته، وإخلاص نيته في عبادته فيما أمر أو نهى. ولكتابه: التصديق به، والعمل بما فيه وتلاوته. ولرسوله: التصديق بنبوته وإطاعته. ولأئمتهم: أما للأمـراء فبإطاعتهم في الحـق وعدم الخروج وإن جاروا، وأما للعلماء فبالعمل فيما أفتوا بالحق وردوا بالصدق. ولعامتهم بإرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم، ودفع الضرر عنهم، وجلب النفع إليهم، وهذا الحديث من جوامع الكلم يشتمل على علوم الأولين والآخرين إذا فصل وبيـن، ولـو اجتمـع الأولـون والآخرون ما أحاطوا بتفاصيلها وفروعها.

٤٩٦٧ ـ [٢١] (جرير بن عبدالله) قوله: (على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم) العبادات إما حق الله أو حقوق العباد، والأولى بدنية أو مالية، فذكر منهما العمدة منهما، وأما الثانيـة فيشملها كلها النصح لكل مسلم، ويحتمل أنـه لـم يفرض في ذلك الوقت الصوم والحج، فتدبر.

الفصل الثاني

٤٩٦٨ ـ [٢٢] (أبو هريرة) قوله: (الصادق المصدوق) الصادق من صَدَق في

---

(١) سقط «ابن عبدالله» في نسخة.

«لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٢/ ٤٢٢، ت: ١٩٢٤].

٤٩٦٩ ـ [٢٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ..........

قوله، والمصدوق من صدَقه غيرُه، أي: أخبره بخبر صادق، يقال: صدق زيد عمراً أي: أخبره بالصدق، والله تعالى صدق نبيه وأخبره بأخبار صادقة، وكذلك جبرئيل صدقه.

وقوله: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) النزع يكون بعد الوضع، وفيه إشارة إلى أن سلبها عن قلب أحد بعد وجودها فيه علامة الشقاوة وأشد وأغلظ، ويحتمل أن يكون من قبيل سبحان من صغّر البعوض وعظّم الفيل، وقولهم: ضيق فم البئر وإن كان بينهما تفاوتٌ مّا، فافهم.

٤٩٦٩ ـ [٢٣] (عبدالله بن عمرو) قوله: (الراحمون يرحمهم الرحمن) جمع راحم، ولم يأت بالرحماء جمع رحيم، وإن كان غالب ما ورد في الرحمة استعمال الرحيم لا الراحم؛ إيذاناً بأن الرحيم صيغة مبالغة، فلو أتى بجمعها لاقتضى الاقتصار عليه، وإنما أتى بالرحماء في خبر (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)؛ لأن لفظ الجلالة حيث ورد يكون الكلام مسوقاً للتعظيم، فبعد ذكره يناسب ما فيه الدلالة على كثرة الرحمة، والرحمن يدل على العفو والمبالغة فيه، علم ذلك بالاستقراء، فذكر مع الرحمن كل ذي رحمة وإن قلّت، كذا ذكر السيوطي، يريد أن ذكر الله تعالى لما كان دالاً على العظمة والكبرياء دل على الرحمة الكاملة العظيمة منه تعالى، فيكون جزاء للرحمة الكاملة من العبد، وذكر الرحمن يدل على العفو، فيكفي في استحقاقه أصل الرحمة وإن لم

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. [د: ٤٩٤١، ت: ١٩٢٤].

٤٩٧٠ ـ [٢٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَلَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ١٩٢١].

٤٩٧١ ـ [٢٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً مِنْ أَجْلِ سِنِّهِ..........................

تكن كاملة.

وقوله: (**يرحمكم من في السماء**) أي: الله تعالى، وقد ينسب ويخص أمره تعالى بكونه في السماء؛ تعظيماً وإجلالاً لكمال سعته وعظمته، وقد يراد به الملائكة يحفظونهم بأمر الله ويستغفرون لهم.

٤٩٧٠ ـ [٢٤] (**ابن عباس**) قوله: (**من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا**) الظاهر أن ضمير المتكلم كناية عن المسلمين، فالتخصيص لكمال العناية والاهتمام، وإلا فرحمة الصغير وتوقير الكبير في الجملة يشمل المسلمين وغيرهم من جهة الصغر والكبر، أو يقال: لا وعيد في غير المسلمين على ترك الرحمة والتوقير، بل مخصوص بهم أو كناية عن الآدميين، والله أعلم.

وقوله: (**هذا حديث غريب**) وفي بعض النسخ: (حسن غريب)، وقيل: إسناده جيد.

٤٩٧١ ـ [٢٥] (**أنس**) قوله: (**من أجل سنه**) أي: مع قطع النظر عن إيمانه وفضله، فهذا أيضاً يشمل الكافر.

إِلاَّ قَيَّضَ اللهُ لَهُ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠٢٢].

٤٩٧٢ ـ [٢٦] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلاَ الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [د: ٤٨٤٣، شعب: ٢٤٣١].

وقوله: (إلا قيض الله عند كبر سنه) أي: سلّط ووكّل، وفيه بشارة إلى بلوغ ذلك الشاب سن الشيخوخة.

٤٩٧٢ ـ [٢٦] (أبو موسى) قوله: (إن من إجلال الله) أي: تعظيمه.

وقوله: (إكرام ذي الشيبة المسلم) التخصيص بالمسلم إما لكمال العناية والاهتمام، أو للفرق بين التوقير والإكرام، فتدبر.

وقوله: (غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) قيل: الغالي من يبذل جهده في تجويد قراءته من غير تفكر وتدبر وعمل بما فيه، أو المسرع في القراءة فحسب لا يصحح حروفه، والجافي عنه: المعرض عن تلاوته وعمله، من التجافي بمعنى التباعد. في (الصحاح)[1]: تجافى عن الفراش أي: تباعد، ومنه قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[السجدة: ١٦]، وفي (القاموس)[2]: تجافى: لم يلزم مكانه، وقيل: الغالي: من تجاوز الحد من حيث لفظه أو معناه بتأويل باطل، والجافي عنه: المتباعد عن العمل به، ويجوز أن يقال: الغالي من اشتغل بتلاوته ولا يشتغل أصلاً، بتعلم

---

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٣٠٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٨).

٤٩٧٣ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه. [جه: ٣٦٧٩].

٤٩٧٤ ـ [٢٨] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلاَّ للهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [حم: ٥/ ٢٦٥، ولم أجده في سنن الترمذي].

الفقه وسائر العبادات، والجافي الذي لا يشتغل بالقرآن أصلاً، وهو قريب من المعنى الأول.

٤٩٧٣ ـ [٢٧] (أبو هريرة) قوله: (يساء إليه) يؤذى بغير حق، وإن ضربه للتأديب والتعليم فليس ذلك بإساءة.

٤٩٧٤ ـ [٢٨] (أبو أمامة) قوله: (من مسح رأس يتيم) قال الطيبي[1]: هو كناية عن الشفقة والتلطف به، ولما لم تكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة لإمكان الجمع بينهما رتب عليه قوله: (بكل شعرة)، انتهى.

والظاهر أن المراد حقيقة مسح الرأس على وجه الشفقة والتلطف، فافهم.

وقوله: (تمر عليها يده) بفتح التاء وضم الميم فاعله (يده)، ويروى بضم الياء وكسر الميم، و(يده) مفعوله.

---

(١) شرح الطيبي» (٩/ ١٨٢).

٤٩٧٥ ـ [٢٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ آوَى يَتِيماً إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْباً لاَ يُغْفَرُ، وَمَنْ عَالَ ثَلاَثَ بَنَاتٍ أَوْ مِثْلَهُنَّ مِنَ الأَخَوَاتِ فَأَدَّبَهُنَّ وَرَحِمَهُنَّ حَتَّى يُغْنِيَهُنَّ اللهُ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوِ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: «أَوِ اثْنَتَيْنِ»، حَتَّى لَوْ قَالُوا: أَوْ وَاحِدَةً؟ لَقَالَ: وَاحِدَةً، «وَمَنْ أَذْهَبَ اللهُ بِكَرِيمَتَيْهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا كَرِيمَتَاهُ؟ قَالَ: «عَيْنَاهُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [١٣/ ٤٤].

٤٩٧٦ ـ [٣٠] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»................

٤٩٧٥ ـ [٢٩] (ابن عباس) قوله: (ذنباً لا يغفر) وهو الشرك.

وقوله: (عال) أي: تعهد وقام بمؤنتهن.

وقوله: (حتى لو قالوا) هو غاية الموافقة، أي: كان يوافقه رسول الله ﷺ في هذا الباب، حتى لو قال: أو واحدة لوافقه فقال: (أو واحدة) بناء على ما وقع من أمثاله، وهذا على المذهب المختار، وهو أن الأحكام مفوضة إليه ﷺ يحكم بما يشاء، ويخص من شاء بما شاء، وأما على القول بعدم التفويض فيقال: أوحي إليه ﷺ بعد التماسهم التوسيع والترخيص، ولهذا أمثلة كثيرة في الأحاديث.

وقوله: (قيل: يا رسول الله! وما كريمتاه؟ قال: عيناه) في (القاموس)[1]: كريمتك: أنفك، وكل جارحة شريفة، كالأذن واليد، والكريمتان: العينان.

٤٩٧٦ ـ [٣٠] (جابر بن سمرة) قوله: (لأن يؤدب الرجل) يعني ولو بالضرب

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٣ ـ ١٠٦٤).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَنَاصِحُ الرَّاوِي لَيْسَ عِنْدَ أَصْحَابِ الحَدِيثِ بِالْقَوِيِّ. [ت: ١٩٥١].

٤٩٧٧ - [٣١] وَعَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا عِنْدِي حَدِيثٌ مُرْسَلٌ. [شعب: ١٥٥٣، ت: ١٩٥٢].

والإيلام، والله أعلم.

٤٩٧٧ - [٣١] (أيوب بن موسى) قوله: (من نحل) في (الصراح)[1]: نحل بالضم: عطية دادن، وفي (القاموس)[2]: النحل بالضم مصدر نحله: أعطاه، والاسم النحلة بالكسر، ويضم، وكبشرى: العطية.

وقوله: (وقال الترمذي: هذا عندي حديث مرسل) اعلم أن هذا الإسناد كإسناد عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحكموا عليه بأنه إما مرسل أو منقطع؛ فإن عمرو ابن شعيب [هو] ابن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص، فإن كان ضمير (جده) راجعاً إلى عمرو فأبوه، أعني شعيباً عن أبيه، وهو محمد جد عمرو، فالحديث مرسل؛ لأن محمداً تابعي، وإن كان راجعاً إلى أبيه فشعيب عن جده وهو عبدالله بن عمرو، وهو لم يدركه، فالحديث منقطع، ولهذا لا يوجد في الصحيحين حديث بهذا الإسناد، وهذا البيان قد مر سابقاً، وما نحن فيه كذلك، فإن أيوب هو ابن موسى بن عمرو بن سعيد ابن العاص، وسعيد بن العاص صحابي أخو عمرو بن العاص؛ فإن كان مرجع

---

(١) «الصراح» (ص: ٤٥١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٩).

٤٩٧٨ ـ [٣٢] وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بْنُ ذُرَيْعٍ إِلَى الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ، «امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، . . . .

ضمير (جده) أيوب، وهو عمرو بن سعيد، وهو تابعي، فيكون مرسلاً، وإن كان جد أبيه، وهو سعيد، صحابي، فإن صح سماع موسى عن جده عن سعيد بن العاص صار الحديث مسنداً، وإلا فمنقطع، فلعل الترمذي على أن ضمير (جده) لأيوب، وهو تابعي، فالحديث مرسل، لكن الطيبي[1] قال: إنه هو روى الحديث في (جامع الأصول)[2]: عن سعيد بن العاص، فالظاهر أن عمراً سمع من أبيه سعيد بن العاص، فتدبر.

٤٩٧٨ ـ [٣٢] (عوف بن مالك) قوله: **(امرأة سفعاء)** السفعة بضم السين المهملة: نوع من السواد ليس بالكثير، وقيل: هو سواد مع لون آخر، وفي (الصحاح)[3]: سواد مشرب بالحمرة، أراد أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى تغير لونها واسودّ لما تكابدها من المشقة والضنك إقامةً على ولدها بعد وفاة زوجها، ولم يرد أنها كانت من أصل الخلقة كذلك، لقوله: **(ذات منصب وجمال)**.

وقوله: **(امرأة آمت)** عطف بيان لـ (امرأة سفعاء)، أو بدل منها، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه امرأة، و(آمت) بالمدّ وتخفيف الميم، أي: صارت أيماً، أي:

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٨٤).

(٢) «جامع الأصول» (١/ ٤٨٦، رقم: ٢١٨).

(٣) «الصحاح» (٢/ ١٢٣).

حبَسَتْ نفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٤٩].

٤٩٧٩ ـ [٣٣] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا ـ يَعْنِي الذُّكُورَ ـ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥١٤٦].

٤٩٨٠ ـ [٣٤] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ فَنَصَرَهُ نَصَرَه اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ أَدْرَكَهُ اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ١٣/ ١٠٧].

بلا زوج.

وقوله: (حبست نفسها على يتاماها) أي: تركت التزوج بزوج آخر واشتغلت بتعهد أطفالها (حتى بانوا) أي: انقطعوا عنها وانفصلوا بالكبر والبلوغ، واستبدوا بالقوة والعقل والرشد؛ فإن الولد ما لم يكبر فهو ملتزق بأمه ومتصل بها غير بائن عنها.

٤٩٧٩ ـ [٣٣] (ابن عباس) قوله: (فلم يئدها) أي: لم يدفنها حية.

وقوله: (ولم يؤثر) من الإيثار، (ولده) يعني الذكور، وإنما ذكر الولد باعتبار جهلهم أن الابن هو الولد في زعم الجاهلين، والأنثى ليس في عداد الأولاد، فافهم.

٤٩٨٠ ـ [٣٤] (أنس) قوله: (أدركه الله) أي: خذله وانتقم منه بسبب عدم النصر عند القدرة، والله أعلم.

٤٩٨١ ـ [٣٥] وَعَنْ أسماءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْمَغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٢٣٦].

٤٩٨٢ ـ [٣٦] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٥٢٨].

٤٩٨٣ ـ [٣٧] وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ ....

٤٩٨١ ـ [٣٥] (أسماء بنت يزيد) قوله: (من ذب عن لحم أخيه) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[الحجرات: ١٢]، وقوله: ﴿مَيْتًا﴾ لكمال المبالغة، أو أنه لما تناول عرضه كأنه أهلكه وأماته فيأكل لحمه، فافهم.

وقوله: (بالمغيبة) إما متعلق (بذب) فيكون بمعنى الغَيبة بفتح الغين، وإما متعلق بـ (لحم) بتقدير أكل فيكون بمعنى الغيبة بكسر الغين.

٤٩٨٢ ـ [٣٦] (أبو الدرداء) قوله: (ثم تلا) استشهاد على قوله: (إلا كان حقاً على الله)، وفيه: أن المؤمن والمسلم واحد.

٤٩٨٣ ـ [٣٧] (جابر) قوله: (يخذل امرأ) أي: يترك نصره ولا يمنع من اغتيابه ونحو ذلك.

يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلاَّ خَذَلَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ [فِيهِ] مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلاَّ نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٨٤].

٤٩٨٤ ـ [٣٨] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْؤُدَةً». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. [حم: ٤/ ١٤٧، ت: ١٩٣٠].

وقوله: (ينتهك فيه حرمته) انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل، كذا في (الصحاح)[1].

وقوله: (في موطن يحب فيه نصرته) وفي (المصابيح): (في موضع) بدل (في موطن).

٤٩٨٤ ـ [٣٨] (عقبة بن عامر) قوله: (من رأى عورة) العورة: ما يجب سترها من الأعضاء وما يكره الإنسان ظهوره، ويستحيي من كشفه من العيوب والنقائص، وهذا هو المراد في الحديث.

وقوله: (كان كمن أحيا موؤدة) أي: مدفونة حية، بأن أخرجها من القبر.

ووجه التشبيه أن من اطلع على عيبه وقبحه قد يختار الموت على اطلاع الغير عليه، وهو في حكم الميت لما يلحقه من الحياء والخجالة، فإذا ستره عليه أحد فقد رفع عنه تلك الخجالة التي هي بمثابة الموت، فكأنه أحياه وأخرجه من القبر.

---

(١) «الصحاح في اللغة» (٢/ ٢٣٦).

٤٩٨٥ ـ [٣٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ، فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْ عَنْهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَضَعَّفَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ وَلِأَبِي دَاوُدَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَنْهُ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ». [ت: ١٩٢٩، د: ٤٩١٨].

وقال الطيبي[1]: يمكن أن يقال: إن وجه التشبيه ارتكاب الأمر العظيم كإحياء الموؤدة، فإنه أمر عظيم فشبه به؛ لأن من أراد أن يستر عيب مؤمن وعرضه إذا تصور أنه أحيا الموؤدة عظم عنده ستر عورة المؤمن، فيتحرى فيه ويبذل جهده، انتهى.

ولا يخفى أن هذا الوجه لا يوجب التشبيه بإحياء الموؤدة على الخصوص؛ فإن الأمور العظيمة كثيرة، فالوجه الأول هو الأقرب، والله أعلم.

٤٩٨٥ ـ [٣٩] (أبو هريرة) قوله: **(المؤمن مرآة المؤمن)** أي: يريه ما فيه من العيوب بإعلامه بها وتنبيهه عليها، كالمرآة تري كل ما في وجه الشخص ولو كان أدنى شيء، فالمؤمن يطلع على عيوبه بإعلام مؤمن آخر، كما يطلع على قبائح وجهه بالنظر في المرآة، فينبغي للمؤمن أن يميط الأذى والعيب عنه، ويشتغل بإصلاح حاله بأي وجه، كما قال رويم: لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا؛ فإذا اصطلحوا هلكوا، وأيد هذا المعنى بقوله: **(والمؤمن أخو المؤمن)** أي: ناصحه ومعاضده **(يكف عنه ضيعته)** أي: تَلَفَه وخسرانه، والضيعة: مرة من الضياع، **(ويحوطه من ورائه)** أي: ضرره وهلاكه، وقد يقال في معنى (المؤمن مرآة المؤمن): إن المسلم إذا رأى عيباً ونقصاناً في مسلم آخر ينبغي أن يحمل على أن هذا عيبه ونقصانه يرى فيه، فينتبه ويرجع إلى نفسه فيقوم في مقام إزالته وإصلاح حاله، وهذا معنى صحيح دقيق، ولكن سوق الحديث

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٨٧).

٤٩٨٦ ـ [٤٠] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ بَعَثَ اللهُ مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٨٣].

٤٩٨٧ ـ [٤١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [ت: ١٩٤٤، دي: ٢٤٨١].

ينافي هذا المعنى، وما ذكرنا هو الذي بيّنه الشراح.

٤٩٨٦ ـ [٤٠] **(معاذ بن أنس)** قوله: **(من حمى مؤمناً من منافق)** في الحواشي: أي: منافق مغتاب أو ظالم، والظاهر هو الأول، وعنوان المنافق دال عليه؛ لأن حاله الاغتياب ومخالفة الغيبة والحضور، وأيضاً قوله: **(بعث الله ملكاً يحمي لحمه)** يناسبه؛ لأنه لما حمى المؤمن عن الاغتياب الذي في حكم أكل اللحم فقد حمى لحمه، فيناسب حماية لحمه من النار، ويمكن أن يقال: إنه إنما قال: يحمي لحمه للمبالغة في الحفظ والحماية عن النار؛ لأن النار إنما تحرق وتأكل اللحم، ثم تصل إلى العظم، فإذا حمى لحمه فقد حماه حماية تامة كاملة.

وقوله: **(حتى يخرج مما قال)** أي: حتى ينقى ويطهر من ذنبه ذاك، إما بإرضاء خصمه أو تعذيبه بقدر ذنبه.

٤٩٨٧ ـ [٤١] **(عبدالله بن عمرو)** قوله: **(خيرهم لصاحبه)** بنصيحته وعدم اغتيابه، وأمانته لأسراره، ورعاية سائر حقوق الصحبة والجوار.

٤٩٨٨ ـ [٤٢] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ للنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ أَوْ إِذَا أَسَأْتُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهُ. [جه: ٤٢٢٣].

٤٩٨٩ ـ [٤٣] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٤٢].

٤٩٨٨ ـ [٤٢] (ابن مسعود) قوله: (إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت) الحديث، ينبغي أن يقيد بكون الجيران من أهل الحق والإنصاف غير مفرطين في المحبة والعداوة، كما قالوا مثل ذلك في حديث: (من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض)[1]، وذلك ظاهر، ويجوز أن يجعل هذا كناية عن الإحسان إلى الجيران.

٤٩٨٩ ـ [٤٣] (عائشة) قوله: (أنزلوا الناس منازلهم) أي: أكرموا كل شخص على حسب فضله وشرفه، ولا تسووا بين الوضيع والشريف والخادم والمخدوم من غير تحقير للفقراء بما يؤذيهم.

روي عن عائشة ﵂ كانت جالسة وعندها طعام تأكل منه، فإذا فقير سأل، فأرسلت عليه كسرة من خبز، ثم مرّ بها راكب فأرسلت إليه أن الطعام حاضر فأت إن كانت لك رغبة، قيل لها: ما هذا التفاوت بين المؤمنين؟ فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنزلوا الناس منازلهم)، كذا في (إحياء العلوم)[2] أو كما قال.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٤٩).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٤).

*** الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٤٩٩٠ ـ [٤٤] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قُرَادٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ يَوْماً فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَتَمَسَّحُونَ بِوَضُوئِهِ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَذَا؟» قَالُوا: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَلْيَصْدُقْ حَدِيثَهُ إِذَا حَدَّثَ، وَلْيُؤَدِّ أَمَانَتَهُ إِذَا أُؤْتُمِنَ، وَلِيُحْسِنَ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَهُ».

٤٩٩١ ـ [٤٥] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ». . . . .

الفصل الثالث

٤٩٩٠ ـ [٤٤] (عبد الرحمن) قوله: **(وعن عبد الرحمن بن أبي قراد)** بضم القاف.

وقوله: **(يتمسحون بوضوئه)** قد سبق أن الصحابة كانوا يقتتلون على وضوء رسول الله ﷺ؛ فإن لم يجد أحد يأخذ بللاً من يد الآخر ويتمسح به.

وقوله **(فليصدق حديثه . . . إلخ)**، أي: يهتم ويعتني فيما يشق على النفس من رعاية التقوى خصوصاً في معاملة النفس والخلق، وأما التمسح بالوضوء وأمثاله فلا عبرة ذلك بدون تحقق التقوى، ويحتمل أنه ﷺ وجد فيمن فعلوا ذلك شيئاً من عدم الاهتمام في هذه الأمور، فنبه على ذلك، وهذا هو وجه التخصيص بذكر هذه الأمور كما قيل مثل ذلك في أحاديث: (أفضل الأعمال) و(أفضل الإسلام)، ذكر لكل أحد من خصائل مخصوصة من الإيمان ما لم يذكر لغيره، فتدبر.

٤٩٩١ ـ [٤٥] (ابن عباس) قوله: **(بالذي يشبع وجاره جائع)** يكون هذا مقيداً

رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٤٤٠، ٣١١٧].

٤٩٩٢ ـ [٤٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلاَنَةَ تُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنَّ فُلاَنَةَ تُذْكَرُ قِلَّةَ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي بِلِسَانِهَا جِيرَانَهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٢/ ٤٤٠، شعب: ٩٠٩٩].

٤٩٩٣ ـ [٤٧] وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟»، ....

بما يفضل عن نفسه وعن من يجب عليه نفقته، وإن آثر على نفسه ورضي أهل حقوقه فذاك شيء آخر.

٤٩٩٢ ـ [٤٦] (أبو هريرة) قوله: (إن فلانة تذكر) على بناء المفعول، وفيه ضمير لفلانة، و(من) أجلية، أي: هي مذكورة ومشهورة بين الناس من أجل (كثرة صلاتها وصيامها)، كذا قال الطيبي[1]، ويجوز أن يكون التقدير: إن فلانة تذكر من صيامها وصلاتها أشياء كثيرة، فتكون (من) بيانية.

وقوله: (تذكر قلة صيامها) بنزع الخافض، و(الأثوار) جمع ثور، بمعنى القطعة من الأقط.

٤٩٩٣ ـ [٤٧] (أبو هريرة) قوله: (من شركم) ضمن الإخبار معنى التمييز

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٩٠).

قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، فَقَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [ت: ٢٦٦٣، شعب: ١٠٧٥٥].

٤٩٩٤ ـ [٤٨] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلاَ يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، ....

فعداه بـ (من).

وقوله: (خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره ... إلخ)، وأما من لا يرجى خيره ويؤمن شره، أو لا يؤمن شره ويرجى خيره فليس هو خيراً مطلقاً ولا شرًّا مطلقاً، بل خير من وجه وشر من وجه بين بين، ولم يذكر هذين القسمين للعلم بهما بالمقايسة.

٤٩٩٤ ـ [٤٨] (ابن مسعود) قوله: (حتى يسلم قلبه ولسانه) كأنه إشارة إلى التصديق والإقرار، وإنما نفى الإيمان عمن لا يأمن جاره مبالغة، كأنه داخل في حقيقة الإيمان الذي هو التصديق، ويمكن أن يقال: إن معنى الإيمان في الأصل جعل المخبر آمناً، فيناسبه جعل الجار آمناً، وقال بعض الشارحين: الإسلام على ما دلت عليه الأحاديث هو شهادة أن لا إله إلا الله ... إلخ، وهو فعل اللسان، لكنه مشروط بمواطأة

وَلاَ يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

٤٩٩٥ ـ [٤٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ». رَوَاهُمَا أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ١/ ٣٨٧، ٢/ ٤٠٠، شعب: ٥١٣٦، ٧٧٦٦].

٤٩٩٦ ـ [٥٠] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَضَى لِأَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي حَاجَةً يُرِيدُ أَنْ يَسُرَّهُ بِهَا فَقَدْ سَرَّنِي، وَمَنْ سَرَّنِي فَقَدْ سَرَّ اللهَ، . . .

القلب لئلا يكون نفاقاً، فأشار بهذا الحديث إلى ذلك، وقال الطيبي[1]: إسلام القلب تطهيره عن العقائد الباطلة والأخلاق الرديئة، وإسلام اللسان كفه عما يحرم وعما لا يعني، و(**البوائق**) الدواهي، في (القاموس)[2]: بَأَقَتْهم الدَّاهيةُ بُؤُوقاً كصبور: أصابتهم، وفي (الصراح)[3]: بائقة: سختي، والجمع بوائق، وفي الحديث: (**حتى يأمن جاره بوائقه**) أي: ظلمه وغشه وغوائله وشره.

٤٩٩٥ ـ [٤٩] (أبو هريرة) قوله: (**مألف**) مصدر ميمي، أو اسم مكان، أي: المؤمن محل الألفة والمحبة آلفاً أو مألوفاً، ومحباً أو محبوباً، وقد منّ الله تعالى على المؤمنين وعلى حبيبه ﷺ بتأليف قلوبهم في القرآن المجيد، ومدار الاجتماع على الدين والاتباع هو الألفة.

٤٩٩٦ ـ [٥٠] (أنس) قوله: (**لأحد من أمتي**) المراد أمة الإجابة.

وقوله: (**فقد سرّ الله**) أي: أرضاه.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ١٩١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٩٨).

(٣) «الصراح» (ص: ٣٦٩).

وَمَنْ سرَّ اللهَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ».

٤٩٩٧ ـ [٥١] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَغَـاثَ مَلْهُوفـاً كَتَبَ اللهُ لَـهُ ثَلاَثاً وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً، وَاحِـدَةٌ فِيهَا صَلاَحُ أَمْرِهِ كُلِّـهِ، وَثِنْتَـانِ وَسَبْعُونَ لَهُ دَرَجَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٤٩٩٨، ٤٩٩٩ ـ [٥٢، ٥٣] وَعنهُ وَعَنْ عَبْدِاللهِ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْخَلْقُ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الثَّلاَثَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٢٤٧، ٧٢٦٤، ٧٠٤٦].

٥٠٠٠ ـ [٥٤] وَعَنْ عُقْبَـةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٤/ ١٥١].

٤٩٩٧ ـ [٥١] (أنس) قوله: (من أغاث ملهوفاً) في (القاموس)[1]: لهف كفرح: حزن، ويا لَهْفَهُ: كلمة يتحسر بها على فائت، والملهوف واللهيف واللهفان واللاهف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر.

٤٩٩٨، ٤٩٩٩ ـ [٥٢، ٥٣] (وعنه) قولـه: (الخلق عيال الله) عيال الرجل: زوجته وأولاده وكل من يجب عليه نفقته ومؤنته، فاستعمال العيال هنا مجاز أو استعارة.

٥٠٠٠ ـ [٥٤] (عقبة بن عامر) قوله: (أول خصمين يوم القيامة جاران) استشكل بحديث: (أول ما يحاسب بـه العبـد صلاتـه)، وبحديث: (أول ما يقضى بين الناس الدم)، وأجيب بأن الحديث الأول بالنسبة إلى حقوق الله، والثاني بالنسبة إلى المظالم، وما نحن فيـه في معاملة الخلق، فلا منافاة، كـذا ذكـر السيوطي في (الزجاجـة على

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٨).

٥٠٠١ ـ [٥٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: «امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٢/ ٢٦٣].

٥٠٠٢ ـ [٥٦] وَعَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ؟ ابْنَتُكَ مَرْدُودَةً إِلَيْكَ لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُكَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٣٧١١].

❊ ❊ ❊



١٦ ـ باب الحب في الله ومن الله

ابن ماجه)[١].

٥٠٠١ ـ [٥٥] (أبو هريرة) قوله: (امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين) أي: تعطف عليه وأحسن إلى المساكين؛ فإن ذلك اقتحام العقبة المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الآية [البلد: ١١]، فإذا فعله لان قلبه وسمحت نفسه، والعلاج بالضد.

٥٠٠٢ ـ [٥٦] (سراقة بن مالك) قوله: (ابنتك) أي: صدقة ابنتك التي طلقها زوجها فرجعت إلى بيت الأب، وليس لها أولاد يكتسبون وينفقون عليها.

١٦ ـ باب الحب في الله ومن الله

قال الطيبي[٢]: معنى (الحب في الله): الحب في ذات الله وجهته لا يشوبه الرياء

---

(١) انظر: «شرح ابن ماجه» للسيوطي (١/ ١٨٨).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ١٩٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٠٠٣ ـ [١] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

[خ: ٣٣٣٦].

والهوى، (ومن الله) أي: من جهة الله، أي: إذا أحبّ عبداً أحبه لأجل الله وبسببه، و(من) ههنا كما في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾[المائدة: ٨٣]، و(في) كما في قوله تعالى: ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾[العنكبوت: ٦٩]، وهذا أبلغ حيث جعل المحبة مظروفاً، انتهى.

ولا يخفى أن هذين المعنيين قريبان بل متحدان في المآل، ولا يخلو عن تكرار سوى ما تفيده كلمة (في) من الأبلغية، وقد كتب في الحواشي أن الظاهر أن الأول إشارة إلى محبة العبد لوجه الله، والثاني إلى محبة الله العبد، وهذا المعنى أظهر من لفظة (من)، ولكن الأحاديث المذكورة في الباب ليست واردة في هذا المعنى سوى الحديث الثاني من (الفصل الأول)، ثم إنه كتب في نسخة بعد قوله: (الحب في الله): (والبغض في الله)، وليس في النسخ الأخر، والأحاديث المذكورة كثيرة فيه، وكأنه لم يذكر لفهمه عن الحب في الله بالمقابلة، والله أعلم.

الفصل الأول

٥٠٠٣، ٥٠٠٤ ـ [١، ٢] (عائشة) قوله: (**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**) الجنود جمع جند، وهي العسكر، والمراد

٥٠٠٤ ـ [٢] وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. [م: ٢٦٣٨].

٥٠٠٥ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ....

بـ (مجندة) مجتمعة على نحو قناطير مقنطرة، وفيه دليل على أن الأرواح ليست بأعراض، وعلى أنها كانت موجودة قبل الأجساد، ولا يلزم من ذلك قدمها، لكن يبطل القول بخلقها بعد تمام البدن وتسويته، إلا أن يراد بخلقها قبل البدن كذلك تقديرها كذلك، وهو مخالف لظاهر الحديث جدًّا، بل قد جاء في الحديث: (خلقت الأرواح قبل الأجساد بألفي عام)، وعلى أنها خلقت في أول خلقتها على قسمين من ائتلاف واختلاف، باعتبار موافقته في الصفات ومخالفته فيها، وأن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، فالخير يحب الأخيار، والشر يحب الأشرار، وإن عرض عارض يقتضي خلاف ذلك فالمآل إليه، فما تعارف منها قبل التعلق بالأجساد ائتلف بعده، كمن فقد أليفه ثم اتصل به، وما تناكر قبله اختلف بعده، وهذا التعارف والتناكر إلهامات من الله من غير إشعار منهم بالسابقة.

٥٠٠٥ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: **(إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل... إلخ)**، وقد فسر بهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فلاَناً فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٣٧].

٥٠٠٦ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٦٦].

وقوله: (ثم ينادي في السماء: إن الله يبغض) الرواية بكسر (إن) على إضمار، أي فيقول: إن الله، هذا عند البصريين، أو على أن في النداء معنى القول، وهذا عند الكوفيين، كذا في بعض الحواشي[1].

٥٠٠٦ ـ [٤] (عنه) قوله: (المتحابون بجلالي) متعلق بالتحاب، أي: المتحابون بسببه وملاحظته، ولا حاجة إلى جعل الباء بمعنى (في)؛ لذكرها في الأحاديث الأخر؛ لأن كلا المعنيين صحيح، بل عسى أن يقال: إن (في) بمعنى الباء في تلك الأحاديث، لأن المراد معنى السببية، والمتعارف فيه هو الباء، اللهم إلا لإفادة الأبلغية المذكورة آنفاً، لكن تلك بعد ذكر (في)، وأما إذا لم تذكر فالأصل هو الباء.

وقوله: (اليوم أظلهم) إن كان متعلقاً (بأظلهم) فـ (يوم) الثاني بدل عنه، وإن كان ظرفاً للفعل المقدر: في (أين) كان (أظلهم) مستأنفاً، فهو متعلق بـ (أظلهم)، ويجوز أيضاً أن يكون بدلاً من (اليوم)، فافهم.

وقوله: (في ظلي) اختلفوا في بيان المراد بـ (ظلي)، فقال بعضهم: المراد به ظل العرش، والإضافة إليه تعالى للتشريف كما جاء في حديث: (سبعة في ظل العرش)، وقيل: ظل طوبى أو الجنة، ويرده أن هذه القصة حين تدنو الشمس قبل الدخول في

---

(١) قال القاري (٨/ ٣١٣٣): ويحتمل أن يكون بالفتح كما في بعض النسخ على إضمار الباء.

٥٠٠٧ ـ [٥] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٦٧].

الجنة، وقيل: هو عبارة عن كونه في كنفه وستره، وقيل: الظل عبارة عن الراحة والنعيم، والله أعلم.

٥٠٠٧ ـ [٥] (عنه) قوله: (**فأرصد الله له على مدرجته**) رصده رصداً: رقبه، والإرصاد: الانتظار، وجعله رصداً، أي: حافظاً، ورصدت له: إذا قعدت له على طريقه ترقبه، وقوله تعالى: ﴿مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ﴾[النبأ: ٢١ ـ ٢٢] أي: طريقاً عليه ممر الخلق، فالكافر يدخلها، والمؤمن يمر عليها، و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤] أي: بطريق ممرك عليه، و(المدرجة) بفتح الميم: الطريق، وفي (الصراح)[١]: مدرجة: جاىٔ رفتن وگذشتن، والمعنى أرسل الله ملكاً ينتظره في طريق كان يمر عليه.

وقوله: (**قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟**) ذكر الطيبي[٢] له معنيين: أحدهما: هل أوجبت لك عليه حقًّا تذهب إليه لتربها؟ أي: تملكها وتستوفيها، فالتربية على هذا المعنى المالكية، وثانيهما: أي هل لك عليه نعمة تربها وتحفظها، وتسعى في تنميتها وإصلاحها؟، انتهى. وهذا المعنى للرب أشهر، ولكن المعنى الأول أوفق بالمقام؛ لأن الغالب أن الإنسان يذهب لاستيفاء حقه منه.

---

(١) «الصراح» (ص: ٨٣).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ١٩٧).

٥٠٠٨ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٦٩، م: ٢٦٤٠].

٥٠٠٩ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُمْ بِهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٦٧، م: ٢٦٣٩].

٥٠١٠ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، ....

٥٠٠٨ ـ [٦] (ابن مسعود) قوله: (ولم يلحق بهم) أي: بالصحبة أو بالعمل، أي: لم يصاحبهم، أو لم يعمل بمثل ما عملوا، وقيل: أي لم يرهم.

وقوله: (المرء مع من أحب) أي: وإن لم يلحق بهم.

٥٠٠٩ ـ [٧] (أنس) قوله: (وما أعددت لها؟) أنكر عليه سؤاله لتركه السؤال عما يهمّ من فعل الحسنات، فلما قال: أحب الله ورسوله حسنه وبشره بأتم بشارة، وصارت بشارة لجميع المسلمين منه ﷺ، وجزاه عنا خير الجزاء، والمراد بالمعية المشاركة في الثواب والدرجة، والدخول في زمرته ومتابعيه.

وقوله: (فرحهم بها) أي: بهذه الكلمة، أي: (أنت مع من أحببت).

٥٠١٠ ـ [٨] (أبو موسى) قوله: (ونافخ الكير) في (القاموس)[1]: الكير: زق

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٤٠).

فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْـهُ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْـهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّـا أَنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِـيثَةً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٥٣٤، م: ٢٦٢٨].

ينفخ فيه الحداد، والجمع أكيار، وكيرة كغيبة، وكيران، وأما المبني من الطين فكور، وفي (الصراح)[1]: كور كوره: آهنگري، أكوار كيران جمع، وكير بالكسر وبالإمالة: دمئه آهنگري، وفي (النهاية)[2]: كير الحداد هـو المبني من الطين، وقيل: زق ينفخ به النار، والمبني الكور.

وقوله: (**وإما أن يحذيك**) أي: يعطيك، في (الصحاح)[3]: أحذيته: أعطيته، واستحذيته فأحذاني، وأحذيته من الغنيمة: أعطيته منها، [والاسم] الحُذْيَا على فعلى بالضم، وهي القسمة من الغنيمـة، وفي (مجمع البحار)[4]: أحذيته إحذاء، والحذيا والحذية: العطية.

وقوله: (**وإما أن تبتاع منه**) أي: تشتري، والضمير في (منه) إما أن يكون راجعاً إلى الحامل ويكون مفعول (تبتاع) محذوفاً، أي: مسكاً، أو يكون راجعاً إلى المسك، أي: تبتاع من الحامل شيئاً منه، والضمير في (**تجد منه**) أيضاً يحتمل الاحتمالين، وفي الفقرة الثانية في قولـه: (**تجد منه ريحاً خبيثة**) إما للنافخ أو للكير، والأمر في اختيار بعض الوجوه على بعض إليك، فتدبر.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢١٢).

(٢) «النهاية» (٤/ ٢١٧).

(٣) «الصحاح في اللغة» (١/ ١٢١).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٦٤).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٠١١ - [٩] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ». رَوَاهُ مَالِكٌ. وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

الفصل الثاني

٥٠١١ - [٩] (معاذ بن جبل) قوله: (يغبطهم الأنبياء والشهداء) قالوا في توجيهه: إنه قد يوجد في المفضول صفة لا توجد في الفاضل، مع اتصاف الفاضل بصفات وكمالات يمحو في جنبه أضعاف أضعاف ما في المفضول، فيتمنى الفاضل ما في المفضول أيضاً، ليضمه إلى ما له، وذلك لشدة حرصه على الاتصاف بالكمالات وغاية شوقه إلى قرب الله رافع الدرجات، وإن المراد بالغبطة الاستحسان والثناء عليهم لا معناها الحقيقي، وهو تمني مثل ما للغير، وإن الكلام على الفرض والتقدير، أي: لو كان للفريقين غبطة على أحد لكان على هؤلاء، وإن هذا في المحشر قبل أن يدخلوا الجنة ويفوزوا بنعيمها وينالوا بدرجات القرب، وقد وقع في صفة هؤلاء أنهم لا يخافون ولا يحزنون، ويكونون في أمن وفراغ، وأما غيرهم فالنبيون مهتمون بأممهم، والأمم مشتغلون بأنفسهم. هذا ملخص ما ذكروه، ولا يخفى أن لا محذور في غبطة الشهداء إياهم، وعدم نيلهم درجاتهم، فلعل قتلى محبة الله يفضلون على قتلى السيف في سبيل الله، والله أعلم.

ثم اعلم أن المذكورين ممن أنعم الله في الآية الكريمة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] أربعة

٥٠١٢ ـ [١٠] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يومَ القيامةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٣٥٢٧].

٥٠١٣ ـ [١١] وَرَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» عَنْ أَبِي مَالِكٍ بِلَفْظِ «الْمَصَابِيحِ» مَعَ زَوَائِدَ، وَكَذَا فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شرح السنة: ٣٤٦٤، شعب: ٨٥٨٥].

أقسام، فلعل عدم ذكر الصديقين لأن الصديقية تلو مرتبة النبوة، فهي في حكمها، فذكرها كذكرها، وأما الصالحون فلا محذور في تفضيل المتحابين عليهم، فلذلك لم يذكروا.

٥٠١٢، ٥٠١٣ ـ [١٠، ١١] (عمر) قوله: (تحابوا بروح الله) بضم الراء: ما يحيا به البدن، وأريد هنا القرآن؛ لأنه سبب حياة القلب، وقد ذكر في (القاموس)[1] القرآن من معاني الروح، أو الوحي وهو من معاني الروح، والتحابب بالقرآن أو الوحي تحابب بجامع دين الإسلام، وهو تحابب في الله، وقيل: المراد بالروح المحبة؛ لأنها سبب حياة القلب ونضارته، ولذلك يقال للمحبوب: أنت روحي، وقد صحح في بعض النسخ: (بروح الله) بفتح الراء بمعنى الرحمة، فرَوح وريحان أي: رحمة ورزق،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢١٤).

٥٠١٤ ـ [١٢] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ: «يَا بَا ذَرٍّ! أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «الْمُوَالَاةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ». [شعب: ٩٠٦٨].

٥٠١٥ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٠٠٨].

كذا في (الصحاح)[١].

٥٠١٤ ـ [١٢] (ابن عباس) قوله: (أيّ عرى الإيمان) جمع عروة، وهو شيء يتمسك به ويوثق، وكل ما كان مثل هذا يقال له: عروة، قال الله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[البقرة: ٢٥٦]، وأصله من عروة الكلأ، وهو كل ما له أصل ثابت في الأرض، كذا قال عياض في (مشارق الأنوار)[٢]، ومنه عروة الأحمال والرواحل، ما تربط به وتشد، وقد يروى في حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، [وروي] (لا تشد العرى)، ومنه عروة الكوز والدلو للمقبض، واستعير لما يتمسك به في الدين من صفات الإيمان وأركانه في حصول النجاة والدرجات.

٥٠١٥ ـ [١٣] (أبو هريرة) قوله: (طبت) وقرينتاه الظاهر أنها إخبار، ويجوز الحمل على الدعاء.

---

(١) «الصحاح في اللغة» (١/ ٢٧٥).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٣٥).

٥٠١٦ ـ [١٤] وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيْكَرِبَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. [د: ٥١٢٤، ت: ٢٥٠٥].

٥٠١٧ ـ [١٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ نَاسٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ عِنْدَهُ: إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا لِلَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «قُمْ إِلَيْهِ فَأَعْلِمْهُ»، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَلَهُ مَا اكْتَسَبَ». [شعب: ٨٥٩٦، ت: ٢٣٩٣].

٥٠١٦ ـ [١٤] (المقدام بن معديكرب) قوله: (فليخبره أنه يحبه) لما فيه من استمالة القلب وزيادة المحبة ورعاية حقوقها ولوازمها من الجانبين.

٥٠١٧ ـ [١٥] (أنس) قوله: (أحبك الذي أحببتني له) يؤخذ منه أنه إذا قال أحد لغيره: إني أحبك، يستحب أن يقول: أحبك الله، وعلى هذا جرت عادة العرب.

وقوله: (ولك ما احتسبت) الاحتساب: طلب الحسبة، والحسبة اسم منه، وأيضاً الحسبة: الأجر، كذا في (القاموس)[1]، وأصله من الحساب؛ لأنه يعده للثواب، وقوله: (وله ما اكتسب) فإن اكتسب في محبته الإخلاص لوجه الله والتجنب عن السمعة والرياء فله ذلك.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٢).

٥٠١٨ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِناً، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ.
[ت: ٢٣٩٧، د: ٤٨٣٢، دي: ٢١٠١].

٥٠١٩ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. [حم: ٢/ ٣٠٣، ت: ٢٣٧٨، شعب: ٨٩٩٠].

٥٠١٨ ـ [١٦] (أبو سعيد) قوله: (إلا مؤمناً) أي: لا كافراً، أو مؤمناً صالحاً لا فاسقاً، وهو الأنسب بقرينة قوله: (لا يأكل طعامك إلا تقي) أي: ليكن طعامك حلالاً ليكون قابلاً لأكل المتقي، ونقل الطيبي أن هذا في طعام الدعوة والضيافة دون طعام الحاجة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨]، ومعلوم أن أسراءهم كانوا كافرين.

٥٠١٩ ـ [١٧] (أبو هريرة) قوله: (المرء على دين خليله) إشارة إلى تأثير صحبته وسراية صفاته إليه، وإنما قال: على دين خليله؛ لأن مجرد الصحبة مع إنكار وتوحش في الباطن لا يؤثر في السراية المذكورة، وقد جرب ذلك، ومع ذلك لا يخلو عن ضرر وإن لم يتخذه ديناً، نسأل الله العافية.

وقوله: (وقال النووي: إسناده صحيح) مقصود المؤلف دفع توهم من توهم أن هذا الحديث موضوع، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على (المصابيح)، وقال: إنه موضوع، وقال الحافظ ابن حجر في رده عليه:

٥٠٢٠ ـ [١٨] وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ نُعَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ؟ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٩٢].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٠٢١ ـ [١٩] عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟» قَالَ قَائِلٌ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ. وَ[1] قَالَ قَائِلٌ: الْجِهَادُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ». . . . .

قد حسنه الترمذي، وصححه الحاكم، كذا قال السيوطي[2].

٥٠٢٠ ـ [١٨] (يزيد) قوله: (**وعن يزيد بن نعامة**) بضم النون وعين مهملة كذا في (المغني)[3].

وقوله: (**فليسأله**) وفي بعض النسخ: (فليسائله)، وهو الأصح.

وقوله: (**وممن هو**) أي: من أيّ قبيلة ومن أيّ جماعة من الناس.

الفصل الثالث

٥٠٢١ ـ [١٩] (أبو ذر) قوله: (**إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب في الله والبغض في الله**) قال الطيبي[4]: لأن من أحب في الله أحب أنبياءه وأولياءه، ولا بد

---

(١) سقطت الواو في نسخة.

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٧٥١).

(٣) «المغني في ضبط الأسماء» (ص: ٢٧٧).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٠٥).

رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الْفَصْلَ الأَخِيْرَ. [حم: ٥/ ١٤٦، د: ٤٥٩٩].

٥٠٢٢ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَحَبَّ عَبْدٌ عَبْداً لِلَّهِ إِلاَّ أَكْرَمَ رَبَّهُ ﷻ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ٢٥٩].

٥٠٢٣ ـ [٢١] وَعَن أَسمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ أُنبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوْا ذُكِرَ اللهُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه. [جه: ٤١١٩].

٥٠٢٤ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ عَبْدَيْنِ تَحَابَّا فِي اللهِ ﷻ وَاحِدٌ فِي الْمَشْرِقِ وَآخَرُ فِي الْمَغْرِبِ. . . . .

أن يتبعهم ويطيع أمرهم، ومن أبغض فيه يبغض أعداءه ويجاهدهم، فالعمدة الحب في الله والبغض في الله، انتهى. وقد يقال: إن الأحبية لا تستلزم الأفضلية، فليكن الصلاة والزكاة والجهاد أفضل عند الله، ويكون الحب في الله والبغض في الله أحب، وقد يقال مثل هذا في مسألة أفضلية الأصحاب بينهم، فتدبر.

٥٠٢٢ ـ [٢٠] (أبو أمامة) قوله: (إلا أكرم ربه) لأنه لما أحبه لحبه فقد امتثل أمر الله تعالى وأحبه أشد حبًا وأكمله؛ لأن كمال الحب أن يسري من المحبوب إلى متعلقاته.

٥٠٢٣ ـ [٢١] (أسماء بنت يزيد) قوله: (ألا أنبئكم بخياركم) هذه اللفظة تحتمل أن تكون (ألا) حرف التنبيه، و(أنبئكم) جملة مستقلة، وأن يكون المجموع صيغة العرض، ويحتمل أن تكون الهمزة للاستفهام و(لا) نافية، وهذا هو المراد هنا بقرينة (بلى) في جوابه؛ لأنه إنما يكون لإيجاب ما بعد النفي.

٥٠٢٤ ـ [٢٢] (أبو هريرة) قوله: (واحد في المشرق وآخر في المغرب) يعني

لَجَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: هَذَا الَّذِي كُنْتَ تُحِبُّهُ فِيَّ».

٥٠٢٥ ـ [٢٣] وَعَنْ أَبِي رَزِينٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مِلاَكِ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي تُصِيبُ بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَإِذَا خَلَوْتَ فَحَرِّكْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ بِذِكْرِ اللهِ، وَأَحِبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللهِ، يَا بَا رَزِينٍ! هَلْ شَعَرْتَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ زَائِراً أَخَاهُ شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا إِنَّهُ وَصَلَ فِيكَ فَصِلْهُ؟ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُعْمِلَ جَسَدَكَ فِي ذَلِك فَافْعَلْ».

٥٠٢٦ ـ [٢٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُمُداً مِنْ يَاقُوتٍ.................

أن الأصل الحب الروحاني لا القرب المكاني.

٥٠٢٥ ـ [٢٣] (أبو رزين) قوله: (ملاك هذا الأمر) أي: أمر الدين، في (القاموس)[١]: ملاك الأمر بالفتح ويكسر: قوامه الذي يملك به، وفي (الصحاح)[٢]: ملاك الأمر بالفتح والكسر: ما يتقوم به، ويقال: القلب ملاك الجسد.

وقوله: (شيعه سبعون ألف ملك) يقال: شايع فلاناً وشيعه: تابعه، وشيعة الرجل: أتباعه، وفي (الصراح)[٣]: مشايعت درپى رسيدن كسى را.

وقوله: (تعمل) بضم التاء وكسر الميم.

٥٠٢٦ ـ [٢٤] (أبو هريرة) قوله: (إن في الجنة لعمداً) بضم العين والميم جمع

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٧٩).

(٢) «الصحاح في اللغة» (٢/ ١٨١).

(٣) «الصراح» (ص: ٣١٨).

عَلَيْهَا[١] غُرَفٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ، لَهَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ يَسْكُنُهَا؟ قَالَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ، وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللهِ، وَالْمُتَلَاقُونَ فِي اللهِ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٨٦٠٦، ٨٦٠٨، ٨٥٨٩].

❖ ❖ ❖

١٧ ـ باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

عمود، وقد يجيء على وزن أعمدة وعمد بفتحتين، كذا في (القاموس)[٢].

وقوله: (غرف) بضم الغين وفتح الراء: المنازل الرفيعة، واحده غرفة بالضم والسكون.

وقوله: (الكوكب الدري) في (القاموس)[٣]: كوكب دري: مضيء، ويثلث.

١٧ ـ باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

في (الصراح)[٤]: هجر: جدائي كردن، تهاجر بريدن، وفي (القاموس)[٥]: هجره هجراً بالفتح، هجراناً بالكسر، ويتهاجران: يتقاطعان، والاسم: الهجرة، فقوله: **(والتقاطع)** عطف تفسيري، والمتبادر من العبارة أن تكون (من) في قوله: **(من التهاجر)**

---

(١) في نسخة: «عليه».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦٥).

(٤) «الصراح» (ص: ٢١٩).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٤٦٠).

* **الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٥٠٢٧ ـ [١] عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، ....

بيانيةً، والأَولى أن تكون تبعيضية؛ لأن المنهي عنه بعضه لا كلّه؛ لأن ما كان فيه مصلحة لا ينهى كما سنبيّن، و(**العورات**) جمع عورة، وهو كل أمر يستحيي منه الإنسان، ويكره ظهوره من العيوب، ويحب ستره.

الفصل الأول

٥٠٢٧ ـ [١] (**أبو أيوب الأنصاري**) قوله: (**يهجر أخاه**) أي: المسلم إذا كان على شريطة الأخوة، وأما إن خالف هذه الشريطة جاز هجرانه.

وقوله: (**فوق ثلاث ليال**) يفهم منه إباحة ذلك في الثلاث، وهو من الرفق والترخص؛ لأن الآدمي في طبعه من الغضب وسوء الخُلق ونحو ذلك ما لا يطيق تحمل المكروه، والغالب أنه يزول أو يقل في الثلاث، والمراد حرمة الهجران إذا كان الباعث عليه وقوع تقصير في حقوق الصحبة والأخوة، وآداب العشرة، كاغتياب وترك نصيحته، ووَجد على صاحبه، وأما ما كان من جهة الدين والمذهب فهجران أهل البدع والأهواء واجب إلى وقت ظهور التوبة والرجوع إلى الحق، ومن خاف من مكالمة أحد وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يدخل مضرة في دنياه يجوز له مجانبته والبعد عنه، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية، كذا ذكر السيوطي في حاشية (الموطأ)[1].

---

(١) «تنوير الحوالك» (١/ ٢١٣).

وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٧٧، م: ٢٥٦٠].

٥٠٢٨ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، ....

ولما خاف ﷺ النفاق على المتخلفين من غزوة تبوك: كعب بن مالك وصاحبيه، أمر الصحابة وأقرباءهم ونساءهم بهجرانهم خمسين يوماً إلى أن تاب الله تعالى عليهم، ونقل من (إحياء العلوم)[1] عن جماعة من السلف من الصحابة وغيره هجران بعضهم بعضاً مدة العمر إلى أن ماتوا، وهاجر ﷺ نساءه شهراً، وهجرت عائشة ابنَ الزبير رضي الله عنهم مدة، وهجر أحمد بن حنبل الحارثَ المحاسبيَّ عند تصنيفه في علم الكلام وغير ذلك، ولا أقل من ذلك، وينبغي أن تكون النية في ذلك صحيحة خالصة.

وقوله: (وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) فيه حث على إزالة الهجران، وأن السلام يكفي في ذلك، ولا أقل من ذلك.

٥٠٢٨ ـ [٢] (أبو هريرة) قوله: (ولا تحسسوا ولا تجسسوا) الأول بالحاء المهملة والثانية بالجيم، أو بالعكس، كذا قال الكرماني[2]، والموجود في النسخ هو الأول، وقد ذكروا الفرق بينهما بوجوه. قال في (القاموس)[3] في فصل الجيم: الجس: تفحص الأخبار، كالتجسس، ومنه: الجاسوس، والجَسِيس، لصاحب سِرِّ الشَّرِ، وقال في فصل الحاء: والحاسوس: الجاسوس، أو هو في الخير، وبالجيم في الشر، وقال في (مجمع البحار)[4]: هو بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور في الشر غالباً،

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٦٤).

(٢) «شرح الكرماني» (٢١/ ٢٠٢).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٤٩٦، ٤٩٨).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٥٦).

وَلاَ تَنَاجَشُوا، ....

والجاسوس: صاحب سر الشر، انتهى.

وقيل: بالجيم أن يطلبه لغيره، وبالحاء لنفسه.

وقال الطيبي[١]: الأول التفحص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو بغيره، والثاني: أن يتولى ذلك بنفسه، وقيل: بالجيم: البحث عن العورات، وبالحاء: الاستماع، وقيل: بمعنى واحد في تطلب معرفة الأخبار، انتهى. والصواب إثبات الفرق بينهما لظاهر الحديث، ولكنهما يشتركان في معنى تطلب معرفة الأخبار، وقيل: بالجيم: تعرف الخبر بتلطف، وبالحاء طلبه بحاسة كاستراق السمع، وإبصار الشيء خفية، وقيل: الأول في الشر، والثاني يعم الخير والشر، ووجه النهي عن تطلع الأخبار إذا كان في خير أنه لو اطلع على خير أحد ربما يحصل له حسد وتمني زواله، أو طمع في ماله ونحو ذلك.

وقوله: (ولا تناجشوا) أصل النجش بسكون الجيم: تنفير الوحش وإثارته من مكانه، والنجش في البيع: هو أن يمدح السلعة لينفقها ويروجها، أو يزيد في الثمن ولا يريد شراءها ليقع غيره فيها، وجيء بالتفاعل لأن التجار يتعارضون فيفعل هذا بصاحبه على أن يكافئه بمثله، وروي: (الناجش آكل الربا) أي: يشبهه، والأول هو المراد في الحديث، ويحتمل إرادة ذم بعض بعضاً، كذا في (مجمع البحار)[٢]، وقال الطيبي[٣]:

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٠٨).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٦٨٢).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٠٩).

وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً». . . .

التناجش: أن يزيد هذا على ذاك، وذاك على هذا، والنجش: دفع الثمن، وقيل: المراد في الحديث النهي عن إغراء بعضهم بعضاً على الشر والخصومة.

وقوله: (**ولا تحاسدوا**) والمشهور أن الحسد تمني زوال نعمة الغير إذا لم يكن ظالماً مؤذياً، وفي (القاموس)[1]: حسده: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو سلبهما، وتحاسدوا: حسد بعضهم بعضاً، وفي (الصراح)[2]: حسد: بدخواهي كردن، وقد يجيء بمعنى الغبطة، وهو أن يتمنى لنفسه مثل ما للغير من غير تمني الزوال، وهو غير منهي عنه كما في حديث: (لا حسد إلا في اثنين) الحديث.

وقوله: (**ولا تباغضوا**) أي: لا يبغض بعضكم بعضاً، أي: لا تتعاطوا أسباب البغض، وإلا فالحب والبغض طبيعتان لا قدرة للإنسان عليهما، وقيل: أي: لا تختلفوا في الأهواء والمذاهب؛ لأن البدعة في الدين والضلال عن الطريق المستقيم يوجب البغض.

وقوله: (**ولا تدابروا**) أي: لا تغتابوا، وقال الطيبي[3]: المراد بالتدابر التقاطع، فإن كل واحد من المتقاطعين يولي دبره عن صاحبه، فيكون المعنى: لا يعطي كل واحد أخاه دبره وقفاه، فيعرض عنه في أداء حقوق الإسلام.

وقوله: (**وكونوا عباد الله إخواناً**) المتبادر إلى الفهم أن يكون (إخواناً) خبراً بعد

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٦٥).

(٢) «الصراح» (ص: ١٢٧).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٠٩).

وَفِي رِوَايَة: «وَلاَ تَنَافَسُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٠٦٦، م: ٢٥٦٣].

٥٠٢٩ - [٣] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّـةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، . . . .

خبر، ويحتمل أن يكون (إخواناً) حالاً أو بدل اشتمال، والنعت في الإبدال عن النكرة إنما هو في بدل الكل، وأن يكون الخبر (إخواناً)، و(عباد الله) معترضة بحذف حرف النداء.

وقوله: **(ولا تنافسوا)** النفاسة قريب من معنى الحسد، قال الطيبي[1]: التحاسد والتنافس واحد في المعنى، وقال في (النهاية)[2]: النفاسة بفتح نون: الحسد، انتهى.

وفي حديث السقيفة[3]: (لم ننفس عليك) أي: لم نبخل، (إنك استبددت بالأمر) أي: بأمر الخلافة وما شاورتنا، ويحتمل أن يكون معنى (لا تنافسوا): لا ترغبوا وتميلوا في الدنيا كما جاء في الحديث: (أخشى أن تبسط الدنيا عليكم فتنافسوا) هو من المنافسة، وهي الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء الجيد النفيس، وقال في (القاموس)[4]: نفس به كفرح: ضنّ، وعليه بخير: حسد، وشيء نفيس: يتنافس فيه ويرغب.

٥٠٢٩ - [٣] (عنه) قوله: (تفتح أبواب الجنة) محمول على الظاهر،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٠٩).

(٢) «النهاية» (٥/ ٩٦).

(٣) «أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٠٤٢).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٤).

فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً إِلاَّ رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٦٥].

٥٠٣٠ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ: يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلاَّ عَبْداً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، ....

وتأويله بكثرة الصفح والغفران لا دليل عليه، نعم يجعل ذلك علامة على ذلك.

وقوله: (إلا رجل) هكذا جاء في الروايات كلها، والظاهر النصب، وتوجيهه أن التقدير: لا يبقى رجل غير مغفور إلا رجل (بينه وبين أخيه شحناء) في (القاموس)[1]: الشحناء: العداوة؛ لأنه يشحن قلب صاحبه بُغضاً، وفي (مجمع البحار)[2]: الشحناء: العداوة والغل والحقد.

وقوله: (أنظروا) أي: أمهلوا، من الإنظار بمعنى الإمهال.

٥٠٣٠ ـ [٤] (عنه) قوله: (في كل جمعة) المراد به الأسبوع؛ لتمامه بها، وقد وقع السبت أيضاً بمعنى الأسبوع؛ لكونه مبدأ له، أو هو على اصطلاح اليهود.

وقوله: (إلا عبداً) وقع على الأصل الظاهر، وفي بعض نسخ (المصابيح) بالرفع، وتوجيهه ما مرّ.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١١٤).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٨٦).

فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٦٥].

٥٠٣١ ـ [٥] وَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْراً وَيَنْمِي خَيْراً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٦٩٢، م: ٢٦٠٥].

وَزَادَ مُسْلِمٌ قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ ـ تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ ـ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ: كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

٥٠٣٢ ـ [٦] وَذُكِرَ حَدِيثُ جَابِرٍ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ» فِي (بَابِ الْوَسْوَسَةِ). [م: ٢٨١٢].

وقوله: (حتى يفيئا) أي: يرجعا ويرتدعا من الشحناء، من الفيء بمعنى الرجوع.

٥٠٣١، ٥٠٣٢ ـ [٥، ٦] (أم كلثوم) قوله: (وينمي خيراً) من النماء بمعنى الرفع، وهو في الإصلاح، والتنمية في الإفساد، من النميمة، والمراد بالخير ما يفيد الإصلاح وإن كان كاذباً، وما يورث الإفساد فهو شر.

وقوله: (مما يقول الناس كذب) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

وقوله: (الحرب) بأن يظهر من نفسه الجلادة، ويقول ما يتقوى به أصحابه وإن لم يكن واقعاً، ويقول في جيوش المسلمين: كثيرة، وجاءهم مدد كثير، أو يقول: انظر إلى خلفك، فإن فلاناً خلفك ليضربه، كذا ذكروا.

وقوله: (وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها) مجموعهما واحد ثالث الأمور.

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٠٣٣ ـ [٧] عَنْ أَسماءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَحِلُّ الْكَذِبُ إلاَّ فِي ثَلاَثٍ: كَذِبُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٦/ ٤٦١، ت: ١٩٣٩].

٥٠٣٤ ـ [٨] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِماً فَوْقَ ثَلاَثَةٍ، فَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ كُلَّ ذَلِكَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩١٣].

٥٠٣٥ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ». . . .

الفصل الثاني

٥٠٣٣ ـ [٧] (أسماء بنت يزيد) قوله: (كذب الرجل امرأته) اكتفى بذكر كذب الرجل، ولعله باعتبار الأكثر والأغلب، لجهل النساء وسوء ظنهن بالرجال، فالحاجة إلى تسليتهن وإرضائهن أكثر.

٥٠٣٤ ـ [٨] (عائشة) قوله: (كل ذلك) بنصب (كل) ظرف (لا يرد)، وبرفعه على أنه مبتدأ والعائد محذوف.

وقوله: (سلم عليه) إما بدل من (لقيه) أو حال.

وقوله: (فقد باء) جواب.

وقوله: (بإثمه) أي: إثم الهجران، أو إثم المسلم، أو إثم عمله، وهو ترك الرد.

٥٠٣٥ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (دخل النار) تغليظ، أو المراد استوجب النار؛

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٢/ ٣٩٢، د: ٤٩١٤].

٥٠٣٦ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩٦٠].

٥٠٣٧ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثلاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِن ردَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الْهِجْرَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٩١٢].

٥٠٣٨ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيامِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّلاَةِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. [د: ٤٩١٩، ت: ٢٥٠٩].

فإن شاء الله أدخله، وإن شاء عفا.

٥٠٣٦ ـ [١٠] (أبو خراش) قوله: (أبي خراش) بكسر الخاء المعجمة في آخره شين معجمة، و(السلمي) بضم السين وخفة اللام: نسبة إلى بني سليم، وقيل: الصواب الأسلمي.

وقوله: (فهو كسفك دمه)؛ لأنه جاوز الحد بإصراره عليه سنة كاملة، فكأنه قتله بسيف الفرقة والغُصَّةِ والغمّ خصوصاً عند غلبة المحبة.

٥٠٣٧ ـ [١١] (أبو هريرة) قوله: (فقد باء بالإثم) وفي بعض النسخ (بإثمه) قد عرف حال ضميره، و(المسلم) بالتشديد من التسليم.

٥٠٣٨ ـ [١٢] (أبو الدرداء) قوله: (إصلاح ذات البين) (بين) من الظروف،

٥٠٣٩ ـ [١٣] وَعَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ١/ ١٦٥، ت: ٢٥٠٩].

قد يجيء اسماً للحالة التي بين الاثنين، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥] بإضافة الشقاق إليه، وفي ذات البين أيضاً جاء كذلك فعرف باللام، و(ذات البين) صفة لموصوف محذوف، أي: حالات وخصائل لها ملابسة وتعلق بالبين، وبهذه الملابسة قيل: هي ذات البين، أي: ثابتة بينكم، كالبغض والعدواة والحرب، وإصلاحها: إزالتها وتبديلها بأضدادها، وإضافة (ذات) إلى (البين) وتوصيف تلك الخصائل بها على وتيرة (ذات الصدور) لمضمراتها، وليست على نحو: (ذات مرة)، و(ذات يوم)؛ لأنه من إضافة المسمى إلى الاسم، بل هي على نحو: (ذو مال)، لكن الإضافة في (ذي مال) بمعنى اللام؛ لأن الموصوف صاحب المال ومالكه، وفيما نحن فيه بمعنى (في)، ويمكن جعلها بمعنى اللام لأدنى ملابسته مبالغة كأنها ملكت البين، وهو الأظهر فتأمل.

ويعلم معنى (الحالقة) في الحديث الآتي.

٥٠٣٩ ـ [١٣] (الزبير) قوله: **(دب إليكم)** من الدبيب، وهو المشي على هينته، ومنه الدابة لكل ماش في الأرض.

وقوله: **(هي الحالقة)** ضمير المؤنث راجع إلى (البغضاء) كما في قوله تعالى: ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥] لأن البغضاء أكثر تأثيراً في ثلمة الدين وإن كانت

٥٠٤٠ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». . . . .

نتيجةَ الحسد، كذا قال الطيبي[1]، ويمكن أن يرجع إلى الحسد والبغضاء معاً بتأويل كل واحدة من الخصلتين، أو يرجع إليهما وما يماثلهما من الصفات الذميمة، وهذا أولى بحسب المعنى؛ لعدم جودة وجه التخصيص، وما ذكره من الوجه ليس بذاك؛ لأنه لما كانت البغضاء نتيجةَ الحسد كان الحسد في حكمها، بل أقوى؛ لأن الأصل يكون أقوى من النتيجة.

وما ذكر من الآيتين فليس رجوع الضمير إلى الآخر متعيناً، أما الأولى فقد ذكر في التفسير كونه راجعاً إليهما؛ لأن المراد دراهم ودنانير كثيرة، أو إلى الأموال والكنوز؛ لأن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر؛ لأنهما قانون التمول، ويمكن اعتبار مثل هذا فيما نحن فيه، بأن يرجع الضمير إلى الخصال الذميمة، ويكون التخصيص بالحسد والبغضاء لأنهما أشدها قبحاً وذمًّا، نعم قد قيل برجوعه إلى الفضة لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم، ولو اعتبر مثل هذا فيما نحن فيه لكان وجهاً على خلاف الشارح، فافهم.

وأما في الآية الثانية فقد ذكر أن الضمير في (إنها) راجع إلى الاستعانة بهما، أو إلى جملة ما أمروا به ونهوا عنه.

نعم ما ذكر أن الضمير للصلاة وتخصيصها بردّ الضمير إليها لعظم شأنها واستجماعها ضروباً من الصبر يوافق طريقة ما ذكر الشارح، فتدبر.

٥٠٤٠ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (**فإن الحسد يأكل الحسنات**) تمسك به المعتزلة

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢١٤).

رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٤٩٠٣].

٥٠٤١ - [١٥] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥٠٨].

٥٠٤٢ - [١٦] وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ....

في القول بحبط الطاعات بالمعاصي، وأجيب عنه بوجهين:

أحدهما: أن المراد بأكل الحسد الحسنات أنه يذهب بها يوم القيامة؛ فإن الحاسد ربما يحمله الحسد على إتلاف مال المحسود، وإهلاك نفسه، وهتك عرضه، وقلّما يخلو عن الغرم عليها، خصوصاً هتك عرضه بالغيبة، فإنه موجود البتة، فتعطى حسناته يوم القيامة للمحسود، لما نطقت به الأحاديث الصحيحة من إعطاء حسنات الظالم للمظلوم.

وثانيهما: أن ثواب العمل يضاعف بصلاح العبد، وإذا ارتكب الخطايا نقص من ثواب عمله فيما يتعلق بالتضعيف، وهو المراد بالإحباط، وأتى الطيبي[١] بما حاصله: أن الأكل استعارة لعدم القبول، وأن تلك الحسنات الصادرة عنه مردودة عليه، وليست بثابتة في ديوان الأعمال الصالحة؛ فإذا لم تثبت في ديوانه كيف تحبط؟

وهذا يخالف الأحاديث الصحاح في إعطاء المظلوم حسنات الظالم، فإنه فرع بثبوته في ديوان أعماله، فتدبر.

٥٠٤١ - [١٥] (عنه) قوله: (رواه الترمذي) وهو صحيح، كذا قيل.

٥٠٤٢ - [١٦] (أبو صرمة) قوله: (أبي صرمة) بكسر صاد مهملة، وسكون راء، الأنصاري.

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٢١٥).

«مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [جه: ٢٣٤٢، ت: ١٩٤٠].

٥٠٤٣ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِناً أَوْ مَكَرَ بِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ١٩٤١].

٥٠٤٤ ـ [١٨] وَعَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ. . . . .

وقوله: (ضار ضار الله) المضارة: إيصال الضرر، ضد النفع، أي: من أوصل الضرر بأحد أو شاقه من غير وجه شرعي جازاه الله تعالى بمثله، والمشاقة: الخلاف والعداوة، من الشق؛ لأن المتخالفين والمتعاديين يكون كل واحد منهما في شق، أي: جانب، ويحتمل أن تكون من المشقة؛ بأن يكلفه فوق طاقته.

أقول: هذا المعنى أنسب بتعديته بـ (على)؛ لأن المشاقة يتعدى بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾[النساء: ١١٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[الأنفال: ١٣]، وبناء على هذا المعنى فرق في بعض الحواشي بين المضارة والمشاقة، بأن الضرر والمشقة متقاربان، لكن الضرر يستعمل غالباً في إتلاف المال، والمشقة في إيصال الأذية إلى البدن، كتكليف عمل شاق.

٥٠٤٣ ـ [١٧] (أبو بكر الصديق) قوله: (ملعون) أي: بعيد من مقام القرب والقبول، والمكر: الخديعة.

٥٠٤٤ ـ [١٨] (ابن عمر) قوله: (يا معشر من أسلم بلسانه) (مَنْ) يستوي فيه الجمع والمفرد، والمراد هنا الجمع، وإفراد الضمير باعتبار اللفظ، والإضافة بيانية،

وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠٣٢].

٥٠٤٥ ـ [١٩] وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ...........................

كما في يا معشر العرب، ويا معشر قريش، ونحوه؛ فإن كان الكلام مع بعض المسلمين كما يدل عليه سياق الحديث من قوله: (من يتبع عورة أخيه) ففيه توبيخ بأن ذلك من علامات النفاق وأفعال المنافقين، وإن كان مع المنافقين يكون معنى قوله: (ومن يتبع عورة أخيه) من يتبع من المسلمين عورة أخيه المسلم (**يتبع الله عورته**) فكيف بالمنافق، والطيبي[١] حمله على هذا المعنى، والله أعلم.

وقوله: (**ولو في جوف رحله**) أي: ولو كان مخفياً في وسط منزله، في (القاموس)[٢]: الرحل: مسكنك، وما تستصحبه من الأثاث، وفي (الصراح)[٣]: رحل: رخت، وجاىٔ باشِ مرد.

٥٠٤٥ ـ [١٩] (**سعيد بن زيد**) قوله: (**من أربى الربا**): (الربا) في اللغة: الزيادة مطلقاً، وفي الشرع: أخذ الزيادة في البيع والدين، و(**الاستطالة**) والتطاول: الامتداد، والارتفاع، والتفضل، كذا في (القاموس)[٤]، وفي (الصراح)[٥]: استطالة: تكبر كردن،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢١٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٤).

(٣) «الصراح» (ص: ٤٢٦).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٩٤٥).

(٥) «الصراح» (ص: ٤٣٥٠).

بِغَيْرِ حَقٍّ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [د: ٤٨٧٦، شعب: ٦٢٨٤].

٥٠٤٦ ـ [٢٠] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٧٨].

ودراز شدن، وگردن كشي كردن، شبه هتك عرض المسلم واستحقاره والترفع عليه والوقيعة فيه بالغيبة والشتم، والقذفَ بالربا الذي هو الأخذ زيادة على الحق، وإنما كان أربى؛ لأن عرض المسلم أعز وأشرف من ماله، ولحوق الضرر ولزوم الفساد في أخذه وهتكه أكثر، وإنما قال: (بغير حق) لأنه قد يستباح ذلك في بعض الأحوال، كقول صاحب الحق لمن لا يعطي حقه: يا ظالم، أو هو ظالم أو متعد، وقول الخصم في جرح الشاهد، وجرح المحدث الرواة في الحديث من هذا القبيل، وقد علم مواقع إباحة الغيبة فيما سبق.

٥٠٤٦ ـ [٢٠] (أنس) قوله: (يخمشون) في (القاموس)[١]: خمش وجهه يَخْمِشُه، ويَخْمُشُه: خدشه، ولطمه، وضربه، وقطع عضواً منه، وفي (الصراح)[٢]: خموش: خراشيدن، ولما كان يظهر أثر العرض في الوجه وينشرح به صدره، ولذا يعبر عنه بالفارسية: بـ آبرو، فالذين هتكوا عرض المسلمين جعل الله تعالى وجوههم وصدورهم مشوهاً قبيحاً على أيديهم جزاءً بالمثل، وأما ما ذكره الطيبي[٣] من أنه لما

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٤٨).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٥٨).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢١٨).

٥٠٤٧ ـ [٢١] وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أُكْلَةً فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُه مِثْلَهَا مِنْ جَهنَّمَ، ومَنْ كَسَا ثَوْباً بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ، فَإِنَّ اللهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، . . . . .

كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات، جعلهما جزاء من يغتاب ويفري من أعراض المسلمين؛ إشعاراً بأنهما ليسا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء، فلا يخلو عن بعد، والله أعلم.

٥٠٤٧ ـ [٢١] (المستورد) قوله: **(من أكل برجل مسلم أكلة)** أي: من أكل بسبب رجل يعني بسبب اغتيابه، بأن يغتاب رجلاً عند عدوه يعطيه شيئاً، فجعل الاغتياب سبباً ووسيلة للإعطاء، و(الأكلة) بالضم: اللقمة، وبالفتح المرة، ويروى بهما.

وقوله: **(ومن كسا ثوباً برجل مسلم)** الباء فيه للسببية، والتقدير: كسا نفسه ثوباً، وإن كانت للتعدية فسد المعنى؛ فإن الله لا يكسو الكاسي مثله من جهنم، كذا قال الطيبي[1]، وهذا إذا كان (كسا) مبنياً للفاعل، وأما إذا كان مبنياً للمفعول كما صحح في النسخ فلا إشكال، والباء للسببية، ومعناها ما ذكر في القرينة الأولى.

نعم الظاهر كونه مبنيًّا للفاعل كما في قرينته، ولو التزم أن الكاسي يعذب لاستماعه الغيبة وإعطائه الجائزة على ذلك لم يبعد، ولكن لا يوافق الأولى، فتدبر.

وقوله: **(ومن قام برجل مقام سمعة ورياء . . . إلخ)**، ذكروا لهذه العبارة معنيين:

أحدهما: أن الباء للتعدية، أي: من أقام رجلاً مقام سمعة ورياء، ووصفه بالصلاح والتقوى والكرامات وشهره بها، وجعله وسيلة إلى تحصيل أغراض نفسه وحطام الدنيا؛

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٢٠).

فَإِنَّ اللهَ يَقُومُ لَهُ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٨١].

٥٠٤٨ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ العِبَادَةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٢/ ٢٩٧، د: ٤٩٩٣].

(**فإن الله تعالى يقوم له**) أي: لعذابه وتشهيره، أي: يزيد تعذيبه وتشهيره، ويأمر الملائكة أن يقوموا ويتهيؤوا ويستعدوا لتشهيره، وينادوا بين الملأ على رؤوس الأشهاد: إنه كان كذاباً، قد شهر رجلاً بما لم يكن فيه لغرض الدنيا، ثم يعذبه عذاب الكذابين.

وثانيهما: أن الباء للسببية، وقيل: وهو أقوى وأنسب، أي: من قام لسبب رجل من العظماء من أهل المال والجاه مقاماً يتظاهر فيه بالصلاح والتقوى ليعتقد فيه، ويصرف إليه المال والجاه، أقامه الله تعالى يوم القيامة مثل مقامه ذلك، ويفضحه، ويأمر الملائكة بأن ينادوا: إنه كان مرائياً، ثم يعذبه عذاب المرائين.

و(السمعة) بضم السين: ما يتعلق بحاسة السمع من الأخبار والحكايات، و(الرياء) بحاسة البصر من الأوضاع والعبادات، يقال: فعله رياء وسمعة، أي: ليراه الناس ويسمعونه.

٥٠٤٨ ـ [٢٢] (أبو هريرة) قوله: (حسن الظن من حسن العبادة) أي: حسن الظن بعباد الله من جملة العبادات الحسنة، أو ناشيء من حسن العبادة، أي: من كان يحسن العبادة يحسن ظنه بالخلق، يعني إنما يحسن الظن من كان محسناً ويسيئه من كان مسيئاً.

٥٠٤٩ ـ [٢٣] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اعْتَلَّ بَعِيرٌ لِصَفِيَّةَ، وَعِنْدَ زَيْنَبَ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْنَبَ: «أَعْطِيهَا بَعِيراً»، فَقَالَتْ: أَنَا أُعْطِي تِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَهَجَرَهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمَ وَبَعْضَ صَفَرٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَذُكِرَ حَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِناً» فِي (بَابِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ). [د: ٤٦٠٢].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٠٥٠ ـ [٢٤] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ، ....

٥٠٤٩ ـ [٢٣] (عائشة) قوله: (أنا أعطي تلك اليهودية؟) على طريقة الاستفهام الإنكاري، وصفية ﵂ كانت من اليهود، بنت حيي بن أخطب اليهودي، ولكنها كانت من أولاد هارون النبي أخي موسى عليهما السلام، أُسِرَت في غزوة خيبر على يد دحية الكلبي، ثم اصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها، وكان لبعض الأزواج المطهرة معها سوء مزاج، منهن عائشة ﵂، وجاء في الحديث: أن عائشة ﵂ قالت لها: يهودية، فاشتكت إلى رسول الله ﷺ، فقال: (قولي لعائشة: أنا بنت نبي، وأنت بنت أبي بكر ﵁).

وقوله: (فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر) ففيه جواز الهجران فوق ثلاثة أيام.

الفصل الثالث

٥٠٥٠ ـ [٢٤] (أبو هريرة) قوله: (رأى عيسى) أي: ظن، ويحتمل حمله على الحقيقة.

فَقَالَ لَهُ عِيسَى[١]: سَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلاَّ، وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٣٦٨].

٥٠٥١ ـ [٢٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ».

٥٠٥٢ ـ [٢٦] وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ فَلَمْ يَعْذِرْهُ أَوْ لَمْ يَقْبَلْ عُذْرَهُ كَانَ عَلَيْهِ مثلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ مَكْسٍ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، ....

وقوله: (آمنت بالله) أي: صدقتك في حلفك بالله واتهمت نفسي بالكذب.

وفيه أن من حلف بالله تعالى وإن كان كاذباً يقبل حلفه في الأحكام، ولا يعمل بالظن بل بالعلم أيضاً، فافهم.

٥٠٥١ ـ [٢٥] (أنس) قوله: (وكاد الحسد أن يغلب القدر) أي: لو فرض أن شيئاً يغلب القدر لكان هو الحسد، وهذا كما قيل في تأويل قوله ﷺ: (لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)، كما مر في (كتاب الطب والرقى).

٥٠٥٢ ـ [٢٦] (جابر) قوله: (فلم يعذره) أي: لم يجعله معذوراً، وأنكر عذره، واتهمه بالكذب في دعوى العذر، أو لم يقبل عذره؛ بأن قال: وإن كنت معذوراً لم أقبل عذرك، ولم أنته عن التكليف بهذا الأمر.

وقوله: (صاحب مكس) في (القاموس)[٢]: مكس في البيع يمكس: إذا جبى

---

(١) في نسخة: «عيسى بن مريم».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٢).

وَقَالَ: الْمَكَّاسُ: الْعَشَّارُ. [شعب: ٦١٨٨، ٧٩٨٥].



١٨ ـ باب الحذر والتأني في الأمور

مالاً، والْمَكْسُ: النقص، والظلم، وفي (الصراح)[1]: مكس: خراج گرفتن، وفي الحديث: (لا يدخل صاحب مكس في الجنة)، ماكس: ده يك گيرنده، مكس أيضاً خراج وعشر، وفي (مجمع البحار)[2]: في حديث: (لا يدخل صاحب مكس في الجنة)، المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العشار، أي: من يأخذ من التجار إذا مروا مكساً، أي: ضريبة باسم العشر، فأما الساعي الذي يأخذ الصدقة وعشر أهل الذمة الذين صولحوا عليه فهو محتسب ما لم يتعد، وفيه: أن المكس أعظم الذنوب، وذلك لكثرة مطالبات الناس ومظلماتهم وصرفها في غير وجهها، وقال أيضاً: المكس: النقصان، والماكس من العمال: من ينقص من حقوق المساكين ولا يعطيها بتمامها، قاله البيهقي، انتهى.

١٨ ـ باب الحذر والتأني في الأمور

(الحذر): بفتحتين وبكسر فسكون من باب علم: الاحتراز والاتقاء، ورجل حذر بفتح فكسر: رجل متيقظ شديد، وفي (الصراح)[3]: حذر: مرد بيدار، قوله تعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[النساء: ٧١] أي: احذروا واحترزوا من العدو، و(التأني): التثبت،

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٥١).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٦١٨).

(٣) «الصراح» (ص: ١٧٠).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٠٥٣ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١٣٣، م: ٢٩٩٨].

وترك الاستعجال، يقال: تأنى في الأمر واستأنى: تثبت وتوقف، وانتظر، وأَنِيَ كرضي: تأخر وأبطأ، كأنَّى تأنية، وآنيته إيناء، والاسم أناة كقناة، كالأَنى بمعنى الحلم والوقار، والحلم عدم الاستعجال والتراخي في الأمـور حتى ينظر في مصالحه وعواقبـه، وقد يجيء الحلم بمعنى تأخير مكافأة الظالم، وهو فرد منه.

الفصل الأول

٥٠٥٣ ـ [١] (أبو هريرة) قولـه: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) في (القاموس)[1]: لدغته العقرب والحية، كمنع، لَدغاً وتَلداغاً، فهو مَلدُوغ ولَدِيغ. والجحر بتقديم الجيم على الحاء: كل شيء يحتفره الهوام والسباع لأنفسها، كالْجُحْران، وجَحَرَ الضبُّ، كمنع: دخله، وفي رواية: (لا يلسع)، واللسع: اللدغ. وفي (النهاية)[2]: يروى بضم الآخر وكسره خبراً ونهياً، هذا يصلح لأمر الدنيا والآخرة، يريد أنه ليس من شيم المؤمن الحازم الغضوب لله، الذاب عن دين الله أن ينخدع من مثل هذا الغادر المتمرد، ويحلم مرة بعد أخرى، بل ينتقم لله وينتقم من عدو الدين، فقال الكرماني: هو على النهي بكسر غين، وورد هذا الحديث حين أسر النبي ﷺ أبا عزة الشاعر يوم بدر، فمنّ عليه وعاهده أن لا يحرض عليه، ولا يهجوه، فلحق قومه، ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسره يوم أحد، فسأله المنّ فقال لـه، وفي روايـة: فأمر بضرب عنقـه، وروي أنه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٢٦).

(٢) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٤٨).

٥٠٥٤ ـ [٢] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ والأَنَاةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٧].

سئل عن عمر فقيل: كان كالطير الحذر الذي يرى أنه في كل طريق شركا يأخذه.

٥٠٥٤ ـ [٢] **(ابن عباس)** قوله: **(لأشج عبد القيس)** بالإضافة، وفي نسخة بالفتح على أنه غير منصرف، فيكون عبد القيس بدلاً منه على حذف مضاف، أي: وافد عبد القيس، كذا في بعض الحواشي، واسمه المنذر كان في وفد عبد القيس وقائدهم ورئيسهم، وعبد القيس قبيلته، روي أن الوفد لما وصلوا المدينة، بادروا النبي ﷺ، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل عليه، وروي: أن الوفد أسقطوا أنفسهم عن المراكب، وخروا على الأرض، وأظهروا من آثار الشوق والوجد، وأما الأشج فنزل واغتسل ولبس الثياب، ودخل المسجد وصلى الركعتين، ثم جاء في حضرته ﷺ، فأحبه وأثنى عليه وقال: **(إن فيك لخصلتين يحبهما الله)** ورسوله: **(الحلم والأناة)** وقد عرف معناهما، وفي (أسد الغابة)[١] في ترجمته: الحلم والحياء، وفي رواية ابن ماجه[٢] عن أبي سعيد: (الحلم والتؤدة)، كذا في (جمع الجوامع)[٣] للسيوطي، والكل متقارب في المعنى، وأيضاً روي أنه ﷺ قال لهم: (تبايعون على أنفسكم وقومكم) فقال الأشج: يا رسول الله! إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد من دينه، نبايعك على أنفسنا، وترسل أحداً يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، فوصفه بالحلم والعقل والتثبت والوقار، وعلى هذا يظهر المقابلة بين الحلم والأناة بلا تكلف.

---

(١) «أسد الغابة» (١/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤١٨٧).

(٣) «جمع الجوامع أو الجامع الكبير» للسيوطي (١/ ٢٦٦٤٢).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٠٥٥ ـ [٣] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الأَنَاةُ مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسٍ الرَّاوِي مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. [ت: ٢٠١٢].

٥٠٥٦ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ حَلِيمَ إِلاَّ ذُو عَثْرَةٍ، وَلاَ حَكِيمَ إِلاَّ ذُو تَجْرِبَةٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيْبٌ. [حم: ٣/ ٦٩، ت: ٢٠٣٣].

الفصل الثاني

٥٠٥٥ ـ [٣] (سهل بن سعد) قوله: (والعجلة) محركة كالعجل: السرعة في إمضاء أمر، وفي الحواشي: يستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريّته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٩٠].

٥٠٥٦ ـ [٤] (أبو سعيد) قوله: (لا حليم إلا ذو عثرة) من العثار بمعنى الزلة، أي: لا حليم كاملاً ـ وإن كان الحلم غريزاً لـه ـ إلا من وقع في عثار وزلة، وذكروا في معناه وجهين:

أحدهما: أن من وقع في زلات وخطيئات يحب أن يستر من رآه [على] عيبه ويعفو عنه؛ فإذا علم محبته لذلك علم أن الحلم والعفو عن الناس خير ومحبوب عند الإنسان؛ فإذا رأى من أحد زلة وخطيئة حلم وعفا.

وثانيهما: أنـه لا يحصل لـه الحلم حتى يركب الأمور ويعثر فيها، فيعتبر بها

٥٠٥٧ ـ [٥] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: «خُذِ الأَمْرَ بِالتَّدْبِيرِ، فَإِنْ رَأَيْتَ فِي عَاقِبَتِهِ خَيْراً فَأَمْضِهِ، وَإِنْ خِفْتَ غَيًّا فَأَمْسِكْ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٦٠٠].

٥٠٥٨ ـ [٦] وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ الأَعْمَشُ: لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلاَّ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨١٠].

ويستبين مواضع الخطأ فيجتنبها، وهذا المعنى يرجع إلى معنى التجربة؛ فالمعنى الأول أقرب وأظهر، وإلا لم يظهر لتخصيص التجربة بالحلم وجه، ثم لا يخفى أن من الناس من يكون الحلم له غريزة، فلا حاجة له في حصوله إلى العثرة والزلة إلا أن يقال: يكمل الحلم بذلك كما أشار إليه حيث قيدوا أنه لا حليم كاملاً إلا ذو عثرة، فافهم.

٥٠٥٧ ـ [٥] **(أنس)** قوله: **(خذ الأمر بالتدبير)** في (القاموس)[1]: التدبير: النظر في عاقبة الأمر كالتدبر، وفي (الصراح)[2]: تدبير پايان كار نگريستن.

٥٠٥٨ ـ [٦] **(مصعب بن سعد)** قوله: **(التؤدة)** بضم التاء وفتح الهمزة ويسكونها، والوئيد والتّوْآد: الرزانة والتأني، كذا في (القاموس)[3]، وفي (الصراح)[4]: يقال: مشى مشياً وئيداً، أي: تؤدة بآهستگي.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦٤).

(٢) «الصراح» (ص: ١٧٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٦).

(٤) «الصراح» (ص: ١٤٩).

٥٠٥٩ ـ [٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سَرْجِسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتُّؤَدَةُ وَالاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠١٠].

٥٠٥٩ ـ [٧] (**عبدالله بن سرجس**) قوله: (**السمت الحسن**) في (القاموس)[١]: السمت: الطريق وهيئة أهل الخير، وفي (الصراح)[٢]: سمت: راه وروش نيكو، يقال: ما أحسن سمته، أي: هديه، وفي (مجمع البحار)[٣]: السمت: الطريق القصد، ويستعار لطريق أهل الخير، وقال الطيبي[٤]: حالة الرجل ومذهبه، وعلم مما ذكرنا أن على بعض هذه المعاني توصيفه بالحسن على طريق الكشف والبيان، و(**الاقتصاد**): ضد الإفراط، والمشهور أن الاقتصاد هو التوسط بين الأمرين، أي: جانبي الإفراط والتفريط، وهو المحمود في الكمال.

وقوله: (**جزء من أربع وعشرين جزءاً من النبوة**) أي: هي من خصال الأنبياء، فاقتدوا بهم فيها، واهتدوا بهديهم، ووقع في حديث ابن عباس: خمس وعشرين جزءاً، والتفاوت بين العددين يحتمل أن يكون من وهم الرواة، أو بسبب آخر، وتعيين العدد موكول إلى علم النبوة، وقد مرّ مثل هذا في (كتاب الرؤيا) في شرح قوله: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)، وأما تجريد (أربع) عن التاء في قوله: (أربع وعشرين جزءاً من النبوة) يعلم منه أنه لا يجب عكس التأنيث، وقد يجيء على

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٦٤).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١١٥).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٢٧).

٥٠٦٠ ـ [٨] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نبيَّ[1] اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالاِقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٧٦].

٥٠٦١ ـ [٩] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ١٩٥٩، د: ٤٨٦٨].

الأصل إن صح أنه لفظ الحديث، ويمكن أن يكون أن الجزء مضاف إلى النبوة بحسب المعنى، فاكتسب التأنيث منه، والله أعلم.

٥٠٦٠ ـ [٨] **(ابن عباس)** قوله: **(إن الهدي الصالح)** الهدي بفتح الهاء ويكسر وسكون الدال، وكذا الهدية: الطريقة والسيرة، هدى هدي فلان، أي: سار سيرته، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

٥٠٦١ ـ [٩] **(جابر بن عبدالله)** قوله: **(إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة)** فسروا الالتفات بالغيبة، يعني إذا حدث أحد عندك حديثاً ثم غاب صار حديثه أمانة عندك، لا يجوز إذاعتها والخيانة فيها بإفشائها.

وقال التُّورِبِشْتِي[2]: والظاهر أن (التفت) بمعنى التفات خاطر إلى ما تكلم، فالتفت يميناً وشمالاً احتياطاً كأنه يريد الإخفاء، فـ (ثم) للتراخي في الرتبة، والتأنيث في قوله: (فهي أمانة) إما بتأويل الحكاية أو الكلمة، أو لتأنيث الخبر.

---

(١) في نسخة: «النَّبيَّ».

(٢) لم نجده في «كتاب الميسر».

٥٠٦٢ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لأَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهَانِ: «هَلْ لَكَ خَادِمٌ؟» فَقَالَ: لاَ، قَالَ: «فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ فَأْتِنَا»، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَأْسَيْنِ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْتَرْ مِنْهُمَا»، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! اخْتَرْ لِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي، وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٦٩].

٥٠٦٢ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (ابن التيهان) بفتح الفوقانية وكسر التحتانية مع التشديد.

وقوله: (إن المستشار مؤتمن) أشار عليه بكذا، أي: أمره، واستشاره: طلب منه المشورة، والاستشارة: طلب رأي فيما فيه المصلحة، كذا في (القاموس)[١]، وقال في (الصراح)[٢]: مشورة بضم الشين وسكونها شورى كنگاش كردن، مشاورة كذلك، استشارة: كنگاش خواستن.

وقوله: (مؤتمن) أي: ينبغي أن يكون أميناً.

وقوله: (واستوص به خيراً)[٣] وصّاه توصية: عهد إليه، والاسم الوصاية بالفتح والكسر، والوصية، تواصى القوم، أي: وصى بعضهم بعضاً، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ٣]، والاستيصاء: قبول الوصية، وفي الحديث: (واستوصوا بالنساء)، أي: أوصيكم بهن خيراً، فاقبلوا وصيتي فيهن، وقيل: الأظهر أن السين للطلب، أي: اطلبوا الوصية من أنفسكم في أنفسهن، أو لطلب بعضكم بعضاً

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٢).

(٢) «الصراح» (ص: ١٨٨).

(٣) قوله: (خيراً) كذا في الأصل، والظاهر: (معروفاً) كما في المتن.

٥٠٦٣ ـ [١١] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المجالسُ بِالأَمَانَةِ إِلاَّ ثَلاثَةَ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوْ اِقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٨٦٩].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ: «إِنَّ أَعْظَمَ الأَمَانَةِ» فِي (بَابِ الْمُبَاشَرَةِ) فِي (الْفَصْلِ الأَوَّلِ).

من بعض الوصية بالإحسان، وقيل: الاستيصاء بمعنى الإيصاء.

٥٠٦٣ ـ [١١] (جابر) قوله: **(سفك دم حرام . . . إلخ)**، بأن يقول أحد في مجلس: أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة أو أخذ مال فلان؛ فإذا سمع آخر ذلك منه يجب أن يخبر هؤلاء.

وقوله: **(واقتطاع مال أحد)** أقطع واقتطع من ماله قطعة: أخذ منه شيئاً، كذا في (القاموس)[1]، وفي (الصراح)[2]: اقتطاع: پاره أز چيزى جدا كردن، والمراد أخذه كلاً أو بعضاً.

وقوله: **(وذكر حديث أبي سعيد: إن أعظم الأمانة في باب المباشرة في الفصل الأول)** كأنه وقع في (المصابيح) هذا الحديث مكرراً، أولاً في (باب المباشرة) من (كتاب النكاح) في الصحاح، وثانياً في هذا الباب، أعني (باب الحذر والتأني) في الحسان، فترك المؤلف ذكره هنا وذكره هناك، أما نحن فلا نجده في النسخ التي عندنا ذكره هنا، فكأنه تركه بعض الناسخين لأجل التكرار، ثم في كلام المصنف رحمه الله تعالى إشارة إلى أن الصواب ذكره في الصحاح، فلهذا ذكره هناك وتركه هنا، والله

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٩٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٢٥).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٠٦٤ ـ [١٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: قُمْ فَقَامَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْعُدْ فَقَعَدَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ وَلاَ أَفْضَلُ مِنْكَ، وَلاَ أَحْسَنُ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ أُعْرَفُ، وَبِكَ أُعَاتِبُ، وَبِكَ الثَّوَابُ، وَعَلَيْكَ العِقَابُ». وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ.

أعلم بالصواب.

الفصل الثالث

٥٠٦٤ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (وتكلم فيه بعض العلماء) قال السخاوي في (المقاصد الحسنة)[1]: قال ابن تيمية وتبعه غيره: إنه كذب موضوع بالاتفاق، وفي زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على (كتاب الزهد) لأبيه عن علي عن سيار بن حاتم، وهو ممن ضعفه غير واحد، وكان جماعاً للرقائق، وقال القواريري: إنه لم يكن له عقل، قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصري مرفوعاً مرسلاً: (لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي).

وأخرجه داود بن المحبر في (كتاب العقل) له: حدثنا صالح المري عن الحسن به بزيادة: (ولا أكرم علي منك، لأني بك أعرف، وبك أعبد)، والباقي مثله، وفي الكتاب المشار إليه من هذا النمط أشياء؛ منها: (أول ما خلق الله العقل)، وذكره. وابن

---

(١) «المقاصد الحسنة» (١/ ١٩٩).

. . . .

المحبر كذاب، والوارد في أول ما خلق حديث: (أول ما خلق الله القلم)، وهو أثبت من العقل، انتهى كلام السخاوي.

وقال السيوطي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة)[١]: قد وجدت له أصلاً صالحاً، فأخرجه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد (الزهد)، قال: حدثنا علي بن مسلم، حدثنا سيّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن يرفعه قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل» الحديث، وهذا مرسل جيد الإسناد، وهو في (معجم الطبراني الأوسط)[٢] موصولاً من حديث أبي أمامة، ومن حديث أبي هريرة بإسنادين ضعيفين، انتهى كلام السيوطي.

وفي (تنزيه الشريعة)[٣] أنه أخرج هذا الحديث ابن عدي في (الكامل) والدارقطني عن أبي هريرة، والعقيلي عن أبي أمامة نحوه، وفيه حفص[٤]، وسيف وسعيد مجهولان، وتعقب بأنه أخرجه البيهقي في (الشعب) من طريقين، وقال: هذا إسناد غير قوي، وهو مشهور من قول الحسن، ورواه أبو نعيم، وفيه سهل، قال: وأراه واهماً فيه، ورواه عبدالله بن أحمد بسند جيد عن الحسن مرسلاً، ورواه ابن عدي من طريق آخر وقال: باطل منكر، وآفته محمد بن وهب، له غير حديث منكر.

---

(١) «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (١/ ٣٦٧).

(٢) «المعجم الأوسط» (٧/ ١٩٠).

(٣) «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٠٤).

(٤) فيه إيجاز مخل، وفي «تنزيه الشريعة»: وَفِي الأول حَفْص بن عمر قَاضِي حلب، وَفِي الثَّانِي سيف بن مُحَمَّد، وَفِي الثَّالِث سعيد بن الْفضل عَن عمر بْن أبي صَالح الْعَتكِي، وهما مَجْهُولَان.

٥٠٦٥ ـ [١٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ». حَتَّى ذَكَرَ سِهَامَ الْخَيْرِ كُلَّهَا: «وَمَا يُجْزَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِقَدْرِ عَقْلِهِ».

وأخرجه الدارقطني في «الغرائب» وقال: غير محفوظ، وله طريق آخر أخرجه الترمذي الحكيم وابن عساكر، وفيه الحسن الخشني، وأخرجه الخطيب، وقال الذهبي بعد ذكر طرق الحديث المذكورة: وله طرق أخرى لم تصح، قال ابن حبان: ليس في العقل خبر صحيح، وقال العقيلي: لا يثبت في هذا الباب شيء، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية)[1]: أحاديث في العقل أخرجها داود ابن المحبر في «كتاب العقل» كلها موضوعة، وقد أورد في (تنزيه الشريعة) بضعاً وستين حديثاً في فضيلة العقل، [و] وسمها كلها بالوضع، والمذكور فيها العقل بمعنى معرفة الأشياء وإدراك صلاح المبدأ والمعاد، والتمييز بين الخير والشر، والاحتراز عن عوامل النفس وآفاتها، والاهتداء والوصول إلى معرفة الحق، وأما العقل بمعنى المخلوق الأول الذي يدل عليه حديث: (أول ما خلق الله العقل)، فليس داخلاً في تلك الأحاديث، وعند المحدثين فيه أيضاً كلام كما ذكرنا، وقد حكم بعضهم بوضعه على الخصوص، وهو داخل في عموم قول بعضهم: كل حديث ورد فيه ذكر العقل لا يثبت، والله أعلم.

٥٠٦٥ ـ [١٣] (ابن عمر) قوله: (**إلا بقدر عقله**) بأن يضع كل عمل وعبادة في موضعه ويعمله لله، ويحفظه عما يفسده، وبهذا فضل بعض الناس العقل على العلم.

---

(١) «المطالب العالية» (١٣/ ٧٢٥).

٥٠٦٦ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ[٢]! لاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ، . . . .

٥٠٦٦ ـ [١٤] (أبو ذر) قوله: (**لا عقل كالتدبير**) أي: النظر في عواقب الأمور وما يترتب عليه من صلاح أو فساد، يعني أن العقل الكامل التام هو هذا، والعاقل الكامل من هذا شأنه، والظاهر أن المراد بالعقل هنا مطلق العلم والإدراك، ولو أريد بالعقل الذي سبق مدحه لم يكن لهذا الحكم كثير فائدة، فافهم.

وقوله: (**لا ورع كالكف**) استشكله الطيبي[٣] بأنّ الورع هو الكف، فكيف قيل: ولا ورع كالكف؟ ثم أجاب بأن المراد كف الأذى أو كف اللسان، فكأنه قيل: لا ورع كالصمت أو كالكف عن أذى المسلمين، انتهى.

ويمكن أن يقال: إن الورع وإن كان بحسب اللغة مفهومه الكف والاجتناب، لكن هو في عرف الشرع شامل لطرفي الامتثال والاجتناب معاً، ولو كان معناه الاجتناب فقط فالاجتناب عن ترك الامتثال بالأوامر أيضاً معتبر فيه البتة، إذ لا يقال المتقي والمتورع لمن يجتنب المنهيات ويكف نفسه عنها، ولا يمتثل بالأوامر، وهذا ظاهر، لكنهم قالوا: إن الاجتناب أهم وأدخل في سلوك طريق الوصول والقرب من رعاية الامتثال، فمن يكتفي في جانب الامتثال بإتيان الواجبات والسنن والرواتب من غير أن يستوفي أقسام النوافل والمستحبات، لكن يهتمّ بالاجتناب ويستوعب أقسامه، ومن يهتم بالامتثال ويستوعب أقسام النوافل، لكنه يرتكب المكروهات لا يتيسر له

---

(١) قوله: «لي» سقط في نسخة.

(٢) في نسخة: «يا با ذر».

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٣٠).

وَلاَ حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ».

٥٠٦٧ ـ [١٥] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، ....

الوصول، ولهذا المقال تفصيل وتحقيق مذكور في موضعه، وقد بينه سيدي الشيخ علي المتقي في رسالته المسماة بـ «تبيين الطرق».

وإذا عرفت ذلك فقد حصل لقوله ﷺ: «ولا ورع كالكف» معنى صحيح جيد، وحاصله: أن الأهم في الورع هو الكف والاجتناب عن المحارم والمكروهات، كما ذكرنا.

وقوله: (ولا حسب كحسن الخلق) الحسب: ما يعده الرجل من مآثره ومآثر آبائه، فالمراد أن الحسب الكامل المعتد به عند الله تعالى هو الأخلاق الحميدة، وما سواه من المفاخر الدنياوية لا يعتد به، ويحتمل أن يراد أن الأخلاق الباطنة هي الأصل والعمدة، والأعمال الظاهرة وإن كانت أيضاً من الكمال وأحد شطريه لكنها فرع وتبع للأخلاق، وقد ورد في الحديث: (ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق)، ولو أريد بالخلق ما يتعارفه الناس من لين الجانب، وبشاشة الوجه، والتلطف، والرحمة، كان المقصد المبالغة والتأكيد في رعاية هذا الوصف، ويكون تأويله كالتأويل الذي ذكره الشارح في قوله: (لا ورع كالكف) بإرادة كف اللسان، أو كف الأذى، وعلى تقدير إرادة مطلق الأخلاق الباطنة يكون معناه كما ذكرنا في ذلك القول من إرادة الاجتناب عن المحارم والمكروهات، فافهم.

٥٠٦٧ ـ [١٥] (ابن عمر) قوله: (الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة) لأنه لا بد في التعيش من دخل وخرج، وبناء الخرج على الاقتصاد؛ لأن في التبذير والتقتير إخلالاً

وَالتَّـوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْـلِ، وَحُسْـنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْـمِ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيـثَ الأَرْبَعَـةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَـانِ». [شعب: ٤٣١٣، ٤٣١٦، ٤٣٢٥، ٦١٤٨].

❖ ❖ ❖

بالمصالح، فيكون الاقتصاد نصف معيشة، وقال الطيبي[1]: لأن كلاً من طرفي التبذير والتقتير ينغص كل العيش، فالتوسط نصف العيش، وهذا الكلام لا يخلو عن خفاء، فافهم.

وقوله: (**والتودد إلى الناس نصف العقل**) لأن تمام عقل المعاش باكتساب الأموال والأسباب والتمدن ببني النوع، وإظهار المودة بالناس، والركـون إليهم هـو التمدن، فيكون نصفه، وهذا إذا لم يخل بالدين والتقوى، وإلا فالمداراة.

وقوله: (**وحسن السؤال نصف العلم**) قال الطيبي[2]: فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هـو بشأنـه أعنـى، وهذا يحتاج إلى فضل تمييز بين مسؤول ومسؤول؛ فإذا ظفر بمبتغاه فإنه كمل علمه، انتهى.

وأقـول: إن العلـم سؤال وجواب، وحسن السؤال عبـارة عن تنقيح المسؤول وتحقيقه بجميع الشقوق والاحتمالات، حتى يأتي الجواب وافياً شافياً، ولا يفوت شيء من المطلوب، وهذا موقوف على مزيد تمييز، فالسؤال على هذا الوجه يكون من قبيل العلم؛ فلا يتوجـه أن السؤال ينشأ من جهـل وتردد دون علم، فكيـف يكـون نصف

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٣٠).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٣١).

١٩ ـ باب الرفق والحياء وحسن الخلق

العلم؟ فافهم.

وظهر لك مما ذكرنا أن النصفية محمولة على حقيقتها، ويحتمل أن يكون المراد المبالغة في مدخلية رعاية الاقتصاد في المعيشة، والتودد في استعمال العقل فيها، وحسن السؤال في تحصيل العلم، كأنه قيل: الأشياء والأسباب الكثيرة لها مدخل في المعيشة، والتودد في استعمال العقل فيها وحسن السؤال في تحصيل العلم، لكن هذه الأشياء المذكورة على طرف، والأشياء الأخر مع كثرتها على طرف، وهذا نصف، وتلك بأجمعها نصف، والله أعلم.

١٩ ـ باب الرفق والحياء وحسن الخلق

في (القاموس)[١]: الرفق بالكسر: ما استعين به، واللطف، رَفُِقَ به، وعليه، مثلثة، رفقاً ومَرْفَقاً، كمجلس ومقعد ومنبر، وفي (الصراح)[٢]: رفق بكسر: نرمي ونرمي كردن، ضد العنف، من نصر، صلته بالباء، وارفاق نرمي كردن وسود داشتن كسى راء، والحياء بالمد: شرم داشتن، وحقيقتها تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب ويذم، والحياء المحمود انقباض النفس عن القبائح الشرعية وتركها لذلك، وبعبارة أخرى: خلق يمنع من التقصير في حق ذي الحق، وقال السادة الصوفية: الحياء متولدة من رؤية الآلاء ورؤية التقصير، وحسن الخلق قد مرّ تفسيره آنفاً.

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨١٧).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٧٦، ٥٥٤).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٠٦٨ ـ [١] عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ لِعَائِشَةَ: «عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ». [م: ٢٥٩٣].

الفصل الأول

٥٠٦٨ ـ [١] (عائشة) قوله: (إن الله تعالى رفيق) أي: لطيف بعباده، ويريد بهم اليسر، ولا يكلفهم إلا وسعهم، ولا يحملهم ما لا طاقة لهم به، و(**يحب الرفق**) من العباد ليرفق بعضهم بعضاً، ويعملوا في مصالحهم من طلب الرزق وغيره بالرفق واللطف ولا يعنفوا، ثم أشار إلى استعمال الرفق في طلب الرفق وتحصيل المطالب، ورغب فيه بقوله: (**ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**)، ورجحه عليه بكونه أعون على حصول المطلب وأنجح للمرام، ثم عمم وأشار إلى ترجيحه على سائر الأسباب مطلقاً بقوله: (**وما لا يعطي على ما سواه**) أي: ما سوى الرفق، ويحتمل أن يكون الضمير في (ما سواه) للعنف على معنى: لا يعطي على ما سوى العنف من الأسباب أيضاً، ولا يختص الحكم بالعنف، هذا هو المفهوم من تقرير كلامهم، والظاهر أن الرفق والعنف كل منهما طريق تحصيل المطالب وكيفية طلبه، لا أنهما سببان مستقلان مقابلان بالأسباب، فالمباشرة بالأسباب لا تخلو إما أن تكون بالرفق أو بالعنف؛ فإن كان بالرفق فلا وجه لترجيحه عليها، وإن كان بالعنف فقد رجحه عليه، فالمغايرة بين

٥٠٦٩ ـ [٢] وَعَنْ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٩٢].

٥٠٧٠ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيْمَانِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٤، م: ٣٦].

٥٠٧١ ـ [٤] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١١٧، م: ٣٧].

المعطوف والمعطوف عليه ليس إلا في البيان والعبارة خصوصاً وعموماً، لا يقال: لعله لا يكون بالرفق ولا بالعنف؛ لأن الرفق والعنف ضدان، والضدان يمكن ارتفاعهما؛ لأنا نقول: إذا كان أحد الضدين مساوياً لنقيض الآخر لا يرتفعان، وهناك كذلك، وأيضاً الرفق والعنف إضافيان، ففي كل مرتبة لا يخلو عن رفق أو عنف، فافهم.

٥٠٦٩ ـ [٢] (جرير) قوله: (من يحرم الرفق يحرم الخير) يجوز أن يراد بالخير المطالب المرغوبة؛ فإن الرفق لما كان وسيلة إليها؛ فإذا حرم منه حرم منها، وأن يراد بالخير الرفق، والمآل واحد.

٥٠٧٠ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: (وهو يعظ أخاه) أي: يعاتبه عليه ويزجره عنه.

٥٠٧١ ـ [٤] (عمران بن حصين) قوله: (الحياء لا يأتي إلا بخير) الباء للتعدية.

وقوله: (الحياء خير كله) قال الطيبي[١]: قد يشكل على بعض الناس هذا الحديث

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٣٣).

٥٠٧٢ ـ [٥] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: . . . .

من حيث إن الحياء قد يخل ببعض الحقوق ويمنع عنها، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسؤال عن العلم مثلاً، والجواب أن هذا المعنى الذي ذكرتموه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وجبن، ويسمى حياء بحسب اللغة، وحقيقة الحياء في الشرع: خلق يبعث على ترك القبيح الشرعي، انتهى.

ولعل الصواب أن معنى الحياء انقباض النفس عن ارتكاب القبيح طبعاً وشرعاً، لكن المحمود والممدوح في الشرع أن يكون القبيح شرعيًا حراماً أو مكروهاً أو ترك الأولى، فالأظهر في الجواب ما ذكر في بعض الحواشي أن هذه الكلية ـ أعني الحياء خير كله ـ مخصوصة بأن يكون موافقاً لرضا الحق، فتدبر.

وأما استحياؤه ﷺ من الأمر بإخراج الذين استأنسوا بالحديث بعد الطعام مع أنه كان حقًا كما أخبر الله سبحانه، فإنما كان قبل أن يوحى إليه، وكان ﷺ مأموراً بائتلافهم وإيناسهم، وإنما كان يفوته حق نفسه من التفرغ لأهله، فكان قبيحاً عنده، فاستحيا منه، فلما أخبر أنه يؤذيه، وإيذاؤه ﷺ حرام، كف عن الاستحياء وتركه، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الأحزاب: ٥٣]، واستحياؤه من عثمان ﷺ بستر فخذه بعد أن تركها مكشوفة عند دخول أبي بكر وعمر ﷺ فإنما كان من جهة أن عثمان كان حييًا كما ذكره ﷺ، وكان يتأذى من رؤيتها مكشوفة، فكان كشفها عنده خلاف الأولى؛ فاستحيا منه، فافهم، والله الموفق.

٥٠٧٢ ـ [٥] (ابن مسعود) قوله: (إن مما أدرك الناس) بالرفع أو بالنصب على الفاعلية أو المفعولية.

إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦١٢٠].

٥٠٧٣ ـ [٦] وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِـرِّ وَالإِثْمِ، فَقَالَ: «الْبِـرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ. . . .

وقوله: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) المراد بلفظ الأمر الخبر، كما في قوله ﷺ: «فليتبوأ مقعده من النار»، ومعناه أن المانع من ارتكاب القبائح الحياء، وإذا لم تستح فعلت ما شئت، أو هـو أمـر تهديد ووعيد لمن ترك الحياء، كما في ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، أي: اصنع ما شئت، فإنك ستجازى عليه، أو المراد ما لا يستحيا من الله ولا من الناس في فعله فإذا ظهر فافعله، فهو قاعدة لجواز الفعل فيما فيه شبهة، وذلك لمن لـه قلب صحيح لا يستحي إلا استحياء صحيحاً، أو ورد ذلك في فعل الطاعات إذا تركها استحياء من الخلـق وخوفاً من تطـرق الرياء، فقال: إنها مما لا يستحيا فيها من الله تعالى ورسوله، فما استحياؤك من الخلق؟ فاصنعها ولا تستح من أحد، وتب واستغفر إن تطرق رياء، وهذا المعنى الأخير لا يخلو فهمه من العبارة عن خفاء.

٥٠٧٣ ـ [٦] (النواس بن سمعان) قوله: (وعن النواس) بفتح نون وواء مشددة، وقيل: بكسر نون وواو مخففة، كذا في (المغني)[1]، (ابن سمعان) بكسر السين وفتحها، فافهم.

وقوله: (البر حسن الخلق) أي: العمدة فيه وأفضل أقسامه ذلك.

وقوله: (والإثم ما حاك في صدرك) أي: أثر فيه وأوقعك في التردد، ولم يطمئن قلبك، فإن ذلك أمارة أن في ذلك شيئاً من الإثم والكراهة، وهذا هو المراد بقوله ﷺ: (استفت قلبك)، وهذا في حق من شرح الله صدره ونور قلبه، ومع ذلك فيما لم يكن

---

(١) «المغني» (ص: ٢٨١).

وَكَرِهْتَ أَن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٥٣].

٥٠٧٤ ـ [٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٧٥٩].

٥٠٧٥ ـ [٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥٥٩، م: ٢٣٢١].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٠٧٦ ـ [٩] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ....

فيه نص من الشارع وإجماع من العلماء، فكانت النصوص متعارضة والأقوال مختلفة، فيختار أحدها بفتوى القلب.

وقوله: (وكرهت أن يطلع عليه الناس) معناه ما ذكر في توجيه الحديث السابق من الوجه الثالث، فهذا يؤيده.

٥٠٧٤ ـ [٧] (عبدالله بن عمرو) قوله: (إن من أحبكم إلي) وما كان محبوباً إليه ﷺ كان محبوباً إلى الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، وقد جعله الله على خلق عظيم.

٥٠٧٥ ـ [٨] (عنه) قوله: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) ومعناه معنى الحديث السابق، والفرق أن الخيرية بحسب الذات، والأحبية بالنسبة إليه ﷺ.

الفصل الثاني

٥٠٧٦ ـ [٩] (عائشة) قوله: (من أعطي حظه من الرفق. . . إلخ)، يعني أن

وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٣٤٩١].

٥٠٧٧ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّار». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٢/ ٥٠١، ت: ٣٠٠٩].

٥٠٧٨ ـ [١١] وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الإِنْسَانُ؟ قَالَ: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٣/ ١٠٧].

نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق، وحرمانه منه على قدر حرمانه منه.

٥٠٧٧ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (البذاء من الجفاء): (البذاء): الكلام القبيح، والبذيء: الرجل الفاحش، وفي (المجمع)[1]: البذاء: الفحش في القول، والمباذاة: المفاحشة، والجفاء نقيض البر والصلة، ويقصر، وفي (الصراح)[2]: بذاء بالمد: بيهوده گفتن، وأصله بذاءة فحذفت الهاء؛ لأن مصادر المضموم العين إنما هي بالهاء، مثل خطب خطابة، وصلب صلابة، وهو بذيء اللسان، والمرأة بذيئة، وبذيت وأبذيت، انتهى.

كأنه يريد ما جاء من مصادره على (فعال) مثل كرامة وشرافة لا مطلقاً.

٥٠٧٨ ـ [١١] (رجل من مزينة) قوله: (ما أعطي الإنسان) بالرفع والنصب.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ١٦٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٤٤).

٥٠٧٩ ـ [١٢] وَفِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ. [شرح السنة: ٣٢٢٦].

٥٠٨٠ ـ [١٣] وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاظُ وَلاَ الْجَعْظَرِيُّ» قَالَ: وَالْجَوَّاظُ: الْغَلِيظُ الْفَظُّ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ». وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، وَصَاحِبُ «جَامِعِ الأُصُولِ» فِيهِ عَنْ حَارِثَةَ. وَكَذَا فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» عَنْهُ، وَلَفْظُهُ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاظُ الْجَعْظَرِيُّ». يُقَالُ: الْجَعْظَرِيُّ: الْفَظُّ الْغَلِيظُ.

وَفِي نُسَخِ «الْمَصَابِيحِ» عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ وَهْبٍ، وَلَفْظُهُ قَالَ: وَالْجَوَّاظُ: الَّذِي جَمَعَ وَمَنَعَ، وَالْجَعْظَرِيُّ: الغَلِيظُ الْفَظُّ. [د: ٤٨٠١، شعب: ٧٨٢٣].

٥٠٨١ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَثْقَلَ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يومَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ، وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. . . . .

٥٠٧٩ ـ [١٢] (أسامة بن شريك) قوله: (شريك) على وزن كريم.

٥٠٨٠ ـ [١٣] (حارثة بن وهب) قوله: (لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري): (الجواظ) بالظاء المعجمة على وزن شداد، و(الجعظري) على وزن العبقري، وقد جاء في تفسيرهما ما يدل على ترادفهما وما يدل على تباينهما، وحاصلهما معنى: الغليظ الفظ، والمتكبر، والبخيل، وسيئ الخلق.

وقوله: (وفي نسخ المصابيح) أي: في بعضها.

٥٠٨١ ـ [١٤] (أبو الدرداء) قوله: (في ميزان المؤمن) دليل على أن الكافر

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الْفَصْلَ الأَوَّلَ. [ت: ٢٠٠٢، د: ٤٧٩٩].

٥٠٨٢ ـ [١٥] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ قَائِمِ اللَّيْلِ وَصَائِمِ النَّهَارِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٩٨].

٥٠٨٣ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [حم: ٥/ ١٥٣، ت: ١٩٨٧، دي: ٢٨٣٣].

٥٠٨٤ ـ [١٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ وَبِمَنْ تَحْرُمُ النَّارُ عَلَيْهِ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ..

لا اعتداد بمحاسن أخلاقه وأفعاله.

٥٠٨٢ ـ [١٥] (عائشة) قوله: (درجة قائم الليل وصائم النهار) يدل على علو درجتهما وإن لم يجتمع[1] بحسن الخلق.

٥٠٨٣ ـ [١٦] (أبو ذر) قوله: (وأتبع) من باب الإفعال، (السيئة) أي: افعل الحسنة لنفسك أو لغيرك.

وقوله: (خالق) أي: خالط وعامل.

٥٠٨٤ ـ [١٧] (عبدالله بن مسعود) قوله: (هين لين) بكسر الياء مشددة وسكونها، كميت وميت، و(الهين) من الهون، وهو السهولة، (لين) أي: حليم، ضد الخشونة، وقيل: هما يطلقان على الإنسان بالتثقيل والتخفيف، وعلى غيره بالتشديد على الأصل،

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر: «وإن لم يجتمعا».

قَرِيبٍ سَهْلٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. [حم: ١/ ٤١٥، ت: ٢٤٨٨].

٥٠٨٥ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ» . . . .

وعن الأعرابي بالتخفيف للمدح، وبالتشديد للذم، (**قريب**) أي: من الناس بمجالستهم وملاطفتهم، (**سهل**) أي: في قضاء حوائجهم، وتمشية أمرهم، وإعانتهم، كذا في بعض الحواشي.

وفي (القاموس)[١]: الهون بالفتح: السكينة والوقار، وبالضم: الخزي، ولاَنَ يلين لينا وليانًا بالفتح فهو ليّن ولين، كميت وميت، والمخففة في المدح خاصة، وفي (الصراح)[٢]: الهون: آرام وآهستگي كردن، ومنه قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ورجل سهل الخلق: نرم خو.

ثم اعلم أنه أتي في السؤال بكلا الشقين ـ أعني حرمة الشخص على النار، وحرمة النار على الشخص ـ تأكيدًا ومبالغة في بُعده عنها، ولما كان مآل العبارتين إلى معنى واحد اقتصر في الجواب على أحدهما؛ لقربه ولكونه المتعارف في العبارة عن ذلك المعنى.

٥٠٨٥ ـ [١٨] (**أبو هريرة**) قوله: (**المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم**) في (القاموس)[٣]: غره غرًا وغرورًا وغرة، بالكسر، فهو مغرور وغَرير: خدعه، وأطمعه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٤٢، و١١٣٦).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٣١).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٨٥، ٤١٨).

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٢/ ٣٩٤، ت: ١٩٦٤، د: ٤٧٩].

بالباطل، فاغتر هـو، والغِرّ بالكسر، والخب بالفتح: الخدّاع الجرْبُزُ، ويكسر، وفي (الصراح)[(١)]: غر بالكسر: كار نا آزموده، خب بالفتح والكسر: مرد فريبنده وكرپُز، وفي (النهاية)[(٢)]: الخب بالفتح: الخداع، وهو الجربز الذي يسعى بين الناس بالفساد، وقد تكسر خاؤه، والمصدر بالكسر لا غير، ومعنى الحديث على ما قرر في (النهاية): أن المؤمن ليس بذي مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه، أي: المؤمن المحمود من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر، وترك التجنب عنه، وليس ذلك منه لجهله، بل لكرمه وحسن خلقه.

وقد تقـرر بأنـه سليم الصدر وحسن الظن بالناس، ولم يجرب بواطن الأمور، ولم يطلع على دخائل الصدور، وهذا يكون في أمـور الدنيا وما يتعلق بحقوق نفسه، ويعـد الأمر في ذلك سهلاً، ولا يبالي ولا يهتم بـه، وأمـا في أمر الآخرة فهـو متيقظ مشتغل بإصلاح دينـه، والتردد لمعاده، ومـع ذلك نبـه ﷺ بقولـه: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحـد مرتين)، أنـه لا ينبغي لـه أن ينخدع، تعليمـاً للجزم، وقـد سبق أنـه عـام في أمر الدنيـا والآخـرة، وقيـل: ذلك مخصوص بأمـر الآخرة، وأمـا المنافـق فهـو خداع مكار يسعى بين الناس بالفساد والمخادعة والمكر، مفتش فتان لا يسامح ولا ينخدع ولا يرضى بـه عن نفسه، وإن انخدع أحيانـاً، فليس ذلك لعلمـه واختياره ورضاه.

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٦، و٢٠٣).

(٢) «النهاية» (٢/ ٤).

٥٠٨٦ ـ [١٩] وَعَنْ مَكْحُـولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَـلِ الأَنِـفِ، إِنْ قِيـدَ انْقَـادَ، وَإِنْ أُنِيـخَ عَلَـى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١] مُرْسَلاً.

٥٠٨٦ ـ [١٩] (مكحـول) قـولـه: (كالجمـل الأنـف) فـي (المفاتيـح شـرح المصابيح)[٢]: أنف بمفتوحـة مقصورة وكسر نـون، وفي (القاموس)[٣]: أنف البعير كفرح: اشتكى أنفـه من البُرَةِ، فهـو أنف ككتف وصاحب، والأول: أصح وأفصح، وفي (الصراح)[٤]: أنف: درد منـد شدن بينـي شتر از چوبك مهار، إينـاف: دردمند كردن بيني شتر را، أنف نعت منه، وهو شاذ، والقياس مأنوف كالمصدور الذي يشتكي صدره، والمبطون الذي يشتكي بطنه، انتهى.

ويروى (كالجمل الآنف)، وهو أيضاً بمعنى المأنوف، ويحتمل أن يكون صيغة النسبة.

ونقل الطيبي[٥] أن الأنف بمعنى الذلول، وهو لازم الإيناف، ومعنى الحديث: أن المؤمن شديد الانقياد للشارع في أوامره ونواهيه، متحمل للمشاق فيه، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تذللهم وانقيادهم فيما بينهم، وعدم كونهم متكبرين مختالين، وهو في المقصود إطاعة لأمر الله سبحانه.

---

(١) لم نجده في «سنن الترمذي»، بل رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٣٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٧٧).

(٢) «المفاتيح شرح المصابيح» (٥/ ٢٥٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٣٢).

(٤) «الصراح» (ص: ٣٤١).

(٥) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٤١).

٥٠٨٧ ـ [٢٠] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لاَ يُخَالِطُهُمْ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابنُ مَاجَه. [ت: ٢٥٠٧، جه: ٤٠٣٢].

٥٠٨٨ ـ [٢١] وَعَن سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٠٢١، د: ٤٧٧٧].

٥٠٨٩ ـ [٢٢] وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً». وَذُكِرَ حَدِيثُ سُوَيْدٍ: «مَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ» فِي (كِتَابِ اللِّبَاسِ). [د: ٤٧٧٨].

٥٠٨٧ ـ [٢٠] (ابن عمر) قوله: **(أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)** هذا الحديث يدل على أفضلية الصحبة من العزلة، وجاء في فضل العزلة أيضاً أخبار وآثار، وفيه تفصيل ذكره القوم في كتبهم، وقد استوفي ذلك في كتاب (إحياء العلوم) فارجع إليه.

٥٠٨٨، ٥٠٨٩ ـ [٢١، ٢٢] (سهل بن معاذ) قوله: **(من كظم غيظاً)** في (القاموس)[1]: كظم غيظه: رده وحبسه، والباب: أغلقه، والنهر والخوخة: سدهما.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٤).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٠٩٠ ـ [٢٣] عَنْ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقاً، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ». رَوَاهُ مَالِكٌ مُرْسلاً. [م: ٢/ ٩٥].

٥٠٩١، ٥٠٩٢ ـ [٢٤، ٢٥] وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَـهْ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» عَنْ أَنَسٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ. [جه: ٤٢٣٤، شعب: ٧٣١٨].

الفصل الثالث

٥٠٩٠، ٥٠٩١، ٥٠٩٢ ـ [٢٣، ٢٤، ٢٥] (زيد بن طلحة) قولـه: (زيد بن طلحة) تابعي، قيل: صوابه يزيد بن طلحـة، والذي في (جامع الأصول)[1]: زيد بن طلحة بن ركانة، أخرج حديثه [مالك في] «الموطأ»[2] في الحياء.

وقوله: (وخلق الإسلام الحياء): (الإسلام) اسم لهذا الدين القيم الذي أتى به محمد ﷺ، وللحياء كمال تعلق وغلبته[3] في هذا الدين؛ لأنه شعبة عظيمة من الإيمان، وعليها مدار الإتيان بالمحاسن، والكف عن القبائح، وهذا الدين أعظم الأديان وأكملها، قد تمت فيه مكارم الأخلاق ومكارمها[4]، وقال السيوطي[5]: أي فيما شُرِع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع كتعلم العلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحكم، وأداء الشهادات على وجهها، أقول: الحياء حقيقة هـو الحياء من الله في ترك القبائح

(١) «جامع الأصول» (٣/ ٦٢٢).

(٢) انظر: «الموطأ» للإمام مالك (٢/ ٩٠٥).

(٣) كذا في نسخة (ك) و(ب)، وفي نسخة (ع): «وللحياء كما ذكر تعلق وغلبة في هذا الدين».

(٤) كذا في الأصل والظاهر: «ومحاسنها».

(٥) «تنوير الحوالك» (٢/ ٢١٢).

٥٠٩٣ ـ [٢٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ[١] ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالإِيمَانَ قُرَنَاءُ جَمِيعاً، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ».

٥٠٩٤ ـ [٢٧] وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «فَإِذَا سُلِبَ أَحَدُهُمَا تَبِعَهُ الآخَرُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٣٣١، ٧٣٣٠].

٥٠٩٥ ـ [٢٨] وَعَنْ مُعاذٍ قَالَ: كَانَ آخِرُ مَا وصَّاني بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ وَضَعْتُ رِجْلِي فِي الْغَرْزِ أَنْ قَالَ: «يَا مُعَاذُ! ....

الشرعية، وقد مر تحقيقه في قوله: (الحياء خير كله)، فلا حاجة إلى التقييد.

٥٠٩٣، ٥٠٩٤ ـ [٢٦، ٢٧] (ابن عمر) قوله: (إن الحياء والإيمان قرناء) قال الطيبي[٢]: فيه دليل لمن يقول: إن أقل الجمع اثنان، وفي بعض النسخ (قُرِنا) على صيغة التثنية بلفظ المجهول، فلا دليل، ويطابقه قوله: (فإذا رفع) بلفظ المجهول.

٥٠٩٥ ـ [٢٨] (معاذ) قوله: (كان آخر ما وصاني به) حين وجهه لقضاء اليمن.

وقوله: **(حين وضعت رجلي في الغرز)** بمعجمة مفتوحة، فراء ساكنة، فزاي: موضع الركاب من رحل البعير، كالركاب للسرج، قاله الباجي[٣]، وفي (القاموس)[٤]: غرز رجله في الغرز ـ وهو ركاب من جلد ـ: وضعها فيه، وفي (الصراح)[٥]: غرز: ركاب چرمين كه بر پالان نهند، يقال: غرزت رجلي في الغرز، وپاى در ركاب آوردن.

---

(١) في نسخة: «رسول الله».

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٤٤).

(٣) انظر: «تنوير الحوالك» (٢/ ٢٠٩).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٤٨١).

(٥) «الصراح» (ص: ٢٢٨).

أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ». رَوَاهُ مَالِكٌ. [م: ٢/ ٩٠٢].

٥٠٩٦ - [٢٩] وَعَنْ مَالِكٍ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلَاقِ». رَوَاهُ فِي «الْمُوَطَّأِ». [م: ٢/ ٩٠٤].

٥٠٩٧ - [٣٠] وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. [حم: ٢/ ٣٨١].

وقوله: (أحسن خلقك للناس) أي: افعل بكل منهم ما يليق ويحسن بحاله، وما يوصله إلى الكمال والسعادة، والجهاد مع الكافرين والمنافقين، والتغليظ حيث ينفع التغليظ وتليين القول في مقامه من تحسين الخلق معهم.

٥٠٩٦، ٥٠٩٧ - [٢٩، ٣٠] (مالك) قوله: (بعثت لأتمم حسن الأخلاق) وفي بعض الروايات: مكارم الأخلاق، قال السيوطي[١]: كانت العرب أحسن أخلاقاً بما بقي عندهم من آثار شريعة إبراهيم عليه السلام، ولكنهم قد ضلوا بالكفر عن كثير منها، وخلطوا بها أحكام الجاهلية، فبعث ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق، انتهى.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وهو ﷺ كان جامعاً لجميع خصائل الأنبياء وكمالاتهم صلوات الله عليهم أجمعين، مع ما يخص به من الفضائل والكرامات، وقد تمت به دائرة النبوة، وختمت به، فلم يبق شيء من الكمالات التي تترقب للإنسان، فلا حاجة إلى بعث نبي آخر، وإنما بقي الاحتياج إلى من يحفظه، وهم علماء أمته الحافظون لشريعته، كأنبياء بني إسرائيل الذين حفظوا دين موسى، وأقاموا أحكام التوراة بعده، بل الحافظ في الحقيقة والمتكفل لحفظ هذا الدين القويم هو الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، قالوا: وَكَّلَ الله تعالى

---

(١) «تنوير الحوالك» (٢/ ٢١١).

٥٠٩٨ ـ [٣١] وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِـيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَسَّنَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَزَانَ مِنِّي مَـا شَانَ مِنْ غَيْرِي». رَوَاهُ الْبَيْهَقِـيُّ فِي «شُعَـبِ الإِيمَان» مُرْسَلاً. [شعب: ٤١٤٥].

٥٠٩٩ ـ [٣٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللهُمَّ حسَّنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي»..........................

حفظ التوراة إلى الأحبار والربانيين الذين استحفظوا من كتاب الله، فلا جرم تطرق إليه التحريف والتغيير.

وقال سبحانه في القرآن المجيد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، فلم يتطرق إليه التغير بالزيادة والنقصان إلى يوم القيامة، فتتميمـه ﷺ مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعـال بالزيـادة بعـد النقصـان، وبالجمـع بعـد التفريق إلى أن نزل قولـه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، فارتحل ﷺ من هذ العالم، وترك بعده خلفاء رضوان الله عليهم أجمعين.

٥٠٩٨ ـ [٣١] **(جعفر بن محمد)** قوله: **(الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي، وزان منـي ما شان من غيـري)** هذا صادق في حقـه ﷺ على الإطلاق كمالاً وتماماً، وهو مضمون قوله: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وأما الأمة فإن قالوا اتباعاً واقتداء به ﷺ صح، كما قيل في قوله: (وأنا أول المسلمين) على قصد التلاوة مع أنه صادق في الجملة، ولعل الأحسن للأمة العمل بما في الحديث الآتي.

٥٠٩٩ ـ [٣٢] **(عائشة)** قوله: **(اللهم حسنت خلقي فأحسن خلقي)** وفي رواية

رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٦/ ٦٨].

٥١٠٠ ـ [٣٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أُنْبِئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَاراً، وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلاَقاً». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٢/ ٤٠٣].

٥١٠١ ـ [٣٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ. [د: ٤٦٨٢، دي: ٢٨٣٤].

(كما حسنت)، هذا الدعاء منه ﷺ كما أشار إليه الطيبي[(١)]، إما لطلب الكمال وإتمام النعمة بإكمال دينه، ووجهه أن تهذيب أخلاقه ﷺ وتحيسنها كان بالقرآن، كما أشارت إليه عائشة: كان خلقه القرآن، فكان طلب إحسان خلقه طلب مزيد نزول القرآن، فافهم. أو لطلب الدوام والثبات، كما قالوا في ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦]، انتهى. ويحتمل أن يكون للتشريع وتعليم الأمة وإرشادهم إليه.

٥١٠٠ ـ [٣٣] (أبو هريرة) قوله: (أحسنكم أخلاقاً) وفي حديث آخر: (من طال عمره وحسن عمله).

٥١٠١ ـ [٣٤] (عنه) قوله: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فبين كمال الإيمان وحسن الخلق تلازم وتعاكس، فكلما كمل الإيمان حسن الخلق، وكلما ازداد حسن الخلق ازداد كمال الإيمان، وكذلك العمل مع الإيمان تتعاكس أنوارهما.

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٢٤٦).

٥١٠٢ ـ [٣٥] وَعَنْهُ: أَنَّ رَجُلاً شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِـيُّ ﷺ جَالِسٌ يَتَعَجَّبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِـهِ، فَغَضِـبَ النَّبِـيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِـبْتَ وَقُمْتَ؟ قَالَ: «كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! ثَلاَثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلِمَـةٍ فَيُغْضِـي عَنْهَا لِلَّهِ ﷻ إِلاَّ أَعَـزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَـا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلاَّ زَادَ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، . . . .

٥١٠٢ ـ [٣٥] (أبو هريرة) قوله: (بمظلمة) في (القاموس)[١]: هو بكسر اللام، وفي (الصراح)[٢]: مظلمة بكسر اللام: شتم كردن، وقال الشيخ ابن حجر[٣]: بكسر اللام على المشهور، وقيل: بفتحها أيضاً، وأنكره بعض، وحكى القزاز[٤] الضم أيضاً، وقال في (مجمع البحار)[٥] نقلاً عن الكرماني: مظلمة مصدر ظلم، واسم ما أخذ منك بغير حق، وهو بكسر اللام وفتحها، وقد ينكر الفتح، وقيل: بضم اللام أيضاً، وقيل: جمع مظلم بكسر اللام.

وقوله: (فيغضي عنها) أي: يفعو ويتجاوز، في (مجمع البحار)[٦]: والإغضاء:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٨١).

(٣) «فتح الباري» (٥/ ١٠١).

(٤) كان في جميع النسخ المخطوطة «الفرّاء».

(٥) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٤٩٨).

(٦) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٤٨).

وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَـةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلاَّ زَادَ اللهُ بِهَا قِلَّةً». رَوَاهُ أَحْمَدُ.
[حم: ٢/ ٤٣٦].

٥١٠٣ ـ [٣٦] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يُرِيدُ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ رِفْقاً إِلاَّ نَفَعَهُمْ، وَلاَ يَحْرِمُهُمْ إِيَّاهُ إِلاَّ ضَرَّهُمْ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٦١٣٧].



التغافل، وقيل: إدناء الجفون، وفي (القاموس)[1]: أغضى عنه طرفه: سده أو صرفه، وفيه: تغاضى عنه: تغافل، وأغضى الجفون: أدنى، وصحح في بعض النسخ بالفاء دون الغين المعجمة، ولم نجد في اللغة له من معنى ما يناسب المقام، والله أعلم.

٥١٠٣ ـ [٣٦] (عائشة) قوله: (**عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يريد الله بأهل بيت رفقاً إلا نفعهم، ولا يحرمهم إياه إلا ضرهم**) يعني لا يوفق أحداً للرفق بالناس إلا نفعهم ذلك في الدنيا والآخرة، وقد عرف معنى الرفق في شرح ترجمة الباب.

٢٠ ـ باب الغضب والكبر

(الغضب) بفتحتين ضد الرضا، غضب عليه وله كسمع: إذا كان حيًّا، وغضب به: إذا كان ميِّتاً، وهو غَضِبٌ وغضوب وغضبان، وقالوا: الغضب حركة النفس، مبدؤها إرادة الانتقام، أي: حالة تعرض للنفس توجب حركة للنفس إلى نحو الخارج،

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢١٠).

. . . .

سببها الباعث عليها إرادة الانتقام، فإن الروح الحيوانية تميل في الغضب إلى جانب المغضوب عليه لتنتقم منه، ولذلك يحمر الوجه وتنتفخ الأوداج عنده، وكذلك في الفرح والسرور تخرج إلى جانب الخارج لتتلقى المحبوب.

ومن ثم كاد أن يهلك الرجل من الغضب والسرور إذا كانا مفرطين؛ لخروج الروح الحيوانية إلى الخارج بالكلية، فتنقطع رابطة تعلقها بالبدن، وفي الغم والخوف تذهب إلى جانب الداخل، ولذا يصفر الوجه ويذبل البدن فيهما، وذلك أيضاً مظنة الهلاك عند الإفراط؛ لدخولها إلى الداخل وانطفائها مطلقاً، ومثل هذا هو السبب في حمرة الخجل، فإنه إذا صدر من أحد ما يُستحيا منه واطلع عليه آخر تنقبض النفس أولاً مثل الخائف، فتعرض الصفرة، ثم تسمعه النفس فتستحيي على حالة، فتميل إلى الخارج بسبب التشجيع فيحمر.

وضد الغضب الحلم، وهو أن تكون النفس مطمئنة لا يحركها الغضب بسهولة ولا تضطرب عند إصابة المكروه، كذا قالوا.

قلت: بل عند وصول المحبوب أيضاً، كما يظهر من حديث أشج عبد القيس؛ فإنه لم يضطرب عند رؤية النبي ﷺ، وقد وصفه ﷺ بالحلم والوقار، فالأولى أن يفسر الحلم بعدم تحرك النفس عند وجود المزعج والمقلق، تأمل.

والغضب مذموم إذا لم يكن للحق موافقاً للشرع، وأما إذا كان للحق فهو محمود من صفات الكمال كما ورد في وصفه ﷺ: وكان لا يقوم يغضب لنفسه؛ فإذا انتهك من محارم الله غضب، ولا يقوم لغضبه أحد، والمقصود من الرياضة ليس إزالة الغضب مطلقاً وقمعه، ولا يمكن أيضاً، بل كسره وجعله موافقاً للحق، ولو فرضا لم يكن

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥١٠٤ ـ [١] عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِـيِّ ﷺ: . . . .

كمال؛ لأنـه يتعلق بـه نظام البدن والحياة؛ لأنه لدفع المضار والمؤذيات، ولهذا لما لم يكن في النباتات قوة غضبية يعرضها التلف والهلاك ممن يقصده، بخلاف الحيوانات؛ لدفعها المؤذيات بالقوة الغضبية، وقد خلق الله لها آلات جارحة من الأنياب والقرون دافعة لمن قصدها إلا من يغلب عليها.

وفي الآدمي وإن لم تكن آلات مخلوقة في بدنه فعنده عقل يدبر به، ويصنع من الآلات ما يليق بكل حادثة ويناسبها، بخلاف الحيوان فليس له إلا نوع واحد أو اثنان مثلاً، فتعالى الله أحسن الخالقين.

وأما الكبر فمنشؤه العجب، وهو أن يرى الإنسان في نفسه صفاته حسنة وتعجبه تلك، فيكبـر عند نفسه إذا أظهـر ذلك على الناس بالتفـوق والتغلب عليهم والامتناع عن الحق، فهو تكبر واستكبار، وهو مذموم إذا لم يكن بما فيه، بل يتشبع ويظهر من نفسه بالتكلف ما ليس فيها، وأما إذا كان بما فيه من الفضائل يستحق به التقدم والعلو بحسب نفس الأمر فليس بمذموم، ويقابله التواضع، والتواضع توسط بين التكبر والضعة، فالتكبـر: أن يطلب ويدعـي فوق ما يستحق، والضعـة: أن يتنزل عن مقامـه، ويترك ما يستحقه، والتواضع: هـو القيام على طريقـة التوسط والاعتدال، ولكن لما كانت صفة التكبر غالبة في النفس أراد المشايخ الصوفية قمعها، فأقاموا الضعة مقام التواضع لكبح عنان النفس، ومنعها عما هو طبعها، والكمال: هو التوسط والاعتدال في جميع الأحوال.

الفصل الأول

٥١٠٤ ـ [١] **(أبو هريرة)** قولـه: **(أن رجلاً)** قيل: هو أبـو الدرداء، ولعله ﷺ

أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»، فَرَدَّ ذَلِكَ[(١)] مِرَاراً قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦١١٦].

٥١٠٥ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦١١٤، م: ٢٦٠٩].

٥١٠٦ ـ [٣] وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ.................

وجد فيه شيئاً من ذلك فهذبه منه.

٥١٠٥ ـ [٢] (وعنه) قوله: (ليس الشديد بالصرعة) بضم الصاد المهملة وفتح الراء على وزن همزة ولمزة: من يصرع الناس، كالصِّرِّيع على وزن سِكِّين، والصرعة بالضم والسكون: من يصرعه الناس، وكأمير: المصروع، من الصرع، ويكسر: الطرح على الأرض، كالمصرَع، كمقعد، وهو موضعه أيضاً، كذا في (القاموس)[(٢)].

٥١٠٦ ـ [٣] (حارثة بن وهب) قوله: (كل ضعيف متضعف) في (القاموس)[(٣)]: ضعفه تضعيفاً: عدّه ضعيفاً، كاستضعفه، وتضعفه، وفي الحديث: (كل ضعيف متضعف)، انتهى.

وفي (النهاية)[(٤)]: يقال: تضعفته واستضعفته بمعنى، أي: من يتضعفه الناس،

---

(١) قوله: «ذلك» سقط في نسخة.

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٠).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٦٥).

(٤) «النهاية» (٣/ ٨٨).

لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِـرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِـرٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: ....

ويتجَبَّرُون عليه في الدنيا للفقر والرثاثة، فظهر أن المتضعف بفتح العين هو الصحيح، ولكن الطيبي[1] نقل عن محيي السنة جوازه بكسر العين أيضاً، وإن حكم بشهرة الأول، وفي (مجمع البحار)[2]: من الكرماني: (كل متضعف) بفتح عين على المشهور، أي: من يستضعفه الناس ويحتقرونه، وبكسرها، أي: خامل متذلل متواضع، وقيل: رقيق القلب ولينه للإيمان.

وقوله: (**لو أقسم على الله لأبره**) أي: القسم أو المقسم، أي: لو أقسم على الله، أي: لو حلف يميناً طمعاً في كرمه بإبراره لأبره، وقيل: لو دعاه لأجَابَه، أي: لو سأل شيئاً وأقسم عليه أن يفعله لفعله، ولم يخب دعوتـه، وقيل: لو حلف أن الله يفعله أو لا يفعله صدقه في يمينه بأن يأتي به، ويشهد له حديث أنس بن النضر: (والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله).

وقوله: (**عتل**) بضمتين ومشدد اللام: الأكول المنـوع الجافي الغليظ، كذا في (القاموس)[3]، وفي (الصراح)[4]: مرد درشت آواز وسخت گوئي، قوله تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[القلم: ١٣]، وفي (البيضاوي)[5]: عتل جاف غليظ، من عتله: إذا قاده

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٢٤٩).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٤٠٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٩٤٧).

(٤) «الصراح» (ص: ٤٣٦).

(٥) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٣٤).

«كُلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ». [خ: ٤٩١٨، م: ٢٨٥٣].

٥١٠٧ ـ [٤] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ..............................

بعنف وغلظة، وقد سبق معنى (الجواظ) في (الفصل الثاني) من (باب الرفق)، وهو قريب من معنى العتل، و(**الزنيم**): الدَّعِيُّ، مأخوذ من زنمتي الشاة، وهما المتدليتان من أذنها وحلقها، شبَّه به الدعي الملصق بالقوم وليس منهم، والمراد أن أكثر أهل النار على هذه الصفات، وأهل الجنة على الصفات السابقة.

٥١٠٧ ـ [٤] (**ابن مسعود**) قوله: (**لا يدخل النار**) في الحديث إشكالان:

الأول: أنه لا يدخل المؤمن النار وإن كان عاصياً مع أن العاصي معذب إن شاء الله تعالى.

والثاني: أن المتكبر لا يدخل الجنة وإن كان مؤمناً مع أن المؤمن يدخل الجنة ولو كان بعد عذاب، والجواب أن المراد بدخول النار دخول تأبيد، وبدخول الجنة الدخول مع السابقين.

وقد يقال: إن المراد بالكبر الكبر عن قبول الحق والإيمان، فيكون كفراً، وفيه إشارة إلى أن الكبر من صفات الكافرين، وقيل: لعل الله إذا أراد أن يدخله الجنة أخرج الكبر من قلبه، ولو حمل على المبالغة في التبشير على الإيمان والتشديد على الكبر لكان أيضاً وجهاً، والله أعلم.

المثقال للشيء: ميزانه من مثله، وفي (الصراح)[١]: مثقال: هم سنگ چيزي،

---

(١) «الصراح» (ص: ٤١٤).

مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٩١].

٥١٠٨ ـ [٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَناً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى[1] جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ. . . . .

وفسروه في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بمقدارها.

وقوله: (من خردل)، في (القاموس)[2]: حب شجر معروف ملطف جاذب، قالع للبلغم. . . إلى آخر ما عدَّ من منافعه، والخردل الفارسي: نبات بمصر يعرف بحشِيشَة السلطان.

٥١٠٨ ـ [٥] (وعنه) قوله: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة)** والذرة: النملة الصغيرة أو الهباء، وهي ما يرى في شعاع الشمس من كوة البيت.

وقوله: **(إن الله تعالى جميل)** أي: حسن الفعال، كامل الأوصاف، وقيل: مجمل، وقيل: جليل، وقيل: مالك النور والبهجة، كذا في (مجمع البحار)[3]، ويمكن أن يقال: إن قوله: **(ويحب الجمال)** تفسير للجميل، أي: يحب من عباده من كان جميلاً في أفعاله وأوصافه، ويحب أن يرى نعمته وأفضاله على عبده، والله أعلم.

وقوله: **(الكبر بطر الحق)** في (القاموس)[4]: البطر: الطغيان بالنعمة، وكراهية

---

(١) قوله: «تعالى» سقط في نسخة.

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩١٣).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٨٧).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٠).

وَغَمْطُ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٩].

٥١٠٩ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ». وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ،..

الشيء من غير أن يستحق الكراهة، وبطر الحق: أن يتكبر عنه فلا يقبله، كفرح، وفي (مجمع البحار)[1]: الكبر بطر الحق، وهو أن يجعل ما جعله الله حقًّا من توحيده وعبادته باطلاً، وقيل: أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقًّا، أو لا يقبله ويدفعه.

وقوله: (**وغمط الناس**) في (القاموس)[2]: غمط الناس كضرب وسمع: استحقرهم، وقد جاء في الحديث: (الكبر أن تُسَفِّهَ الحقَّ وتَغْمِطَ الناسَ)[3]، الغمط: الاستهانة والاستحقار، وهو كالغمص، كذا في (النهاية)[4].

٥١٠٩ ـ [٦] (**أبو هريرة**) قوله: (**لا يكلمهم الله**) عبارة عن غضبه، وكذلك قوله: (**ولا ينظر إليهم**)، فإن من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه، كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه.

وقوله: (**ولا يزكيهم**) معناه: لا يثني عليهم، من زكى نفسه: إذا وصفها وأثنى عليها، والزكاة: المدح، كذا في (النهاية)[5]، وفي بعض الحواشي معناه: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، والزكاة تجيء بمعنى التطهير.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ١٩١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٦).

(٣) أخرجه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٥٢٠).

(٤) «النهاية» (٣/ ٣٨٧).

(٥) «النهاية» (٢/ ٣٠٧).

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٠٧].

٥١١٠ ـ [٧] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٢٠].

وقوله: (**شيخ زان**) فإن الشيخ لكونه في سن يُستحيا فيه من الفواحش، ويضعف شهوة الجماع، يكون ارتكاب هذه الشنيعة منه أقبح، ويدل على دنس طبعه واعوجاج فطرته.

(**وملك كذاب**) لأن الملك برأيه ينتظم أمور الملك ومصالح الخلق، فالكذب منه يخلّ بها، فيكون أقبح وأضرّ؛ ولأن الكذب مع كونه محظوراً يقع الإنسان فيه غالباً لجلب نفع أو دفع ضرر، فمن الملك القادر عليه بدونه يكون أقبح وأخبث.

وأما (**العائل**) أي: الفقير المستكبر فلأن كبره مع انعدام سببه من المال والجاه يدل على كون طبعه لئيماً، وقيل: المراد بالعائل ذو العيال، فتكبره عن سؤال الصدقة والزكاة، وعدم قبوله ما يسد خلته وخلة عياله ويزيل الفقر والمحنة لا يكون إلا لاستيلاء هذه الرذيلة عليه، بحيث يلحق عياله الضرر من تكبره ولا يتركه، وأما التعفف وستر الحال من جهة التوكل على الله فليس فيه تكبر وترفع أصلاً.

٥١١٠ ـ [٧] (**وعنه**) قوله: (**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**) ضرب مثل في انفراده بصفة العظمة والكبرياء، أي: ليستا كسائر الصفات التي قد يتصف بها غيره مجازاً، كالكرم والرحمة، كما لا يشارك في إزار واحد وردائه غيرُهُ.

بقي أنه هل فرق بين الكبرياء والعظمة أو معناهما واحد؟ والذي يظهر من كتب

. . . .

اللغة أنه لا فرق بينهما، في (القاموس)(١): كبر ككرم، نقيض صَغُرَ، وأكبره: رآه كبيراً، وعظم عنده، وكَبِرَ، كفرح: طعن، وكبر [هُ بسنة] كنصر: [زاد عليه، وكَبُر كصَغُر] عَظُم وجَسُم، والكبر: الرفعة والعظمة والتجبر، كالكبرياء.

وفي (الصراح)(٢): كبر بالكسر والفتح: بزرگ شدن، كبرة: بزرگ سالى، كبر بسكون الوسط كبرياء: بزرگي وبزرگ شدن، عظم: بزرگ شدن، عظام بالضم، وعظم الشيء بالضم: بزرگي وپيشتري.

الكبرياء: العظمة، من الكبر بالكسر، وهو العظمة، كبر بالضم: إذا عظم، فهو كبير، الله أكبر من أن يعرف كنهُ كبريائه وعظمته، الكبرياء: هو العظمة والملك، وقيل: كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بهما إلا الله، هذه عباراتهم تدل على اتحاد الكبرياء والعظمة في المعنى، وقد التزمه بعضهم في هذا الحديث، وقال: إنه تفنن في العبارة، فتارة شبه كبرياءه وعظمته بالرداء، وأخرى بالإزار، وذكر في كل منهما أحدهما اكتفاء بذكر لفظ أحد المترادفين عن الآخر.

وتكلف بعضهم في بيان الفرق متضمناً لبيان وجه التخصيص، فقيل: الكبرياء صفة ذاتية، والعظمة إضافية، فهو متكبر في ذاته سواء يستكبره غيره أم لا، وأما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره، والصفة الذاتية أعلى وأرفع من الإضافية، فشبهت بالرداء الذي هو أرفع من الإزار، ويقرب من هذا ما قيل: إن الكبرياء والعظمة وإن اتحدا لغة، لكنه يقال في العرف: هو متكبر لمن يترفع ولا ينقاد لأحد، ويقال:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٣٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٢١٠، و٤٨٣).

* **الْفَصْلُ الثَّانِي:**

٥١١١ ـ [٨] عَن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ.................

له عظمة: إذا كثر ما يتعلق به من الخدم والحشم.

والرداء يلبس على الأعضاء الفوقانية المختصة بالترفع والتكبر والظهور، والإزار على التحتانية المختصة بالنزول والانحطاط، بمنزلة الخدم والحشم، ويمكن أن يقال: إن العظمة تكون باعتبار الذات والحقيقة التي لا يعرف كنهها، قال بعضهم: العظيم هو الذي جاوز قدره حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته، كما يكون العظيم في الأجسام بكثرة الطول والعرض لا تحيط به الأبصار.

والكبرياء باعتبار الترفع والتعزز على الغير كما جاء في حديث الرؤية (ما بين القوم وبين أن ينظروا [إلى ربّهم] إلا رداء الكبرياء على وجهه)[1]، والإزار ملتصق بذات الرجل ومشدود ومربوط به، وضروري لا بد منه، بخلاف الرداء، وإنما هو للتزيين والترفع على الناس، وليس بضروري، فهو تعالى عظيم في ذاته وحقيقته، ومتكبر ومترفع بكبريائه على العالمين، والله أعلم بحقيقة المراد.

الفصل الثاني

٥١١١ ـ [٨] **(سلمة بن الأكوع)** قوله: **(لا يزال الرجل يذهب بنفسه)** أي: يذهبها عن مكانها ودرجتها التي هي فيها في الواقع إلى مرتبة عُليا، ومكان أرفع، فالباء للتعدية، وهو المتبادر من مثل هذا التركيب، ويجوز أن يكون بمعنى (مع)، أي:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٨٠).

فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٠٠٠].

٥١١٢ ـ [٩] عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، ....

يرافقها ويتبعها ويذهب معها حيث ذهبت، ولم يكبح عنانها عن التكبر والتجبّر، ولم يصرفه.

وقوله: (فيصيبه ما أصابهم)[1] من الآفات والبلايا في الدنيا، والعقاب في الآخرة.

٥١١٢ ـ [٩] (عمرو بن شعيب) قوله: (يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة في صور الرجال يغشاهم الذلّ من كل مكان) اختلفوا في معنى هذا الحديث، فمنهم من أوله وقال: المراد بحشرهم أمثال الذر كونهم أذلاء، ويطؤهم الناس بأرجلهم، بدليل أن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء، حتى ورد في الحديث: (إنهم يحشرون غرلاً)، يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة، ولهذا قال: (في صورة الرجال)، ووصفهم بقوله: (يغشاهم الذل من كل مكان)، وهو قرينة المجاز، ومنهم من حمله على ظاهره، وحديث: (الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء) لا ينافيه؛ لأنه قادر على إعادة تلك الأجزاء الأصلية في مثل الذر، ومعنى قوله: (في صورة الرجال) أن صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر، وأما قوله: (يغشاهم الذل من كل مكان) فلا دلالة فيه على إرادة المجاز كما لا يخفى.

---

(١) في جميع النسخ المخطوطة «ما يصيبهم».

يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسُ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةِ الْخَبَالِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٩٢].

٥١١٣ ـ [١٠] وَعَنْ عَطِيَّةَ بْنِ عُرْوَةَ السَّعْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا يُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٧٨٤].

وقوله: (**يسمى بولس**) من البلس بمعنى اليأس والتحير، ومنه اشتق إبليس، وصحح في الشروح بفتح الباء واللام، وفي (القاموس)[1] بضمهما.

وقوله: (**نار الأنيار**) أي: نار النيران، والقياس الأنوار؛ لأنه واوي، إلا أنه أبدلت الواو بالياء؛ لئلا يلتبس بجمع النور، كما جاء في جمع الريح أرياح، وفي جمع عيد أعياد؛ لئلا يلتبس بجمع الروح والعود، كذا قال الطيبي[2]، والذي في كتب اللغة في جمع نار نور ونيار ونيران، ولم يذكر أنوار ولا أنيار، والله أعلم.

والمراد بنار الأنيار نار تفعل بالنيران ما تفعل النار بالحطب.

وقوله: (**طينة الخبال**) بدل من (**عصارة أهل النار**)، وهي ما يسيل عنهم من الصديد والقيح والدم، وقد جاء في الحديث بشك من الراوي (هي عرق أهل النار أو عصارة أهل النار)، وقد مر في (باب الوعيد على شرب الخمر)، والخبل في الأصل بمعنى الفساد، ويكون في الأبدان والأفعال والعقول.

٥١١٣ ـ [١٠] (عطية بن عروة) قوله: (فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) لاستعمال الماء المطفئ لنار الغضب، وقد صح بالتجربة أن لشرب الماء البارد تأثيراً في دفعه،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٩٤).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٥٥).

٥١١٤ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ[١]. [حم: ٤/ ١٥٢].

٥١١٥ ـ [١٢] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ، ....

مع ما في الوضوء من النورانية وشموله للأعضاء، وللشروع في العبادة والذكر الموجب للاستعاذة من الشيطان، والوضوء سلاح المؤمن يحفظه منه.

٥١١٤ ـ [١١] (أبو ذر) قوله: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس... إلخ) الظاهر أن المراد أن لتغير الحالة على هذا النهج الموجب للسكون والطمأنينة تأثيراً في زوال الغضب؛ لأنه هيجان وثوران، فينافيه السكون والاستراحة، وقيل: إنما أمر بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه في حال غضبه من الحركة ما يندم عليه، فإن المضطجع أبعد من الحركة والبطش من القاعد، والقاعد من القائم.

٥١١٥ ـ [١٢] (أسماء بنت عميس) قوله: (تخيل واختال) رجل مختال: متكبر، وقد تخيل وتخايل، وفي (تفسير البيضاوي)[٢] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]: متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه، ولا يلتفت إليهم، وفي موضع آخر: المختال: الماشي مرحاً، أي: فرحاً، ويعلم منه أن المختال معناه المتكبر من الخيلاء، ويحمل في كل موضع على ما يليق به، في الأول وقع في مقام الأمر بالإحسان بالوالدين وذي القربى والجار والصاحب، والثاني بعد قوله:

---

(١) لم نجده في «سنن الترمذي»، بل أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٧٨٢).

(٢) «تفسير البيضاوي» (١/ ٤٥٤).

وَنَسِيَ الْكَبِـيرَ الْمُتَعَالِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِـرَ وَالْبِـلَى، . . . .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[لقمان: ١٨].

وقوله: **(نسي الكبير المتعال)** أي: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه، كذا في (تفسير البيضاوي)[١].

وقوله: **(تجبر واعتدى)** في (القاموس)[٢]: تجبر: تكبر، والجبار: الله تعالى، لتكبره، وجبره على الأمر: أكرهه، كأجبره، انتهى.

فالتجبر بمعنى التكبر مع تضمن معنى القهر والغلبة والإكراه، واعتدى؛ أي: تجاوز عن الحد، وظلم وأفسد، والعدوى: الفساد، كذا في (القاموس)[٣].

وقوله: **(سها)** أي: غفل عن الحق والطاعة واشتغل بما لا يعنيه، في (القاموس)[٤]: سها في الأمر سهواً: نسيه، وغفل عنه، وذهب قلبه إلى غيره، وقال: لها لهواً: لعب، ولَهِيَ عنه: سلا وغفل، وترك ذِكْرَهُ.

وقوله: **(نسي المقابر والبلى)** وهو بكسر الباء: الخلوقة في الثوب، بلي يبلى بلىً من سمع، وإن فتحت الباء مددتها، والإبلاء متعد منه، كذا في (الصحاح)[٥].

---

(١) «المصدر السابق» (٣/ ١٨٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٣).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٣).

(٥) «الصحاح» (١/ ٥٤).

بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَى وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، ....

وقوله: (عتى وطغى) في (الصحاح)(١): العتي بالضم والكسر: التجاوز عن الحد، أصله عتو، فأبدلوا إحدى الضمتين كسرة فانقلبت الواو ياء فصار عُتيًّا، ثم أتبعوا الكسرة [الكسرة] فصار عِتيًّا، وفي (القاموس)(٢): عَتَا عِتيًّا وعُتوًّا: استكبر وجاوز الحد، انتهى.

فالاستكبار فيه بمعنى التجاوز عن الحد، وفي المختال من الخيلاء، وفي التجبر من القهر والغلبة، فالثلاثة وإن كانت مشتركة في معنى الكبر لكن بينها فرق بالاعتبار، فلا تكرار، فافهم.

وطَغِيَ طغياناً بالضم والكسر: جاوز القدر، وارتفع، وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظلم، وفي (الصراح)(٣): طغيان وطغوان بالفتح: از حد در گذشتن.

وقوله: (ونسي المبتدأ والمنتهى) أي: نسي مِمّ خلق، وإلام يؤول حاله.

وقوله: (يختل الدنيا بالدين) أي: يخدعها ويطلبها بعمل الدين، أي: يرائي بالورع والتقوى ليحصل الدنيا، فكأنه يخدع الدنيا ويراودها ليجرها ويدعوها إلى نفسه، وفي الحقيقة يخدع أهل الدنيا لتحصيلها، ختله يختله من ضرب، ونصر، ختلاً وختلاناً: خدعه، والذئب الصيد: تخفَّى له، فهو خاتل وختول، كذا في (القاموس)(٤).

---

(١) «الصحاح» (١/ ٤٤٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٢).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٧٢).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٩١٢).

بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبَهَاتِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ» . . . .

وقوله: **(يختل الدين بالشبهات)** أي: يخدعه ويحصله بالشبهات، أي: يقع في الحرام بالتأويل، أي: يخدع أهل الدين ويريهم ذلك ليحسبوه ويعدوه من أهل الدين، ولا يرتكب الحرام البين لئلا يخرجه الناس من الدين صريحاً، ويأتي بالمشتبهات ليشتبه على الناس أمر دينه، ويحكموا بتدينه في الجملة، فكأنه يخدع الدين وأهله بذلك.

وقوله: **(عبد طمع يقوده)** الأشبه أن يكون (طمع) مبتدأ وخبره (يقوده)، واشتراط تخصيص المبتدأ المنكر مما لا يلتفت إليه المحققون من النحاة ويديرونه على الفائدة كما صرح به الرضي في نحو: كوكب انقض الساعة، وإن كان لا بد من رعاية قاعدتهم، فالمراد طمع عظيم، وقيل: هو من باب الوصف بالمصدر مبالغة، ولو قرئ بالإضافة لاستقام بلا تكلف إن ساعدته الرواية.

والطمع: الحرص، وفي (القاموس)[١]: طَمِع فيه، وبه، كفرح: حرص عليه، فهو طامع، وفي (الصراح)[٢]: أميد داشتن، انتهى.

وحقيقة الطمع رجاء حصول مال يشك في وصوله؛ فإن لم يشك وكان على يقين من حصوله فليس بطمع، كذا سمعت من شيخي رحمة الله عليه.

و**(الرغب)** بضم الراء وفتحها مصدر رغب على حد سمع، في (القاموس)[٣]:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٧).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٢١).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، وَقَالاَ: لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ أَيْضاً: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤٤٨، شعب: ٧٨٣٢].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥١١٦ ـ [١٣] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ ﷻ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ١/ ٣٢٧].

٥١١٧ ـ [١٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]. قَالَ: الصَّبْرُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، . . . .

رغب فيه رغباً، ويضم، ورغبة: أراده، والرغب بالضم وبضمتين: كثرة الأكل، وشدة النَّهَم، فعله ككرم، انتهى. والمراد الرغبة في الدنيا والإكثار منها.

الفصل الثالث

٥١١٦ ـ [١٣] (ابن عمر) قوله: (ما تجرّع عبد أفضل عند الله ﷻ من جرعة غيظ يكظمها) في (القاموس)[1]: الجرعة مثلثة من الماء: حسوة منه، أو بالضم والفتح: الاسم، من جَرِعَ الماء، كسمع ومنع: بلعه، وبالضم: ما اجترعتَ، والغيظ: الغضب أو أشده، أو سورته وأوله، وتغيضت الهاجرة: اشتدت، والكظم: رده وحبسه، والضمير في (يكظمها) لـ (الجرعة)؛ لأن الإضافة في (جرعة غيظ) للبيان، فالجرعة هي الغيظ، فافهم.

٥١١٧ ـ [١٤] (ابن عباس) قوله: (﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾) آخر الآية: ﴿فَإِذَا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٤٣، ٦٥٣).

فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمَهُمُ اللهُ، وَخَضَعَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ قَرِيبٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقاً. [خت: ٦/ ١٢٨].

٥١١٨ ـ [١٥] وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ لَيُفْسِدُ الإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبِرُ الْعَسَلَ».

﴿ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، قال صاحب «الكشاف»[1]: يعني أنّ الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ الحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك، ومثال ذلك: رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك فتمدحه، ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاقّ مثل الولي الحميم، انتهى.

هذا الذي ذكره أخذه من لفظة ﴿أَحْسَنُ﴾ اعتباراً لتفضيله بالنسبة إلى الحسنة، ويجوز اعتباره بالنسبة إلى جزائه بمثله، ففي الحديث اقتصر على أدنى المراتب؛ إشارة إلى أنه إن لم يتيسر الإحسان فلا بد من الصبر والعفو، وهذا مثل ما قالوا: إن الوظيفة في البلايا هي الشكر؛ نظراً إلى الألطاف الخفية التي في ضمنها، وإن لم يتيسر فلا أقل من أن يصبر.

٥١١٨ ـ [١٥] **(بهز بن حكيم)** قوله: **(كما يفسد الصبر العسل)** الصبر ككتف، ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر: عصارة شجر مرٍّ.

---

(١) «الكشاف» (٦/ ١٥٩).

٥١١٩ ـ [١٦] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ ـ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ـ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تَوَاضَعُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللهُ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ وَفِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ، حَتَّى لَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلْبٍ أَوْ خِنْزِيْرٍ».

٥١٢٠ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عليه السلام: يَا رَبِّ! مَنْ أَعَزُّ عِبَادِكَ عِنْدَكَ؟ قَالَ: مَنْ إِذَا قَدَرَ غَفَرَ».

٥١٢١ ـ [١٨] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، . . . . . .

٥١١٩ ـ [١٦] (عمر) قوله: (فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس كبير) فكان المراد من الدعاء المأثور ـ وهو قوله ﷺ: «اللهم اجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين الناس كبيراً» ـ طلب التواضع.

٥١٢٠ ـ [١٧] (أبو هريرة) قوله: (من إذا قدر غفر) هذا أيضاً اقتصار على الأدنى؛ فإن الإحسان على الإساءة متعذر جدًّا لا يأتي إلا ممن شاء الله، والعفو والمغفرة أيضاً إحسان.

٥١٢١ ـ [١٨] (أنس) قوله: (من خزن لسانه) أي: حفظ لسانه من عورات الناس بقرينة قوله: (ستر الله عورته)، في (القاموس)[1]: خزن المال: أحرزه، والخزانة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٩).

وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ».

٥١٢٢ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الْخَمْسَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٩٤١، ٧٧٩٠، ٧٩٧٤، ٧٩٥٨، ٦٩٦٥].

❖ ❖ ❖

بالكسر فعل الخازن، ومكان الخزن، ولا يفتح، والمخزن كمقعد، والقلب، والخزّان كشداد: اللسان، كالخازن، وفي (الصحاح)[١]: خزنت السر وأخزنته، أي: كتمته.

٥١٢٢ ـ [١٩] (أبو هريرة) قوله: **(والقصد في الغنى والفقر)** أي: الاجتناب عن التبذير والتقتير، أو المراد التوسط في اختيار الغنى والفقر؛ فإن الكفاف أفضل منهما.

وقوله: **(فهوى متبع)** أي: يتبعه الرجل ويطيعه، فأما إذا لم يتبعه فلا يضر، وهو المراد بقوله: (حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)، و**(الشح)** مثلثة: البخل والحرص، وقد مر تحقيق معناه في موضع آخر.

وقوله: **(وهي أشدهن)** أي: هذه الخصلة الأخيرة ـ وهي (إعجاب المرء بنفسه) ـ أشد هلاكاً وضرراً.

---

(١) «الصحاح» (١/ ١٧١).

٢١ ـ باب الظلم

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥١٢٣ ـ [١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٤٤٧، م: ٢٥٧٩].

---

٢١ ـ باب الظلم

في (القاموس)[1]: الظُّلْم: وضع الشيء في غير موضعه، والمصدر الحقيقي: الظَّلْم بالفتح، انتهى.

وجميع معانيه وموارد استعماله يتضمن هذا المعنى، ويجمعها ما قال الطيبي[2]: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بالعدول عن وقته أو مكانه، انتهى.

ولو تأملت لوجدته أعم مما ذكر بأن يكون التجاوز عن طريقه ووضعه، وعما عهد فيه من الصفات والأحوال والشرائط واللوازم والخواص وأمثال ذلك، والمتعارف استعماله في الظلم على الناس، والاعتداء في حقوقهم من الدم والمال والعرض.

الفصل الأول

٥١٢٣ ـ [١] (ابن عمر) قوله: (الظلم ظلمات) كما أن العمل الصالح سبب لنور يسعى بين أيدي المؤمنين كذلك الظلم سبب للظلمة وإحاطتها بالظالمين، وقيل: المراد بالظلمات الشدائد كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٥).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٦٠).

٥١٢٤ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِن اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ الآيَة [هود: ١٠٢]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٦٨٦، م: ٢٥٨٣].

٥١٢٥ ـ [٣] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَالَ: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى اجْتَازَ الْوَادِيَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٤١٩، م: ٢٩٨٠].

[الأنعام: ٦٣]، ثم جمع الظلمات إما لأن المراد بالظلم الجنس أو بالنسبة إلى المواد، فالظلم لكل ظالم ظلمة، أو لكل واحد ظلمات؛ لشدة هذه الشنيعة، أو لأن الظلمة لما كانت تسعى بين أيديهم وبأيمانهم جعلت كأنها متعددة، فافهم.

٥١٢٤ ـ [٢] (أبو موسى) قوله: (لم يفلته) من الإفلات، أي: لم يتركه ولم يخلصه، من أفلتت الدابة: إذا نفرت.

٥١٢٥ ـ [٣] (ابن عمر) قوله: (لما مر بالحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ـ وقيل: وبكسرها ـ: اسم لأرض ثمود قوم صالح [عليه السلام]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠].

وقوله: (إلا أن تكونوا باكين) أي: معتبرين ومتذكرين لحالهم، وهو مفض إلى البكاء.

وقوله: (ثم قنع رأسه) التقنع: أخذ القناع على الرأس وستره بالطيلسان، والحمل على المجاز؛ بأن يكون مبالغة، أي: أطرق فلم يلتفت يميناً وشمالاً مما لا يدعو إليه دليل، اللهم إلا أن يدعى أن هذه العبارة متعارفة في هذا المعنى، والله أعلم.

٥١٢٦ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٤٤٩].

٥١٢٧ ـ [٥] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، ....

والكلام في جواز التقنع وعدمه طويل مذكور في موضعه، وليس هذا فراراً من قدر الله كما يتمسك به بعض الفارين من الطاعون في عصرنا، بل هو عبرة وتنبيه للحاضرين على التجنب من معصية الله، وتمثيل لحالة العذاب؛ فإن البلاء والعذاب لم يكن نازلاً حينئذ، وهو ظاهر.

٥١٢٦ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (مظلمة) قد مرّ ضبطه ومعناه في آخر (الفصل الثالث) من (باب الرفق والحياء).

وقوله: (فليتحلله) أي: يجعله في حلّ بالاستعفاء عن صاحب الحق؛ فإن لم يمكن التحلل ففي الغيبة يتوب ويستغفر الله ويستغفر للمغتاب له كما مر، وفي الأموال مجملاً أو مفصلاً قولان.

٥١٢٧ ـ [٥] (وعنه) قوله: (ما المفلس؟) أي: ما حقيقته ومعناه، وفي بعض

فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٨١].

٥١٢٨ - [٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَذُكِرَ حَدِيثُ جَابِرٍ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ» فِي «بَابِ الإِنْفَاقِ». [م: ٢٥٨٢].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥١٢٩ - [٧] عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً..

الروايات: (من المفلس؟).

٥١٢٨ - [٦] (وعنه) قوله: (لتؤدّن) بصيغة المجهول للواحدة، وهو الصحيح، وقد يقرأ بصيغة المعلوم للمخاطبين.

وقوله: (حتى يقاد) قالوا: هذا قصاص مقابلة لا قصاص تكليف، ويؤخذ من الأطفال والمجانين والحيوانات كلها.

و(الجلحاء) على وزن حمراء، في (القاموس)[1]: بقر جُلَّحٌ بتقديم الجيم على الحاء المهملة: بلا قرون.

الفصل الثاني

٥١٢٩ - [٧] (حذيفة) قوله: (لا تكونوا إمعة) الإمع والإمعة بكسر الهمزة وفتح الميم المشددة: الرجل يتابع كل أحد على رأيه، لا يثبت على شيء، ومتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى، ومن يقول: أنا مع الناس، ومنه أخذ الإمعة كالحوقلة والبسملة،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢١٠).

تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاؤُوْا فَلاَ تَظْلِمُوا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٢٠٠٧].

٥١٣٠ ـ [٨] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ: أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَاباً تُوصِينِي فِيهِ وَلاَ تُكْثِرِي، فَكَتَبَتْ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: . . . .

والتاء للمبالغة وهمزته أصلية، ولا يقال: امرأة إمعة، أو قد يقال: تأمَّعَ واستأمَعَ: صار إمعة، كذا في (القاموس)[1]، والمراد بالإمعة هنا من أشار إليه بقوله: (تقولون: إن أحسن الناس . . . إلخ)، يعني هو مع الناس وتابعهم في الإحسان مع المحسن والظلم مع الظالم.

وقوله: (**ولكن وطنوا أنفسكم**) وطنت نفسي على كذا فتوطنت، وحقيقته من الوطن، وهذا مجاز، أي: قرروها وسكنوها، و(**أن تحسنوا**) مفعوله، أي: على أن تحسنوا، وفي (الصراح)[2]: توطين النفس على الشيء: دل نهادن بر چيزى.

وقوله: (**وإن أساؤوا فلا تظلموا**) أي: إن أساؤوا فأحسنوا؛ لأن عدم الظلم إحسان، كذا قال الطيبي[3]، ويحتمل أن يكون معناه ـ والله أعلم ـ وإن أساؤوا فلا تعتدوا وتجاوزوا الحد، فإما أن تكافئوهم بمثل ما فعلوا وهو مرتبة عموم المسلمين، أو تعفوا وهو درجة الخواص، أو تحسنوا وهو مقام الصديقين أخص الخواص.

٥١٣٠ ـ [٨] (**معاوية**) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٤٦).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٣٠).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٦٥).

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ» وَالسَّلَامُ عَلَيْك. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤١٤].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥١٣١ ـ [٩] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ ذَاكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟» [لقمان: ١٣]، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٩٣٧، م: ١٢٤].

(وَكَلَه الله) بتخفيف الكاف، أي: تركه معهم أي: خذله، ولم يدفع شرهم عنه.

الفصل الثالث

٥١٣١ ـ [٩] (ابن مسعود) قوله: (أينا لم يظلم نفسه؟) فهم الأصحاب من الظلم معنى المعصية كما هو الظاهر من لبسه بالإيمان؛ فإن الشرك لا يلبس ولا يخلط به، فنبه صلوات الله وسلامه عليه أن المراد به الشرك، وأيده بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ولما وقع قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ مطلقاً لا بد [أن] ينصرف إلى الكامل منه مع ما في التنوين من التعظيم، وهذا تفهيم وتنبيه منه ﷺ له، وليس مداره على هذا الاستدلال؛ لأن ما قال النبي ﷺ في تفسير كتاب الله ﷻ يكون هو المراد البتة.

٥١٣٢ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ[١] عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٣٩٦٦].

٥١٣٣ ـ [١١] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء: ٤٨]، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُهُ اللهُ: . . . .

وأما توهم عدم لبس الظلم بهذا المعنى وخلطه بالإيمان فساقط؛ لأن المشركين كما كانوا يعبدون الله يعبدون الأصنام، وكفى في ذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦]، وتحقيقه أن الإشراك يكون في الوجود والخالقية والعبادة، والآية واردة في شأن عبدة الأصنام، أو المراد بالإيمان [الإيمان] باللسان وكتم الإشراك في القلب، فتكون واردة في المنافقين، فافهم.

٥١٣٢ ـ [١٠] (أبو أمامة) قوله: (عبد أذهب آخرته بدنيا غيره) المراد من يظلم الناس ليحصل به دنيا لأحد كما يفعله العمال وأعوان الظلمة، ويحتمل أن يراد من يعظِّم أهل الدنيا لدنياهم ويطيعهم، فيظلم نفسه بذلك، فيذهب آخرته بذلك، والأول هو الظاهر كما لا يخفى.

٥١٣٣ ـ [١١] (عائشة) قوله: (الدواوين) جمع ديوان، في (القاموس)[٢]: الديوان بالكسر ويفتح: مجتمع الصحف، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش، وأهل

---

(١) في نسخة: «عند الله يوم القيامة».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٠٣).

ظُلْمُ الْعِبَادِ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقْتَصَّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَدِيوَانٌ لاَ يَعْبَأُ اللهُ بِهِ: ظُلْمُ الْعِبَادِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ، فَذَاكَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِن شَاءَ تَجَاوَزَ عَنهُ».

٥١٣٤ ـ [١٢] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى[١] حَقَّهُ، وَإِنَّ اللهَ لاَ يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ».

العطية، وأول من وضعه عمر ﷺ، والجمع دواوين، وفي (الصحاح)[٢]: أصل ديوان دَوَّان، فعوّض من إحدى الواوين، لأنّه يجمع على دَواوين، ولو كانت الياء أصلية لقالوا دياوين، يقال: دونت الدواوين، انتهى.

ومادة الدون للجمع والقرب، وإنما سمي ديواناً؛ لأنه مجتمع من الأوراق، والمراد في الحديث صحائف الأعمال.

وقوله: (**حتى يقتص بعضهم من بعض**) أو يرضي الله الخصماء بعضهم عن بعض كما ورد ذلك في الحديث.

وقوله: (**لا يعبأ الله**) العِبْءُ بالكسر: الحمل، والثقل من أيّ شيء كان، فمعناه ليس له ثقل ووزن عند الله، وفي (الصراح)[٣]: عبأ: باك داشتن، يقال: ما عبأت به، أي: ما باليت به، قوله تعالى: ﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾ [الفرقان: ٧٧].

٥١٣٤ ـ [١٢] (علي) قوله: (**فإنما يسأل الله تعالى حقه**) فمن عفا نزل عن حقه، وهو إيثار، وله درجة عظيمة.

---

(١) سقط «تعالى» في نسخة.

(٢) «الصحاح» (١/ ٢١٨).

(٣) «الصراح» (ص: ١١).

٥١٣٥ ـ [١٣] وَعَنْ أَوْسِ بْنِ شُرَحْبِيلَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُقَوِّيَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ».

٥١٣٦ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى وَاللهِ حَتَّى الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزْلاً لِظُلْمِ الظَّالِمِ. رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الأَرْبَعَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧٠٦٩، ٧٠٦١، ٧٢٦٩، ٧٠٧٥].



٥١٣٥ ـ [١٣] (أوس بن شرحبيل) قوله: (من مشى مع ظالم) أي: وافقه وماشاه في الرأي ويذهب مذهبه.

٥١٣٦ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (فقال أبو هريرة: بلى والله) لما كان قوله: (لا يضر إلا نفسه) في معنى قوله: ولا يضر غيره أثبته بقوله: بلى يضر غيره.

وقوله: (حتى الحبارى . . . إلخ)، أي: كأن الرجل أراد أن الظالم وإن تعدى وضرّ المظلوم في الظاهر ولكن في الحقيقة لم يضر إلا نفسه، وضرره عائد إليه، والمظلوم يجد جزاءهُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[آل عمران: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣]، فالحصر في قول الرجل إضافي بالنسبة إلى من ظلمه، وهو ﷺ حمله على العموم كما أفاده، والغالب أنه سمعه من رسول الله ﷺ، أو أخذه مما ورد أن القطر قد يحبس بشؤم ذنوب الناس ومظالمهم، ويلزم منه هلاك الحيوانات، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[النحل: ٦١]، وإنما خص بالحبارى لما تقرر عندهم أنها أبعد الطير نُجْعَةً، أي: طلباً للكلأ ومنابت الغيث، قالوا: إنها قد يوجد في حوصلتها الحبة الخضراء التي لا تنبت

٢٢ ـ باب الأمر بالمعروف

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥١٣٧ ـ [١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدريِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٤٩].

إلا بالبصرة، وبين وكرها وبين البصرة مسيرة أيام، وكذلك قد يكون وكرها في بعض الجبال، ومكان الماء بينه على مسيرة أيام، فيكون هلاكها أدل على القحط وإمساك المطر.

٢٢ ـ باب الأمر بالمعروف

(المعروف) ما عرف في الشرع، يعني أمراً معروفاً فيه بين الناس يعرفونه ولا ينكرونه إذا رأوه، والمنكر: أمر لا يعرف في الشرع، بل منكر ينكره من رآه، كالشخص الذي لا يعرفه الناس وينكرونه إذا رأوه، في (القاموس)[1]: المعروف: ضد المنكر، وفي (الصراح)[2]: نكرة: ناشناسي ضد معرفة، ومن العجب أن المصنف لم يعنون الباب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع شيوع ذكرهما معاً في القرآن والأحاديث في مواضع كثيرة، وبعض الأحاديث المذكورة صريحة في النهي عن المنكر، فكأنه جعل النهي عن المنكر أمراً بالمعروف الذي هو ضده، وهو تكلف.

الفصل الأول

٥١٣٧ ـ [١] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فإن لم يستطع فبقلبه) معنى التغيير

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٧١).

(٢) «الصراح» (ص: ٢١٦).

٥١٣٨ ـ [٢] وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ..............................

بالقلب كراهته بقلبه والتأثر منه، وبغض فاعليه، والمراد التغيير باليد واللسان لو قدر، لا بمجرد الإنكار، فإنه ليس فيه معنى التغيير.

٥١٣٨ ـ [٢] (النعمان بن بشير) قوله: (مثل المدهن) من الإدهان، وهو المحاباة في غير حق، والمساهلة في الأمر، والتليين في الكلام، والمداهنة: أن يرى منكراً ولم يغيره مع القدرة عليه لاستحياء، أو قلة مبالاة في الدين، أو لمحافظة جانب المرتكب، وفي (القاموس)[1]: المداهنة: إظهار خلاف ما يضمر كالإدهان، وفي (الصراح)[2]: مداهنت: چرب زباني، ومصانعت كردن، إدهان: صنعت كردن.

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[القلم: ٩]، انتهى.

وفي التفسير[3]: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾[القلم: ٩]، أي: تلاينهم؛ بأن تدع نهيهم عن الشرك، أو توافقهم فيه أحياناً، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فيلاينونك بترك الطعن والموافقة، انتهى.

والمداراة في اللغة بمعنى المداهنة، في (الصراح)[4]: مداراة: نرمي كردن، وفي (القاموس)[5] في فصل العين: المصانعة: الرشوة، والمداراة، والمداهنة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٠٣).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٠٩).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٣١٢).

(٤) «الصراح» (ص: ٥٥٧).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٢).

وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اِسْتَهَمُوا سَفِينَـةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَـارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَـا، فَكَـانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَـا يَمُرُّ بِالْمَـاءِ عَلَـى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، ....

وقد وقعت الرخصة في المداراة، وهي ليست بمذمومة، بل تستحسن في بعض المواضع، وفي كلامهم: دارهم ما دمت في دارهم، فيفرق بينها وبين المداهنة، ويقال: المداراة ما كان لحفظ الدين من الضياع والتشوش ودفع الضـرر والظلـم، والمداهنة ما يكون لحظ النفس وطلب الدنيا وجلب المنافع من الناس من غير مبالاة بالدين، وهي مذمومة، فاعلم أنه ضرب رسول الله ﷺ مثلاً للمدهن في حدود الله أي: الذي يداهن ويترك الاعتراض والإنكار على من يتعدى حدود الله، ويقع فيها بإرتكاب ما نهى الله عنه.

وقوله: (**استهموا سفينة**) أي: اقترعوا واقتسموا سكناها بالقرعة، أي: كل أخذ من القوم مكاناً وعينوه بالقرعة، في (القاموس)[1]: السهم: القدح يقارع به، والجمع سهام، و(السفينة) مشتق من سفن يسفن: قشره، سمي بها لقشرها وجه الأرض.

وقولـه: (**يمـر بالماء**) أي: يجيء بالماء مـن أسفلها إلى أعلاها، ويأخذ الماء ويذهب إلى موضعه، ففي ذهابـه يمـر عليهم بالماء ويتأذون من ذلك، وقيل: المراد بالماء البول والغائط ليطرحه في البحر، وهذا أظهر في التأذي، ثم لا يخفى أن ما ذكر من النقر وأخذ القوم بيده ومنعهم عنه كافٍ في التمثيل، وذكر ما قبله من القصة لبيان ذكر الباعث على النقر، وعادة الناس في استهام السفينة ومجيء السافلين فوق السفينة للماء، وتأذي العالين منه، وإن حملت هذه القصـة على الواقع وإخباره ﷺ عما وقع

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٧).

فَأَخَذَ فَأْساً فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلاَ بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٦٩٦].

في سالف الزمان فلا بعد، لكن الذي يتبادر إلى الذهن هو ذكره على سبيل الفرض والتمثيل، والله أعلم.

وقوله: (**فجعل ينقر أسفل السفينة**) ليأخذ الماء أو ليبول.

وقوله: (**ولا بد لي من الماء**) أي: من شربه واستعماله على الوجه الأول، أو من طرحه وإلقائه على الوجه الثاني؛ (**فإن أخذوه على يديه**) لئلا ينقر السفينة نجا ونجوا، وإلا هلك وهلكوا، فكذلك إن منع الناس العاصي من العصيان نجوا من عذاب الله ونجا، وإن تركوه يفعل المعاصي ولم ينهوه عن ذلك نزل عليه العذاب بعصيانه وعليهم بالمداهنة أو بشؤم معصيته، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥]، وإنما كرر الفعل في (**أنجوه ونجوا أنفسهم**)، و(**أهلكوه وأهلكوا أنفسهم**) إشارة إلى أن كل واحد من الفريقين مستقل ومستبد في النجاة والهلاك وارتفاع العذاب ونزوله، فافهم، فالذي في أعلى السفينة مثل للمدهن في الحدود، والذي في أسفلها مثل للواقع فيها، والأخذ باليد للنهي، ونجاة الناهي والمنهي لفائدة النهي، وهلاكهما لعاقبة تركه، وإنما جمع فرقة النهاة ووحّد الناقر إشارة إلى أن المسلمين لا بد أن يتعاونوا على النهي، كذا قال الطيبي[1]، ويمكن أن يقال: وإلى أن المعصية ينبغي أن تكون أقل وقوعاً بين المسلمين.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٧١).

٥١٣٩ ـ [٣] وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٢٦٧، م: ١٩٨٩].

٥١٣٩ ـ [٣] (أسامة بن زيد) قوله: **(فتندلق)** أي: تخرج بالسرعة، دلق السيف من غمده: أخرجه، وسيف دلق ككتف، وصبور وحمراء: سهل الخروج من غمده، وفي (الصراح)[1]: انـدلاق: پيش شدن، واندلـق السيف، أي: خرج من غير سل، وكل ما يدر خارجاً فقد اندلق، و**(الأقتاب)** جمع قتب بالكسر: المعى، كالقتبة، وفي (الصراح)[2]: قتـب بالكسر: دوده، أقتـاب جمع، وهـي مؤنـث عند الكسائي، قال الأصمعي: واحدها قتبة بالهاء.

وقوله: **(فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه)** قال في (مجمع البحار)[3] نقلاً عن بعض شروح «صحيح البخاري»: المعروف هو المعروف، وإن كان في أكثرها مجهولاً، يعني أن المشهور من الرواية (يطحن) على لفظ المعلوم، وإن وقع في أكثر الروايات أو في أكثر النسخ على لفظ المجهـول، والضمير للرجل، وفي (فيها) للأمعاء، أي: يدور ويتردد في أقتابـه، أي: يدور حول أقتابـه ويضربها برجلـه، وهكذا في الطيبي

---

(١) «الصراح» (ص: ٣٧٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٨).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤٣٨).

*** الفَصْلُ الثَّانِي:**

٥١٤٠ - [٤] عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ وَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢١٦٩].

أيضاً[١]، يعني لما كان الدوران لازماً للطحن ذكر الطحن وأريد الدوران، فمعنى يطحن فيها: يدور فيها، أي: يدور حولها.

وأقول: يحتمل أن يكون الضمير في (فيها) للنار، ويكون مفعول (يطحن) الأقتاب محذوفاً، ويوافقه قوله: (كطحن الحمار) بالإضافة إلى الفاعل وحذف المفعول، أي: كطحن الحمار الدقيق، ويقل التكلف على هذا التقدير في بيان المعنى، فافهم.

وأما وجه المناسبة والمشابهة بين هذا الفعل في الآخرة وبين فعله في الدنيا فلا يخلو عن خفاء ودقة، وبيّنه الطيبي[٢] وقال: إن المشبه في الدنيا الرجل يدور حول رحى الأمر بالمعروف، ويتعب فيه ويكد كالحمار، وما له من نصيب مما يحصل إلا الكد والتعب، وكذا في الآخرة يدور حول أقتابه التي شبهت بكلامه الذي خرج منه فيدوسها برجله، ويطحنها كطحن الحمار الدقيق.

الفصل الثاني

٥١٤٠ - [٤] (حذيفة) قوله: **(أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم)** أي: أحد الأمرين واقع البتة: إما الأمر والنهي، وإما إنزال العذاب وعدم استجابة الدعاء في دفعه بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب، وإن لم يكونا كان

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٧٢).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٧٢).

٥١٤١ ـ [٥] وَعَنِ الْعُرْسِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٣٥].

٥١٤٢ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُوْنَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «إِذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا........

عذاب عظيم، وفهم عظمة العذاب إما من التنوين أو من قوله: (من عنده).

٥١٤١ ـ [٥] (العرس) قوله: (وعن العرس) بضم المهملة وسكون الراء ومهملة (ابن عميرة) على وزن صغيرة.

وقوله: (في الأرض) إنما قال: في الأرض دون المجلس ليناسب ذكر الحاضر والغائب، أي: في مكان منها بعضهم فيه حاضر، وبعضهم عنه غائب، بخلاف المجلس، فإنه مناسب للحاضر فقط، فافهم.

وقوله: (كان كمن غاب عنها) أي: على تقدير عدم القدرة على التغيير باليد واللسان، ويمكن أن يراد بالكراهة معنى شامل للتغيير باليد واللسان.

٥١٤٢ ـ [٦] (أبو بكر الصديق) قوله: (إنكم تقرؤون هذه الآية) أي: وتجرونها على عمومها في الأشخاص والأوقات وتمتنعون عن الأمر والنهي مطلقاً، وليس كذلك (فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول . . . إلخ)، فكان يوعد على ترك تغيير المنكر، فلا بد أن يكون مخصوصاً بما لم يسمع ويعلم عدم تأثيره، فحينئذ يسقط الوجوب؛

عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ». وَفِي أُخْرَى لَـهُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّـرُوا ثُمَّ لاَ يُغَيِّـرُونَ إِلاَّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ». وَفِي أُخْرَى لَهُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَكْثَرُ مِمَّن يَعْمَلُهُ». [جه: ٤٠٠٥، ت: ٢١٦٨، د: ٤٣٣٨].

٥١٤٣ ـ [٧] وَعَـن جَرِيـرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: سَمِعْـتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَـوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّـرُوا عَلَيْهِ وَلاَ يُغَيِّـرُونَ إِلاَّ أَصَابَهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ. . . . .

لما قيـل: إن الآيـة نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم، كمـا قـال ﷻ لنبيـه ﷺ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[فاطر: ٨]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾[الكهف: ٦] أو بزمان يأتي من بعد، كما روي أنها قرئت عند ابن مسعود فقال: إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولـة، ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم، كذا في «الكشاف»[(١)]، ويدل على هذا حديث ثعلبة الآتي، وقيل: كان الرجل إذا أسلم قالوا له: سفهت آباءك فنزلت، وقيل: من الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته، فمعنى الآيـة: لا يضركم ضلالة من ضل إذا نهيتم عن ذلك، وعلى هذا فالحديث واقع تفسيراً للآيـة، فالضرر هو عموم العذاب على تقدير ترك الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، وتقديـر الكلام: إنكم تقرؤون هـذه الآيـة وتفهمون أن معناها عدم وجوب الأمر والنهي، وليس كذلك، فإني سمعت . . . إلخ، فيكون مدلول الآية وجوب الأمر والنهي، فافهم.

٥١٤٣ ـ [٧] **(جرير بن عبدالله)** قوله: **(إلا أصابهم الله)** أي: القوم **(منه)** أي:

(١) «الكشاف» (١/ ٦٨٥).

قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ. [د: ٤٣٣٩، جه: ٤٠٠٩].

٥١٤٤ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رأيتَ شُحًّا مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً، وَدُنْيا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْراً لاَ بُدَّ لَكَ مِنْهُ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ، وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامِّ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ فِيهِنَّ قَبَضَ عَلَى الْجَمْرِ، ....

من عدم تغييرهم، أو من الرجل الذي يعمل المعاصي لأجل عدم تغييرهم؛ فلا يتوهم أن هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧]، فإن ترك التغيير وزر صدر منهم أو من عند الله، والباء في (بعقاب) للتعدية، ومعنى (قبل أن يموتوا) أي: في الدنيا.

٥١٤٤ ـ [٨] (أبو ثعلبة) قوله: (فقال) التقدير أنه سئل عن ذلك القول فقال.

وقوله: (بل ائتمروا، وتناهوا) أي: مروا وانهوا، ذكر اللازم مقام المتعدي، والأثر مقام المؤثر، (شحًّا مطاعاً وهوى متبعاً) عرف معناهما في آخر (الفصل الثالث) من (باب الغضب والكبر)، (ودنيا مؤثرة) أي: مختارة على الآخرة، من الإيثار، (وإعجاب) بكسر الهمزة: وجدان الشيء حسناً، أي: أن يجد كل واحد رأيه ومذهبه حسناً، (ورأيت أمراً لابد لك منه) البد: التفرق، كالتبديد، بدده تبديداً: فرقه، فتبدد، في (القاموس)[1]: لا بد: لا فراق ولا محالة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٥٦).

لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُم؟» قَالَ: ....

والمعنى: رأيت أمراً يميل إليه طبعك من الصفات الذميمة، حتى إن أقمت بين الناس وقعت فيه لا محالة، فاعتزلهم لئلا تقع فيه، كذا قال الطيبي[١].

ويحتمل أن يكون معناه: رأيت في نفسك أمراً لابد لك منه، وتحتاج وتضطر إليه، فإن أمرتهم فاتك ذلك الأمر الضروري، فلابد من السكوت للضرورة والاحتياج. وفي بعض الحواشي[٢]: أو المعنى: رأيت من الناس لا بد لك من السكوت عليه لعجزك وعدم قدرتك، وهذا المعنى وإن كان بعيداً من اللفظ لكن يؤيده الرواية بالياء التحتانية، أي: لا يد لك.

وقوله: (**أجر خمسين**) أي: الذين لم يبتلوا ببلائه.

وقوله: (**فإن وراءكم**) فسروه في الحواشي بقدامكم، وفي (الصراح)[٣]: وراء: سپس وپيش وهو من الأضداد، وفي (القاموس)[٤]: الوراء: خلف، وقدام، ضد.

وقوله: (**قبض على الجمر**) في (القاموس)[٥]: قبضه بيده يقبضه: تناوله بيده، وعليه بيده: أمسكه، ويده عنه: امتنع، والجمر والجمرة: النار المتقدة.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٧٥).

(٢) انظر: «شرح مصابيح السنة» (٥/ ٣٦٩).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٩٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٣٢).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٦٠٠).

«أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه. [ت: ٣٠٥٨، جه: ٤٠١٤].

٥١٤٥ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيباً بَعْدَ الْعَصْرِ، فَلَمْ يَدَعْ شَيْئاً يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ ذَكَرَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلاَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»، وَذَكَرَ: «إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ فِي الدُّنْيَا، . . . .

وقوله: (أجر خمسين منكم) يدل على فضل هؤلاء في الأجر على الصحابة من هذه الحيثية، وقد جاء أمثال هذا [في] أحاديث أخر، وتوجيهه كما ذكروا أن الفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي، وقد تكلم ابن عبد البر في هذه المسألة وقال: يمكن أن يجيء من بعد الصحابة من هو في درجة بعض منهم، أو أفضل، ومختار العلماء خلافه.

٥١٤٥ ـ [٩] (أبو سعيد الخدري) قوله: **(فلم يدع شيئاً)** أي: مما يتعلق بالدين، أي: كلياته، أو هو مبالغة إقامة للأكثر مقام الكل، والله أعلم.

وقوله: **(حلوة خضرة)** أي: لذيذة في قلوب الناس وناعمة طرية في أعينهم، والعرب تسمي الشيء الناعم خضراً تشبيهاً له بالخضراوات في سرعة زوالها، ففيه بيان أنها غَدَّارَةٌ تَفْتِنُ الناس بحسنها ولذتها، نعوذ بالله منها.

وقوله: **(مستخلفكم)** أي: جاعلكم خلفاء، أي: وكلاء، ففيه أن أموالكم ليست لكم بل لله سبحانه، جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء، أو جاعلكم خلفاء الأرض ممن كان قبلكم، وأعطاكم ما كان في أيديهم، **(فناظر كيف)** تتصرفون وتعتبرون.

وقوله: **(لكل غادر)** الغدر ضد الوفاء، ونقض العهد، كضرب ونصر وسمع.

وَلاَ غَدْرَ أَكْبَرُ مِنْ غَدْرِ أَمِيرِ الْعَامَّةِ يُغْرَزُ لِوَاؤُهُ عِنْدَ اسْتِهِ». قَالَ: «وَلاَ يَمْنَعَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنْ رَأَى مُنْكَراً أَنْ يُغَيِّرَهُ»، فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ وَقَالَ: قَدْ رَأَيْنَاهُ، فَمَنَعَتْنَا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَن يُولَدُ مُؤْمِناً وَيَحْيَا مُؤْمِناً وَيَمُوتُ مُؤْمِناً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً وَيَحْيَا كَافِراً وَيَمُوتُ كَافِراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِناً وَيَحْيَا مُؤْمِناً وَيَمُوتُ كَافِراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً وَيَحْيَا كَافِراً وَيَمُوتُ مُؤْمِناً»، قَالَ: وَذَكَرَ الْغَضَبَ.............

وقوله: (**من غدر أمير العامة**) إضافة (غدر) إلى (أمير العامة) إلى الفاعل، وأمير العامة: المتغلب الذي استولى على بلاد المسلمين بمعاضدة العامة خارجاً على الإمام الحق.

وقوله: (**يغرز لواؤه عند استه**) الاست: حلقة الدبر، وأصله سته، ولذا جاء جمعه أستاه، وإنما يغرز لواؤه على استه إهانة له وتشهيراً به.

وقوله: (**أن يقول بحق**) مفعول (**لا يمنعن**)، و(**هيبة الناس**) فاعله، وذكر القول بناءً على ما هو الغالب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمراد تغييره ولو باليد، وقوله: (**رأيناه**) أي: المنكر، وذلك في إمارة أمراء الجور من بني أمية.

وقوله: (**ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً... إلخ**)، الأقسام تزيد على هذا؛ فإن الحالات ثلاثة: الولادة والحياة والموت، والإيمان، والكفر، ولكن المقصد بيان الخاتمة أنه على الإيمان أو الكفر، فذكر ما ذكر وترك ما وراءه، فافهم.

وقوله: (**قال: وذكر الغضب**) الظاهر أن ضمير (قال) لأبي سعيد، و(ذكر)

«فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ الْغَضَبِ، سَرِيعَ الْفَيْءِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَخِيَارُكُمْ مَنْ يَكُونُ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَشِرَارُكُمْ مَنْ يَكُونُ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ»، قَالَ: «اتَّقُوا الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ؟ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ؟ فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَضْطَجِعْ وَلْيَتَلَبَّدْ بِالأَرْضِ»، قَالَ: وَذَكَرَ الدَّيْنَ فَقَالَ: «مِنْكُمْ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْقَضَاءِ، وَإِذَا كَانَ لَهُ أَفْحَشَ فِي الطَّلَبِ، ....

للنبي ﷺ، ويحتمل أن يكون ضمير (قال) أيضاً له ﷺ، وذكر الغضب جملة معترضة بين (قال) ومقوله، وأما قوله بعد هذا: (**قال: وذكر الدين فقال**) يؤيد الأول.

وقوله: (**فإحداهما بالأخرى**) أي: إحدى الخصلتين مقابلة بالخصلة الأخرى لا يستحق فاعلها المدح ولا الذم.

وقوله: (**فليضطجع**) قد سبق في (باب الغضب): إذا كان قائماً فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع، ولا شك أن الاضطجاع أدخل، وقد مر وجهه أيضاً.

وقوله: (**وليتلبد**) أي: ليلتزق، في (القاموس)[1]: لبد كنصر وفرح لبوداً ولبداً: أقام ولزق.

وقوله: (**وإذا كان**) أي: الدين (**له**) على أحد (**أفحش**) أي: قال الفحش، فهذا قضاؤه حسن وطلبه سيِّئ.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٩).

فَإِحداهُما بِالأُخْرَى، وَمِنْهُم مَن يكونُ سَيِّئَ الْقَضَاءِ، وَإِنْ كَانَ لَـهُ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، فَإِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، وَخِيَارُكُمْ مَنْ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ أَحْسَنَ الْقَضَاءَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ، وَشِرَارُكُمْ مَنْ إِذَا كَانَ عَلَيْـهِ الدَّيْنُ أَسَاءَ الْقَضَاءَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَفْحَشَ فِي الطَّلَبِ». حَتَّى إِذَا كَانَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُوْسِ النَّخْلِ وَأَطْرَافِ الْحِيطَانِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلاَّ كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَـذَا فِيمَـا مَضَى مِنْـهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢١٩١].

٥١٤٦ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِـي الْبَخْتَرِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٤٧].

وقوله: (حتى إذا كانت الشمس) متعلق بقوله: (قام فينا خطيباً).

وقوله: (فيما مضى) أي: بالنسبة إلى ما مضى.

وقوله: (إلا كما بقي) الكاف بمعنى المثل، أي: لم يبق شيء إلا مثل ما بقي.

٥١٤٦ ـ [١٠] (أبو البختري) قوله: (أبي البختري) بفتح الموحدة والمثناة بينهما معجمة ساكنة بلفظ النسبة.

وقوله: (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم) المشهور من الرواية بضم الياء على صيغة المعلوم من الإعذار، في (القاموس)[1]: أعذر فلان، أي: كثرت ذنوبه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠٧).

. . . .

وعيوبه، ومنه: لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم، وقال في (الصراح)[١]: اعذار بسيار عيب شدن، وفي الحديث: (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم)، أي: تكثر ذنوبهم، وقيل في توجيهه: إن الهمزة للسلب، أي: أزالوا عذرهم بكثرة اقتراف الذنوب، فيستوجبون العقوبة من الله والمنع والزجر من الناس بالنهي عن المنكر، ويحتمل أن يكون من (أعذر)، أي: صار ذا عذر، فالهمزة للصيرورة، والمعنى: حتى يذنبوا فيعذروا، فصاروا محل الاعتذار من أنفسهم، أو يعتذرون بتأويلات زائغة وأعذار فاسدة من قبل أنفسهم، وفي (القاموس)[٢]: أعذر: أبدى عذراً وأحدث، وفي (الصراح)[٣]: اعذار صاحب عذر شدن، وقال الطيبي[٤]: هذا الوجه أنسب بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأن الناهي ينكر عليه ذنبه، وهو يتبرأ من الذنب ويعذر لنفسه ولإقدامه عليه، انتهى.

وقد ظهر مناسبة المعنى الأول أيضاً بالباب بما قررناه، وقد جعل أهل اللغة الحديث بهذا المعنى كما نقلنا، ويروى بفتح الياء من عذرته، أي: جعلته معذوراً، في (القاموس)[٥]: عَذَره يَعذِره عُذْراً وعُذُراً وعُذْرى ومَعذِرة [ومَعذُرة]، فكأنهم بكثرة ذنوبهم عذروا من يعاتبهم ويزجرهم وينهاهم عنها، فافهم. وسيجيء في حديث آخر:

---

(١) «الصراح» (ص: ١٩٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠٧).

(٣) «الصراح» (ص: ١٩٦).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٧٨).

(٥) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠٧).

٥١٤٧ ـ [١١] وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَوْلًى لَنَا أَنَّهُ سَمِعَ جَدِّي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلاَ يُنْكِرُوا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللهُ العامَّةَ والخاصَّةَ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤١٥٥].

(لقد أعذر الله إلى من بلغ به من العمر ستين سنة) في (الفصل الأول) من (باب الأمل والحرص)، وفي (الصراح)[١]: عذر بالضم والسكون: بهانه ومعذور داشتن، معذرة بكسر الذال عذرى وعذرة اسم في العذر، يعني بهانه اعتذار عذر خواستن وبا عذر شدن، انتهى. ونقل في (مجمع البحار)[٢] من «النهاية»[٣]: أن حقيقة عذرت محوت الإساءة وطمستها، وكأنه أخذ هذا المعنى مما ذكر في (الصراح)[٤]: عذر ناپيدا شدن اثر عمارت وجزآن، فتدبر.

٥١٤٧ ـ [١١] (عدي بن عدي) قوله: **(إن الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة)** أي: لا يعذب القوم كلهم بذنب عمله بعض منهم إلا بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإذا تركوا عمهم عذاب المذنبين؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب الذنوب وغيرَهم لأنهم ظلموا بترك النهي عنها، فافهم.

---

(١) «الصراح» (ص: ١٩٦).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٥٠).

(٣) «النهاية» (٣/ ١٩٧).

(٤) «الصراح» (ص: ١٩٦).

٥١٤٨ ـ [١٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَآكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُد وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ». قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَالَ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ أَطْراً». . . . .

٥١٤٨ ـ [١٢] **(عبدالله بن مسعود)** قوله: **(وآكلوهم)** وفي بعض النسخ: (وواكلوهم)، في (الصراح)[1]: مؤاكلة: باهم خردن، يقال: آكلته، أي: أطعمته وأكلت معه، فصار (أفعلت) و(فاعلت) على صورة واحدة، ولا يقال: واكلته بالواو، وفي (القاموس)[2]: آكله الشيء: أطعمه إياه ودعاه عليه، كأكّله تأكيلاً، وفلاناً مواكلة وإكالاً: أكل معه كواكله في لُغَيّة.

وقوله: **(فضرب الله قلوب بعضهم ببعض)** في (القاموس)[3]: أضرب الشيء بالشيء: خلطه كضرّبه، والضريب: اللبن يحلب من عدّة لِقاح في إناء.

وقوله: **(فلعنهم على لسان داود . . . إلخ)**، اقتباس لقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾[المائدة: ٧٨].

وقوله: **(لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم أطراً)** الأطر: عطف الشيء

---

(١) «الصراح» (ص: ٤٠٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨٥).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُـو دَاوُدَ، وَفِي رِوَايَتِهِ قَالَ: «كَلاَّ وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، وَلَتَقْصُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِـكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ». [ت: ٣٠٤٧، د: ٤٣٤٧].

وإمالتـه، أطرتـه: عطفتـه، والفعل كضرب ونصـر، كـذا في (القـاموس)[١]، وفـي (الصحاح)[٢]: كضرب، وأطرت القوس، أي: حَنَيْتَها، وورد في آدم: أنه كان طوالاً فأطر الله منه[٣]، أي: ثناه وقصره ونقص من طوله، والإطار بكسر الهمزة: الحلقة من الناس، وقضبان الكرم تلتوي للتعريش، وما يفصل بين الشفـة وبين شعـر الشارب، وورد في قص الشارب: حتى يبدو الإطار، يعني حرف الشفة العليا، ومنه: إطار القوس، وإطار الظفر، وهو ما أحاطه بالظفر من اللحم، وإطار الْمُنْخُل، وهو خشبته، وإطار الحافر، وكل شيء أحاط بشيء فهو إطار له.

والمعنى: لا تنجون من العذاب حتى تميلوهم من جانب إلى جانب، وتأخذوا على أيديهم، وتمنعوهم من الظلم، وتميلوهم مـن الباطل إلـى الحـق، وتقصروهم على الحق، أي: تحبسوهم عليه وتلزموهم إياه، فعلى هذا كانت (لا) نفياً لقول قائل: هل يُعْذَر في تخلية الظالمين وشأنهم؟ أو هل النجاة في تركهم؟ فقال: لا حتى تأطروهم، والقسم معترض بيـن الغايـة والمغيـا، وليست (لا) التـي يجـيء بها القسم تأكيداً لـه مثل: لا والله، كما قال الطيبي[٤].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٣).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٥٨٠). ووقع في الأصل «الصراح»، وهو تحريف.

(٣) انظر: «النهاية» (١/ ٥٣).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٧٩).

٥١٤٩ ـ [١٣] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْـتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جبريلُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِـرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، وَفِي رِوَايَتِهِ قَالَ: «خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُـوْنَ، وَيَقْرَؤُوْنَ كِتَابَ اللهِ وَلاَ يَعْمَلُونَ».

[شرح السنة: ٤١٥٩، شعب: ١٦٣٧].

٥١٥٠ ـ [١٤] وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزاً وَلَحْماً، وَأُمِرُوا أَنْ لاَ يَخُونُوا وَلاَ يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، . . .

ويحتمـل أن يكون تلك، ويكون المغيا لـ (حتى) محذوفاً، والتقدير: لا والله لا تنجون حتى تأطروهم، ويؤيد التوجيه الأول قوله في رواية أبي داود: (كلا والله)، (أو ليضربن الله) أي: أحد الأمرين واقع، إما أمركم بالمعروف، وإما خلط قلوب بعضكم على بعض، وما بعد (لتأمرن) تفسيرٌ وبيانٌ له.

٥١٤٩ ـ [١٣] (أنس) قولـه: (يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم) التعذيب لنسيـان أنفسهم لا للأمـر، كمـا قالـوا في قولـه تعالـى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]: إن الإنكار راجـع إلى عـدم الفعـل لا إلى القـول، ولا ينافي جواز الأمر بالمعروف مع عدم فعله كما هو المختار.

٥١٥٠ ـ [١٤] (عمار بـن ياسر) قولـه: (أنزلت المائدة) هي الخـوان إذا كان عليه الطعام، كذا قال البيضاوي[1]، وفي (الصراح)[2]: المائدة: هي خوان عليه طعام،

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ١٢٤).

(٢) «الصراح» (ص: ١٤٨).

فَخَانُوا وَادَّخَرُوا، وَرَفَعُوا لِغَدٍ، . . . .

يعني خوان آراسة؛ فإذا لم يكن عليه طعام فهي خوان، واشتقاقها من ماد يميد ميداً وميداناً: إذا تحرك، ومنه: (فدحا الله الأرض فمادت، فسكنت من الميدان برسوب الجبال)، وفي ذم الدنيا: (هي الحيود الميود) فعول منه، وماد الماء: تحرك، وماد الشراب: اضطرب، ومادت الأغصان: تمايلت، وماد الرجل: تبختر، وأصابه دوار من سكر أو ركوب بحر، وفي الحديث: (المائد في البحر له أجر شهيد)[١]، وهو من يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة، والظاهر أن اشتقاق المائدة من ماده: إذا أعطاه، وفي (القاموس)[٢]: الممتَادُ: المُستَعْطِي والمُستعطَى، وهي فاعلة بمعنى مفعولة، مثل ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، وقال البيضاوي[٣]: كأنها تُميد من تقدَّم إليه، ونظيرها قولهم: شجرة مطعمة، انتهى.

أو هي صيغة النسبة، وقد تطلق المائدة على الطعام نفسه، قال في (القاموس)[٤]: المائدة: الطعام، والخوان عليه طعام، كالميدة، والطعام هو المراد من الحديث: إذا رفعت مائدته قال: الحمد لله، على ما روي أنه ﷺ لم يأكل على خوان، والظاهر فيما نحن فيه من الحديث أيضاً حمله على الطعام؛ لأن خبزاً ولحماً تمييزان منه.

وقوله: (**فخانوا**) أي: فلم يمنعهم أحد منهم، ولم ينههم عن هذا المنكر، فيوافق الباب.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (٢٤٩٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٣).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٢/ ١٢٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٣).

فمُسِخوا قِرَدَةً وخَنَازِيرَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٠٦١].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥١٥١ - [١٥] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ تُصِيبُ أُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ سُلْطَانِهِمْ شَدَائِدُ، لاَ يَنْجُو مِنْهُ إِلاَّ رَجُلٌ عَرَفَ دِينَ اللهِ، فَجَاهَدَ عَلَيْهِ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَقَلْبِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ السَّوَابِقُ، وَرَجُلٌ عَرَفَ دِينَ اللهِ فَصَدَّقَ..................

وقوله: (فمسخوا قردة وخنازير) حالان مقدرتان، كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[الشعراء: ١٤٩]، كذا قال الطيبي[1]، ويحتمل أن يضمن يمسخون معنى يجعلون[2]، فيكون مفعولاً ثانياً له.

الفصل الثالث

٥١٥١ - [١٥] (عمر بن الخطاب) قوله: (لا ينجو منه) الضمير للسلطان أو للشدائد بتأويل المذكور أو المنكر.

وقوله: (سبقت له السوابق) من السعادة، والبشرى بالمثوبة، والتوفيق للطاعة، ويقال: له سابقة في هذا الأمر: إذا سبق الناس إليه، ومحصله أنه من السابقين، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١٠].

وقوله: (عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه ويده وقلبه . . . إلخ)، ذكر المعرفة في ثلاث مواضع، وفسرها في الأول بما هو أكمل وأرفع المراتب، وهو الجهاد بيده ولسانه وقلبه، فلا بد أن يكون ما بعده بلا واسطة أقرب منه، وعبر عنه بقوله: (فصدق

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٨٠).

(٢) كذا في الأصول، والظاهر: «مسخوا معنى جعلوا».

بِـهِ، وَرَجُـلٌ عَرَفَ دِينَ اللهِ فَسَكَتَ عَلَيْـهِ، فَإِنْ رَأَى مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ أَحَبَّـهُ عَلَيْـهِ، وَإِنْ رَأَى مَنْ يَعْمَلُ بِبَاطِلٍ أَبْغَضَهُ عَلَيْـهِ، فَذَلِكَ يَنْجُو عَلَى إِبْطَانِـهِ كُلِّهِ».

٥١٥٢ ـ [١٦] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَنِ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلاَناً لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، . . . .

به) فيكون المراد به المعرفة باللسان والقلب، إذ التصديق بالقلب، واللسان مترجم عنه بقرينة مقابلة القسمين، والثالث: يكون أدنى، وعبر عنه بقوله: **(فسكت)**، فلا يكون إلا بالقلب فقط، فهذه ثلاث مراتب أشير إليها في كتاب الله بطريق الترقي من الأدنى إلى الأعلى بقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: ناقص في حظه، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي: متوسط، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[فاطر: ٣٢]، وكلهم من عباد الله المصطفين بالإيمان؛ لقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الآية [فاطر: ٣٢].

وقوله: **(فإن رأى)** بيان وتفصيل للقسم الأخير، والضمير في **(إبطانه)** للرجل، [من] إضافة المصدر إلى الفاعل، والمفعول محذوف، أي: محبة الخير وبغض الباطل، و(عمل) يتعدى بنفسه وبالباء، ولا يخفى ما في استعمال الأول في الخير والثاني في الباطل من اللطف والإشارة إلى مزيد شوق وحرص في عمل الخير والانجذاب إليه بلا واسطة، فافهم.

٥١٥٢ ـ [١٦] (جابر) قوله: **(فلاناً)** في (القاموس)[1]: فُلان وفُلانة مضمومتين

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٢٧).

قَالَ: فَقَالَ: اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ».

٥١٥٣ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَا لَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ فَلَمْ تُنْكِرْهُ؟» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيُلَقَّى حُجَّتَهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! خِفْتُ النَّاسَ وَرَجَوْتُكَ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٧١٨١، ٧١٨٩، ٧١٦٧].

كناية عن أسمائنا، وبـ (أل) عن غيرنا، وقد يقال للواحد: يا فُلُ، وللاثنين: يا فُلانِ، وللجمع: يا فُلُونَ، وفي المؤنث: يا فُلَةُ ويا فلتَانِ ويا فُلاَتُ، ومنع سيبويه أن يقال: يا فُلُ ويراد فلان إلا في الشعر، انتهى.

وقوله: (لم يتمعر) في (القاموس)[1]: معر وجهه: غيّره غيظاً، فتمعر، والممعور: المقطّب غضباً، وفي (الصراح)[2]: تمعر: برگشتن رنگِ روئ از خشم.

٥١٥٣ ـ [١٧] (أبو سعيد) قوله: (فيلقى حجته) أي: يؤتى ويعلم، قال البيضاوي[3] في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾[النمل: ٦] لتؤتاه، وفي (القاموس)[4]: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ يُلْقَى إليك وحياً من الله تعالى.

وقوله: (فيقول: يا رب! خفت الناس ورجوتك) أي: خفت سطوتهم وشرهم ولم أكن قادراً على دفعه، ورجوت عفوك؛ فإنك تعلم ضعفي وحالي.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٤٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٢١٤).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٤/ ٤٢٩).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٢٢).

٥١٥٤ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ خَلِيقَتَانِ تُنْصَبَانِ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ فَيُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ وَيُوعِدُهُمُ الْخَيْرَ، وَأَمَّا الْمُنْكَرُ فَيَقُولُ: إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ إِلاَّ لُزُوماً». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٤/ ٣٩١، شعب: ١٠٦٦٦].

٥١٥٤ ـ [١٨] (أبو موسى الأشعري) قوله: **(خليقتان)** أي: مخلوقتان، يعني يصوران ويمثلان في صورة إنسان.

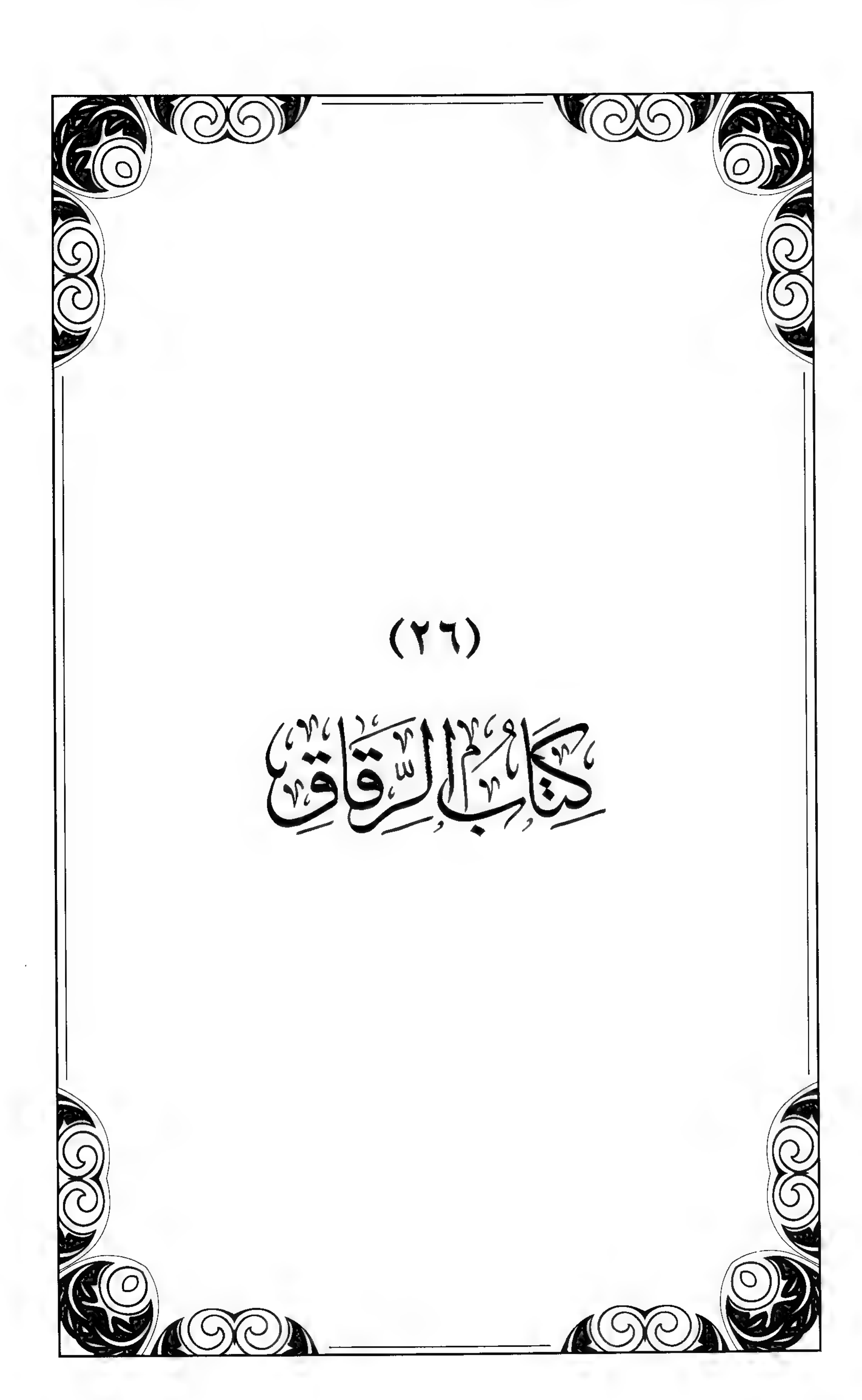
وقوله: **(ويوعدهم الخير)** في (القاموس)[١]: وعده الأمر وبه خيراً وشرًّا؛ فإذا أسقطا قيل في الخير: وعد، وفي الشر: أوعد، وقالوا: (أوعد) الخير وبالشر، وقد مر في أوائل الكتاب في (باب الوسوسة).

وقوله: **(إليكم إليكم)** أي: تنحوا عني، **(وما يستطيعون له إلا لزوماً)** أي: لا يستطيعون مفارقته.

❐ ❐ ❐

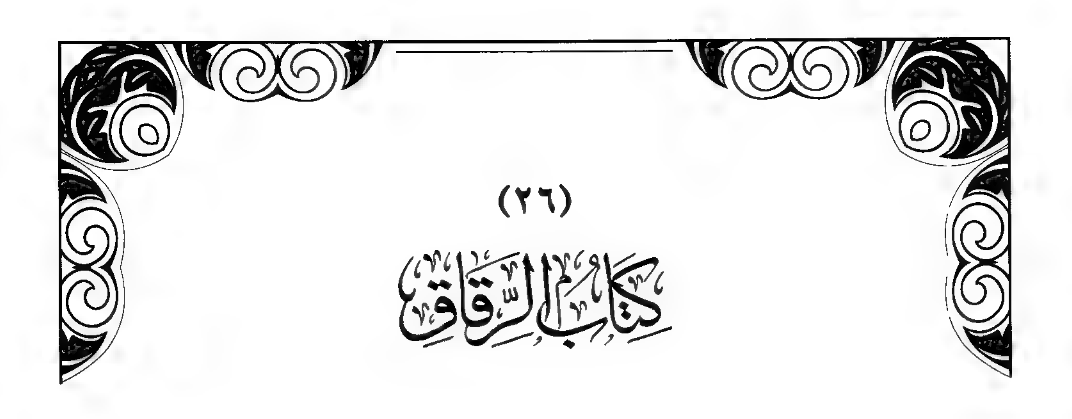
---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٨).



(٢٦)

كتاب الرقاق



(٢٦)
كتاب الرقاق

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥١٥٥ ـ [١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤١٢].

---

٢٦ ـ كتاب الرقاق

جمع رقيـق، كصغار وكبار جمع صغير وكبير، ضد الغليظ، وقد يجيء رقائق كحقائق ودقائق جمع رقيقة، وموصوفها الكلمات، والرقة قد تجيء بمعنى الرحمة، ولعل وصف الكلام بذلك لكونه مؤثراً في رقة القلب وإحداثه الرحمة فيه، ولو جعل (فعيل) بمعنى (مفعل) من التفعيل كما يجيء بمعنى المفعل من الإفعال كبديع ونذير على مختار البيضاوي في تفسيره لم يبعد.

الفصل الأول

٥١٥٥ ـ [١] (ابن عباس) قوله: (نعمتان مغبون فيهما) الغبن بالسكون نقصان المال والخسران فيه في المعاملات، وبالتحريك في الرأي بمعنى ضعفه ونقصانه.

وقوله: (نعمتان) مبتدأ، و(مغبون فيهما) صفة، و(الصحة والفراغ) خبره، وهذا لرعاية ما اشتهر من وجوب تخصيص المبتدأ النكرة، والذي ينساق الفهم ويتبادر إليه في الحديث هـو أن يكون الخبـر (مغبون) ويكون قوله: (الصحة والفراغ) خبر مبتدأ محذوف، وهذا المعنى جيـد، فافهـم وأنصف من نفسك، والصحـة صحـة البدن،

٥١٥٦ ـ [٢] وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٥٨].

٥١٥٧ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، قَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُم». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٥٧].

٥١٥٨ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٥٦].

والفراغ الفراغ عن المشاغل والموانع عن العمل.

٥١٥٦ ـ [٢] (المستورد بن شدّاد) قوله: (ما الدنيا) أي: نعيمها أو مدة بقائها.

وقوله: (وأصبعه) الأصبع مثلثة الهمزة مثلثة الباء، تسع لغات، وقد تذكر، كذا في (القاموس)[1].

٥١٥٧ ـ [٣] (جابر) قوله: (أسك) أفعل من السك، والسك: اصطلام الأذنين، وفي (الصراح)[2]: سك ازبن بركندن گوش، وفي الحواشي[3]: **الأسك**: مقطوع الأذنين أو صغيرهما، يقال للذي لا أذن له.

٥١٥٨ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) أما سجن

---

(١) «القاموس» (ص: ٦٧٩).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٠١).

(٣) «حاشية جمال الدين» (ص: ٣٠٩).

٥١٥٩ ـ [٥] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٠٨].

المؤمن فلما يصيبه فيها من البلايا والمحن والآلام، وجنة الكافر لتنعمه وتمتعه فيها بالشهوات واللذات، أو لأنها ضيقة على المؤمن يريد الخروج منها دائماً إلى فضاء القدس وقرب رب العالمين، والكافر يتمنى الخلود فيها لركونه إليها وانهماكه في الشهوات، وقد يشتبه هذا بالمؤمن الغني المتنعم والكافر الفقيه المبتلى فيقال: إن الدنيا للمؤمن كالسجن في جنب ما أعدّ له من الثواب وإن كان له فيها تنعم، وللكافر كالجنة في جنب ما أعدّ له من العقاب، وإن كان له محنة وشدة.

٥١٥٩ ـ [٥] (أنس) قوله: **(إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة)** أي: لا ينقصه إياها، متعدي إلى مفعولين، كذا قال الطيبي[١]، ويحتمل أن يكون أحد المنصوبين بالحذف والإيصال.

وقوله: **(يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة)** الباء في الموضعين يحتمل أن تكون للسببية أو البدلية، والمفعول الثاني محذوف، أي: يعطى المؤمن بتلك الحسنة في الدنيا حسنة ويجزى بها في الآخرة حسنة، وقول الطيبي[٢]: إن الباء في قوله: (يعطى بها) إن حملت على السببية فيحتاج إلى مقدر، أي: يعطى بسببها حسنة، وإن حملت على البدل فلا، وأما الباء في (يجزى بها) فهي للسببية مما **لا** يظهر وجهه،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٨٦).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٨٦).

٥١٦٠ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. إِلاَّ أَنْ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «حُفَّتْ» بَدَلَ «حُجِبَتْ». [خ: ٦٤٨٧، م: ٢٨٢٢].

٥١٦١ ـ [٧] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، ....

ومعنى الحديث: أن المؤمن يثاب بالحسنة في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فيجزى جزاءً وافياً، وأما في الدنيا فيعطى أيضاً شيئاً منه، كطيب العيش، وفراغ الخاطر، وسلامة الحال، والكافر قد يعطى بما فعل من الحسنات في الدنيا، وأما في الآخرة فلا جزاء له، أي: من الجنة ونعيمها، وإلا فقد جاء في بعض الأخبار أنه قد يفيده تخفيفاً في العذاب، والله أعلم.

٥١٦٠ ـ [٦] **(أبو هريرة)** قوله: **(حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره)** أي: الشدائد من العذاب والمجاهدات، فمن وصل بها وعملها وصل إلى الجنة ودخلها، ومن وصل بالشهوات وارتكبها دخل النار؛ فإن ما كان في الحجاب وجب الوصول إليه والدخول عليه بالوصول إلى الحجاب والدخول فيه، ثم رفعه وهتكه، وبهذا عرف لقولهم: العلم حجاب الله معنى، فافهم.

٥١٦١ ـ [٧] **(وعنه)** قوله: **(تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة)** التعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط، والفعل كمنع وسمع، وإذا خاطبت قلت: تعست كمنع، وإذا حكيت قلت: تعس كسمع، وتعسه الله وأتعسه، ورجل تاعس وتعس، كذا في (القاموس)[1]، والخميصة: ثياب سود فيها علم، وفي

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٩٥).

إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتُكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتُقِشَ، . . . .

(الصراح)[1]: گليم سياه چهار سوء علم، أراد بها محب الثياب النفيسة والحريص على التجمل والمتكلف فيه ليري الناس ويتكبر به عليهم، وهو دعاء على من استعبده حب الدنيا، ولهذا ذكر العبد ولم يقل مالكها أو صاحبها.

(**إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط**) قال الطيبي[2]: وهذا يؤذن بشدة حرصه في جمع الدنيا وطمعه فيما في أيدي الناس، انتهى.

ويمكن أن يراد إن أعطاه الله ورزقه ذلك رضي منه، وإن لم يعطه ويرزقه[3] سخط له تعالى، كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨].

وقوله: (**تعس وانتكس**) نكسه: قلبه على رأسه كنكّسه، وفي (الصراح)[4]: انتكاس: نگو نسار شدن، ناكس: سر بروفگنده، وهو تكرير وتأكيد للدعاء عليه بالهلاك والذل والخيبة والخسران.

وقوله: (**وإذا شيك فلا انتقش**) أي: دخل شوك في عضوه، وهو كناية عن إصابة البلاء، و(انتقش) ببناء المجهول، أي: فلا أخرج منه ذلك الشوك، والنقش: استخراج الشوك، وما يخرج به مِنْقاش ومِنْقش، وهذا دعاء آخر عليه بعدم إعانة أحد

---

(١) «الصراح» (ص: ٢٦٨).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٨٨).

(٣) كذا في الأصل، والظاهر: «ولم يرزقه».

(٤) «الصراح» (ص: ٢٥٢).

طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثُ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَة، . . . .

إياه في الشدة والبلاء ليسهل عليه ويتسلّى، وهذا أبلغ؛ لأنه أسهل ما يتصور من الإعانة؛ فإذا نفي كان ما فوقه منفيًّا بطريق الأولى، ثم إنا جرينا في حمل هذا الكلام على معنى الدعاء على طريقة الشارحين واتبعناهم، ولكن للحمل على الإخبار بسوء حالهم وهلاكهم وانكبابهم وانتكاس أمرهم مجال واسع، فيكون إشارة إلى أنهم كما خابوا وهلكوا عند الله كذلك خسروا وتضرروا عند الخلق، وصاروا بحيث إذا ابتلوا بشدة ومحنة في الدنيا لم يعنهم أحد ولم يترحم عليهم؛ لأنهم لما صاروا إلى الدنيا بخلوا ولم يحسنوا إلى الناس حتى يحبونهم ويعينوهم في الشدائد، فافهم.

وقوله: (**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه . . .إلخ**)، لما ذكر قبيح حال عبيد الدنيا المتكبرين المتزينين زينة الحياة الدنيا أردفه بذكر المهتمين بأمر الدين، المجاهدين في سبيل الله، الزاهدين في الدنيا وزينتها، المتواضعين لأمر الشرع، أذلة في أعين أهل الدنيا أعزة عند الله تعالى.

وقوله: (**أشعث**) منصوب على الحالية من (عبد)، أو مجرور صفة له، أو مرفوع على الخبرية لمحذوف، و(**رأسه**) فاعله، وكذلك (**مغبرة قدماه**).

وقوله: (**إن كان في الحراسة**) أي: إن أمروه بكونه في أمر الحراسة كان راضياً به وممتثلاً أمر المسلمين، أو المراد إن كان في الحراسة كان فيها كاملاً؛ لأن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل على فخامة الجزاء وكماله، مثل: شعري شعري، و(**الساقة**) مؤخر الجيش.

وَإِن اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٨٨٧].

٥١٦٢ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»، فَقَالَ رجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ وَقَالَ: . . . .

وقوله: (إن استأذن) أي: الناس في دخوله عليهم وجلوسه مجلسهم (لم يؤذن له) لحقارته في أعين أهل الظاهر، وهو مقرب حضرة الله ومعزز عنده، (وإن شفع) الناس في أمر (لم يشفع) لم تقبل شفاعته؛ لعدم مبالاة الناس به، وهو بحيث لو أقسم على الله لأبره.

٥١٦٢ ـ [٨] (أبو سعيد الخدري) قوله: (أويأتي الخير بالشر؟) الباء للتعدية، أي: حصول المال بالغنائم لنا خير، وهل يكون ذلك الخير سبباً للشر وترك الطاعة؟

وقوله: (فمسح عنه الرحضاء) بضم الراء وفتح الحاء المهملة والضاد المعجمة ممدوداً، كذا في (مشارق الأنوار)[1]، وفي (القاموس)[2]: هي عرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرةً، وقد رحض المحموم كعني، والرحاض بالضم اسم منه، وفي (النهاية)[3]: الرحض الغسل، وفي حديث أواني المشركين: (إن لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء)، والرحيض: الثوب المغسول، والرحضاء: هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرض.

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٤٥٥).

(٢) «القاموس» (ص: ٥٩٣).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٢٠٨).

«أَيْنَ السَّائِلُ؟» وَكَأَنَّـهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّـهُ لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّـا يُنْبِـتُ الرَّبِـيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ، إِلاَّ آكِلَـةَ الْخَضـِرِ أَكَلَتْ حَتَّى امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ . . . .

وقوله: (**وكأنه حمده**) جعلوا المضمر المرفوع للنبي ﷺ والمنصوب للسائل، أي: أثنى عليه في سؤاله، فأجابه لأنه كان محل السؤال والاستفسار.

وقوله: (**إنه لا يأتي الخير بالشر**) إشارة إلى أن المال وإن كثر فهو خير، وإنما يصير شرًّا بعارض البخل والإسراف، كالربيع ما أنبت إلا ما هو خير في نفسه، والهلاك للإفراط في الأكل كما بينه بقوله: (**وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً**) والحبط بفتحتين: التخمة، وفي (القاموس)[1]: وجع ببطن البعير من كلأ يكثر منه فتنتفخ منه، فلا يخرج منه شيء، حبط كفرح، أو انتفاخ البطن عن أكل الذُّرق، وفي (الصراح)[2]: حبط بالتحريك: شكم برآمدن ستور را از خردن، ويروى من الخاء المعجمة من التخبط، وهو الاضطراب، كذا في (مجمع البحار)[3]، ولا شك أن الأول أقرب وأنسب، والله أعلم.

وقوله: (**أو يلم**) من الإلمام، وهو المقاربة، في (القاموس)[4]: وغلام مُلِمٌّ، بضم أوله: قارب البلوغ، فالمعنى ما يقارب القتل.

وقوله: (**إلا آكلة الخضر**) استثناء مفرغ، أي: يقتل آكليه كلهم إلا آكل الخضر بالصفة المذكورة المبنية بقوله: (**أكلت حتى امتدت . . . إلى آخره**)، و(آكلة) على

---

(١) «القاموس» (ص: ٦٠٩).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٨٨).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٨٨).

(٤) «القاموس» (ص: ١٠٦٨).

فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ، . . . .

لفظ اسم الفاعل، وتأنيثه بتقدير موصوفه مؤنثاً، أي: دابة آكلة، أو جماعة آكلة، أو التاء للمبالغة، والاستثناء المفرغ في الكلام الموجب صحيح عند إرادة العموم، و(الخضر) بكسر الضاد: من النبات الرخص الغض، قال الأزهري: والخضر هنا ضرب من الجنبة، والجَنْبة: ما له أصل غامض في الأرض، فالماشية تشتهيه وتكثر منه؛ لأنه يبقى فيه خضرة ورطوبة بعد يبس البقول وهيجها، واحده خضرة، كذا في (مشارق الأنوار)[١]، وفي (القاموس)[٢]: الخضر ككتف: الغصن والزرع والبقلة الخضراء كالخضرة والخضير، وضرب من الجنبة، واحدته بهاء، وسعف النخل، وجريده الأخضر، واختُضِرَ: أُخِذَ غَضًّا، ثم إنه جاء عند العذري في حديث أبي الطاهر: (الخضرة) بزيادة التاء، أي: النبات الأخضر الناعم، وعند الطبري وبعضهم: الخضر بضم الخاء وسكون الضاد، والرواية الأولى أعرف، وكذا في أكثر الأحاديث والروايات، كذا قال القاضي عياض، وقال الكرماني: الخضراء بسكون ضاد ومد، أي: من جملة ما ينبته الربيع شيء يقتل إلا خضراء إذا اقتصد فيه آكله، وروي (ألا) بخفة لام استفتاحية، أي: ألا انظروا لآكله واعتبروا بها[٣].

وقوله: (**فثلطت**) أي: ألقت ما في بطنها رقيقاً، إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت، فتحيلت في دفعه بأن تستقبل الشمس فتحمي بها فسهل خروجه؛ فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت، يعني المقتصد المحمود العاقبة وإن جاوز حد الاقتصاد في بعض الأحيان

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٨٣).

(٢) «القاموس» (ص: ٣٦٠).

(٣) انظر: «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٥٣).

وَإِنَّ هَـذَا الْمَالَ خَضِـرَةٌ حُلْـوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّـهِ وَوَضَعَـهُ فِي حَقِّـهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَـةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَـذَهُ بِغَيْرِ حَقِّـهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُـلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيداً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٤٦٥، م: ١٠٥٢].

وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الإنسان لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم ولا يثبت عليه، بل يلتجئ إلى التوبة وعلاج نفسه بما يطهره ويزكيه، فهذا إشارة إلى الاقتصاد في شهوات الدنيا كما أن الأول المذكور في قوله: (يقتل حبطاً) إشارة إلى الإسراف والتجاوز عن الحد، بل لا يبعد أن يدّعى أن في الحديث تلويحاً إلى قسم ثالث، وهو الزهد في الدنيا وزينتها مطلقاً، فالمفرط السرف الذي هلك في لذات الدنيا وشهواتها مثال للكافر، والذي أسرف لكنه قد يتحرى في إزالة ذلك ويحتال في دفع مضرتها مثال للمؤمن العاصي، والذي يزهد فيها ولا يلتفت إلى الدنيا وزهرتها مثال للزهد، ولو جعلت الأمثلة الثلاثة للمؤمنين، الأول لمرتكب المعاصي المصرّ عليها، والثاني لمن يفعل ويرجع ثم يقع ويتردد حاله تارةً فتارةً للمؤمن المتوسط الحال، والثالث للزاهد المتقي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] لم يبعد، فتدبر.

ثم بيَّنَ سبب الوقوع في الإسراف وثبات من يثبت وزلة من زلّ بقوله: **(وإن هذا المال خضرة حلوة . . . إلخ)**، قال القاضي عياض(١): (خضرة) بفتح الخاء وكسر الضاد، كذا وقع للأصيلي بزيادة التاء في (كتاب الوصايا)، و(كتاب الخمس)، وفي غير هذا الموضع: (خضر حلو) بغير تاء، والخضر بكسر الضاد: من النبات الرخص

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٨٣).

٥١٦٣ ـ [٩] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَوَاللهِ لاَ الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٠١٥، م: ٢٩٦١].

الغض، والبقلة الخضراء: التي علت من الريّ، واحدته خضرة، وعلى رواية (خضرة) فالتأنيث بمعنى تأنيث الدنيا، أي: الفتنة بها، أو تأنيث المشبه بها، أي: كالخضرة، وقال ثابت: معناه أن المال شهي كالبقلة الخضرة، أو يكون بمعنى فائدة المال، كأنه قال: الحياة به أو العيشة فيه خضرة، أي: ناعمة مشتهاة، أو يكون المال بمعنى الدنيا، انتهى.

٥١٦٣ ـ [٩] (عمرو بن عوف) قوله: (فتنافسوها) أصله تتنافسوا، والتنافس: الرغبة في الشيء، وشيء نفيس ومنفوس ومنفس كمخرج: يتنافس فيه ويرغب، وقد نفس ككرم نفاسة ونفاساً، والنهي عن الرغبة فيه إما لأنها تبعث على جمعها وإمساكها، وإما لأنه يؤدي إلى المنازعة والمقاتلة، كذا قال الطيبي[1]، وفي (القاموس)[2]: نفس به كفرح: ضَنَّ، ونفس عليه: حسد، وهذان المعنيان أيضاً يصح إرادتهما، وعلى كل تقدير الضمير في (تنافسوها) منصوب على نزع الخافض، إما في أو الباء أو على.

وقوله: (كما تنافسوها) على صيغة الماضي، والضمير فيه لـ (من كان قبلكم).

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٩٣).

(٢) «القاموس» (ص: ٥٣٤).

٥١٦٤ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً»، وَفِي رِوَايَةٍ «كَفَافاً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٦٠، م: ١٠٥٥].

٥١٦٤ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً، وفي رواية: كفافاً) في (القاموس)(١): القوت بالضم والقيت والقيتة بكسرهما: الْمُسْكة من الرزق، وقاتهم قَوتاً وقُوتاً وقِياتةً، فاقتاتوا، ومن العيش: الكفاية، وفي (الصراح)(٢): قوت قياتة: خورش دادن من نصر ينصر، قاته أهله يقوته، والاسم قوت بالضم، وهو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، ويقال: ما عنده قوت ليلة وقيتة ليلة، ويقال: قُتُّهُ فاقتات، كما يقال: رزقته فارتزق، وهو في قائت من العيش، أي: في كفاية.

وفي (مجمع البحار)(٣): (اللهم اجعل رزق محمد قوتاً) أي: بقدر ما يمسك الرمق من المطعم، وقيل: أي كفاية من غير إسراف، والكفاف كسحاب من الرزق: ما كف عن الناس وأغنى، كذا في (القاموس)(٤)، قال في (الصراح)(٥): كفاف بالفتح: اندازه ومانند وروز گذار، وفي الحديث: (اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً)، وفي (مجمع البحار)(٦): في حديث: (من أسلم ورزق كفافاً) أي: قوتاً يكفه عن الجوع

---

(١) «القاموس» (ص: ١٥٨).

(٢) «الصراح» (ص: ٦٧).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٣٥).

(٤) «القاموس» (ص: ٧٨٤).

(٥) «الصراح» (ص: ٣٦٢).

(٦) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٤٣٠).

. . . .

أو عن السؤال، وقال في حديث عمر ﷺ: وددت أني أسلمت ـ وفي رواية: نجوت ـ من الخلافة كفافاً لا عليّ ولا لي.

الكفاف: ما لا يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة، وقيل: أراد مكفوفاً عني شرها، وقيل: أي: تنال مني ولا أنال منها، أي: تكف عني وأكف عنها.

وقال في (مشارق الأنوار)[1] في هذا الحديث: القوت بالضم: ما يمسك رمق الإنسان، وهي الغنية، قال صاحب (العين): هو المسكة من الرزق، قال ابن دريد: يقال: قات أهله قوتاً بالفتح، وأقاتهم أيضاً، وهي البلغة من العيش.

إذا عرفت معنى القوت والكفاف عرفت أنهما متحدان أو قريبان في المعنى، وأنه يفهم من بعض عباراتهم أن القوت بمعنى ما يسدّ الرمق، والكفاف بمعنى القدر المحتاج إليه، ومع ذلك المراد في الحديث هو الكفاف، وكذا قال الطيبي[2]: هذه الرواية مفسرة للرواية الأولى، ثم اعلم أن الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فمنهم من يعتاد قلة الأكل حتى إنه يكاد يصبر يوماً أو يومين، ومنهم من يعتاد الأكل في يوم مرة أو مرتين، ومنهم من له عيال قليل أو كثير، ومنهم من لا عيال له، ويختلف باختلاف الأزمان وحال الضعف والمرض، ففي زمان الجدب والعسر يكفي الأدنى، وحال اليسر والقوة يزيد على ذلك، فمقدار الكفاف غير مضبوط، والمحمود ما يتقوى به على الطاعة والحركات العادية، وقال الطيبي: فيه إرشاد للأمة إلى أن الزيادة على الكفاف لا ينبغي أن يتعب الرجل في طلبه لأنه لا خير فيه، فكثرة

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٢٧).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٩٤).

٥١٦٥ ـ [١١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٠٥٤].

٥١٦٦ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، وَإِنَّ مَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، ....

المال تلهي وقلته تنسي، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى. وأقول: يمكن أن يراد بالآل الأمة، وبالقوة على ما هو معناه الأصلي، وإن أريد أهله كما هو الظاهر فالحكم في غيرهم يثبت بالدلالة، والله أعلم.

٥١٦٥ ـ [١١] (عبدالله بن عمرو) قوله: (من أسلم) أي: آمن، أو استسلم في جميع ما قضى الله، كقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١].

وقوله: (وقنعه الله بما آتاه) في (القاموس)[1]: القناعة: الرضا بالقسم، كالقنع محركة، والفعل كفرح، فهو قَنِعٌ وقانع وقَنوع وقَنيع، القنوع بالضم: السؤال والتذلل والرضا بالقسم، ضد، والفعل كمنع، ومن دعائهم: نسأل الله القناعة ونعوذ به من القنوع، [وفي المثل: خير الغنى القنوع،] وشر الفقر الخضوع.

٥١٦٦ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (وإن ما له من ماله): (ما) موصولة، أي: الذي له من المنافع من ماله، ولذلك أنث (ثلاث).

وقوله: (فاقتنى) أي: جمع وادخر، أشار إلى أن جمع المال في الحقيقة هو أن يعطي ويتصدق؛ لأنه ادخر ثوابه لنفسه ليوم الحاجة.

---

(١) «القاموس» (ص: ٦٩٨).

وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٥٩].

٥١٦٧ ـ [١٣] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥١٤، م: ٢٩٦٠].

٥١٦٨ ـ [١٤] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤٤٢].

٥١٦٩ ـ [١٥] وَعَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي»، قَالَ: «وَهَلْ لَكَ يَا بْنَ آدَمَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، ....

وقوله: (وتاركه) أي: صاحبه تاركه (للناس).

٥١٦٧ ـ [١٣] (أنس) قوله: (يتبع الميت ثلاثة) تبعه: مشى خلفه، ومرّ به فمضى معه، هذا حقيقة، والمراد هنا معنى مجازي عام، وهو تعلقها به بعده، وكونها معه إلى حين، كأنها تمشي خلفه وتمضي معه، فيرجع الأهل والمال وينقطع التعلق بينهما وبينه، ويبقى معه متصلاً به العمل، فافهم.

٥١٦٨ ـ [١٤] (عبدالله بن مسعود) قوله: (فإن ماله) أي: النافع له: (ما قدم) أي: تصدق.

٥١٦٩ ـ [١٥] (مطرف) قوله: ....

أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٥٨].

٥١٧٠ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٤٦، م: ١٠٥١].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥١٧١ ـ [١٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «من يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، ....

(فأمضيت) في (القاموس)[1]: أمضاه: أنفذه، وقيل: معناه أمضيته من الإفناء والإبلاء وأبقيته للآخرة.

٥١٧٠ ـ [١٦] (أبو هريرة) قوله: (عن كثرة العرض) و(العرض) محركة: متاع الدنيا وحطامها نقداً كان أو غيره، وجمعه أعراض، قيل: كأنه من العرض المقابل للجوهر، وهو لا يبقى زمانين عند الأشاعرة، وبالسكون ما سوى النقدين، وجمعه عروض، وفي (الصراح)[2]: عرض بالسكون: رخت وهرچه زر وسيم باشد، عرض بالتحريك: مال دنيا، أعراض جماعت، ويفهم من (القاموس)[3] أن ما هو بمعنى ما سوى النقدين قد يحرك.

الفصل الثاني

٥١٧١ ـ [١٧] (أبو هريرة) قوله: (هؤلاء الكلمات) في (المصابيح): (هذه

---

(١) «القاموس» (ص: ١٢٢٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٨٠).

(٣) «القاموس» (ص: ٥٩٥).

أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟» قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّ خَمْساً فَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [حم: ٢/ ٣١٠، ت: ٢٣٠٥].

الكلمات).

وقوله: (**أو يعلم**) يدل على أن الأصل أن تعمل، فإنه المقصد الأصلي من العلم، وإن وقع التقصير في العمل فثواب التعليم باق، فلا ينبغي أن تخلو عنهما، فإن جمعا فهو الأتم والأكمل، وقال الطيبي[(١)]: (أو) بمعنى الواو.

وقوله: (**اتق المحارم تكن أعبد الناس**) فإن قلت: العبادة على قسمين: امتثالية واجتنابية، فما معنى هذه العبارة؟ قلت: هي تنبيه على الاهتمام بشأن الاجتناب، يعني أن العبادة الامتثالية إنما تتم وتكمل بالاجتناب عن المحارم، فمن لم يستقص في الامتثاليات النوافل والمندوبات، ولكنه يتق المحارم، ويجتنب عنها، ويبالغ في ذلك، فهو أعبد من الذي يستقصي في الامتثال ويقصر في الاجتناب، هكذا قال المشايخ.

وقوله: (**تكن مؤمناً**) إشارة إلى قوله: (حتى يأمن جاره).

وقوله: (**تكن مسلماً**) يؤخذ من الحديث أن الإسلام والإيمان واحد مع ما ورد: (ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وقوله: (**ولا تكثر الضحك**) في (القاموس)[(٢)]: ضحك ضحكاً بالفتح وبالكسر

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٩٧).

(٢) «القاموس» (ص: ٨٧٢).

٥١٧٢ ـ [١٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لاَ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَكَ شُغُلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ. [حم: ٢/ ٣٥٨، جه: ٤١٠٧].

٥١٧٣ ـ [١٩] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: ذُكِرَ رَجُلٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعِبَادَةٍ وَاجْتِهَادٍ، وَذُكِرَ آخَرُ بِرِعَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَعْدِلْ بِالرِّعَةِ»، يَعْنِي الْوَرَعَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥١٩].

وبكسرتين وككتف، ولعل المراد به القهقهة، والعلة الغفلة؛ فإن حياة القلب في ذكر الله.

٥١٧٢ ـ [١٨] (وعنه) قوله: (أملأ صدرك) أي: باطنك بالرضا عني فأغنيك عن الناس.

وقوله: (ملأت يدك) أي: ظاهرك بالمال وتشتغل، وكنت مشتغلاً به فقيراً إليه، فالغنى إنما هو بالقلب لا بالمال، وذلك ثمرة القصد والتقوى، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآية [الطلاق: ٢].

٥١٧٣ ـ [١٩] (جابر) قوله: (برعة): (الرعة) بكسر الراء وفتح العين: الورع والتقوى، مصدر ورع يرع، من باب ضرب يضرب، كالعدة من وعد يعد.

وقوله: (لا تعدل) يروى على وجهين: بلفظ نهي المخاطب المعلوم، وفي بعض نسخ (المصابيح): (لا تعدل بالرعة شيئاً)، ونفي المضارع المجهول المذكر.

والتقوى والورع أعلاهما الاقتصار على الضرورة، وهي لقمة يسد بها الجوع، وخرقة يستر بها العورة، وحفرة ينفي بها الحر والبرد، وذلك لأخص الخواص، ثم الاقتصار على المباح وذلك للخواص، ثم الكف عن المحارم مع ارتكاب الشبهات،

٥١٧٤ ـ [٢٠] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ قَالَ: . . . .

وهذا لأوساط عوام المؤمنين، والرجل إذا جاوز الضرورة وقع في المباحات، وإذا اتسع في المباحات وقع في الشبهات والمكروهات، وإذا وقع فيها ولم يكف عنها وقع في المحرمات، وإذا انهمك فيها كاد أن يقع في الكفر، نعوذ بالله منه ومما يفضي إليه.

ولقد وضع شيخ شيخنا علي المتقي رحمة الله عليه في بعض رسائله جدولاً لتصوير هذه المراتب، فيه خمس بيوت، أثبت في البيت الأول الضرورة، وفي الثانية المباح، وفي الثالثة المكروه، وفي الرابعة الحرام، وفي الخامسة الكفر بهذه الصورة:

الضرورة
المباح
المكروه
الحرام
الكفر

أقول: هذه مراتب التنزل، وفي مقابلتها مدارج الترقي، وهي الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات والاستقامة، وبالله التوفيق.

فإن قلت: الأنبياء صلوات الله عليهم أخص أخص الخواص وكانوا لا يكتفون بحد الضرورة؟ قلت: هم معصومون من الوقوع في المعصية، وفعلهم للتشريع والتعليم لئلا تقع الأمة في ضيق وحرج.

٥١٧٤ ـ [٢٠] (عمرو بن ميمون) قوله: (الأودي) بهمزة مفتوحة وسكون واو وبدال مهملة، منسوب إلى أود بن صعب.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مُرْسلاً.

٥١٧٥ ـ [٢١] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلاَّ غِنًى مُطْغِياً، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً، . . . . .

وقوله: (**اغتنم**) من الغنيمة، وهو الفيء، وهو المال الذي يحصل من حرب الكفار، وقد يجيء بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقة، واغتنمه: عدَّه غنيمة.

٥١٧٥ ـ [٢١] (**أبو هريرة**) قوله: (**ما ينتظر أحدكم إلا . . . إلخ**)، يعني لما لم يغتنم الفرصة ولم يعبد الله عند الفراغ عن الشواغل فكأنه ينتظر هذه الأمور الشاغلة عن العبادات، وإذا لم يعبد عند قوة البدن وقلة الشواغل كيف يعبد معها؟

وقوله: (**إلا غنى مطغياً**) في (القاموس)[1]: طَغِي، طَغياً وطغياناً بالضم والكسر: جاوز القدر، وارتفع، وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظلم، وفي (الصراح)[2]: طغيان: از حد در گذشتن، طاغي نعت منه.

(**أو فقراً منسياً**) أي: يجعل صاحبه مشغولاً مدهوشاً، فينسيه الطاعةَ من الجوع والعري وهمِّ القوت، (**أو مرضاً مفسداً**) أي: للبدن لشدته، أو الدين للضعف والكسل الحاصل به. (**أو هرماً مفنداً**) بالتخفيف من الإفناد، أي: الموقع في الفند، و(**الهرم**) محركة: أقصى الكبر وشدة الشيخوخة، هرم كفرح، فهو هرم بكسر الراء، وفي

---

(١) «القاموس» (ص: ١٢٠٠).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٧٢).

أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ، . . . .

(القاموس)[١]: الفند بالتحريك: الخَرَفُ، وإنكار العقل لهـرمٍ أو مرض، والخطأ في القول والرأي، والكذب كالإفناد، ولا تقـل: عجـوز مفندة؛ لأنها لـم تكن ذات رأي أبداً، وفنَّده تفنيداً: كذّبـه، وعجّزه، وخطّأ رأيـه، كأفنده، وفي (الصراح)[٢]: فند: دروغ وسست رأي، إفناد: دروغ گفتن وخرف شدن، انتهى.

والظاهر أن المراد في الحديث معنى الخرافة وضعف الرأي، فلا حاجة إلى اعتبار تشبيههم بالكاذب، كما نقل الطيبي[٣]: قالـوا للشيخ إذا هرم: قـد أفند؛ لأنـه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة، فشبه بالكاذب في تحريفـه، وكذا قوله: الفند في الأصل: الكذب، وأفند: تكلم بالفند، ليس على ما ينبغي، فافهم.

وقوله: **(أو موتاً مجهزاً)** بالتخفيف أيضاً، في (القاموس)[٤]: جهز على الجريح، كمنع، وأجهز: أثبت قتله، وأسرعه، وتمّم عليه، وموت مُجْهِز وجهيز: سريع، وفرس جهيز، وفي (الصراح)[٥]: إجهاز خسته را كشتن، يقال: أجهزه وعليه، فرس جهيز: أسپ سخت دونده، والمراد الموت بغتة بحيث لا يقدر على التوبة.

وقوله: **(أو الدجال)** أي: أو ما ينتظر إلا الدجال، لما ذكر ﷺ الشواغل المانعة عن العبادة والثبات علـى الإسلام، وذكـر منها الأحوال من الغنى والفقـر، والمرض والموت، ذكر الدجال الذي يكون في آخر الزمان؛ فإنه أيضاً بلاء شاغل مزلزل للإنسان

(١) «القاموس» (ص: ٢٩٢).
(٢) «الصراح» (ص: ١٤٢).
(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٢٩٩).
(٤) «القاموس» (ص: ٤٧٠).
(٥) «الصراح» (ص: ٢٢٣).

فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ[1]. [ت: ٢٣٠٦].

٥١٧٦ ـ [٢٢] وَعَنْـهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَـةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاَهُ، ....

عن الاستقامة، وقال: إنه (شر غائب ينتظر) فقوله: (ينتظر) صفة لـ (غائب)، و(شر) مضاف إليه، أي: شر الأشياء الغائبة التي ينتظر وجودها، ثم ذكر آخر الأواخر ـ وهي الساعة ـ، وقال: (والساعة أدهى وأمر) و(أدهى) أفعل تفضيل، من دهتـه الداهيـة، والداهية: أمـر فظيع لا يهتدى لزوالـه، و(أمـرّ) أيضاً أفعل، من مـرّ يمرّ مرارة، ضد الحلاوة.

٥١٧٦ ـ [٢٢] (وعنه) قوله: (وما والاه) ذكروا في توجيهه ثلاثة أوجه:

إحداها: أن (والاه) من الولي بمعنى المحبة، والمستكن في (والاه) لله والبارز لـ (ما)، والمراد بما والاه الله ما أحبه الله من القرب والطاعات.

وثانيها: أنه من الولي بمعنى القرب، والضمير المستكن لـ (الذكر) والبارز لـ (ما)، أو على العكس، أي: ما قاربه وشابهه، والمراد به ذكر خير، يعني من غير ذكر الله.

وثالثها: أنه من الموالاة بمعنى المتابعـة، والمستكن والبارز لـ (الذكر)، أي: ما تابع الذكر ولازمه، وكان من مقتضيات الذكر اتباع أمره ونهيه تعالى، وهذه الوجوه كلها إنما تتم إذا أريد بالذكر ذكـر اسمـه سبحانه، وأما إذا أريد بـه ما يشمل كل عمل خير يعمل بنيـة التقرب، فالطاعات والعبادات كلها داخلـة في الذكر، فيمكن أن يراد

---

(١) لم أجده في «سنن النسائي» لا في «الصغرى» ولا في «الكبرى»، بل أخرجـه ابن المبارك في «الزهد» (٧) واللفظ له.

وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٣٢٢، جه: ٤١١٢].

٥١٧٧ - [٢٣] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةً». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٣٢٠، جه: ٤١١٠].

٥١٧٨ - [٢٤] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [ت: ٢٣٢٨، شعب: ٩٩٠٦].

بما والاه الأسباب التي تتولى أمر الذكر وتعين عليه من كفاف المعيشة والضروريات الأخر، أو يكون المراد الذاكرين، والتعبير بـ (ما) لإرادة الصفة، كما يقال في تفسير أمثال قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، أو لأنها أعم تستعمل على ذوي العقل وغيرهم كما قال ابن الحاجب، فافهم.

وقوله: (وعالم أو متعلم) هكذا في أكثر الروايات، والظاهر النصب كما في (سنن ابن ماجه) مع إبدال الواو بـ (أو) مكررة؛ لأنه عطف على (ذكر الله)، وهو منصوب على الاستثناء من الكلام الموجب، وقد يرفع (إلا ذكر الله) أيضاً بناءً على المعنى أي: لا يحمد إلا ذكر الله وعالم أو متعلم.

٥١٧٧ - [٢٣] (سهل بن سعد) قوله: (ما سقى كافراً منها شربة) في نسخ (المصابيح): (شربة ماء).

٥١٧٨ - [٢٤] (ابن مسعود) قوله: (لا تتخذوا الضيعة) بالفتح: حرفة الرجل وصناعته وتجارته، والمراد النهي عن التوغل في اتخاذها فتلهوا [بها] عن ذكر الله،

٥١٧٩ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى». رَوَاهُ أَحْمدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ١٩٦٩٧، شعب: ٩٨٥٤].

٥١٨٠ ـ [٢٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لُعِنَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَلُعِنَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٧٥].

وفي (مجمع البحار)[1]: هي البساتين والمزرعة والقرية؛ لأن في أخذها يحصل الحرص على طلب الزيادة، يقال: رجل مضيع: كثير الضيعة، وفي الحديث: (عافسنا الأزواج والضيعات) أي: المعايش، وهذا فيمن يكتسب التوكل، ويمنعه التلبس بالأسباب عن شهود المسبب، فعليه بترك الأسباب حتى يستقيم في مقام التوكل، وبعد حصوله لا تشغله الأسباب ولا تلهيه، وكلا المعنيين يحتمل قوله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] أي: ليس لهم تجارة ولا بيع حتى تلهياه، أو لا تلهيانه مع وجودهما، والثاني هو الموافق لقوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، فافهم.

٥١٧٩ ـ [٢٥] (أبو موسى) قوله: (من أحب دنياه أضر بآخرته) لأنه إذا أحب الدنيا انهمك في التفكر في تحصيلها، وأولع بذكرها، وتوغل في تحصيلها، فما تفرغ للتفكر في أمر الآخرة وتحصيلها وذكرها، وكذلك العكس.

٥١٨٠ ـ [٢٦] (أبو هريرة) قوله: (لعن عبد الدينار، ولعن عبد الدرهم) مضى شرحه في (الفصل الأول) مع تبديل (تعس) بـ(لعن)، وهو أشد، والتخصيص بالدينار

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٤٢٨).

٥١٨١ ـ [٢٧] وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [ت: ٢٣٧٧، دي: ٢٧٧٢].

٥١٨٢ ـ [٢٨] وَعَنْ خَبَّابٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَنْفَقَ مُؤْمِنٌ مِنْ نَفَقَةٍ إِلاَّ أُجِرَ فِيهَا إِلاَّ نَفَقَتَهُ فِي هَذَا التُّرَابِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٤٨٣، جه: ٤١٦٣].

والدرهم لأنهما الأصل في أموال الدنيا وحطامها، وقد ورد أنهما عِجل هذه وصنمها.

٥١٨١ ـ [٢٧] (كعب بن مالك) قوله: **(وعن كعب بن مالك عن أبيه)** هكذا في أكثر نسخ (المشكاة)، والصواب: عن ابن كعب بن مالك كما وقع في أصل الترمذي، أو عن كعب بن مالك بدون (عن أبيه)، وما وقع في الكتاب يقتضي إسلام أبيه مالك ولم يصح، وروي في (الجامع الصغير)[1] للسيوطي عن كعب بن مالك بدون (عن أبيه)، ولا ينافي ذلك أن يكون عن أبيه.

وقوله: **(بأفسد)** أفعل تفضيل من الإفساد، وقد جوزه بعض النحاة، أو هو مؤول بأشد إفساداً، والمراد بـ(الشرف) الجاه، و(لدينه) متعلق بـ(أفسد) في معنى أصل الفعل، يعني أن حب المال والجاه مفسد للدين أو مهلك له أشد الإفساد؛ لأنه يفضي إلى البخل والحرص والتكبر والطغيان.

٥١٨٢ ـ [٢٨] (خباب) قوله: **(ما أنفق مؤمن من نفقة)** أي: في مصارف معايشه وحوائجه.

وقوله: **(إلا نفقته)** بالنصب، إذ المنفي صار موجباً بالانتقاص، والمعنى: لا أجر

---

(١) «الجامع الصغير» (١٠٥٥٧).

٥١٨٣ ـ [٢٩] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّفَقَةُ كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ الْبِنَاءَ، فَلاَ خَيْرَ فِيهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤٨٢].

٥١٨٤ ـ [٣٠] وَعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْماً وَنَحْنُ مَعَهُ، فَرَأَى قُبَّةً مُشْرِفَةً فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ أَصْحَابُهُ: هَذِهِ لِفُلاَنٍ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ، حَتَّى لَمَّا[1] جَاءَ صَاحِبُهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ....

لمن يصرف ماله في بناء البيوت والقصور من غير حاجة فخراً واستعلاءً، لا ما فيه حاجة، ولا بقاع الخير من المساجد والمدارس والرباطات.

٥١٨٣ ـ [٢٩] (أنس) قوله: (إلا البناء) الحديث مطلق، ولا بد من تقييده بما لم يكن حاجة أو غرض ديني كما يأتي في الحديث الآتي.

٥١٨٤ ـ [٣٠] (وعنه) قوله: (فرأى قبّة) (القبة): بناء مدور، في (الصراح)[2]: قبة بالضم: بنا گرد برآورده، وقد يطلق على الخيم.

وقوله: (وحملها) أي: أضمر تلك الفعلة غضباً عليه، أو الضمير للكراهة المفهومة من المقام، أو للقبة، أو للكلمة التي قال أصحابه.

وقوله: (فأعرض عنه) جواب لـ (ما) بالفاء على القلة، أو عطف على جواب مقدر، أي: كرهه فأعرض عنه، كذا في (مجمع البحار)[3].

---

(١) كذا في النسخة الهندية و«المرقاة»، وفي «سنن أبي داود»: «إذا» بدل «لما».

(٢) «الصراح» (ص: ٤٨).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٥٦٤).

صَنَعَ ذَلِكَ مِرَاراً، حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الغضبَ فِيهِ وَالإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأُنْكِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالُوا: خَرَجَ فَرَأَى قُبَّتَكَ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قُبَّتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالأَرْضِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَرَهَا، قَالَ: «مَا فَعَلَتِ الْقُبَّةُ؟» قَالُوا: شَكَا إِلَيْنَا صَاحِبُهَا إِعْرَاضَكَ فَأَخْبَرْنَاهُ فَهَدَمَهَا. فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ كَلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلاَّ مَا لاَ إِلاَّ مَا لاَ» يَعْنِي مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٥٢٣٧].

٥١٨٥ ـ [٣١] وَعَنْ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ فِي سَبِيلِ اللهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. . . . .

وقوله: (إني لأنكر رسول الله ﷺ) في (القاموس)[1]: أنكره واستنكره وتناكره: جهله، والمنكر: ضد المعروف، أي: لا أعرف منه ﷺ عادته المعهودة من حسن التوجه والإقبال، وأرى ما لم أعهده من الغضب والكراهة.

وقوله: (ما فعلت القبة؟) أي: إلى ما صار حالها وما شأنها لا يرى أثرها، وصحح في أكثر النسخ بصيغة المعلوم، وهي العبارة المشهورة، وقد يصحح في بعضها بالمعلوم والمجهول معاً.

وقوله: (يعني ما لا بد منه) فحذف اسم (لا) وخبرها معاً.

٥١٨٥ ـ [٣١] (أبو هاشم) قوله: (وعن أبي هاشم بن عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٥٣).

وَفِي بَعْضِ نُسَخِ «الْمَصَابِيحِ»: عَنْ أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَدٍ بِالدَّالِ بَدَلَ التَّاءِ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ. [حم: ١٥٦٦٤، ت: ٢٣٢٧، ن: ٢٣٧٢، جه: ٤١٥٥].

٥١٨٦ ـ [٣٢] وَعَنْ عُثْمَانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي بِهِ عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٤١].

وقوله: (ابن عتبد بالدال بدل التاء) هذه العبارة تفيد أنه (عتبد) على وزن (عتبة) بالدال مكان التاء، وهكذا هو مكتوب في النسخ المصححة المعتمد عليها، وفي بعضها كتب (عتيد) بالتاء والياء التحتانية والدال، قيل: الصواب (عبيد) تصغير (عبد) كما هو واقع في أكثر نسخ (المصابيح)، وهو محرف أيضاً، والصواب عتبة.

٥١٨٦ ـ [٣٢] (عثمان) قوله: (في سوى هذه الخصال) أي: هذه الأمور، أو المراد بناء البيت ولبس الثوب وأكل الخبز، و(سوى) وقع اسماً مجروراً على مذهب الكوفيين.

وقوله: (وجلف الخبز): (الجلف) بكسر الجيم وسكون اللام: الغليظ اليابس من الخبز [أو هو الخبز] غير المأدوم، أو حرف الخبز، والظرف، والوعاء، كذا في (القاموس)[1]، وإذا كان بمعنى الظرف، فالمراد به المظروف، وقد يروى (جلف) بفتح اللام جمع (جلفة) بسكونها، وهي كسرة من الخبز اليابس القفار.

وقوله: (والماء) عطف على (جلف).

---

(١) «القاموس» (ص: ٧٣٥).

٥١٨٧ ـ [٣٣] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١] وَابْنُ مَاجَهْ. [٤١٠٢].

٥١٨٨ ـ [٣٤] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَعْمَلَ، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [حم: ٣٧٠٩، ت: ٢٣٧٧، جه: ٤١٠٩].

٥١٨٩ ـ [٣٥] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَغْبَطُ أَوْلِيَائِي . .

٥١٨٧ ـ [٣٣] (سهل بن سعد) قوله: (ازهد في الدنيا) زهد فيه كمنع وسمع وكرم ضد رغب.

٥١٨٨ ـ [٣٤] (ابن مسعود) قوله: (لو أمرتنا أن نبسط لك ونعمل) أي: لو أذنت لنا أن نبسط لك فراشاً ليناً ونعمل وجوه التنعم.

وقوله: (ما لي وللدنيا): (ما) نافية، أي: ليس لي نسبة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا معي، أو استفهامية، وقيل: اللام في (للدنيا) زائدة والواو بمعنى (مع).

وقوله: (إلا كراكب) وجه التشبيه قلة المكث وسرعة الرحيل.

٥١٨٩ ـ [٣٥] (أبو أمامة) قوله: (أغبط أوليائي) أي: أحق أن يغبط به ويتمنى

---

(١) لم أعثر عليه في «سنن الترمذي».

عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلاَةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لاَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، . . . .

مثل حاله.

وقوله: (**لمؤمن**) دخول اللام في خبر المبتدأ جائز على مذهب الزجاج، والأصل أن يدخل على المبتدأ أو خبر (إن)، وهذا الحديث يصلح متمسكاً به، وأما التمسك بقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ﴾[طه: ٦٣] بارتكاب حذف ضمير الشأن وجعل ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خبر ﴿هَٰذَٰنِ﴾ لا يتم؛ لجواز أن يكون ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾ على لغة من لم يعرب اسم الإشارة، وقيل: اللام في الخبر زائدة، أو المبتدأ محذوف، أي: لهو مؤمن، وهذا تكلف.

وقوله: (**خفيف الحاذ**) في (القاموس)[1]: حاذ المتن: موضع اللِّبْدِ منه، وقال: الحاذ: الظهر، وخفيف الحاذ: قليل المال والعيال، وفي (الصراح)[2]: خفيف الحاذ، أي: خفيف الظهر، وأما تفسير الحاذ بالمال فلعله بيان للمراد منه، وأما أنه معناه لغة فلا يظهر من كتب اللغة، والله أعلم.

وقوله: (**ذو حظ من الصلاة**) أي: حظ عظيم منها لقلة الشواغل.

وقوله: (**أحسن عبادة ربه**) تعميم بعد تخصيص، أو المراد بالعبادة هو الصلاة، (**وأطاعه في السر**) تفسير الأحسن، وإشارة إلى أن الأحسن والأكمل من العبادة ما يكون سرًّا، وأن هذا الرجل لما كان قليل العيال راضياً بالكفاف من الرزق لم يخرج إلى الناس كما أشار إليه بقوله: (**وكان غامضاً**) أي: خاملاً في الناس، ولم يخالطهم حتى

---

(١) «القاموس» (ص: ٣١٤).

(٢) «الصراح» (ص: ١٥٤).

وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصبَرَ عَلَى ذَلِكَ»، ثُمَّ نَقَدَ بِيَدِهِ فَقَالَ: «عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ تُراثُه». رَوَاهُ أَحْمدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْن مَاجَهْ. [حم: ٥/ ٢٥٢، ت: ٢٣٤٧، جه: ١١٤٧].

٥١٩٠ ـ [٣٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ: لاَ يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، ....

يعلن عبادته ويرائيهم بها.

وقوله: (ثم نقد بيده) قال في (النهاية)[1]: هو من نقدت الشيء بأصبعي، أنقده واحداً واحداً، نقد الدراهم، ونقد الطائر الحب ينقده: إذا كان يلقطه واحداً واحداً، وهو مثل النقر بالراء، ويروى به أيضاً.

وقال التُّورِبِشْتِي[2]: أريد به ضرب الأنملة على الأنملة، أو ضربها على الأرض كالمتقلل للشيء، أي: يقل عمره وعدد النساء التي تبكين عليه ومبلغ ميراثه، انتهى.

وقيل: الضرب على هذه الهيئة فعل المتعجب من الشيء، ولعل المراد بتعجيل منيته رفعه من عالم الزور والفتن، ونقله إلى جوار القدس؛ رحمةً من الله الكريم، وقيل: المراد أنه يسلم روحه سريعاً بقلة تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه إلى الآخرة، وقيل: أراد قلة مؤنة مماته كما قلّت مؤنة حياته.

٥١٩٠ ـ [٣٦] (وعنه) قوله: (عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة) البطحاء

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ١٠٣).

(٢) «كتاب الميسر» (٣/ ١١٠٥).

وَإِذَا شَبِعَتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ». رَوَاهُ أَحْمدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ٥/ ٢٥٢، ت: ٢٣٤٧].

٥١٩١ ـ [٣٧] وَعَنْ عُبَيْدِاللهِ بْنِ مِحْصَنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، ....

والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، ومكة المعظمة في الأصل واد بين الجبلين، وأيضاً بطحاء اسم موضع منها على جانب حراء، وجعلها ذهباً إما بجعل حصاه ذهباً، أو ملأ مسيله بالذهب، فالأول أظهر، وجاء في بعض الروايات: جعل جبالها ذهباً.

٥١٩١ ـ [٣٧] (عبيدالله) قوله: **(وعن عبيدالله)** بلفظ التصغير **(ابن محصن)** بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين آخره نون.

وقوله: **(في سربه)** في (القاموس)[١]: بكسر السين وفتحها، وبهما يروى، والكسر أقوى، وفي (القاموس)[٢]: السرب بفتح السين: الطريق والوجهة والصدر، وبالكسر: الطريق والبال والقلب والنفس، وهذه المعاني كلها مناسبة للمقام، وقال التُّوربِشْتِي[٣]: أبى بعضهم إلا (السرب) بفتحتين بمعنى البيت، ولم يذكر فيه رواية، ولو سلم له قوله ـ أن يطلق السرب على كل بيت ـ كان قوله هذا حريًا بأن يكون أقوى الأقاويل، إلا أن السرب بفتحتين يقال للبيت الذي هو في الأرض، انتهى.

وفي (القاموس)[٤]: السرب بالتحريك: جحر الوحشي، والحفير تحت

---

(١) قوله: «في القاموس» كذا في الأصل، وهو سبق قلم.

(٢) «القاموس» (ص: ١٠٢).

(٣) «كتاب الميسر» (٣/ ١١٠٦).

(٤) «القاموس» (ص: ١٠٢).

عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٣٤٦].

٥١٩٢ - [٣٨] وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ طَعَامٌ وَثُلُثٌ شَرَابٌ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٣٨٠، جه: ٣٣٤٩].

٥١٩٣ - [٣٩] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَتَجَشَّأُ فَقَالَ: ....

الأرض.

وقوله: (فكأنما حيزت) أي: جمعت، بلفظ المجهول، من حاز يحوز حوزاً، أو الحوز الجمع وضم الشيء، كالحيازة والاحتياز، و(الحذافير) جمع حذفور كعصفور، أي: كأنما أعطي الدنيا بأسرها.

٥١٩٢ - [٣٨] (المقدام) قوله: (بحسب ابن آدم) الباء زائدة، أي: كفاه، و(الأكلات) بضمتين جمع أكلة بضم وسكون: اللقمة.

وقوله: (وإن كان لا محالة) أي: كان لا بد من أن يملأ بطنه، وقد ذكر الإمام الغزالي من فوائد الجوع - ونقله الطيبي[١] عنه - ما فيه تذكرة لأولي الألباب.

٥١٩٣ - [٣٩] (ابن عمر) قوله: (سمع رجلاً يتجشأ) في (القاموس)[٢]:

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (٩/ ٣١٠).

(٢) «القاموس» (ص: ٤٧).

«أَقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ، فَإِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَطْوَلُهُمْ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ نَحْوَهُ. [شرح السنة: ٤٠٤٩، ت: ٣٤٧٨].

التجشؤ: تنفس المعدة، كالتجشئة، والاسم كهمزة، وفي (الصراح)[1]: تجشوء آروغ دادن، تجشئة مثلثة جشأة مثل همزة، اسم جشاء بالمد مثلثة، وفي بعض الحواشي: الجشاء: صوت مع ريح يخرج من الحلق عند الشبع، وتجشأ: تكلف في ذلك، انتهى.

ولعل صيغة التفعل هنا للكمال والمبالغة كما قيل في التوحد والتفرد وأمثالهما عند إطلاقهما على الله ﷻ.

و(أقصر) من الإقصار، أقصر وتقاصر: انتهى، وعنه: عجز، كذا في (القاموس)[2]، والمقصود من قوله: **(أقصر من جشائك)** النهي عن الشبع الجالب للجشاء؛ لأن الجشاء ربما لا يكون للعبد فيه اختيار، والرجل الذي تجشأ عند رسول الله ﷺ هو أبو جحيفة وهب بن عبدالله السوائي، يعدّ في صغار الصحابة، لم يبلغ الحلم في زمنه ﷺ، وقيل: كان من شيعة علي ﷺ، وكان يقول له: وهب الله ووهب الخير، روي عنه أنه قال: أكلت ثريدة برٍّ مع لحم، وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ، فقال: (أقصر من جشائك) الحديث، وروي أنه لم يأكل ملء بطنه بعد ذلك حتى فارق الدنيا.

---

(١) «الصراح» (ص: ٥).

(٢) «القاموس» (ص: ٤٣١).

٥١٩٤ ـ [٤٠] وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٢٧].

٥١٩٥ ـ [٤١] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَجٌ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَمَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ! . . . .

٥١٩٤ ـ [٤٠] (كعب بن عياض) قوله: (إن لكل أمة فتنة) في (القاموس)[١]: الفتنة بالكسر: الخبرة، وفي (الصراح)[٢]: فتنة: آزمائش.

وقوله: (وفتنة أمتي المال) أي: أكثرها وأغلبها؛ لأنه فتح لهم من الأموال والخزائن ما لم يقع لغيرهم.

٥١٩٥ ـ [٤١] (أنس) قوله: (كأنه بذج) في (القاموس)[٣]: البذج محركة: ولد الضأن، كالعتود من أولاد المعز، والجمع بذجان بالكسر.

وقوله: (وخولتك) تفسير لقوله: (أعطيتك)، والخول محركة: ما أعطاك الله من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، للواحد والجمع والذكر والأنثى، ويقال للواحد: خائل، كذا في (القاموس)[٤]، وفي (الصراح)[٥]: تحويل دادن

---

(١) «القاموس» (ص: ١١٢٥).

(٢) «الصراح» (ص: ٥٢٢).

(٣) «القاموس» (ص: ١٧٨).

(٤) «القاموس» (ص: ٩١٦).

(٥) «الصراح» (ص: ٤٢٢).

جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ، فَيَقُولُ: رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ كُلِّهِ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْراً، فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النَّارِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَضَعَّفَهُ. [ت: ٢٣٣٦].

٥١٩٦ ـ [٤٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ جِسْمَكَ؟ وَنُرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٣٥٨].

وملك گردانيدن چيزے را، يقال: خوله الله الشيء، أي: أعطاه إياه.

وقوله: (وثمرته) ثمر الرجل: تمول، ومال ثمر ككتف ومثمور: كثير، ثمر الرجل ماله: نماه وكثره.

وقوله: (ما كان): (ما) مصدرية، و(كان) تامة، والمضاف محذوف، أي: أكثر أحوال وجوده، فإن لوجود المال أحوالاً من القلة والكثرة، هذا ما تخيلت في تصحيح هذا التركيب.

وقوله: (فإذا عبد) الفاء فصيحة، و(إذا) للمفاجأة، والمبتدأ محذوف، أي: ظهر من حاله أنه عبد خاسر.

وقوله: (فيمضى) بفتح الضاد وقد يكسر.

٥١٩٦ ـ [٤٢] (أبو هريرة) قوله: (إن أوّل ما يسأل): (ما) مصدرية، فيكون في تأويل المصدر، وخبره (أن يقال) كذلك.

وقوله: (ألم نصح جسمك): (أصح) جاء لازماً ومتعدياً، وفي الحديث:

٥١٩٧ ـ [٤٣] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤١٦].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥١٩٨ ـ [٤٤] عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ. . . . .

(لا يوردن ذو عاهة على مصح)، كذا في (الصحاح)[1]، وفي (القاموس)[2]: الصح بالضم، والصحة بالكسر، والصحاح بالفتح: ذهاب المرض، والبراءة من كل عيب، صح يصح، فهو صَحيح وصَحاح، والجمع صِحَاح وأصحّاء وصَحائح، وأصحّ فلان: صح أهله، وماشيته، وأصح الله فلاناً: أزال مرضه.

٥١٩٧ ـ [٤٣] (ابن مسعود) قوله: (**فيما أبلاه**) كأنه من بلي الثوب وأبلاه، كأن الشباب في قوته كالثوب الجديد، فلما ولى الشباب وضعف البدن فكأنما بلي.

الفصل الثالث

٥١٩٨ ـ [٤٤] (أبو ذر) قوله: (**من أحمر ولا أسود**) المراد بالأحمر العجم؛ لغلبة لون الحمرة والبياض عليهم، وبالأسود العرب؛ لكون لون السواد والخضرة غالباً فيهم.

---

(١) «الصحاح» (١/ ٣٨٠).

(٢) «القاموس» (ص: ٢٢١).

إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ١٥٨].

٥١٩٩ ـ [٤٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا زَهِدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ أَنْبَتَ اللهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عَيْبَ الدُّنْيَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالِماً إِلَى دَارِ السَّلاَمِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٠٥٣٢].

وقوله: (**إلا أن تفضله**) من الفضل ضد النقص، وإفراد الضمير باعتبار المعنى؛ فإن المعنى: لست بخير من أحد منهم، أو المراد تفضل الأحمر أو الأسود، وفضل يفضل كنصر وعلم، وأما فضل كعلم يفضل كينصر فمركب منهما، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل.

وقوله: (**بتقوى**) غير منون؛ لأنه غير منصرف، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ١٠٩]، وأصل تقوى: وقوى بالواو، وهو مصدر كالوقاية، يقال: وقى يقي وقاية ووقوى، فأبدلت الواو تاء.

٥١٩٩ ـ [٤٥] (**وعنه**) قوله: (**ما زهد عبد في الدنيا**) الحديث، يريد أن الزهد في الدنيا إن كان للعلم بقبائحها وعيوبها إجمالاً من غير تحقيق، فهو يورث الكمال والتحقيق ومزيد اليقين بعيوبها وضررها وعلاج دفعه، حتى يصير القلب صافياً سالماً بالكل وإن كان في ابتداء الحال زهده فيها مع أدنى شوب ميل وشهوة، وهكذا شأن العمل يزيد نوره نور الإيمان، ويورث التحقيق والكشف والعيان، وإن كان في ابتداء مع شوب التقليد والنقصان، وكان شيخنا رحمة الله تعالى عليه يوصي أصحابه بالتزام العمل ويقول: لا ينبغي للطالب أن يوقف عمله على حصول اليقين والإيمان التحقيقي في الأول، بل يشرع بالإيمان التقليدي الذي حصل له في الجملة في العمل، يحصل

٥٢٠٠ ـ [٤٦] وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيماً، وَلِسَانَهُ صَادِقاً، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً، وَعَيْنَهُ نَاظِرَةً، فَأَمَّا الأُذُنُ فَقَمْعٌ، وَأَمَّا الْعَيْنُ فَمُقِرَّةٌ لِمَا يُوعَى الْقَلْبُ، ....

إن شاء الله بالمداومة عليه والجد فيه مرتبة التحقيق والتفصيل، فإن الإيمان يقوى بالعمل، ويزداد العمل بالإيمان، وتتعاكس أنوارهما، وبالله التوفيق.

٥٢٠٠ ـ [٤٦] (وعنه) قوله: (**من أخلص الله قلبه للإيمان**) أي: رزقه إيماناً خالصاً عن شوب النفاق، (**وجعل قلبه سليماً**) عن جميع الذمائم والآفات، وخالياً عن ذكر ما سواه، (**ولسانه صادقاً**) فيما يعبر عن أحواله ويخبر عن مقامه من غير كذب وتأويل، (**ونفسه مطمئنة**) مطيعة عاملة متمثلة لما أمر ونهى من غير أن يستغني بمعرفته عن العمل، (**وخليقته**) أي: طبيعته التي خلق عليها وجبل، (**مستقيمة**) واقفة على حد الاستقامة من غير زيغ وميل إلى باطل مما سوى الحق تعالى وتقدس، حافظة للمراتب كما يشير إليه قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[الرحمن: ٢٠]، (**وجعل أذنه مستمعة**) للقول الحق متبعة للأحسن، وأذن قلبه متلقية خطابات الحق في الأحوال، (**وعينه ناظرة**) إلى دلائل الوحدانية، وشاهدة لأحدية الحق تعالى، غير زائغة وطاغية بالالتفات إلى ما سواه، وقد جرى القلم في شرح هذا الحديث على طريق أهل الإشارة مع إيماء إلى ما يفيده ظاهر العبارة، وبالله التوفيق.

ثم أشار ﷺ إلى أن طريق وصول العلم إلى القلب وحفظه فيه إنما هو السمع والبصر، فالأول بقوله: (**فأما الأذن فقمع**) والقَمع بالفتح والكسر وكعنب: ما يوضع في فم الإناء فيصب فيه الدهن وغيره، شبه السمع في وصول القول منه إلى القلب في وعيه إياه بالقمع، والثاني بقوله: (**وأما العين فمقرة لما يوعى القلب**) أي: يثبت

وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِياً». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ».

[حم: ٢١٣١٠، شعب: ١٠٧].

ويقر في القلب ما أدركته ورأته، و(القلب) إما مرفوع فاعل (يوعى) ومفعوله محذوف، وهو ضمير راجع إلى (ما)، أي: يوعيه ويحفظه القلب، أو منصوب مفعول (يوعى) وفاعله ضمير فيه راجع إلى (ما)، أي: مقرة لما يجعل القلب وعاء له، و(يوعى) يجيء متعدياً ولازماً، في (القاموس)[1]: وعاه يعيه: حفظه، كأوعاه، وفي (الصحاح)[2]: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾[الانشقاق: ٢٣]، أي: يضمرون في قلوبهم من التكذيب، واعتبروا تشبيه الأذن بالقمع في وصول القول إلى القلب ليعيه.

ثم ذكر فذلكة القرينتين بقوله: (**وقد أفلح من جعل قلبه واعياً**) فدلائل الواحدنية إما مسموعة أو مبصرة، فالمسموعة توصلها الأسماع إلى القلب، والمبصرة توصلها الأبصار وتعيها قلوب واعية، كذا ذكروا في شرح هذا الحديث، وهو الموافق للمقصود من الحديث سباقاً وسياقاً، وقد ذكر في (مجمع البحار)[3] نقلاً عن (النهاية) في حديث: (ويل لأقماع القول، ويل للمصرين)، أنه شبه استماع من يسمع القول ولا يعيه ولا يحفظه ولا يعمل به بالأقماع لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها، فكأنه يمرّ عليها مجازاً كما يمر الشراب في الأقماع اجتيازاً، فاعتبروا لتشبيه الاستماع بالأقماع في مرور الأقوال إليها وعدم ثبوتها فيها، وليس فيه قصة كون القلب وعاء، فتدبر.

---

(١) «القاموس» (ص: ١٢٣٢).

(٢) «الصحاح» (٢/ ٢٨٦).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٢٦).

٥٢٠١ ـ [٤٧] وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ ﷻ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: ٤٤]. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ١٧٣١١].

٥٢٠٢ ـ [٤٨] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ. . . . . . .

٥٢٠١ ـ [٤٧] (عقبة بن عامر) قوله: (على معاصيه) أي: مع وجود المعاصي، أي: يعطي العبد العاصي ما يحب العبد، ويحتمل أن يحمل على معنى المقابلة، كما يقال: أعطاه على عمله، يعني عمل العبد عملاً وهو معصية يكون سبباً في حصول رزق حرام.

وقوله: (فإنما هو استدراج) استدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة ظانًّا أنه أثرة من الله وتقريب حيث يعطيه من الدنيا ما يحبه، وفاته الاستغفار وأنه يأخذ[ه] قليلاً قليلاً ولا يباغته، وقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾[الأعراف: ١٨٢] نمهلهم ثم نأخذهم، كما يرقى الراقي درجة درجة، والاستدراج: الأخذ على غرة.

وقوله: (﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾) [الأنعام: ٤٤] في (القاموس)[1]: أبلس: يئس وتحير، ومنه إبليس، وهو أعجمي، وفي (مجمع البحار)[2] من (النهاية): المبلس: الساكت من الحزن، والإبلاس: الحيرة.

٥٢٠٢ ـ [٤٨] (أبو أمامة) قوله: (من أهل الصفة). . . . .

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٩٤).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢١٨).

تُوُفِّيَ وَتَرَكَ دِيناراً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيَّةٌ»، قَالَ: ثُمَّ تُوُفِّيَ آخَرُ فَتَرَكَ دِينَارَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيَّتَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ والبيهقيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٥/ ٢٥٢، شعب: ٣٢٣٨].

٥٢٠٣ ـ [٤٩] وَعَنْ مُعَاوِيَةَ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى خَالِهِ. . . . .

في (القاموس)[1]: كانوا أضياف الإسلام، كانوا يبيتون في صفة مسجده ﷺ، وهي موضع مظلل من المسجد، وفي (مجمع البحار)[2] من (النهاية): أهل الصفة: فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة [يسكنونه]، ومن الكرماني: وهو بضم صاد وتشديد فاء، وهم زهاد من الصحابة فقراء غرباء، وكانوا سبعين ويقلون حيناً ويكثرون، ومن شرح (جامع الأصول): يسكنون صفة المسجد لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد، وكانوا متوكلين ينتظرون من يتصدق عليهم بشيء يأكلونه ويلبسونه.

وقوله: (**فقال رسول الله ﷺ: كية**) تغليظ وتشديد، وهو في الحقيقة عقاب على الدعوى الكاذبة للزهد والفقر، أشار إليه بقوله: رجل من أصحاب الصفة، وأما الآية الكريمة: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٣٥]، ففي الكنز من دون إخراج الزكاة، وذلك بالاتفاق، وقد كان الأكابر من الصحابة أغنياء وما عابهم وزجرهم، وقد فضلوا على فقرائهم مع ما اختص به الفقراء من الفضائل من وجه آخر.

٥٢٠٣ ـ [٤٩] (معاوية) قوله: (**دخل على خاله**) لأن هند أم معاوية كانت بنت عتبة.

---

(١) «القاموس» (ص: ٧٦٣).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٣٣٤).

أَبِي هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ يَعُودُهُ، فَبَكَى أَبُو هَاشِمٍ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا خَالُ؟ أَوَجَعٌ يُشْئِزُكَ أَمْ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا؟ قَالَ: كَلاَّ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ عَهِدَ إِلَيْنَا عَهْداً لَمْ آخُذْ بِهِ، قَالَ: وَمَا ذَلِكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَإِنِّي أُرَانِي قَدْ جَمَعْتُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [حم: ١٥٦٦٤، ت: ٢٣٢٧، ن: ٢٣٧٢، جه: ٤١٥٥].

وقوله: (أبي هاشم بن عتبة) السابق ذكره برواية هذا الحديث مختصراً في (الفصل الثاني).

وقوله: (أوجع يشئزك) على لفظ المضارع المعلوم من باب الإفعال، في (القاموس)[1]: شئز كفرح شأزاً وشؤوزاً، فهو شئز، وشأز: غلظ، وارتفع، واشتد، وشئز الرجل: قلق وذعر، وفي (الصراح)[2]: شأز درشت شدن جاىٔ وبى آرامى، إشآز بى آرام گردانيدن وسخن بي آرام كردن.

وقوله: (أم حرص على الدنيا؟) أي: فنعطيك ما تريد منها.

وقوله: (عهد إلينا) يعني أصحابه جميعاً، وفيه تعريض، وقد كانت رواية ما سبق (عهد إليّ).

وقوله: (لم آخذ به) تواضع واقتصار على التحسر بحاله، ويمكن أنه من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ﴾ [يس: ٢٢].

وقوله: (قد جمعت) أي: أنواعاً كثيرة من المال وما اكتفيت بخادم ومركب.

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٧٦).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٢٦).

٥٢٠٤ ـ [٥٠] وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ قَالَتْ: قُلْتُ: لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: مَا لك لاَ تَطْلُبُ كَمَا يَطْلُبُ فُلاَنٌ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً لاَ يَجُوزُهَا الْمُثْقِلُونَ»، فَأُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّفَ لِتِلْكَ الْعَقَبَةِ.

٥٢٠٥ ـ [٥١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ مِنْ أَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ إِلاَّ ابْتَلَّتْ قَدَمَاهُ؟» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «كَذَلِكَ صَاحِبُ الدُّنْيَا لاَ يَسْلَمُ مِنَ الذُّنُوبِ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ».

[شعب: ٩٩٢٣، ٩٩٧٣].

٥٢٠٦ ـ [٥٢] وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ مُرْسَلاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ وَأَكُونَ مِنَ التَّاجِرِينَ، . . . .

٥٢٠٤ ـ [٥٠] (أم الدرداء) قوله: (وعن أم الدرداء) زوجة أبي الدرداء، كانت من فضلاء الصحابيات.

وقوله: (ما لك لا تطلب) أي: رسول الله ﷺ أو الأصحاب، (فقال: إني سمعت) الظاهر أنه بكسر الهمزة، ويعيد تعليل الحكم السابق، ولا حاجة إلى تقدير اللام وفتح (أن) كما قيل، و(العقبة) بفتحتين: مرقًى صعبٌ من الجبال، وتكأدني الأمر: شق علي، وعقبة كؤود وكأداء: صعبة، كذا في (القاموس)[1].

٥٢٠٥ ـ [٥١] (أنس) قوله: (لا يسلم من الذنوب) صغائر أو كبائر، بل الغالب أن المراد الثاني، فإن الصغائر قلما يخلو عنها أحد.

٥٢٠٦ ـ [٥٢] (جبير بن نفير) قوله: . . . .

---

(١) «القاموس» (ص: ٢٧٦).

وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٨ ـ ٩٩]، رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَة» عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ. [شرح السنة: ٤٠٣٦، حلية: ٢/ ١٣١].

٥٢٠٧ ـ [٥٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً اسْتِعْفَافاً عَنِ الْمَسْأَلَةِ وَسَعْياً عَلَى أَهْلِهِ وَتَعَطُّفاً عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً مُكَاثِراً مُفَاخِراً مُرَائِياً لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ». [شعب: ٧/ ٢٩٨، حلية: ٣/ ١٠٩].

٥٢٠٨ ـ [٥٤] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، . . . .

(﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾) أي: الموت، والمعنى: اعبده ما دمت حيًّا ولا تخل عن العبادة لحظة، وإذا كان الأمر كذلك كيف تشتغل بالدنيا وتجارتها.

٥٢٠٧ ـ [٥٣] (أبو هريرة) قوله: (استعفافاً) الاستعفاف: طلب العفاف، والتعفف: هو الكف عن الحرام والسؤال عن الناس.

وقوله: (مرائياً) أي: إن تصدق وأنفق في سبيل الله فعله للرياء؛ لأن الرياء إنما يكون في الطاعات، فنفس المال تجري فيه المفاخرة دون المراءاة، فافهم.

٥٢٠٨ ـ [٥٤] (سهل بن سعد) قوله: (إن هذا الخير) الخير: المال الكثير، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة: ١٨٠]، والمراد بالخير في قوله:

لِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ مِغْلاَقاً لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلشَّرِّ مِغْلاَقاً لِلْخَيْرِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٢٣٨].

٥٢٠٩ ـ [٥٥] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا لَمْ يُبَارِكْ لِلْعَبْدِ فِي مَالِهِ جَعَلَهُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ».

٥٢١٠ ـ [٥٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الْحَرَامَ فِي الْبُنْيَانِ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْخَرَابِ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٠٢٣٤، ١٠٢٣٧].

(مفتاحاً للخير) مقابل الشر، يريد إنفاق المال في سبيل الله وفي مرضاته.

وقوله: (لتلك الخزائن مفاتيح) خبر ومبتدأ، والمراد بالمفاتيح المنفقون.

٥٢٠٩ ـ [٥٥] (علي) قوله: (جعله في الماء والطين) كناية عن البناء، وقد مرّ شرحه.

٥٢١٠ ـ [٥٦] (ابن عمر) قوله: (اتقوا الحرام في البنيان فإنه أساس الخراب) ذكروا في معناه وجوهاً: **أحدها**: احذروا إنفاق المال الحرام، فإنه أساس للخراب، أي: لخراب الدين أو البنيان، فيدل على أنه قد يجوز البناء من الحلال. **وثانيها**: اتقوا ارتكاب الحرام في البنيان، و(في) مثلها في قولهم: في البيضة عشرون رطلاً، والبيضة نفسها هذا المقدار، وعلى هذا الوجه يلزم أن يكون فعل البنيان نفسه حراماً؛ بأن يكون موجباً للإسراف والتبذير الحرام، أو يكون تشديداً وتوبيخاً.

وثالثها: أن البناء أساس الخراب، فلو لم يبن لم يخرب، كما في حديث: (لدوا

٥٢١١ ـ [٥٧] وَعَنْ عَائِشَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٦/ ٧١، شعب: ١٠١٥٤].

٥٢١٢ ـ [٥٨] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «الْخَمْرُ جِمَاعُ الإِثْمِ، . . . .

للموت وابنوا للخراب)[1]، وقد يختلج في صدري أن يكون معنى الحديث: لا تبنوا لأجل أن تجالسوا فيه مع الفساق، وترتكبوا الحرام والمعاصي كما يفعله أهل الفسق والعصاة، والله أعلم.

٥٢١١ ـ [٥٧] **(عائشة)** قوله: **(الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له)** حاصل المعنى: من اتخذ الدنيا دار إقامة فكأنه لا دار له؛ لأنه ينتقل منه بعد زمان، ومن جمع أموال الدنيا ولم ينفقه في سبيل الله فكأنه لا مال له؛ لأن المال إنما يحمد للإنفاق، ويجوز أن يكون المراد دار من لا دار له في الآخرة، ومال من لا غناء له في الآخرة.

وقوله: **(ولها يجمع)** أي: لأجل الدنيا والإقامة والبقاء فيها، أو (لها) متعلق بـ (يجمع) واللام مزيدة لتقوية العمل، كما يقال: لزيد ضربت، أي: يجمع الدنيا، أي: متاعها، **(من لا عقل له)** لأنه علامة اعتقاد البقاء فيها.

٥٢١٢، ٥٢١٣ ـ [٥٨، ٥٩] **(حذيفة)** قوله: **(الخمر جماع الإثم)** جماع الشيء: جمعه، وفي (الصراح)[2]: جماع الشيء بالكسر: جمع چيزى، يقال: الخمر جماع

---

(١) أخرجه الأصفهاني في «العظمة» (٥١٧).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٠٩).

وَالنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَخِّرُوا النِّسَاءَ حَيْثُ أَخَّرَهُنَّ اللهُ». رَوَاهُ رَزِينٌ.

٥٢١٣ ـ [٥٩] وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْهُ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلاً: «حُبُّ الدُّنْيَا[١] رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ». [شعب: ١٠٠١٩].

٥٢١٤ ـ [٦٠] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ.......................................

الإثم، وقول الطيبي في تفسيره[٢]: أي: مجمعه ومظنته، إشارة إلى أن معنى جامعية الخمر للإثم باعتبار كونه مظنة له ومحلاً يظن فيه وجوده، لا أن من شرب الخمر جمع الآثام كلها بالفعل، بل يحتمل وجودها بعد الشرب؛ لكونها أم الخبائث، (**والنساء حبائل الشيطان**) جمع حبالة، والحبالة ككتابة: المصيدة، وحبل الصيد واحتبله: أخذه بها، أو نصبها له، وحبائل الموت: أسبابه، كذا في (القاموس)[٣].

وقوله: (**وحب الدنيا رأس كل خطيئة**) أي: أصلها وموجبها؛ لأن الخطيئة والمعصية إنما ترتكب لمحبة الدنيا وشهواتها، ومحبة الآخرة لا تبعث على ارتكاب المعصية.

وقوله: (**حيث أخّرهن الله**): (حيث) للتعليل، أي: لأن الله أخرهن، أو للمكان، أي: أخروهن في مواضع أخرهن الله فيها.

٥٢١٤ ـ [٦٠] (**جابر**) قوله: (**إن أخوف ما أتخوف**) اسم التفضيل بمعنى

---

(١) كذا في «المشكاة»، وفي «الشعب»: «الدينار» بدل «الدنيا».

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٢١).

(٣) «القاموس» (ص: ٨٣٥).

عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ، فَأَمَّا الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا مُرْتَحِلَةٌ ذَاهِبَةٌ، وَهَذِهِ الآخِرَةُ مُرْتَحِلَةٌ قَادِمَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تَكُونُوا بَنِي الدُّنْيَا فَافْعَلُوا؛ فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ فِي دَارِ الْعَمَلِ وَلاَ حِسَابَ، وَأَنْتُمْ غَداً فِي دَارِ الآخِرَةِ وَلاَ عَمَلَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٠١٣٢].

٥٢١٥ ـ [٦١] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَرْجَمَةِ بَابٍ. [خ: كتاب الرقاق، باب الأمل وطوله].

المفعول بحذف الصلة، أي: أخوف مخوفاتي على أمتي، أي: ما يخاف منه، أو يكون من أخاف اسم بمعنى خوف، أي: أشد موجبات خوفي عليهم.

وقوله: (وهذه الدنيا) قد يراد باسم الإشارة للقريب التحقير والإهانة، لأن ما يكون قريباً يكون مبتذلاً مهاناً، وقد يراد التعظيم؛ لأن ما يكون عظيماً يكون قريباً مخطوراً بالبال حاضراً في الذهن، ففي قوله: (هذه الدنيا) يراد التحقير، وفي (هذه الآخرة) التعظيم.

وقوله: (فإنكم اليوم في دار العمل) أي: في دار الدنيا التي هي دار العمل.

وقوله: (ولا حساب) قال الشيخ ابن حجر: بالفتح بغير تنوين، ويجوز الرفع بالتنوين، وكذا قوله: (ولا عمل).

٥٢١٥ ـ [٦١] (علي) قوله: (رواه البخاري) أي: موقوفاً على علي ﷺ، وحديث جابر ﷺ يدل على أنه مرفوع أيضاً.

٥٢١٦ ـ [٦٢] وَعَنْ عَمْرٍو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ يَوْماً فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، أَلاَ وَإِنَّ الآخِرَةَ أَجَلٌ صَادِقٌ، ....

٥٢١٦ ـ [٦٢] (عمرو) قوله: **(الدنيا عرض حاضر)** قال الطيبي[1]: العرض ما لا يكون له ثبات، ومنه استعار المتكلمون العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر، انتهى.

ذكر معنى العرض بالتحريك في (القاموس)[2]: ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه، وحطام الدنيا، وما كان من مال قل أو كثر، والغنيمة والطمع، وقد ذكر من معانيه ما يقوم بغيره، لكن قيد بقوله: في اصطلاح المتكلمين، وفي (الصحاح)[3] أيضاً ذكر هذا المعنى من غير هذا القيد وقال: ومال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، فتعين أن المراد في الحديث هو المعنى الأخير، كما مرّ في آخر (الفصل الأول) من حديث أبي هريرة: (ليس الغنى عن كثرة العرض).

و**(الأجل)** مدة الشيء.

وقوله: **(صادق)** أي: متحقق ثابت باق، ويستعمل الصدق في كل باب فيه تحقيق كما ذكر الطيبي[4]، أو المراد صدق الله في الإخبار به كما في الحديث الآتي: (وعد صادق).

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٢٣).

(٢) «القاموس» (ص: ٥٥٠).

(٣) «الصحاح» (١/ ٤٥٩).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٢٣).

وَيَقْضِي فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ، أَلاَ وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ، أَلاَ وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي النَّارِ، أَلاَ فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللهِ عَلَى حَذَرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ». رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ. [مسند الشافعي: ١/ ٦٧].

٥٢١٧ ـ [٦٣] وَعَنْ شَدَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَإِنَّ الآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ قَادِرٌ، يُحِقُّ فِيهَا الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ، كُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ أُمٍّ يَتْبَعُهَا وَلَدُهَا».

وقوله: (يقضي فيها ملك قادر) أي: يميز بين البر والفاجر كما جاء في الحديث الآتي: (ملك عادل قادر).

وقوله: (بحذافيره) قد مر معناه في الحديث الثاني من حديث عبيدالله بن محصن.

وقوله: (وأنتم من الله على حذر) جملة حالية.

وقوله: (معروضون على أعمالكم) أي: أعمالكم معروضة عليكم، أو المعنى: أنتم محضرون على أعمالكم، أو المراد معروضون على الله على ما كان لكم من الأعمال.

٥٢١٧ ـ [٦٣] (شداد) قوله: (فإن كل أم يتبعها ولدها) أشار بهذا الكلام إلى وجه استعارة أبناء الدنيا وأبناء الآخرة لأهلهما.

٥٢١٨ - [٦٤] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِلاَّ وَبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ الْخَلاَئِقَ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى». رَوَاهُمَا أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ». [حلية: ١/ ٢٦٤، ١/ ٢٢٦].

٥٢١٩ - [٦٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ قَالَ: . . . .

٥٢١٨ - [٦٤] (أبو الدرداء) قوله: (ما طلعت الشمس) الحديث، لما كان النهار محل وصول الرزق والمعشية نبه ﷺ أمته على أن يكونوا راضين بالكفاية، ولا يحرصوا حتى يقعوا في ورطة السخط ويتلهوا عن عبادة الله وطاعته، وأوحي إليه ﷺ أن (الملكين ينا‌ديان) حقيقة أو كناية، ويجوز أن تكون السنة الإلهية قد جرت بالأمر للملائكة وندائهم وقصد إسماعهم الخلق، وكان ﷺ يسمع بنفسه الكريمة نداءهما، وإسماعهما الخلائق لا يسمعه الثقلان؛ لئلا يرتفع التكليف، وذلك كما في إصاخة كل دابة إلا الجن والإنس بنداء قيام الساعة يوم الجمعة، وعدم سماع صياح الجنازة وعذاب القبر.

فإن قلت: فإذا لم يسمع الإنسان نداء الملكين فما الفائدة فيه؟ وكيف تنبهوا بذلك؟

قلت: يكفي في ذلك إخبار النبي ﷺ الأمة به، ويجوز أن يكون هذا كناية عن نصب الله تعالى الدلائل على صدق هذه القضية، وهي أن (ما قل وكفى خير مما كثر وألهى)، كأن الملائكة ينادون كل يوم بذلك، ولكن الناس عنه غافلون ولا يتنبهون، والله أعلم.

٥٢١٩ - [٦٥] (أبو هريرة) قوله: (يبلغ به) أي: بهذا الحديث إلى النبي ﷺ،

«إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ وَقَالَ بَنُو آدَمَ: مَا خَلَّفَ؟». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٩٩٩٢].

٥٢٢٠ ـ [٦٦] وَعَنْ مَالِكٍ: أَنَّ لُقْمَانَ قَالَ لاِبْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ مَا يُوعَدُونَ، وَهُمْ إِلَى الآخِرَةِ سِرَاعاً يَذْهَبُونَ، وَإِنَّكَ قَدِ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيَا مُنْذُ كُنْتَ وَاسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ، وَإِنَّ دَاراً تَسِيرُ إِلَيْهَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ دَارٍ تَخْرُجُ مِنْهَا. رَوَاهُ رَزِينٌ. [الزهد للبيهقي: ٥٠١].

٥٢٢١ ـ [٦٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ النَّقِيُّ التَّقِيُّ لاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [جه: ٤٢٦٩، شعب: ٤٤٦٢].

والباء للتعدية، أي: يرفعه إليه.

٥٢٢٠ ـ [٦٦] (مالك) قوله: (قد تطاول عليهم) أي: طال من عهد آدم إلى زمنهم مدة (ما يوعدون) به.

وقوله: (منذ كنت): (كان) تامة، أي: ولدت ووجدت.

٥٢٢١ ـ [٦٧] (عبدالله بن عمرو) قوله: (كل مخموم القلب) بالخاء المعجمة، في (القاموس)[1]: خم البيت والبئر: كنسها، كاختمّها، والمخموم القلب: خالصه، النقي من الغل والحسد، والخمامة بالضم: الكناسة، وبناء (فعالة) بضم

---

(١) «القاموس» (ص: ٩٤٣).

٥٢٢٢ ـ [٦٨] وَعَنْـهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيـكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَـةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَـةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ». رَوَاهُ أَحْمد وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ٢/ ١٧٧، شعب: ٤٤٦٣].

٥٢٢٣ ـ [٦٩] وَعَنْ مَالِكٍ قَـالَ: بَلَغَنِي أَنَّـهُ قِيـلَ لِلُقْمَـانَ الْحَكِيمِ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا ترى؟ يَعْنِي الْفَضْلَ، قَالَ: صِدْقُ الْحَدِيـثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَـةِ، وَتَرْكُ مَا لاَ يَعْنِينِي. رَوَاهُ فِي «الْمُوَطَّأ». [ط: ٢/ ٩٩٠].

الفاء يجيء لمـا ينفصل من الشيء ويطرح، كالكناسة لمـا انفصل بالمكنس من التراب والحشيش من البيـت، والقلامـة لمـا انفصل من الظفـر بالقلـم، والسباطـة، ونحـو ذلك.

٥٢٢٢ ـ [٦٨] (وعنه) قوله: **(ما فاتك من الدنيا)**: (ما) مصدرية، أي: ما ضرك فوت الدنيا، وقيل: نافية، أي: ما فاتك إذا كن حاصلة، والأول هو الأظهر، وليست بموصولة؛ لعدم الضمير، ولو كانت العبارة ما فاتك من الدنيا لكانت هي.

وقوله: **(حفظ إمانة)** في حقوق الله والعباد، **(وعفة في طعمة)** بالضم، بالاجتناب عن الحرام والاقتصار على الكفاية.

٥٢٢٣ ـ [٦٩] (مالك) قوله: **(ما بلغ بك)** الباء للتعدية.

وقوله: **(ما لا يعنيني)** صريح في أن الضمير في (يعني) لـ (ما)، وفي قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركـه ما لا يعنيـه»، ويحتمل أن يكون لـ (ما) أو لـ (المرء)، والظاهر في المعنى لـ (المرء)، فافهم.

٥٢٢٤ ـ [٧٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَجِيءُ الأَعْمَالُ فَتَجِيءُ الصَّلاَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلاَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلاَمُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَأَنَا الإِسْلاَمُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥]».

٥٢٢٤ ـ [٧٠] (أبو هريرة) قوله: (تجيء الأعمال فتجيء الصلاة) الحديث، حاصل المراد من الحديث أن الأعمال فرادى تجيء شافعة لصاحبها فيردها الله بلطف، حتى إذا جاء الإسلام الذي هو الأصل وجامع الأعمال كلها قبلت شفاعته، وقد جاء مبدئاً بالثناء على الله تعالى، ومن آداب الشفاعة المؤثرة في قبولها الثناءُ على المشفع كما يشعر به تعليم الرب تعالى حمداً من عنده سيد المرسلين ﷺ يفتح به باب الشفاعة ويشفع به كما جاء في حديث الشفاعة، ولو أريد بالإسلام هنا التسليم لأحكام الله والرضا بها وترك الاختيار الذي هو أعلى مقامات السالكين، لم يبعد، بل أقرب من المعنى الأول وأدخل في قبول الشفاعة؛ لما فيه من معنى التذلل والانكسار، ثم مجيء الأعمال إما بحقائقها وصورها التي لها في ذلك العالم، فإن لكل شيء حقيقة وصورة كالظلة للإيمان، واللبن للعلم، والكبش للموت، أو يجعلها في صور حسنة كما قيل في وزنها، أو هو كناية عن اعتبارها وملاحظتها منسوبة إلى العالمين وحصول النجاة لهم بها، والله أعلم.

٥٢٢٥ ـ [٧١] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لَنَا سِتْرٌ فِيهِ تَمَاثِيلُ طَيْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ حَوِّلِيهِ؛ فَإِنِّي إِذَا رَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا».

٥٢٢٦ ـ [٧٢] وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ، وَلاَ تَكَلَّمْ بِكَلاَمٍ تَعْذِرُ مِنْهُ غَداً، وَأَجْمِعِ الإِيَاسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

٥٢٢٥ ـ [٧١] (عائشة) قوله: (فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا) لم يعلله ﷺ بحرمة التماثيل ومنعها عن دخول الملائكة، إما لأنه كان قبل النهي عنها، أو لأنها كانت دقيقة لا تبدو للناظر، أو لأنه قد لا يحرم في أمثال الوسد والفرش كما سبق في بابه، أو لينبه أهل بيته على ترك الترفه والتنعم بما هو من الدنيا حتى لا يأخذوا ستراً آخر ولو غير مصور فيه من النفاسة، وقد ورد النهي عن كسوة الجدران بالستر.

٥٢٢٦ ـ [٧٢] (أبو أيوب الأنصاري) قوله: (فصل صلاة مودّع) أي: تارك نفسه وجميع ما سوى الله تعالى، وأقبل بكلك إلى جناب الحق بتوجه تام وإخلاص كلي، ويحتمل أن يكون معناه ـ والله أعلم ـ مودع حياته، أي: ظُنَّ كانت هذه آخر صلاتك، وهذا الوقت آخر عمرك، كما جاء في وصية المشايخ: ينبغي أن يكون المصلي في صلاته كأنه في آخر صلاته في عمره، فإذا كان كذلك فلا بد يحسنها ويصلي كما ينبغي.

وقوله: (تعذر) أي: تحتاج إلى الاعتذار، الظاهر أن المراد الاعتذار في الآخرة عند الرب تعالى، ويجوز أن يكون مطلقاً شاملاً التكلم بالنسبة إلى الأصحاب والخلق جميعاً، أي: لا تكلم بما فيه إثم أو إيذاء لأحد، والله أعلم.

وقوله: (وأجمع الإياس مما في أيدي الناس): (أجمع) من الإجماع بمعنى

٥٢٢٧ ـ [٧٣] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ! إِنَّكَ عَسَى أَنْ لاَ تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا وَقَبْرِي»، فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعاً لِفِرَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، . . . .

تصميم العزم على الشيء، و(الإياس) بكسر الهمزة بمعنى اليأس، مصدر أيس، لغة في يئس، قال في (القاموس)[١]: أيس إياساً: قنط، وجاء آيَسُ يأساً، كذا في (الصحاح)[٢]، وقال الطيبي[٣]: الظاهر أن الإياس وقع موقع اليأس سهواً من الكاتب؛ لأن الإياس مصدر آسه: إذا أعطاه، وليس مصدر أيس مقلوب يئس؛ لأن مصدر المقلوب يوافق الفعل الأصلي لا المقلوب، وهذا ممنوع، إذ قد جاء جبذ جبذاً في جذب جذباً، وأيضاً يفهم من كلامهم أن أيس ليس مقلوباً من يئس، بل لغة على حدة بمعناه، كما قيل أيضاً في جبذ إنه لغة في جذب، والحاصل أن إياساً قد جاء في مصدر أيس سواء كان مقلوباً أو لغة مستقلة، فتدبر.

٥٢٢٧ ـ [٧٣] (**معاذ بن جبل**) قوله: (**إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي**) وجاء في حديث (الموطأ): فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يقدم معاذ، وما جاء على خلاف ذلك ففي صحته كلام.

وقوله: (**جشعاً**) قال الطيبي[٤]: الجشع: الجزع لفراق الإلف، وفي

---

(١) «القاموس» (ص: ٤٩٢).

(٢) «الصحاح» (١/ ٢٨).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٢٨).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٢٨).

ثُمَّ الْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيَ الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا». رَوَى الأَحَادِيث الأَرْبَعَةَ أَحْمدُ. [حم: ٢/ ٣٦٢، ٦/ ٤٩، ٥/ ٤١٢، ٥/ ٢٣٥].

٥٢٢٨ ـ [٧٤] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ لِتِلْكَ مِنْ عَلَمٍ يُعْرَفُ بِهِ؟ قَالَ: ....

(القاموس)[1]: الجشع محركة: أشد الحرص وأسوؤه، وفي (الصراح)[2]: جشع غالب آمدن حرص وسخت آرزو مند شدن.

(بكى) لغاية الحرص على صحبة رسول الله ﷺ، لأجل فراقه.

وقوله: (التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة ... إلخ)، يعني إذا رجعت إلى المدينة فاقتد بأولى الناس بي، وهم المتقون، وليس ذلك مخصوصاً بالمدينة بل حيث كانوا.

٥٢٢٨ ـ [٧٤] (ابن مسعود) قوله: (﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾) قال البيضاوي في (تفسيره)[3]: فيتّسع له، ويَفسح فيه مَجالَه، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق، مهيأة لحلوله فيها، مصفاة عما يمنعه وينافيه، وإليه أشار ﷺ حين سئل عنه فقال: (نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب المؤمن، فينشرح له وينفسح)، فقالوا: هل لذلك

(١) «القاموس» (ص: ٦٥٤).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٠٩).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٢/ ٢٠٢).

«نَعَمْ، التَّجَافِي مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ».

٥٢٢٩، ٥٢٣٠ ـ [٧٥، ٧٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي خَلَّادٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ يُعْطَى زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ يُلَقَّى الْحِكْمَةَ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٠٠٦٨، ٤٦٣١].



أمارة، الحديث، وتخصيص الصدر لأجل أنه وعاء القلب الذي هو منبع الأنوار ومحل الأسرار.

وقوله: (التجافي من دار الغرور): (التجافي): التباعد، في (الصحاح)[1]: تجافى جنبه عن الفراش: تباعد، و(دار الغرور): الدنيا، في (القاموس)[2]: غره غرًّا وغروراً وغرة، فهو مغرور: خدعه، وأطمعه بالباطل، فاغتر، وفي (الصراح)[3]: غرور بالضم: فريفتن، غرور بالفتح فريبنده، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣].

٥٢٢٩، ٥٢٣٠ [٧٥، ٧٦] (أبو هريرة، وأبو خلاد ﵄) قوله: (فإنه يلقى الحكمة) بضم التحتانية وفتح اللام وتشديد القاف على صيغة المجهول، أي: يؤتى،

---

(١) «الصحاح» (١/ ٩٥).

(٢) «القاموس» (ص: ٣٨٧).

(٣) «الصراح» (ص: ٢٠٢).

١ ـ باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾[النمل: ٦].

١ ـ باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ

اختلفوا في أن الفقير الصابر أفضل أم الغني الشاكر؟ فقال بعضهم: الغني أفضل؛ لأنه تأتي الخيرات والقربات منه أكثر مما تأتي من الفقير، وقد قال رسول الله ﷺ في شأن الأغنياء: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) كما مر في (باب الذكر بعد الصلاة)، وبعضهم على أن الفقير أفضل؛ لما أن العبادة مع شدة الفقر وتعبه أشق وأمر، ودلائل الجانبين مذكورة في موضعها، وكفى بأحاديث الباب دليلاً وحجة للفرقة الثانية، وكان شيخنا يروي عن شيخه علي المتقي رحمة الله عليهما أنه لم يأخذ بيدي ولم يبايعني حتى أخذ مني الإقرار باللسان بأفضلية الفقر على الغنى، وقال: قولوا: الفقر أفضل من الغنى، ثم بايع، انتهى.

وكفى بحال سيد المرسلين وإمام المتقين ﷺ حجة على أفضلية الفقر وإن كان العلماء يتحاشون عن إطلاق اسم الفقير عليه ﷺ؛ لأنه ينبئ في العرف عن شيء من الضعف والهوان، وأنه ﷺ أغنى الأغنياء، وملك ملوك الأرض والسماء، كذا سمعت من شيخي رحمة الله عليه، وقد نقل عن سيدنا ومولانا شيخ الثقلين محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني ﷺ أنه سئل عن الغني الشاكر أفضل أم الفقير الصابر؟ فقال: الفقير الشاكر أفضل من كل منهما، وهو في الحقيقة إشارة إلى أفضلية الفقر، يعني أنه ينبغي أن يشكر الفقير على فقره؛ لكونه نعمة عظيمة من الله سبحانه عليه.

هذا وقد اشتهر عن بعض فقراء الصوفية أنه قال: الفقر الاضطراري أفضل من الغنى، سيما الاختياري منه، وينبغي أن يعلم أنه ماذا يريد من الفقر الاضطراري؛ فإن

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٢٣١ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٢٢].

أراد الفقر الذي لا صبر معه فحاشا؛ لأنه كاد أن يكون كفراً، بل مراده منه أن الله اضطره إلى الفقر واختار لـه ذلك وهو لا يريد ولا يختار، بل يريد الغنى، وهو سبحانه جعله فقيراً بلطفه ورؤية صلاح حاله، ورزقه فيـه الصبر والرضا كما ينبغي ويجري، والفقر الاختياري: أن يترك الغنى ويختار الفقر بإرادة منـه، ورؤية صلاحه فيه، فالقائل بهذا القول لو رجح هذا الفقر الاضطراري على الاختياري وقال: ذلك مقام المحبوبية اختاره الله تعالى له، وهذا مقام المحبة اختاره العبد لنفسه، لم يبعد، والله أعلم.

الفصل الأول

٥٢٣١ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (رب أشعث) والشعث محركة: انتشارُ الأمر، ومصدرُ الأشعث، للمغبر الرأس، شعث كفرح، والتشعث: التفرق.

وقوله: (لو أقسم على الله لأبره) قيل: معناه أي: لو سأل الله شيئاً وأقسم عليه أن يفعله لفعله ولم يخيب دعوتـه، وقيل: معناه لو حلف أن الله يفعله أو لا يفعله صدقه في يمينه وأبره فيها، وهذا هو الأظهر، ويؤيده حديث أنس بن النضر: لا والله لا تكسر ثنيتها، وقد مر الحديث في (باب الدية)، قال الطيبي[١]: ومما يؤيد الأول لفظ (على الله)؛ لأنه أراد به المسمى، ولو أريد به اللفظ لقيل: بالله، انتهى.

ويجوز أن يقال: صلة قسم محذوف، و(على الله) متعلـق بفعل مقدر تقديره: لو أقسم بالله معتمداً على الله في غيـر بـره لأبره، فافهم. وللحديث تأويل آخر قريب

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣٠).

٥٢٣٢ ـ [٢] وَعَن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ؟». رَوَاهُ البُخَارِيّ. [خ: ٢٨٩٦].

٥٢٣٣ ـ [٣] وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، . .

من هذا المعنى ذكرته في (الفصل الأول) من (باب الغضب والكبر) من حديث حارثة.

٥٢٣٢ ـ [٢] (مصعب بن سعد) قوله: (رأى سعد) هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة.

وقوله: (أن له فضلاً على من دونه) ممن ليس في مرتبته في السخاوة، أو المراد شخص معين كان ضعيفاً فقيراً، فقال رسول الله ﷺ: إنما تنصرون على الأعداء ويوسع عليكم الرزق ببركة ضعفائكم وفقرائكم، فبمَ تفخرون بشجاعتكم وسخاوتكم؟

٥٢٣٣ ـ [٣] (أسامة بن زيد) قوله: (قمت على باب الجنة) هذا إما إخبار بما سيقع في الآخرة، والتعبير بلفظ الماضي لتحقق الوقوع، أو رأى ذلك ليلة الإسراء، أو كوشف له ﷺ ذلك في غيرها يقظة أو مناماً، والله أعلم.

وقوله: (فكان عامة من دخلها المساكين) صحح لفظ (عامة) و(المساكين) بالرفع والنصب، فالرفع على أنه اسم (كان)، والنصب على الخبرية.

وقوله: (وأصحاب الجد) بفتح الجيم وتشديد الدال، الجد: البخت والحظ والرزق والعظمة، كذا في (القاموس)[1]. وفي (الصراح)[2]: الجد بهره وبخت

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٤٦).

(٢) «الصراح» (ص: ١٣٤).

غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخلهَا النِّسَاء». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٤٧، م: ٢٧٣٦].

٥٢٣٤ ـ [٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: عقب حديث: ٦٤٤٩، م: ٢٧٣٦].

٥٢٣٥ ـ [٥] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٧٩].

وبي نيازي وتوانگري وعظمت وبزرگ شدن در چشم كسي.

وقوله: (غير أن أصحاب النار . . . إلخ)، فالناس قسمان: كافر ومؤمن، والمؤمنون فقراء وأغنياء، فالكافرون هم أصحاب النار يؤمر بهم إلى النار حتماً، والفقراء الذين لا تبعة عليهم يدخلون الجنة بغير حساب، والأغنياء ومن في حكمهم من عصاة الفقراء يحبسون حتى يحاسبوا، إما أن يعفى عنهم فيدخلوا الجنة، أو يعذبوا ومصيرهم إلى الجنة، هذا هو المراد من الحديث موافقاً لما هو المذهب، فافهم.

٥٢٣٤ ـ [٤] (ابن عباس) قوله: (اطلعت في الجنة) أي: اطلعت على الناس في الجنة، حال منه أو منهم، وقال الطيبي[1]: ضمن (اطلعت) معنى تأملت، ولذلك عدي بـ (في)، فافهم.

٥٢٣٥ ـ [٥] (عبدالله بن عمرو) قوله: (إن فقراء المهاجرين) ظاهر الحديث

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣١).

٥٢٣٦ ـ [٦] وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، ....

يدل على تخصيص هذا الحكم بالفقراء من المهاجرين والأغنياء منهم، وقد دل بعض الأحاديث على إطلاقه وعلى كون القبلية بخمس مئة عام، ولعل ذلك في غير المهاجرين من الأصحاب، وبهذا يندفع المنافاة بين هذا الحديث وبين الحديث الآتي في أول (الفصل الثاني) من حديث أبي هريرة: (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام)، ففقراء المهاجرين يتقدمون على أغنيائهم بأربعين عاماً؛ لأن بعض أغنياء المهاجرين كانوا من فضلاء الصحابة وأكابرهم، بل أفضل من الفقراء، كالذين هم من العشرة، وعلى غير المهاجرين من الأغنياء يتقدمون بخمس مئة، سواء كان الفقراء من المهاجرين أو من غيرهم، ومن الأصحاب ومن غيرهم.

وقيل: إن الفقراء الذين في قلوبهم ميل ورغبة إلى الدنيا يتقدمون على الأغنياء بأربعين، والزهاد من الفقراء يتقدمون بخمس مئة، فتدبر، والمراد بالخريف العام؛ لأن العرب يبتدؤون العام بالخريف، سمي خريفاً لأنه تخرف فيه الثمار، أي: تجتنى.

٥٢٣٦ ـ [٦] (سهل بن سعد) قوله: **(فقال)** الضمير للرسول الله ﷺ، وكذلك ضمير (عنده).

وقوله: **(جالس)** مجرور صفة أخرى، أو مرفوع فاعل الظرف، والجملة صفة.

وقوله: **(ما رأيك)** أي: ما اعتقادك في هذا الرجل خير أو شر.

وقوله: **(فقال)** أي: الرجل عنده، و**(رجل)** خبر مبتدأ محذوف، أي: هو رجل، وفي آخر الحديث (هذا خير) إشارة إلى الرجل المتأخر المار الذي استحقره الرجل،

هَـذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَـذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَـذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١]. [خ: ٦٤٤٧].

٥٢٣٧ ـ [٧] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٤١٦، م: ٢٩٧٠].

٥٢٣٨ ـ [٨] وَعَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..............................

ولفظ (هـذا) الأخيـر إشارة إلى الرجل المار الأول الذي استعظمـه، و(مثل هذا) إما تمييز من النسبة، أو بدل من (ملء).

٥٢٣٧ ـ [٧] (عائشة) قوله: (ما شبع آل محمد) وهذا كان باختيار منهم الفقر وترك الدنيا ولذاتها وقناعتهم بأدنى قوت، وإيثارهم الفقراء والمساكين على أنفسهم مع وجود الاحتياج والمحبة ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان: ٨].

٥٢٣٨ ـ [٨] (سعيد المقبري) قوله: (المقبري) بفتح الباء وضمها، وقد يكسر، نسبة إلى المقبرة: موضع القبور، كان يسكن فيه.

---

(١) لم أجده في «صحيح مسلم»، ولم يعزه المزي في «تحفة الأشراف» (٤/ ١١٤) إلا للبخاري.

شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ وَقَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٤١٤].

٥٢٣٩ ـ [٩] وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعاً لَهُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيراً لِأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ....

وقوله: (مصلية) أي: مشوية، يقال: صليت اللحم بتخفيف اللام، أي: شويته.

٥٢٣٩ ـ [٩] (أنس) قوله: (وإهالة سنخة) في (القاموس)[(١)]: الإهالة: الشحم، أو ما أذيب منه، أو الزيت، وكل ما ائتدم به، وفي الحديث الآخر: يدعى إلى خبز الشعير والإهالة فيجيب، هو كل شيء من الأدهان مما يؤتدم به، وقيل: ما أذيب من الألية والشحم، وقيل: الدسم الجامد، كذا في (مجمع البحار)[(٢)]، و(السنخة) بفتح السين المهملة وكسر النون، في (القاموس)[(٣)]: السنخ محركة: التغير، قد سنخ الدهن كفرح: زنخ، أي: تغير، والسناخة: الريح المنتنة، وفي حديث آخر: دعاه رجل مقدم إليه إهالة سنخة، وفي هذا يروى (زنخة) بالزاي أيضاً، وهي بمعنى سنخة.

وقوله: (ولقد سمعته) قال الطيبي[(٤)]: ضمير المفعول لأنس، والفاعل هو راوي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٦٧).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ١٣٥).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٢٣٠).

(٤) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣٣).

مَا أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعُ بُرٍّ وَلاَ صَاعُ حَبٍّ، وَإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعُ نِسْوَةٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٢٠٦٩].

٥٢٤٠ ـ [١٠] وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، ....

أنس، وفي بعض الحواشي: الحق أن الضمير راجع إلى النبي ﷺ، والفاعل هو أنس، كما صرح به الشيخ ابن حجر، ويدل عليه رواية أحمد حيث قال: ولقد سمعت رسول الله ﷺ، ويؤيده قوله: (**ما أمسى عند آل محمد**) إذ لو كان ذلك من كلام الراوي لناسب أن يقول: عند آل النبي ﷺ، انتهى.

أقول: الظاهر أن قوله: (وإن عنده لتسع نسوة) داخل تحت (يقول)، وإنه يناسب أن يكون مقول أنس، ومن هنا ذهب الطيبي إلى ما ذهب، نعم لو جعل هذا منفصلاً عن الكلام السابق مقولاً لأنس لصحّ ما قال في الحاشية، ولعله ليس في رواية أحمد هذا القول، والله أعلم.

وقوله: (**ما أمسى**) أي: لم يدخر في الليل للغد.

وقوله: (**عند آل محمد**) قيل: لفظ (آل) مقحم، أو كان ذلك في أوائل الحال، وإلا فقد ثبت أنه ﷺ ادخر نفقة سنة لعياله، هذا وما قيل: إن المراد أنه ما ادخر البر والحب بل ادخر أجناساً أخر فضعيف، وإلا لقد وسعه أن يقول: ما أمسى صاع بر، وقيل: ما ادخر الصاع بل أكثر من ذلك، وهو ليس بشيء، ويمكن أن يقال: إن ذلك بحسب الغالب من الأوقات، والله أعلم.

وقوله: (**وإن عنده لتسع نسوة**)، وفي رواية: إن عنده يومئذ لتسع نسوة.

٥٢٤٠ ـ [١٠] (**عمر**) قوله: (**على رمال حصير**) صحح (رمال) في النسخ بضم

لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئاً عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ.................................

الراء وكسرها، وفي الحواشي: الرمال بكسر الراء وضمها جمع رميل بمعنى مرمول، أي: منسوج، وفي (القاموس)[1]: رمال الحصير كغراب: مرموله، وفي (مجمع البحار)[2]: الرمال ما رمل، أي: نسج من رمل الحصير، وأرمله ورمّله مشدداً للتكثير، وهو كالخطام لما خطم، وقيل: هو جمع رمل بمعنى مرمول كالخلق بمعنى المخلوق، والمراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير، هكذا قال الطيبي[3]، ولا يذهب عليك أنه يفهم من نسج وجه السرير بالسعف أن نفس السرير كان منسوجاً بالسعف كما ينسج في ديارنا بالحبال، ولا يناسبه قوله: (ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير)؛ فإنه يفهم من أنه كان الحصير مطروحاً على السرير كما يطرح اللحاف، فأولى أن يكون (أو) مكان الواو، ليكون بياناً لاحتمالين. وفيه (رمال حصير) من إضافة الجنس إلى النوع، كذا في بعض الحواشي، وتكون حينئذ الإضافة بيانية كما في إضافة العام إلى الخاص، مثل شجرة الأراك، أي: منسوج هو الحصير، فيفهم منه أنه كان مضطجعاً على الحصير بدون فراش آخر على الحصير موضوعاً على السرير أولاً، فافهم.

وقوله: (من أدم) محركاً اسم للجمع، واحده أدمة: الجلد أو أحمره أو مدبوغة، والأديم كذلك.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٠٧).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٨٣).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣٣).

حَشْوُهَا لِيفٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ، فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللهَ، فَقَالَ: «أَوَفِي هَذَا أَنْتَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا». وَفِي رِوَايَةٍ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٤٦٨، م: ١٤٧٩].

وقوله: (حشوها ليف) في (القاموس)[1]: الحشو: ملء الوسادة وغيرها بشيء، وما يجعل فيها حشو أيضاً، والحشية كغنية: الفراش المحشو، أي: كانت الوسادة محشوة بالليف بكسر اللام وسكون الياء: قشر النخلة، وفي (الصراح)[2]: ليف بالكسر: پوست درخت خرما ليفته يكي، فهو مكان القطن المحشو في الوسائد.

وقوله: (ادع الله) أي: ادع الله أن يوسع، ثم طلب عمر التوسعة من عند نفسه بقوله: (فليوسع) على صيغة أمر الغائب استعجالاً للإجابة، وقال الطيبي[3]: الظاهر نصبه ليكون جواباً للأمر، فافهم. ثم لما أجل عمرُ ﷺ شأنَه ﷺ أن يطلب توسعة الدنيا لنفسه الشريفة وفيها من القوة ما يتحمل، وله الأجر العظيم عند الله ما ليس لغيره، وشأنه أعلى وأعز من الكل، وخاف صعوبة الفقر وشدته على الأمة الضعيفة أن لا يتحملوه، خصَّ طلبَ الدعاء بالأمة، ومع هذا شدد ﷺ الإنكار عليه وخاطبه من غير ذكر اسمه، بل نسبه إلى أبيه الذي كان من الجاهلين الغافلين عن نعيم الآخرة وثوابها، وقال: أتطلب هذا وفي هذا المقام أنت يا بن الخطاب؟

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٤٧).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٦٣).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣٣).

٥٢٤١ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤٤٢].

٥٢٤٢ ـ [١٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ». . . . . . .

٥٢٤١ ـ [١١] (أبو هريرة) قوله: (ما منهم رجل عليه رداء) أي: مع الإزار، بل (إما إزار) فقط، وهو الملحفة، وتؤنث، كالمئزر، كذا في (القاموس)[١]، وفي (الصراح)[٢]: ازار مئزر: شلوار ما نند آن مثل لحاف وملحف يذكر ويؤنث.

وقوله: (وإما كساء) قال في (القاموس)[٣]: هو بالكسر معروف، وفي (الصراح)[٤]: كساء بالكسر والمد: گليم، وضمير الجمع في (ربطوا في أعناقهم) باعتبار المعنى، والمفرد في (بيده) باعتبار اللفظ.

وقوله: (فمنها) أي: من الأكسية والأزر.

٥٢٤٢ ـ [١٢] (وعنه) قوله: (إذا نظر أحدكم) أي: إذا وقع نظره (إلى من فضل عليه في المال والخلق) أي: الخلقة، أي: الصورة وجمالها، وتطرق منه الازدراء واحتقار نعم الله سبحانه، (فلينظر إلى من هو أسفل منه) ليدفع ذلك الخاطر، وأما

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٥٩).

(٢) «الصراح» (ص: ١٥٩).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٥).

(٤) «الصراح» (ص: ٥٨٥).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٩٠، م: ٢٩٦٣].

وَفِي رِوَايَـةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ».

* الْفَصْل الثَّانِي:

٥٢٤٣ ـ [١٣] عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُـلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِئَـةِ عَامٍ؛ نِصْفِ يَوْمٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٥٤].

٥٢٤٤ ـ [١٤] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: ....

الرواية الثانية ـ وهي قوله: (انظروا) ـ ابتداء كلام، وليس داخلةً تحت الشرط، والمراد انظروا إلى من هو أسفل منكم في الأمور الدنيويـة، وأما في الدينية فينبغي أن تنظروا إلى من هو أعلى منكم.

وقوله: (أن لا تزدروا) أي: لئلا تزدروا، من الازدراء، وهو الاحتقار، وأصل تزدروا تزتريوا قلبت التاء دالاً للقاعدة المقررة في باب الافتعال إذا كان فاؤه يـاء، ثم نقلت ضمة الياء إلى الراء، ثم حذفت لالتقاء الساكنين.

الفصل الثاني

٥٢٤٣ ـ [١٣] (أبـو هريرة) قولـه: (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام) قد سبق في حديث عبدالله بن عمرو تقدم الفقراء على الأغنياء بأربعين عاماً، وسبق وجه التوفيق بين الحديثين.

٥٢٤٤، ٥٢٤٥ ـ [١٤، ١٥] (أنس) قوله: ....

«اللهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً، يَا عَائِشَةُ لاَ تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ يُقَرِّبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [ت: ٢٣٥٢، شعب: ١٣٨٠].

٥٢٤٥ ـ [١٥] وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى قَوْلِهِ: «زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ». [جه: ٤١٢٦].

٥٢٤٦ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ابْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ؛ ....

(إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم) قد يتوهم منه أن الفقراء الذين ليسوا بأنبياء يتقدمون على الأغنياء من الأنبياء أيضاً، ولعل غرضه ﷺ مجرد إظهار فضل الفقراء وشرفهم، وطلب تقدمه على الأنبياء وخوف تأخره لو كان غنيًّا عن الأنبياء الذين هم فقراء، لا خوف تأخره عن الفقراء الذين ليسوا بأنبياء، فافهم.

وقوله: (لا تردي المسكين) إنما أفرده لأن المراد المسكين الوارد عليها للسؤال، وجمع في قوله: (أحبي المساكين) لأن محبة المساكين قاطبة مأمور بها السائلين منهم وغير السائلين.

٥٢٤٦ ـ [١٦] (أبو الدرداء) قوله: (ابغوني في ضعفائكم) من بغى يبغي كضرب يضرب، بغيته أبغيه بُغاء وبُغًى وبُغية بضمهن، وبِغية بالكسر: طلبته، كابتغيته واستبغيته، كذا في (القاموس)[1]، فالمعنى: اطلبوني في ضعفائكم، أي: فقرائكم، أي: في حفظ

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٧).

فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ ـ أَوْ تُنْصَرُونَ ـ بِضُعَفَائِكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٢٥٩٤].

حقوقهم وجبر قلوبهم تجدوني عندهم؛ فإني معهم بالقلب كما في الحديث القدسي: (أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي)، أو اطلبوا رضائي في رضاء ضعفائكم، وقد ذكر الشارحون أن (ابغوني) بهمزة وصلٍ كـ (ارم) وقطعٍ كـ (أعل)، أما الوصل فقد عرفت معناه، وأما القطع فلا يخلو عن خفاء، فإن الإبغاء الحمل على الطلب والإعانة على الطلب، قال في (الصراح)[1]: ابغاء بر طلب داشتن وياري كردن در طلب، وبمعنى الطلب له، في (القاموس)[2]: أبغاه الشيء: طلبه له أو أعانه على طلبه، انتهى.

وقال الكرماني: أبغيتك الشيء: أعنتك على طلبه، وقد تفسر بمعنى الإعطاء في حديث أبغني خبيباً، أي: أعطني، كذا في (مجمع البحار)[3]، وقد ضبطوا بهمزة الوصل والقطع في حديث (أبغني أحجاراً)، فالوصل بمعنى اطلب لي بحذف الصلة، والقطع بمعنى أعن على الطلب، وروي أبغ لي، وأما فيما نحن فيه فلا يخلو عن شيء، إذ بهذا المعنى يجيء متعدياً إلى مفعولين كما ذكرنا، وأيضاً لا يظهر معنى احملوني على الطلب، أو أعينوني على الطلب، أو أعطوني في ضعفائكم أن يكون المفعول الثاني محذوفاً، أي: ابغوني الحق في ضعفائكم، أي: احملوني على طلب الحق، أو أعينوني عليه، أو أعطونيه، ولا يخلو عن شيء، فتدبر، والله أعلم.

وقوله: (**فإنما ترزقون أو تنصرون**) كلمة (أو) للشك أو للتنويع، أو (أو) بمعنى الواو، وهذا أنسب بحديث مصعب بن سعد، كذا في بعض الحواشي.

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٤٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٧).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٩/ ٢٠٧).

٥٢٤٧ ـ [١٧] وَعَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ أَسِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السّنة». [شرح السنة: ٤٠٦٢].

٥٢٤٨ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَغْبِطَنَّ فَاجِراً بِنِعْمَةٍ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا هُوَ لاَقٍ بَعْدَ مَوْتِهِ، إِنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ قَاتِلاً لاَ يَمُوتُ». يَعْنِي النَّارَ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السّنة». [شرح السنة: ١٤/ ٢٩٥].

٥٢٤٩ ـ [١٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، وَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ». . . . .

٥٢٤٧ ـ [١٧] (أمية بن خالد) قوله: (ابن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين.

وقوله: (كان يستفتح بصعاليك المهاجرين) الصعلوك كعصفور: الفقير، وتصعلك: افتقر، وتصعلكت الإبل: طرحت أوبارها، صعلكه: أفقره، كذا في (القاموس)[1]، (الاستفتاح): الاستنصار والافتتاح، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ﴾[البقرة: ٨٩]، أي: يستنصرون على المشركين، ويقولون: اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة، فكذلك كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم انصرنا بفقراء المهاجرين، ويمكن أن يكون بمعنى الافتتاح، أي: كان يفتتح بهم في الإحسان، كذا في الحواشي، والوجه هو الأول.

٥٢٤٨ ـ [١٨] (أبو هريرة) قوله: (فإن له قاتلاً) أي: معذباً شديداً (لا يموت) أي: لا يفنى.

٥٢٤٩ ـ [١٩] (عبدالله بن عمرو) قوله: (الدنيا سجن المؤمن وسنته) أي:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٥١).

رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤١٠٦].

٥٢٥٠ ـ [٢٠] وَعَن قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [الزهد لأحمد: ٥٨، ت: ٢٠٣٧].

٥٢٥١ ـ [٢١] وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: يَكْرَهُ الْمَوْتَ........................

قحطه، أي: هو في شدة ومحنة في الدنيا بالنسبة إلى ما أعدّ له في الآخرة، أو يمنع نفسه من شهوات الدنيا وملاذها، ويفهم بالقياس إليه معنى ما ورد في حديث آخر: (وجنة الكافر).

٥٢٥٠ ـ [٢٠] (أبو الدرداء) قوله: (حماه الدنيا) في (القاموس)[1]: حمى المريض ما يضره: منعه إياه، فاحتمى وتحمى: امتنع، و(يظل) بفتح الياء والظاء مضارع (ظل) من الأفعال الناقصة بمعنى صار، وهي زائدة هنا.

وقوله: (يحمي سقيمه الماء) أي: لزاد به[2]، كالمستسقي يعني السقيم الذي يضره الماء، وفيه إشارة إلى حرص أهل الدنيا وشرههم كالمستسقي لا يصبر عن الماء ولا يرتوي.

٥٢٥١ ـ [٢١] (محمود) قوله: (عن محمود بن لبيد) اختلف في صحبته، وأثبت له الصحبة البخاري، وهو الصحيح.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٤٩).

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: «لئلا يزيد».

وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ. رَوَاهُ أَحْمدُ. [حم: ٥/ ٤٢٧].

٥٢٥٢ ـ [٢٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ، قَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ»، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: «إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً، لَلْفَقْرُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ(١). [ت: ٢٣٥٠].

٥٢٥٣ ـ [٢٣] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ أُخِفْتُ. . . . .

وقوله: (من الفتنة) هي الوقوع في الشرك والمعاصي والابتلاء، كالإكراه من الجورة ونحو ذلك.

٥٢٥٢ ـ [٢٢] (عبدالله بن مغفل) قوله: (فأعدّ للفقر تجفافاً) بالكسر: آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب، وجفف الفرس: ألبسه إياه، كذا في (القاموس)(٣)، ويقال بالفارسية: بركستوان، كنى به عن الصبر، و(السيل): الماء الكثير السائل، كذا في (القاموس)(٤)، (إلى منتهاه) أي: لا بد من وصول الفقر إليه.

٥٢٥٣ ـ [٢٣] (أنس) قوله: (لقد أخفت) ماضي مجهول من أخاف.

---

(١) في نسخة: «حسن غريب».

(٢) سقط في نسخة.

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧١٧).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٩١٦).

فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَـدٌ، وَلَقَدْ أَتَـتْ عَلَيَّ ثَلاَثُونَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ وَمَـا لِي وَلِبِـلاَلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِـدٍ إِلاَّ شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلاَلٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقَالَ: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: حِينَ خَرَجَ النَّبِـيُّ ﷺ هَارِباً مِنْ مَكَّةَ وَمَعَـهُ بِلاَلٌ، إِنَّمَا كَانَ مَعَ بِلاَلٍ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَحْمِلُ تحتَ إِبْطِهِ. [ت: ٢٤٧٢].

وقولـه: (**في الله**) أي: لأجـل إظهـار ديـن الله، (**وما يخاف أحد**) على صيغة المجهول أيضاً، وهي جملة حالية، أي: خوفت في ديـن الله وحدي، وما معي أحد يشاركني، وكنت وحيداً في ابتداء إظهار الدين، وكذا معنى قوله: (**ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد**) أي: لم يوافقني أحد في تحمل الأذى، كذا قال الطيبي[1]، ويجوز أن يكون معناه: ما يخاف أحـد مثل ما أخفت، وما يؤذى مثل ما أوذيت، كما يدل عليه حديث: (ما أوذي نبـي مثـل ما أوذيت)، وذلك لعلـو درجتـه وكمـال صدقـه وغاية حرصه على الهداية، وإيذاء كل أحد إنما يكون على حسب قدره وحاله، فافهم.

وقوله: (**ثلاثون من بين ليلة ويوم**) قيل: هي تأكيد للشمول، أي: ثلاثون يوماً وليلة متواترات لا ينقص منها شيء، يعني لو قال: ثلاثون يوماً وليلة لم يكن نصًّا في التواتر، وزيادة قوله: (من بين) يقيد الشمول والتواتر، كذا قالوا، فتدبر.

وقوله: (**يأكله ذو كبد**) أي: حيوان، أعم من الإنسان، و(**الإبط**) بكسرتين وكسر وسكون، [«إلا شيء»] أي: شيء قليل.

وقوله: (**ومعنى هذا الحديث**) أي: محمله حال النبي ﷺ حين خرج ومعه بلال،

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٣٩).

٥٢٥٤ ـ [٢٤] وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ[1] ﷺ الْجُوعَ، فَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٣٧١].

وأفاد بقوله: (ومعه بلال) أن الخروج غير الهجرة إلى المدينة؛ لأنه لم يكن معه بلال فيها، فلعل المراد خروجه ﷺ هارباً من مكة في ابتداء أمره إلى الطائف إلى عبد كلال ـ بضم الكاف مخففاً ـ رئيس أهل الطائف؛ ليحميه من كفار مكة حتى يؤدي رسالة ربه، فسلط على النبي ﷺ صبيانه فرموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه ﷺ، وكان معه زيد بن حارثة فعطش عطشاً شديداً، فأرسل إليه سحابة ماطرة، فنزل جبرئيل عليه السلام بملك الجبال ليأذن له في هلاكهم، فقال ﷺ: «لا، فإني أرجو أن يخرج من أصلابهم من يذكر الله بالتوحيد»، وفيه قصة، والمذكور فيها وجود زيد بن حارثة معه ﷺ لا بلال، والله أعلم.

٥٢٥٤ ـ [٢٤] (أبو طلحة) قوله: (فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر) قال بعض الشارحين: (عن حجر حجر) متعلق بـ (رفعنا عن بطوننا)؛ فإن قيل: تعلق حرفي جرٍّ بمعنى واحد بعامل واحد لا يجوز، قلنا: ذلك إذا كانا في مرتبة واحدة، أما تعلق الثاني بعد تعلق الأول وتقييده به فجائز، وقيل: إنه بدل اشتمال بإعادة الجار، والضمير محذوف، تقديره: حجر مشدود علينا؛ بأن يحمل التنكير على النوع، ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف، أي: كشفنا عن بطوننا كشفاً ناشئاً عن حجر حجر، أي: متعدد لكل واحد حجر، وشد الحجر على البطن يفيد تقوية الصلب، ويمنع عن النفخ، ويعين على القيام والمشي.

---

(١) في نسخة: «النبي».

٥٢٥٥ ـ [٢٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ أَصَابَهُمْ جُوعٌ، فَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَمْرَةً تَمْرَةً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٧٤].

٥٢٥٦ ـ [٢٦] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِراً صَابِراً، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، كَتَبَهُ اللهُ شَاكِراً صَابِراً، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِراً وَلَا صَابِراً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٥١٢].

وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ: «أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ[1]» فِي بَابٍ بَعْدَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ.

٥٢٥٥ ـ [٢٥] (أبو هريرة) قوله: (أصابهم) أي: الصحابة أو أهل الصفة في سفر أو حضر، والله أعلم.

وقوله: (فأعطاهم تمرةً تمرةً) لضيق كان حينئذ، ويحتمل أنهم كانوا قد شبعوا بذلك معجزة له ﷺ.

٥٢٥٦ ـ [٢٦] (عمرو بن شعيب) قوله: (فاقتدى به) فصبر على طاعة الله.

وقوله: (فأسف) أي: حزن، في (القاموس)[2]: الأسف: أشد الحزن، انتهى. وأسف عليه يجيء بمعنى غضب، ولا يناسب هنا؛ لأن الغضب لا يكون على ما فات

---

(١) زاد بعده في نسخة: «بالنور التام».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧١٢).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٢٥٧ ـ [٢٧] عَن أبي عبد الرَّحْمَن الحُبُلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو وَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَـهُ عَبْدُاللهِ: أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْـتَ مِنَ الأَغْنِيَـاءِ، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمـاً، قَالَ: فَأَنْـتَ مِنَ الْمُلُوكِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: . . . .

بل على من فوته عليه، إلا أن يكون التقدير غضب على من فوته عليه بناء على ما فات، وما موصولة أو مصدرية.

الفصل الثالث

٥٢٥٧ ـ [٢٧] (أبو عبد الرحمن) قوله: **(عن أبي عبد الرحمن الحبلي)** بضم الحاء المهملة والموحدة، تابعي يعدّ في المصريين، واسمـه عبدالله بن زيد المصري المعافري.

وقوله: **(سمعت عبدالله بن عمرو، وسأله رجل)** المسموع قولـه **(قال: فأنت من الأغنياء)** لكنه جاء بلفظ الماضي دون المضارع كما هو المتعارف، ومعنى الماضي صحيح بلا شبهة، (وسأله رجل) حال بتقدير (قد)، وقال الطيبي[1]: لا بد من محذوف، أي: سمعته يقول قولاً يفسره ما بعده، فتدبر.

وقوله: **(قال عبد الرحمن)** سقط لفظ (أبـو) مـن قلم الناسخ، وشاعت النسخ كذلك، والصواب أبو عبد الرحمن.

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٤١).

وَجَاءَ ثَلاَثَـةُ نفَرٍ إِلَى عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو وَأَنَـا عِنْـدَهُ فَقَالُوا: يَا أَبَـا مُحَمَّدٍ إِنَّـا وَاللهِ[1] مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، لاَ نَفَقَةٍ وَلاَ دَابَّـةٍ وَلاَ مَتَاعٍ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ؟ إِنْ شِئْـتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللهُ لَكُمْ، وَإِنْ شِئْـتُمْ ذَكَرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ، وَإِنْ شِئْـتُمْ صَبَرْتُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِـقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً»، قَالُوا: فَإِنَّا نَصْبِـرُ لاَ نَسْأَلُ شَيْئاً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٧٩].

٥٢٥٨ ـ [٢٨] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَلْقَةٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ.......................

وقولـه: (وجاء ثلاثة نفر) أي: مـن المهاجرين، كلام مستأنف، وجعله حالاً عطفاً على (سأل) تكلف؛ إذ الظاهر على هذا التقدير إليـه إلا أن يكون وضع المظهر موضع المضمر لبعد المرجع، وينافيه أيضاً الفاء في قولـه: (فقال) على ما قلنا، نعم على ما قدر الطيبي صحيح، فتدبر.

وقوله: (فقال لهم: ما شئتم؟) استفهام.

وقوله: (إن شئتم) مفعوله محذوف، أي: إن شئتم نعطيكم شيئاً، ولكن رجعتم إلينا بعد هذا؛ فإن الساعة ما حضرنا شيء، والسلطان هو معاوية، فإن عبدالله بن عمرو كان فيهم لرضا والده؛ لوصية رسول الله ﷺ إياه برضاه مجملاً، ولـم يكن في باطنـه راضياً عنهم، كما ذكر في كتب السير[2].

٥٢٥٨ ـ [٢٨] (عبدالله بـن عمـرو) قولـه: (وحلقة من فقراء المهاجرين) في

---

(١) في نسخة: «يا با محمد والله».

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٥٠).

قُعُودٌ إِذْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ إِلَيْهِمْ، فَقُمْتُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِيُبَشَّرْ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ بِمَا يَسُرُّ وُجُوهَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ عاماً»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَلْوَانَهُمْ أَسْفَرَتْ. قَالَ عَبْدُاللهِ ابْنُ عَمْرٍو: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ أَو مِنْهُم. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢٨٨٦].

(القاموس)[١]: حلقة الباب والقوم بفتح الحاء وسكون اللام، وقد تفتح لامهما وتكسر إذ ليس في كلامهم حلقة محركة إلا جمع حالق، أو لغة ضعيفة، والجمع حلق محركة، وكبِـدَرٍ، وحلقات محركة، وتكسر الحاء، انتهى. والحاصل أن الأصل الكثير الاستعمال حلقة بفتح الحاء وسكون اللام، والقياس أن يجيء جمعه حلق بسكون اللام، وقد جاء بفتح الحاء واللام على غير القياس كبدر جمع بدرة، وجاء جمعه حلق بكسر الحاء وفتح اللام أيضاً، ويفهم من (الصحاح)[٢]: أن بِدَراً جمع بَدْرَة مثال لهما، وقد يجيء حلقة بفتح الحاء واللام، فحينئذ يكون جمعه حَلَق على القياس لكنها لغة ضعيفة، وقيل: حلقة بفتحها ليس إلا جمع حالق، وقد يجيء حلقة بفتح الحاء وكسر اللام ويكون جمعه كذلك، فتدبر.

وقوله: **(ليبشر)** بلفظ المضارع المجهول من التفعيل.

وقوله: **(بما يسر وجوههم)** المراد بالوجوه الذوات، أو هو محمول على الظاهر، وتعليق السرور بالوجوه؛ لأن أمر السرور يحصل ظاهراً في الوجه.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٨).

(٢) «الصحاح» (٤/ ١٤٦٢).

٥٢٥٩ ـ [٢٩] وَعَنْ أَبِـي ذَرٍّ قَالَ: أَمَرَنِي خَلِيلِي بِسَبْعٍ: أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَلاَ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُـوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَـقِّ وَإِنْ كَـانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لاَ أخاف فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ؛ فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ١٥٩].

٥٢٦٠ ـ [٣٠] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ مِنَ الدُّنْيَا ثَلاَثَـةٌ: الطَّعَامُ وَالنِّسَاءُ وَالطِّيبُ، فَأَصَابَ اثْنَيْنِ وَلَمْ يُصِبْ وَاحِداً، أَصَابَ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ وَلَمْ يُصِبِ الطَّعَامَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٦، ٧٢].

٥٢٥٩ ـ [٢٩] (أبو ذر) قوله: (وإن أدبرت) أي: قطعت، في (القاموس)[١]: تدابروا: تقاطعوا، أو من الإدبار مقابل الإقبال، ويلزمه القطع، وعلى كل تقدير المراد أهلها، والإسناد إليها مجاز.

وقولـه: (فإنهن) أي: هـذه الكلمات، وهـي: (لا حول ولا قوة إلا بالله) كما سبقت في باب الأذكار، وقد سبق هناك شرحـه أيضاً، ويحتمل هذه العبارة أن يرجع الضمير إلى الخصال السبع المذكورة، أي: إنهن نازلة من كنز تحت العرش وأعطيتها منها كما ورد في فضل الآيتين الآخرتين من سورة البقرة، ولم يبينه الطيبي إما اعتماداً على ما ذكر في باب الأذكار أو على ما يتبادر من العبارة هنا، والله أعلم.

٥٢٦٠ ـ [٣٠] (عائشة) قوله: (ولم يصب الطعام) بحيث يستوفي لذته ويكثر

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٥٢).

٥٢٦١ ـ [٣١] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ. وَزَادَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بَعْدَ قَوْلِهِ: «حُبِّبَ إِلَيَّ»: «مِنَ الدُّنْيَا». [حم: ١٢٢٩٣، ن: ٣٩٣٩].

منه إكثار الطيب والنساء باختياره الفقر لمصلحة رآها في ذلك، واختار الله له ذلك.

٥٢٦١ ـ [٣١] (أنس) قوله: (**حبب إلي الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة، رواه أحمد والنسائي، وزاد ابن الجوزي بعد قوله: حبب إلي: من الدنيا**) واعلم أن لفظ الحديث بهذا الوجه مما أطبق عليه الأئمة، وأما زيادة (من الدنيا) أو (من دنياكم) و(ثلاث) فحالها كما سنذكره، وتفصيل الكلام ما ذكره السخاوي في (المقاصد الحسنة) بعد ذكره الحديث على الوجه المذكور في (المشكاة) قال: رواه الطبراني في (الأوسط) من حديث الأوزاعي عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس به مرفوعاً، وكذا هو عنده في (الصغير)، وكذا الخطيب في (تاريخ بغداد) من هذا الوجه، ورواه النسائي في (سننه) من حديث بشار عن جعفر عن ثابت عن أنس، والحاكم في (مستدركه) بدون لفظة: (جعلت)، وقال: إنه صحيح على شرط مسلم، وهو عند النسائي أيضاً من جهة سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة)، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى في (مسنديهما)، وأبو عوانة في (مستخرجه الصحيح)، والطبراني في (الأوسط)، والبيهقي في (سننه) وآخرون حسبما بينته موضحاً في جزء أفردته لهذا الحديث، وأفاد ابن القيم أن أحمد رواه في (الزهد) بزيادة لطيفة، وهي: (أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن).

. . . .

وأما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة (ثلاث) فلم أقف عليها إلا في موضعين من (الإحياء)، وفي تفسير آل عمران من (الكشاف)، وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش، وبذلك صرح الزركشي، فقال: إنه لم يرد فيه لفظ (ثلاث)، قال: وزيادته محيلة للمعنى؛ فإن الصلاة ليست من الدنيا، قال: وقد تكلم الإمام أبو بكر بن فورك على معناه في جزء، ووجه ما ثبت فيه (الثلاث)، ونحوه قول شيخنا في تخريج الرافعي تبعاً لأصله، وقد اشتهر على الألسنة بزيادة (ثلاث)، وشرحه الإمام أبو بكر بن فورك، وكذلك ذكره الغزالي، ولم نجد لفظ (ثلاث) في شيء من طرقه المسندة.

قال الولي العراقي في (أماليه): ليست هذه اللفظة ـ وهي (ثلاث) ـ في شيء من كتب الحديث، انتهى كلام السخاوي[1].

فعلم أن لفظ الحديث الذي اتفق عليه الأئمة (حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)، ولا إشكال فيه، وجاء في بعض الطرق (من الدنيا) أو (من دنياكم)، وفي بعض الكتب وقع (ثلاث)، فإن كان أحدهما فلا إشكال أيضاً، وإن كانا جميعاً كما يدور على ألسنة فيوجه تارةً بأن المراد من كونها من الدنيا وجودها فيها، أي: في حياة هذا العالم لا كونها مما يذم من الدنيا، فحاصله أنه حبب إلي في هذا العالم ثلاثة، اثنان منها من الأمور الطبيعية الدنياوية، والثالث من الأمور الدينية، وأخرى بأنه لم يذكر الأمر الثالث الدنياوي ملالة وسآمة منها، وعدل إلى الأمر الديني على طريقة التكميل، ودفع توهم أن لذته ومحبته للطيب ومعاشرة النساء لم تكن بحيث

(١) «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

. . . .

تشغله عن الحق ومناجاة الرب تعالى، ويجوز أن يكون الأمـر الثالث الغيـر المذكور في هذا الحديث هو الخيل كما جاء في حديث آخر عن أنس: لم يكن أحب إليـه ﷺ بعد النساء من الخيل، رواه النسائي، ويحتمل أن يكون هو الطعام كما علم من حديث عائشة ﵂، والله أعلم.

وإذا اشتغلنا وبادرنا بذكر طرق الحديث ذهلنا عن شرح الحديث وبيان معناه، فاعلم أن في قوله: (حبب) إشارة إلى إيداع محبـة هذه الأشياء في قلبـه ﷺ من الله، ولم يكن ذلك باختيار منه وتكلف، ولا بد أن ما حببه الله تعالى إلى حبيبه يكون محبوباً مرغوباً إلى الله تعالى، وفيه منافع ومصالح لا يعلمها إلا الله ورسوله، وكذلك قوله: (جعلت قرة عيني في الصلاة) يدل على أن ذلك بجعل الله وفعله تفضيلاً منه وتكريماً وتقريباً لنبيه من جانب شهوده وقربه، ولم يكن لرسول الله ﷺ حالة فرح وسرور وذوق وشهود أتم من الصلاة، وكانت معراجاً لـه ﷺ، ولذلك كان يقـول: (أرحنا يا بلال) أي: اجعلنا في راحة، وأشغلنا بها عن التوجه إلى ما سوى الحق.

وقرة العين كناية عن الفرح والسرور، والفوز بالبغية، والوصول بالمحبوب، لأن القرة إما من (القـر) بفتح القاف بمعنى القـرار والثبات؛ لأن العيـن تستقر بالنظر إلى المحبوب وتطمئن ولا تلتفت إلى جانب آخر، والمرء في حالة السرور ووجدان المقصود يسكن ويستقر في مكانه، وبالنظـر إلى غيـر المحبوب يشمئز ويلتفت يميناً وشمالاً، وكذلك في حال الخوف والفزع كما يفهم من قولـه: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[الأحزاب: ١٩].

أو مشتق من (القر) بضم القاف بمعنـى البـرد، وبرد العيـن ولذتها في مشاهدة

٥٢٦٢ ـ [٣٢] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ بِـهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: ....

المحبوب، وحرها واحتراقها بالنظر إلى الأعداء، ولذا يقال للولد: قرة العين.

وقوله: (في الصلاة) دون أن يقول: الصلاة إشارة بأن الفرح والسرور والاطمئنان إنما يحصل بالإحسان ومشاهدة الحق على حسب قولـه: (كأنك تراه) الذي يحصل له في الصلاة لا بنفس الصلاة، لأنها مما سوى ذات الله تعالى، والمشاهدة إنما تحصل بمطالعة الذات.

نعم الصلاة نعمة الله وفضل منه، وحصول الفرح بنعمـة الله تعالى وفضله أيضاً مقام عال، كمـا قـال تعالـى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[يونس: ٥٨]، لكنه دون مقام مشاهدة المفضل والمنعم، ومقامه ﷺ أعلى وأرفع، ولذلك قال: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ غيبة أو خطاباً، ولم يقل: فليفرح المؤمنون بفضل الله عليهم، وليكن فرحك يا محمد بي، ويمكن أن يكون لبعض أخص خواص الأمة نصيب من هذا المقام بمتابعته ﷺ، ولكن قرة العين بالشهود على قدر المشهود، ولما كان معرفتـه ﷺ أكمل مـن معرفـة كل عارف كان شهوده أتم من شهودهم، فلا يكون قرة عيونهم مثل قرة عينه ﷺ.

٥٢٦٢ ـ [٣٢] (معاذ بن جبل) قوله: (بعث به): (بعث) يجيء متعدياً بدون الباء، في (القاموس)[١]: بعثه كابتعثه: أرسلـه، وكذا في (الصحاح)[٢]، وكذلك يوجد في موارد استعمالـه، ولعلهم لم يطلقوا هذا على هذا الحديث إن كان صحيحاً، أو الباء مزيدة، أو المراد بعث الناس معه، والله أعلم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٢).

(٢) «الصحاح» (١/ ٢٧٣).

«إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ، فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ٢٤٣].

٥٢٦٣ ـ [٣٣] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَضِيَ مِنَ اللهِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ، رَضِيَ اللهُ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ من الْعَمَلِ».

٥٢٦٤ ـ [٣٤] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ جَاعَ أَوِ احْتَاجَ فَكَتَمَهُ النَّاسَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ يَرْزُقَهُ رِزْقَ سَنَةٍ مِنْ حلالٍ». رَوَاهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٤٢٦٥، ٩٥٨١].

وقوله: (إياك والتنعم): (التنعم): الترفه، والاسم النعمة بالفتح، الرفاهة والرفاهية بالتخفيف: لين العيش، رَفُهَ عيشه ككرم، فهو رَفِهٌ ورافِهٌ ورفهان ومترفِّه: مستريح متنعم، وفي (الصراح)[1]: رفه يسر علف وآب شدن شتر وتن آساني، رجل رافه، أي: وادع.

٥٢٦٣ ـ [٣٣] (علي) قوله: (من رضي من الله باليسير من الرزق، رضي الله منه بالقليل من العمل) ومفهومه من لم يرض باليسير من الرزق واستكثر وحرص، لم يرض الله منه بالقليل من العمل، بل طالبه بالكثير منه وأخذه على عمله، كما تدين تدان.

٥٢٦٤ ـ [٣٤] (ابن عباس) قوله: (فكتمه الناس) بالنصب مفعول ثاني لـ (كتم)، في (القاموس)[2]: كتمه واكتتمه وكاتمه إياه.

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٣٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٩).

٥٢٦٥ ـ [٣٥] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه. [جه: ٤١٧٣].

٥٢٦٦ ـ [٣٦] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: اسْتَسْقَى يَوْماً عُمَرُ، فَجِيءَ بِمَاءٍ قَدْ شِيبَ بعسلٍ، فَقَالَ: إِنَّه لَطيِّبٌ، لَكِنِّي أَسْمَعُ اللهَ ﷻ نعَى عَلَى قَوْمٍ شَهَواتِهِمْ فَقَالَ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] فَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، فَلَمْ يَشْرَبْهُ. رَوَاهُ رَزِينٌ.

٥٢٦٥ ـ [٣٥] (عمران بن حصين) قوله: (الفقير المتعفف) التعفف: الكف عن الحرام والسؤال عن الناس، قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقد سبق مراراً.

٥٢٦٦ ـ [٣٦] (زيد بن أسلم) قوله: (بماءٍ قد شيب) ماضي مجهول من الشوب على وزن (قيل) من القول، والشوب: الخلط والمزج.

وقوله: (نعى على قوم شهواتهم) في (القاموس)[1]: نعى على زيد ذنوبه: أظهرها وأشهرها، وفي (النهاية)[2]: أي: عاب عليهم شهواتهم، [يقال]: نعيت عليه أمراً: إذا عبته به ووبخته عليه، ونعى عليه ذنبه: أي شَهّره به، انتهى.

والمراد أنه أخبر بفوت شهواتهم في الآخرة باستمتاعهم بها في الدنيا.

وقوله: (حسناتنا) أي: ثواب حسناتنا، (عجلت لنا) أي: أخاف إن شربته أن

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠٥).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٨٥).

٥٢٦٧ ـ [٣٧] وَعَن ابنِ عمرَ قَالَ: مَا شَبِعْنَا مِنْ تَمْرٍ حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٤١٤٣].

❖ ❖ ❖



يكون هـذا التنعم ثواب حسناتنا استوفيناه فـي الدنيا، كما الكافر يعطى ثواب حسناته ويستوفيها فـي الدنيا، وهذا الخلق اكتسبه عمر ﷺ من زجره ﷺ إياه، بقوله: (أوفي هذا أنت يا بن الخطاب، أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) كما مر في (الفصل الأول).

٥٢٦٧ ـ [٣٧] (ابـن عمر) قوله: (ما شبعنا من تمر) فيه بيان غاية الفقر وشدة الاحتياج لكون التمر شائعاً ذائعاً فـي المدينة؛ فإذا لم يتيسر لهم ذلك قدر ما يشبعون به فكيف لغيره من الأطعمة، وفي خيبر أكثر من ذلك لا سيما فتح لهم ديارها.

٢ ـ باب الأمل والحرص

في (القاموس)[١]: الأمل محركة كجبل ونجم وشبر: الرجاء، والجمع آمال، أملـه: رجاه، وما أطول إملتـه بالكسر، وفـي (الصراح)[٢]: أمـل بالتحريك: أميد، وبالفتح: أميد داشتن، من نصر ينصر، تأميل كذلك، قلت: الظاهر أن يفسر بالرجاء في طول العمر لا الرجاء الذي هو ضد اليأس، ويذكر في مقابلة الخوف، فرجاء العفو والمغفرة مـن الله مثلاً لا يسمى أملاً كما يفهم من موارد استعماله، ولذلك يذم طول

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٦٦).

(٢) «الصراح» (ص: ٤١٠).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٢٦٨ ـ [١] عَنْ عَبْدِاللهِ قَالَ: خَطَّ النَّبِـيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعاً، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُطاً صِغَاراً. . . . .

الأمل، ويدل عليه تفسير القاضي عياض إياه في (مشارق الأنوار)[١] بقوله: الأمل بفتح الميم: هو ما يحدث به الإنسان نفسه مما يدركه من أمور الدنيا ويبلغه ويحرص عليه، فتدبر.

والحرص فرط الشره والإرادة، كذا قال الطيبي[٢]، وفي (الصراح)[٣]: شره آزناك وحريص شدن، وشره آزمند، وقال في (القاموس)[٤]: الحرص بالكسر: الجشع، كضرب وسمع، فهو حريص، والجشع محركة: أشد الحرص وأسوأه وأن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك، جشع كفرح فهو جَشِعٌ.

الفصل الأول

٥٢٦٨ ـ [١] (عبدالله) قوله: (خطًّا مربعاً) أي: شكلاً يحيط به أربع خطوط.

وقوله: (خطًّا في الوسط) محمول على ظاهره، وكذلك البواقي.

وقوله: (وخطّ خططاً) الظاهر أنه جمع خط، ولكنه لم يذكر في كتب اللغة فيما نعلم، بل ذكر أن جمع خط خطوط وأخطاط، وذكر في (مجمع البحار)[٥]: خططاً

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٨).

(٢) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٤٥).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٣٥).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٢) (ص: ٦٣٨).

(٥) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٦٤).

إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَسَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَسَهُ هَذَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤١٧].

بضم الخاء وكسرها جمع خط، ولا يظهر وجهه.

نعم هو جمع خطة بمعنى الأرض التي يختطها الإنسان لنفسه، بأن يعلم عليها علامة ليعلم أنه قد احتازها، ولا يناسب هنا، والله أعلم.

وقوله: (**من جانبه الذي في الوسط**) متعلق بقوله: (وخط خططاً)، والضمير في (جانبه) إلى الخط الوسط الخارج الذي بعضه في الشكل المربع وبعضه خارج منه، وهو المراد بجانبه الذي في الوسط.

وقوله: (**هذا الإنسان**) مبتدأ وخبر، أي: هذا الخط الذي في الوسط الإنسان.

وقوله: (**وهذا أجله**) أي: الخط المربع المحيط بالخط الوسط.

و(**الأعراض**) الآفات والعاهات العارضة للإنسان، كالأمراض وغيرها من أسباب الموت مكتنفة من جميع جوانبه متصلة به، والأطباء يطلقون العرض على ما يحدث من المرض، والمراد هنا أعم من ذلك، وعبر عن عروض الآفة بالنهس ـ وهو لدغ ذات السم ـ مبالغة في الإصابة وتألم الإنسان بها، واكتفى بذكر الأعراض والآفات؛ لأن الغالب موت الإنسان بالأمراض والآفات، وإن تجاوز عنه هذه الآفات المهلكة كلها، ولم يمت بالموت الأمراضي لا بد أن يموت بالموت الطبيعي، والمقصود من الحديث أن الإنسان يظن أني أصل إلى أملي قبل الأجل، وظنه خطأ، بل الأجل أقرب إليه من الأمل، ويموت قبل أن يصل إلى أمله، وقالوا: الأمل مذموم إلا للعلماء، فإنه

٥٢٦٩ ـ [٢] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطاً فَقَالَ: «هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الأَقْرَبُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤١٨].

٥٢٧٠ ـ [٣] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٢١، م: ١٠٤٧].

لولا أملهم وطوله لما صنفوا واجتهدوا في تحصيل الكتب ونحوها، ولا حاجة إلى هذا الاستثناء؛ لأن المذموم طول الأمل على سبيل الجزم والاعتقاد، وأما بطريق الظن والاحتمال فلا، إذ الأمر محتمل لا يجزم بوجوده ولا بعدمه، والمقصود أن هذا الظن والعمل بهذا الاحتمال والاعتماد عليه مستحسن منهم؛ لكون عملهم حسناً ومقصدهم صحيحاً بخلاف غيرهم من الناس، فتدبر.

فإن قيل: ذكر في الحديث الثاني خطوطاً في مجمله وذكر اثنين في مفصله؟

قلت: فيه اختصار بعدم ذكر الخط الآخر الذي هو الإنسان، والخطوط الأخر التي هي الآفات، و(هذا الأمل) إشارة إلى الخط الأطول الخارج.

٥٢٦٩ ـ [٢] (أنس) قوله: (وهذا أجله) إشارة إلى الخط الأقرب من بين الخطوط إلى الإنسان الذي به هلاكه وموته، وكذلك لم يذكر الخط المربع المحيط.

هذا والأظهر أن محمل هذا الحديث ما يجيء في حديث أبي سعيد في (الفصل الثاني).

٥٢٧٠ ـ [٣] (وعنه) قوله: (ويشب منه اثنان) وإنما لم تنكسر هاتان الخصلتان؛ لأن الإنسان مجبول على حب الشهوات، كما قال الله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

٥٢٧١ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ». مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٢٠، م: ١٠٤٦].

٥٢٧٢ ـ [٥] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤١٩].

ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الآية [آل عمران: ١٤]، والشهوة إنما تنال بالمال والعمر، وإنما تتقوى في الهرم؛ لأن قوته العقلية تضعف، وهي الزاجرة عن القوة الشهوية، وقد صارت ملكة راسخة.

٥٢٧١ ـ [٤] **(أبو هريرة)** قوله: **(في حب الدنيا وطول الأمل)** المراد بحب الدنيا الحرص على المال، وبطول الأمل الحرص على العمر، كما قال في الحديث السابق.

٥٢٧٢ ـ [٥] **(وعنه)** قوله: **(أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة)** في (النهاية)[١]: أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر، أعذر: إذا بلغ أقصى الغاية في العذر، والعذر لا يتوجه على الله بل على العبد، فأريد به نفي اعتذاره مجازاً، وقيل: همزته للسلب، أي: أزال عذره؛ فإذا لم يتب إلى هذا العمر لم يكن له عذر؛ فإن الشاب يقول: أتوب إذا شخت، والشيخ ماذا يقول، وقيل: أقام الله عذره في تطويل عمره فما له إلا الاستغفار والطاعة والإقبال إلى الآخرة، كذا في (مجمع البحار)[٢]، وقد سبق شرح هذا اللفظ في (الفصل الثاني) من (باب الأمر بالمعروف).

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٩٦).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٥٢).

٥٢٧٣ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثاً، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٣٦، م: ١٠٤٩].

٥٢٧٤ ـ [٧] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وعُدَّ نفسَكَ فِي[1] أَهْلِ الْقُبُورِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤١٦].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٢٧٥ ـ [٨] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا وَأُمِّي نُطَيِّنُ شَيْئاً فَقَالَ: ....

٥٢٧٣ ـ [٦] (ابن عباس) قوله: (جوف ابن آدم) وهذه طبيعة الإنسان ونفسه إلا من أخرجه إليه من حضيض الطبيعة إلى ذروة العرفان، وقليل ما هم، كما قال: (ويتوب الله على من تاب).

٥٢٧٤ ـ [٧] (ابن عمر) قوله: (ببعض جسدي) قال بعض الشارحين: لفظ البخاري عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، وليس في البخاري: (وعد نفسك في أهل القبور)، بل هو في الترمذي والبيهقي[2]، والله أعلم.

الفصل الثاني

٥٢٧٥ ـ [٨] (عبدالله بن عمرو) قوله: (نطين شيئاً) أي: نصلح بالطين، وفيه

---

(١) في نسخة: «منه».

(٢) «سنن الترمذي» (٢٣٣٣)، و«شعب الإيمان» (١٠٠٥٩).

«مَا هَذَا يَا عَبْدَاللهِ؟» قُلْتُ: شَيْءٌ نُصْلِحُهُ، قَالَ: «الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [حم: ٢/ ١٦١، ت: ٢٣٣٥].

٥٢٧٦ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُهَرِيقُ الْمَاءَ فَيَتَيَمَّمُ بِالتُّرَابِ، فَأَقُولُ[1]: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْمَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ، يَقُولُ: «مَا يُدْرِينِي لَعَلِّي لاَ أَبْلُغُهُ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كتاب «الْوَفَاءِ». [شرح السنة: ٤٠٧١].

إشارة إلى أنه لم يكن في التطيين مبالغة، وإنما كان تطيين شيء من بيت أو جدار ومع ذلك حذره على ذلك به.

وقوله: (الأمر أسرع) أي: الارتحال عن الدنيا أسرع من أن يشتغل بذلك.

٥٢٧٦ ـ [٩] (ابن عباس) قوله: (يهريق الماء) أي: يبول، وقيل: يستعمل الماء قبل الوقت، فإذا لم يبق في الوقت تيمم، وفيه إشارة إلى أنه كان لا يدخر الماء، ولا يقع في تدبيره ادخاره للوضوء أيضاً، بل يستعمله حسب ما اتفق؛ فإذا وجد الماء في الوقت توضأ وإلا تيمم، أو كان استعماله ضرورياً كالشرب وغسل الثوب ونحوهما، فافهم.

وقوله: (إن الماء منك قريب يقول: ما يدريني لعلي لا أبلغه) وكان من عادته الشريفة أن يبادر إلى التيمم قبل الوضوء استعجالاً للطهارة من غير أن يصلي، ولا يؤخرها إلى وجود الماء والوضوء به.

---

(١) في نسخة: «وأقول».

٥٢٧٧ ـ [١٠] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَذَا ابْنُ آدَمَ وَهَذَا أَجَلُهُ»، وَوَضَعَ يَدَهُ عِنْدَ قَفَاهُ ثُمَّ بَسَطَ فَقَالَ: «وَثَمَّ أَمَلُهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٣٤].

٥٢٧٨ ـ [١١] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غرزَ عُوداً بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ إِلَى جَنْبِهِ وَآخَرَ أَبْعَدَ مِنْهُ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا الأَجَلُ»، أُرَاهُ قَالَ: «وَهَذَا الأَمَلُ، فَيَتَعَاطَى الأَمَلَ فَلَحِقَهُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٠٩١].

٥٢٧٩ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُمُرُ أُمَّتِي . . .

٥٢٧٧ ـ [١٠] (أنس) قوله: (ووضع يده عند قفاه) إشارة إلى اتباع الأجل قريباً منه، ثم (بسط) أي: مد يده وبعّدها كما يشار إلى الأمر البعيد، وذلك مثل الخط الخارج من الخط المربع في المثال السابق.

٥٢٧٨ ـ [١١] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فيتعاطى الأمل) في (القاموس)[1]: التعاطي: التناول، وتناول ما لا يحق، والتنازع في الأخذ، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفع اليدين إلى الشيء، ومنه ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

وقوله: (دون الأمل) حال من الضمير المنصوب في (لحقه)، أي: [لحقه] وهو متجاوز عما قصده [من الأمل].

٥٢٧٩ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (عمر أمتي) أفرد العمر كأنه عمر واحد محدود

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٨١).

مِنْ سِتِّينَ سَنَةً إِلَى سَبْعِينَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَـذَا حَدِيـثٌ غَرِيـبٌ. [ت: ٢٣٣١].

٥٢٨٠ ـ [١٣] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَـا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. وَذُكِـرَ حَدِيثُ عَبْدِاللهِ بنِ الشِّخيرِ فِي (بَاب عِيَـادَةِ الْمَرِيض). [ت: ٣٥٥٠، جه: ٤٢٣٦].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٢٨١ ـ [١٤] عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِـيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ صَلاَحِ هَذِهِ الأُمَّةِ الْيَقِينُ وَالزُّهْدُ، وَأَوَّلُ فَسَادِهَا الْبُخْلُ وَالأَمَلُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٠٣٥٠].

بهذه المدة لا يتجاوزها، وفيه مبالغة، والمراد الأكثر والأغلب.

٥٢٨٠ ـ [١٣] (وعنه) قوله: (أعمار) جمعه باعتبار الحقيقة، والمراد أكثر أعمار أمتي، وقد جاء صريحاً في بعض الروايات.

الفصل الثالث

٥٢٨١ ـ [١٤] (عمرو بن شعيب) قوله: (اليقين) المراد باليقين هنا التيقن بأن الله هو المتكفل بالأرزاق فلا يبخل، ومن زهد لم يأمل، واليقين: إزاحة الشك، يقن الأمر كفـرح يقناً ويحرك، وأيقنـه وبـه، وتيقنه واستيقنه وبه: علمه وتحققه، كذا في (القاموس)[1].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١١٨).

٥٢٨٢ ـ [١٥] وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِلُبْسِ الْغَلِيظِ وَالْخَشِنِ وَأَكْلِ الْجَشِبِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الأَمَلِ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٠٩٣].

٥٢٨٣ ـ [١٦] وَعَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكاً وَسُئِلَ أَيُّ شَيْءٍ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: طِيبُ الْكَسْبِ وَقِصَرُ الأَمَلِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ١٠٢٩٣].



٣ ـ باب استحباب المال والعمر للطاعة

٥٢٨٢ ـ [١٥] (سفيان الثوري) قوله: (أكل الجشب) بفتح الجيم وكسر الشين، في (القاموس)[١]: الجشب: الخشن الغليظ البشع من كل شيء، وفي (الصحاح)[٢]: جشب ومجشوب، أي: غليظ خشن، ويقال: هو الذي لا أدم معه، مجشاب بالكسر: سطر الثوب الخشن[٣].

٥٢٨٣ ـ [١٦] (زيد بن الحسين) قوله: (قصر الأمل) صححوه بكسر القاف وفتح الصاد.

٣ ـ باب استحباب المال والعمر للطاعة

أحببته واستحببته بمعنى، وفي (الصراح)[٤]: استحباب: نيكو شمردن، و(المال)

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٤).

(٢) «الصحاح» (١/ ٩٩).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) «الصراح» (ص: ٢٣).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٢٨٤ ـ [١] عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَذُكِرَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَيْنِ» فِي (بَاب فَضَائِلِ الْقُرْآن). [م: ٢٩٦٥].

* الْفَصْل الثَّانِي:

٥٢٨٥ ـ [٢] عَنْ أَبِـي بَكْرَةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَـا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ»، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ . . . . .

اشتقاقه من الميل؛ لأنه مما يميل إليه الطبع، و(العمر) بالفتح وبالضم وبضمتين: الحياة، وفي القسم الفتح أفصح، والجمع أعمار، ولعمر الله، أي: بقاؤه؛ فإذا أسقط اللام نصب انتصاب المصادر، وجاء في الحديث النهي عن قول: لعمر الله، كذا في (القاموس)[1].

الفصل الأول

٥٢٨٤ ـ [١] (سعد) قوله: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي) إيراد الحديث في (باب استحباب المال للطاعة) يدل على أنهم أرادوا بالغنى غنى المال، أو ما يعم غنى النفس أيضاً، ولا شك أنه المناسب للغني الحفي بالمهملة كما جاء في رواية، وقالوا: الصحيح الرواية بالمعجمة بمعنى المعتزل للعبادة، ومناسبته لغنى القلب أكثر، وفي بعض نسخ (المصابيح): زاد بعد التقي (النقي) بالنون، ومعناه الظاهر اللطيف.

الفصل الثاني

٥٢٨٥ ـ [٢] (أبو بكرة) قوله: (أي الناس خير؟ وأي الناس شر؟) الخير والشر

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠١).

قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالدَّارِمِيُّ. [حم: ٥/ ٤٠، ت: ٢٣٣٠، دي: ٢٧٨٤].

٥٢٨٦ ـ [٣] وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ مَاتَ الآخَرُ بَعْدَهُ[1] بِجُمُعَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، فَصَلَّوْا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا قُلْتُمْ؟» قَالُوا: دَعَوْنَا اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَيَرْحَمَهُ وَيُلْحِقَهُ بِصَاحِبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَيْنَ صَلَاتُهُ بَعْدَ صَلَاتِهِ وَعَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟» أَوْ قَالَ: «صِيَامُهُ بَعْدَ صِيَامِهِ، لَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ. [د: ٢٥٢٤، ن: ١٩٨٥].

هنا مستعملان في معنى التفضيل، فالذي قصر عمره وحسن عمله والذي قصر عمره وساء عمله خير وشر في أصل معنى الفعل.

٥٢٨٦ ـ [٣] **(عبيد بن خالد)** قوله: **(ما قلتم)** أي: في الدعاء له في صلاتكم عليه.

وقوله: **(لما بينهما)** بفتح اللام؛ أي: التفاوت بينهما أبعد وأكثر مما بين السماء والأرض.

استشكل بأنه كيف يفضل عمله في جمعة بلا شهادة على عمل صاحبه معها، إذ لا عمل أزيد ثواباً على الشهادة جهاداً في سبيل الله وإظهاراً لدينه سيما في مبادئ الدعوة وقلة أعوانه؟ وأجيب بأن هذا الرجل أيضاً كان مرابطاً في سبيل الله فجوزي بنيته، وهذا قول على الاحتمال غير مذكور في الحديث، والله أعلم. مع أنه لا يؤيده

---

(١) في نسخة: «بعد».

٥٢٨٧ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ، فَأَمَّا الَّذِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، ....

ظاهر الحديث الآتي في آخر (الفصل الثالث)، وبأن النبي ﷺ قد عرف أن عمل هذا بلا شهادة يساوي عمل ذلك مع شهادة بسبب مزيد إخلاصه وعقله ومعرفته، ثم زاد بما عمل، فليس كل من استشهد يفضل على غيره على الإطلاق، بل قد يفضل عليه غيره، وكفى في ذلك حال الصديق وغيره من أكابر الصحابة.

٥٢٨٧ ـ [٤] (أبو كبشة) قوله: (الأنماري) بفتح الهمزة وسكون النون.

وقوله: (فأما الذي) أفرده وذكره بتأويل الأمر الذي، وجمع الضمير وأنثه في (عليهن) باعتبار كونها عبارة عن خصال ثلاث.

وقوله: (فإنه ما نقص مال عبد من صدقة) الظاهر أن المراد عدم النقصان من جهة حصول البركة والثواب، وأنها غير مقيدة بالاستثناء المذكور بعد الخصلة الثانية، وإن احتملت العبارة لذلك، وقال الطيبي به[1]، وذلك بعيد لفظاً ومعنى، أما لفظاً فلأنه لو أريد تقييد الخصال الثلاث بالاستثناء المذكور تحت كل منهما على حدة وتحت المجموع واحدة، وأما معنى فلأن كون زيادة العز جزاء للمظلومية التي هي مستلزمة للذل أظهر من كونه جزاء لنقص المال بالصدقة؛ فإن الظاهر في جزاء الصدقة إطفاء الغضب وحصول البركة في المال، وإن صح باعتبار أن بعض المال قد يفضي إلى الفقر، وهو سبب لحصول الذل، وأيضاً الظاهر على تقدير تعلق الاستثناء بكليهما أن يقال: (بهما) بضمير التثنية، فليفهم.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٣٢٨).

وَلاَ ظُلِمَ عَبْـدٌ مَظْلِمَـةً صَبرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ بِهَـا عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، وَأَمَّا الَّذِي أُحَدِّثُكُمْ فَاحْفَظُوهُ» فَقَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ رَحِمَهُ وَيَعْمَلُ لِلَّهِ فِيهِ بِحَقِّهِ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، . . . .

(**والمظلمة**) مصدر ظلم كالظلم بفتح الظاء وضمها، وهو بكسر اللام على ما في (القاموس)[1]، وقد تفتح اللام، وبعضهم أنكر الفتح، وقيل بضم اللام أيضاً، وقد سبق، ويجيء بمعنى ما أخذ بغير حق.

وقوله: (**أما الذي أحدثكم**) أي: الحديث الذي أحدثكم، والظاهر من العبارة أن يكـون جواب (أما) قوله: (فاحفظوه)، لكنه لا يكون لهذا الحكم كثير فائدة، فإنه قد قال أولاً: (وأحدثكم [حديثا] فاحفظوه)، إلا أن يكون المراد التأكيد والتقرير لوقوع الفاصلة، والظاهر باعتبار المعنى أن يكون التقدير: وأما الذي قلت: أحدثكم فاحفظوه فما أذكره لكم بعد، وإن كان فيه تكلف باعتبار اللفظ، فافهم.

وقوله: (**وعلماً**) قيل: المراد علم كيفية صرف المال في مصارف الخير ووجوه البر، فافهم.

وقوله: (**بحقـه**) أي: بحق المال، أي: ما فيـه من الحقوق كالزكـاة والكفـارة وإطعام الضيف ونحوها، أو بحق الله الذي أمر بصرف المال في وجوهه وأبوابه.

وقوله: (**فهذا بأفضل المنازل**) أي: هذا العبد ملتبس بأفضل المقامات، أو في أو على، أو الباء زائدة، و(هذا) إشارة إلى المذكور من الأفعال.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٢٣).

وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً فَهُوَ يَتَخَبَّطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْمَلُ فِيهِ بِحَقٍّ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ نِيَّتُهُ، وَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. [ت: ٢٣٢٥].

٥٢٨٨ ـ [٥] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ»، فَقِيلَ: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الموتِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ. [ت: ٢١٤٢].

وقوله: (فهو صادق النية) بناء على علمه بوجوه البر وحسن الصرف فيها، فيثاب على نيته قائلاً: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، أي: الذي يصرف المال في وجوهه.

وقوله: (فهو يتخبط في ماله) أي: يصرفه في شهوات نفسه في المناهي والملاهي.

وقوله: (لعملت فيه بعمل فلان) يريد الذي يتخبط في ماله بغير علم.

وقوله: (فهو نيته) ينبغي أن تحمل النية في هذا القسم على العزم، وعزم المعصية مكتوب ومؤاخذ عليه، والطاعة يثاب عليها بمجرد القصد والنية.

٥٢٨٨ ـ [٥] (أنس) قوله: (يوفقه لعمل صالح) أيّ عمل كان، وهذا اكتفاء بالأدنى، أو المراد الجنس، ويجوز أن يكون التنوين للتعظيم.

٥٢٨٩ ـ [٦] وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا. . . .

٥٢٨٩ ـ [٦] (**شداد بن أوس**) قوله: (**الكيس**) بفتح الكاف وتشديد الياء المكسورة، من الكياسة، وهي الحذق والفطانة، خلاف الحمق والبلادة.

وقوله: (**من دان نفسه**) في (الصحاح)[1]: دان لازم ومتعد، يقال: دان له، أي: انقاد له وأطاعه، ودانه، أي: أذله واستعبده، وفي الحديث: (الكيس من دان نفسه)، وفي (القاموس)[2]: دان فلاناً: حمله على ما يكره وأذلّه.

اعلم أن الدين يجيء بمعنى الجزاء، دنته، أي: جازيته، ويجيء بمعنى العمل، وفيهما استعمل في قولهم: كما تدين تدان، والعبادة والطاعة والذل والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والإكراه، ولمعان أخر ذكرت في كتب اللغة، وإذا كان بمعنى الذل والطاعة يجيء لازماً ومتعدياً؛ وإذا كان بمعنى الحساب والقهر والغلبة فهو متعدي، فمعنى قوله: (دان نفسه) على هذا: حاسبها وقهرها، وغلبها واستعلاها، فتدبر.

وقوله: (**والعاجز من أتبع نفسه هواها**) بفتح الهمزة وسكون التاء من باب الإفعال، و(نفسه) و(هواها) مفعولاه، ثم اعلم أنه يستعمل العاجز في مقابلة الكيس كما في حديث آخر: (المؤمن الكيس خير من المؤمن العاجز)، والمقابل الحقيقي للكيس البليد؛ لأن الكياسة تستلزم القدرة والرأي والتجارب وتمشية الأمور، والبلادة تستلزم العجز فيها، والحاصل أن الناس يمدحون الكياسة والفطانة في أمور الدنيا ومهماتها، ويذمون العجز فيها، وفي الحقيقة الكياسة المحمودة هي القدرة على حبس

---

(١) «الصحاح» (٥/ ٢١١٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٨٠).

وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٤٥٩، جه: ٤٢٦٠].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٢٩٠ - [٧] عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَطَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ، قَالَ: «أَجَلْ»، قَالَ: ثُمَّ خَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى اللهَ ﷻ، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ»........................

النفس وزجرها عن شهوتها وهواها في معصية الله، والبلادة هي العجز عنه وإعطاء النفس ما أرادت من المحرمات والشهوات وعدم العمل، ثم (تمنى على الله) تعالى، أي: يذنب ويتمنى دخول الجنة والمغفرة ولا يتوب ولا يستغفر.

قال العلماء: حقيقة الرجاء أن يعمل ويرجو، والرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على الذنوب والمعاصي فليس برجاء، لكنه أمنية واغترار بالله تعالى، وقد ذم الله سبحانه هذا القوم بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال معروف الكرخي: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق.

وكتب عمر بن المنصور إلى بعض إخوانه: أما بعد فإنك أصبحت تأمل بطول عمرك وتمنى على الله الأماني بسوء فعلك، وإنما تضرب حديداً بارداً.

الفصل الثالث

٥٢٩٠ - [٧] (رجل) قوله: (وطيب النفس من النعيم) أي: من نعمة الله التي

رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٤/ ٦٩].

٥٢٩١ ـ [٨] وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: كَانَ الْمَالُ فِيمَا مَضَى يُكْرَهُ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ تُرْسُ الْمُؤْمِنِ، وَقَالَ: لَوْلاَ هَـذِهِ الدَّنَانِيرُ لَتَمَنْدَلَ بِنَا هَؤُلاَءِ الْمُلُوكُ، وَقَالَ: مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ هَذِهِ شَيْءٌ فَلْيُصْلِحْهُ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ إِنِ احْتَاجَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يَبْذُلُ دِينَهُ، وَقَالَ: الْحَلاَلُ لاَ يَحْتَمِلُ السَّرَفَ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٠٩٨].

وجب الشكر عليها، وفي الحواشي: أي من النعم المسؤول عنها المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

٥٢٩١ ـ [٨] (سفيان الثوري) قوله: (لتمندل بنا) في (القاموس)[1]: الندل: الوسخ، والمنديل بالكسر والفتح وكمنبر: الذي يتمسح به، وتندل به وتمندل: تمسح، وهو كناية عن الابتذال.

وقوله: (فليصلحه) أي: يربيه وينميه حتى ينفق في مصالحه حيث شاء.

وقوله: (إن احتاج) الضمير لـ (من) في (من كان)، وكذا في (كان)، أي: كان ذلك الشخص أول شخص (يبذل دينه) فيما يحتاج إليه.

وقوله: (الحلال لا يحتمل السرف): و(السرف) محركة: ضد القصد، والإسراف: التبذير، أو ما أنفق في غير طاعة، والمراد أن الحلال لا ينبغي أن يسرف فيه، ويليق أن يحفظ ويرى القصد في إنفاقه ليبقى مدة، وقيل: معناه الحلال لا يكون كثيراً، فلا يحتمل الإسراف، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٥٦).

٥٢٩٢ ـ [٩] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ أَبْنَاءُ السِّتِّينَ؟ وَهُوَ الْعُمُرُ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٩٧٧٣].

٥٢٩٣ ـ [١٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: إِنَّ نَفَراً مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةٌ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، ....

٥٢٩٢ ـ [٩] (ابن عباس) قوله: (﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾) أي: عمراً يتعظ فيه من شأنه الاتعاظ، قال البيضاوي[1]: ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر، وقيل: ما بين العشرين إلى الستين، انتهى. وهذا الحديث يدل على أنه الستون، فإن صح يتعين أنه المراد، وما ذكره البيضاوي محتمل اللفظ.

وقوله: (﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾) يدل على أنه لا يعاقب قبل الشريعة كما هو مذهب الأشعري، وإن خص بالفروع كان موافقاً لمذهب الماتريدية أيضاً، وقد روى الشيخ ابن الهمام عن أبي حنيفة رحمه الله ما يوافق مذهب الأشعري، والله أعلم. وهذا الحديث أوفق بالباب الأول في حديث: (أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة).

٥٢٩٣ ـ [١٠] (عبدالله بن شداد) قوله: (من بني عذرة) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٦٠).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَكْفِينِيهِمْ؟» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَكَانُوا عِنْدَهُ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثاً، فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْثاً فَخَرَجَ فِيهِ الآخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَالَّذِي اسْتُشْهِدَ آخِراً يَلِيهِ، وَأَوَّلَهُمْ يَلِيهِ، فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ[١] ﷺ فَقَالَ: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ. . . . .

وقوله: (**من يكفينيهم**) أي: يكفيني مؤنتهم من الرزق والسلاح وغيرهما، في (القاموس)[٢]: كفاه مؤنته يكفيه كفاية، وكفاك الشيء، وفي (الصراح): كفايت كارگذاري كردن اكتفاء بسنده كردن، والمعنى: لزم علي مؤنتهم، فهل منكم من يمونهم حتى أكتفي؟

وقوله: (**قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة**) أي: في المنام.

وقوله: (**أمامهم**) بفتح الهمزة، أي: المقدم فيما بينهم على نحو يوسف أحسن إخوته.

وقوله: (**فدخلني من ذلك**) أي: تعجب وإنكار، يعني كان القياس أن يستوي الشهيدان في المرتبة، أو يتقدم الأول لسبقه إلى الخير ويتأخر عنهما الثالث الذي مات على فراشه.

وقوله: (**وما أنكرت من ذلك؟**) أيّ شيء أنكرت، أي: لا تنكر شيئاً من ذلك.

---

(١) في نسخة: «النبي».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٥).

يُعَمَّرُ فِي الإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ».

٥٢٩٤ ـ [١١] وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ ـ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ قَالَ: إِنَّ عَبْداً لَوْ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمَ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرِماً فِي طَاعَةِ اللهِ لَحَقَّرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ. رَوَاهُمَا أَحْمَدُ. [حم: ١/ ١٦٣، ٤/ ١٨٥].



٤ ـ باب التوكل والصبر

٥٢٩٤ ـ [١١] (محمد بن أبي عميرة) قوله: (وعن محمد بن أبي عميرة) على وزن البصيرة.

وقوله: (من يوم) بالجر والفتح، و(هرماً) بفتح الراء وكسرها.

وقوله: (من يوم ولد) فرض ومبالغة.

وقوله: (لحقره) أي: قلل عمله مع كونه كثيراً في تلك المرتبة من الكثرة بالنسبة إلى ما يرى من جزائه.

٤ ـ باب التوكل والصبر

في (القاموس)[1]: وَكَل بالله يَكِل، وتوكَّل عليه واتّكل: استسلم إليه، ووكَل إليه الأمر وكلاً ووكولاً: سلّمه وتركه، ورجل وَكَلٌ وتُكَلَةٌ مثال هُمَزَة، أي: عاجزٌ يَكِل أمرَه إلى غيره، والاسم الوكالة بالفتح ويكسر، والتوكل: إظهار العجز والاعتماد

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٦٣).

. . . .

على الغير، والتكلان بالضم اسم فيه.

وقال في (العوارف)[١]: قال السري: التوكل الانخلاع من الحول والقوة، وقال الجنيد: التوكل أن تكون لله كما لم تكن، فيكون الله لك كما لم يزل، وقال ذو النون: ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة، وقال حمدون القصار: التوكل هو الاعتصام بالله، وقال الشيخ نجم الدين الكُبرى[٢]: التوكل هو الخروج عن الأسباب، والتسبّب بالكلية ثقة بالله، انتهى.

ثم التوكل عام شامل لجميع أفعال العبد وأحواله، والشائع استعماله في أمر الرزق كما نطقت به الأحاديث، وحقيقة التوكل هو العلم بضمانية الله سبحانه للرزق والثقة به، وأما ترك الأسباب فإنما يكون بتحقيق مقام التوكل حتى يحصل العلم المذكور بالتجربة، وهو في حال الابتداء، ثم بعد حصوله لا حاجة إلى ترك الأسباب، بل ربما يقع التشبث بها تعبداً وامتثالاً للأمر الحقيقي الذي في ضمن خلق الأسباب.

وأما الصبر فهو في اللغة: الحبس، صبره يصبره: حبسه، والصبر نقيض الجزع، وفي الشرع: ترجيح داعية الحق على داعية الهوى عند معارضتهما، وقال الشيخ نجم الدين قدس سره[٣]: هو الخروج من حظوظ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والثبات على فطامها عن مألوفاتها ومحبوباتها، وخمود شهواتها والاستقامة على

---

(١) «عوارف المعارف» (ص: ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) انظر: مقدمة «فوائح الجمال وفواتح الجمال» (ص: ٩١).

(٣) المصدر السابق (ص: ٩٤).

. . . .

الطريقة المثلى بتصفية القلب وتجلية الروح.

وقال في (العوارف)[1]: أفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه، وصدق المراقبة بالقلب، وحسم مواد الخواطر، والصبر ينقسم إلى فرض وفضل، فالفرض كالصبر على أداء المفترضات، والصبر عن المحرمات، ومن الصبر الذي هو فضل: [الصبر] على الفقر، والصبر عند الصدمة الأولى، وكتمان المصائب والأوجاع، وترك الشكوى، والصبر على إخفاء الفقر، والصبر على كتم المنح والكرامات، ووجوه الصبر فرضاً وفضلاً كثيرة، وكثير من الناس يقوم بهذه الأقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحبة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر، انتهى.

وقال غوث الثقلين الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، والثبات مع الله تعالى، وتلقي موافقته بالرحب والسعة على أحكام الكتاب والسنة، وينقسم أقساماً: صبر لله، وهو الثبات على أوامره، والانتهاء عن نهيه، وصبر مع الله تعالى، وهو السكون تحت جريان قضائه، وصبر على الله، وهو الركون لما وعده في كل شيء، والمصير من الدنيا إلى الآخرة، والصبر مع الله أشد، والفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر، والفقير الشاكر أفضل منهما، انتهى كلامه الأقدس.

ثم الصبر أيضاً مع كثرة أقسامه يخصص في الاستعمال بالصبر على البلايا والمصائب والمكروهات كالشكر في أمر الرزق، والأحاديث مذكورة فيه.

---

(١) «عوارف المعارف» (ص: ٢٢٩).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٢٩٥ ـ [١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٧٢، م: ٢٢٠].

الفصل الأول

٥٢٩٥ ـ [١] (ابن عباس) قوله: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً) قال السيوطي في حاشية (صحيح مسلم): وقد جاء في بعض الروايات من غير مسلم: (سبعون ألفاً مع كل واحد منهم سبعون ألفاً)، كذا في (الحواشي).

وقوله: (لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قال الطيبي[1]: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا، الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم، وأما العوام فرخص لهم في التداوي والمعالجات، ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله تعالى بالدعاء كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء، انتهى.

دل هذا الكلام على أن ترك التداوي والعلاج وسائر الأسباب التي خلقها الله تعالى بحكمه هو العزيمة، ودرجة الخواص والكاملين من الأولياء والمقربين، وأما التشبث بها فمرتبة العوام الذين لا يصبرون عنها، رخص لهم لضعفهم وعدم صبرهم، وهذا صحيح بالنسبة إلى من دونهم، وليس على الإطلاق؛ لثبوت العمل بها من النبي ﷺ وأكابر الصحابة رضوان الله عليهم، فالحق أن ما ورد في الحديث مرتبة السالكين المتوسطين من تاركي الأسباب لتحقيق مقام التوكل بتركها؛ لوقوع نظرهم

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٥٩).

. . . .

عليها، وخوف اعتقادهم تأثيرها، فتركوها ليسقط النظر عنها ويتحقق مقام التوكل، وهذه فضيلة ودرجة عالية في سلوك طريق الحق ومجاهدة النفس وقمع هواها، فجُوزُوا بدخول الجنة بغير حساب.

وأما أرباب الانتهاء المقربون الواصلون إلى مرتبة حق اليقين، المشاهدون قدرة الحق على كل حال في وجود الأسباب وعدمها، بل في وجودها أتم وأكمل؛ لكمال القدرة في خلقها، فلا عليهم أن يتشبثوا بالأسباب ويتمسكوا بها، ونظرهم ساقط عنها في ذلك، وهذه درجة أعلى من الأولى، وهم قد قطعوا الدرجة الأولى وارتقوا منها، فلهم الجزاء المذكور، وحصلت لهم الحسنى وزيادة، وفعل النبي ﷺ وأكابر الصحابة من هذا القبيل، وهذا هو حقيقة التوكل والتفويض ونهايته، وهو أعلى من الصبر وانتظار الفرج بالدعاء، وهو حقيقة مقام الرضا والتسليم، وهذا الكلام موافق لما ذكره السادة من الصوفية الصفية قدس الله أسرارهم، ولا ينافيه الحديث، فتدبر، والله الموفق.

ثم احتجاج البعض بهذا الحديث على كراهة التداوي والمعالجات غلط؛ لأنه لا يفهم منه كراهتها، غاية ما يفهم منه كونها مرتبة أدنى ورخصة كما لا يخفى.

ثم اعلم أن في الحديث وجهاً آخر هو الأظهر عند التأمل، وهو أن المنفي هو الاسترقاء برقى الجاهلية التي لا يؤمن فيها من الشرك بقرينة قوله: (ولا يتطيرون)، فإن التطير والتشاؤم من عادة الجاهلية، فالمراد أنهم يتركون أعمال الجاهلية، وهذه ينبغي أن تكون مرتبة عوام المسلمين؛ لورود النهي عنها، ومع ذلك فيهما فضيلة ولهما جزاء ذكر؛ لأن أكثر المسلمين مبتلون بارتكاب الأسباب وإن كانت جاهلية،

٥٢٩٦ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأُفق، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، ....

وهي من درجات التوكل، وفوق ذلك ترك الاسترقاء مطلقاً والمعالجات وإن كانت مشروعة غير منهي عنها، وهو النهاية، وذلك مرتبة قطع الأسباب ومجاهدة النفس لتحقيق مقام التوكل، وفوق ذلك مرتبة أخرى أشرنا إليها، وهي المشار إليها بقولهم: النهاية هي الرجوع إلى البداية، فليفهم.

٥٢٩٦ ـ [٢] **(وعنه)** قوله: **(هكذا وهكذا)** أي: إلى اليمين وإلى الشمال.

وقوله: **(ومع هؤلاء سبعون ألفاً)** الظاهر أن هؤلاء السبعون الألف وراء المرئيين الذي سدوا الأفق وأشير إليهم بهؤلاء أمتك.

وقوله: **(ولا يكتوون)** قالوا: الكي من الأسباب الوهمية التي تنافي التوكل، وقد ورد النهي عنه، وعمل بعض الأصحاب به بإذنه ﷺ، فقيل: النهي لتوغل العرب في اعتقاد حصول الشفاء به، حتى قيل: آخر الدواء الكي، وقيل: يباح عند الضرورة مع اعتقاده أن الشفاء من الله تعالى، والمختار أنه مكروه، وقد بسطنا الكلام فيه في (شرح سفر السعادة)، فلينظر ثمة.

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ «اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٥٧٥٢، م: ٢٢٠].

٥٢٩٧ ـ [٣] وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِمُؤْمِنٍ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٩٩].

٥٢٩٨ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، ....

وقوله: (فقام عكاشة) تشديد الكاف فيه أكثر من تخفيفها، و(محصن) بكسر الميم وفتح الصاد.

وقوله: (سبقك بها عكاشة) أي: كأنه بهذه المسألة لم يؤذن له في ذلك المجلس بالدعاء إلا لواحد، أو لم يكن الثاني ممن يستحق تلك المنزلة، ومع ذلك كره أن يقول: لست أهلاً لها؛ فأجاب بكلام مشترك يشعر بأن السبب في تخصيصه سبقه بذلك، وقيل: كان منافقاً فأجاب بكلام محتمل لحسن خلقه ﷺ، وقيل: سبقك عكاشة بوحي به، وصوب هذا القول؛ لما روي أن الثاني كان سعد بن عبادة، وفي الحديث دلالة على المسارعة إلى الخيرات وطلب الدعاء من الصالحين.

٥٢٩٧ ـ [٣] (صهيب) قوله: (إن أصابته) بمنزلة الصفة والقيد له، أو المراد المؤمن الكامل.

٥٢٩٨ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (المؤمن القوي) أي: في الاعتقاد بالله، والثقة

احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٦٤].

* **الْفَصْلُ الثَّانِي:**

٥٢٩٩ ـ [٥] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، . . . . . .

به، والصبر على الطاعة، وفي قوة العزائم على الخير، وتقوية الدين بالجهاد، والأمر بالمعروف، ونحو ذلك، وقيل: أراد من صبر على محاسبة الناس، وتحمل أذاهم في تعليمهم الخير.

وقوله: (**فإن لو تفتح عمل الشيطان**) أي: من معارضة القدر والوسوسة، وذلك إذا تكلم بها بطريق معارضة القدر ونسبة الحول والقوة إلى النفس واعتقاد ذلك حقًّا، وإلا فقد وقع في الأحاديث منه ﷺ كقوله في الحج: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت) لتطييب قلوب الصحابة، وكذلك قول من قاله تأسفاً على ما فات منه من الطاعة، وأمثال ذلك.

الفصل الثاني

٥٢٩٩ ـ [٥] (عمر بن الخطاب) قوله: (**حق توكله**) فسره الطيبي[1]: بأن يعلم يقيناً أن لا فاعل إلا الله، ثم يسعى في الطلب على الوجه الجميل، قال: ولذلك شبهه بالطير، واستند في ذلك بما قال الإمام الغزالي: من ظن أن معنى التوكل ترك الكسب

---

(١) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٦٢).

تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانـاً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٢٣٤٤، جه: ٤١٦٤].

٥٣٠٠ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُـودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّـةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّـارِ إِلاَّ قَـدْ أَمَرْتُكُمْ بِـهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ[1] يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ قَـدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْـهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ ـ وَفِي رِوَايةٍ: وَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ ـ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، ....

[بالبدن، وترك التدبير بالقلب]، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، فهو جاهل، وبمـا قال الإمام أبو القاسم القشيري: اعلـم أن التوكل محلـه القلب، وإنمـا الحركة بالظاهر، فلا تنافي التوكل بعد ما تحقق [العبد] الثقة.

وقوله: (**تغدو خماصاً**) الغدوة بالضم: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة، غدا عليه غدواً وغدوة بالضم: بكرة، والخمصة: الجوع، والمخمصة: المجاعة، وخميص الحشى: ضامر البطن، والخماص بالكسر جمع خميص، و(**الرواح**) العشي مـن الزوال إلـى الليل، و(**البطان**) بالكسر جمـع بطين، ورجـل بطين: عظيم البطن، ضد الخميص، وبطن ككرم.

٥٣٠٠ ـ [٦] (**ابن مسعود**) قوله: (**وإن الروح الأمين**) بالتوصيف، والمراد به جبرئيل عليه السلام، وكـذا بـ(روح القدس) بالإضافة، والقدس بالضم وبضمتين: الطهر، اسم ومصدر؛ لأنه خلق من طهارة روح، فالإضافة لزيادة الاختصاص مثل حاتم الجود،

---

(١) في نسخة: «من شيء».

أَلاَ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»...........................

وقيل: المصدر بمعنى المفعول، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وفيه تكلف، والنفث: النفخ، والروع بالضم: القلب، والمراد بنفث روح القدس في الروع الوحي الخفي، (**وأجملوا في الطلب**) في (القاموس)[1]: أجمل في الطلب: اعتدل فلم يفرط، وذلك بأن يكون على الوجه المشروع غير مخل بالحقوق والآداب من غير حرص ولا اضطراب.

وقوله: (**ولا يحملنكم استبطاء الرزق**) يعني إذا أبطأ وصول الرزق ـ وهو كذلك كان مقدراً فاستبطأتموه، أي: عددتموه بطيئاً في الوصول، وذلك لتوهمكم وصوله كل يوم مثلاً ـ فلا يحملنكم ذلك على اضطرابكم وإفراطكم في الطلب وارتكاب المعصية في ذلك ظنًّا منكم أنه يصل بهذا السبب، وهو لا يصل به، ولا يحصل إلا المعصية، فاجتنبوها، و(**لا يدرك ما عند الله**) تعالى ـ وهو الرزق الحلال ـ (**إلا بطاعته**) أي: داوموا على طاعته واستقيموا ولا تضطربوا، فإن الرزق الذي قدر لكم واصل إليكم وتمدحون بذلك، وإن عصيتم لا يصل الرزق ويرجع الذم إليكم، هذا حاصل معنى الحديث، وقيل: المراد بـ(ما عند الله) الجنة، كذا في (الحواشي)، وفي الحديث دليل على أن الرزق واصل البتة، وهو قد يكون حلالاً إذا حصل بواسطة الطاعة، ويكون حراماً إذا حصل بالمعصية كما هو المذهب.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨١).

إِلاَّ أَنَّـهُ لَمْ يَذْكُـرْ: «وَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ». [شرح السنة: ٤١١١، ٤١١٢، ٤١١٣، شعب: ٩٨٩١].

٥٣٠١ ـ [٧] وَعَنْ أَبِـي ذَرٍّ عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «الزَّهَـادَةُ فِي الدُّنْيَـا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلاَلِ وَلاَ إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لاَ تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ بِمَا فِي يَد اللهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَـةِ إِذَا أَنْـتَ أُصِبْتَ بِهَا أَرْغَبَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيـثٌ غَرِيبٌ، وَعَمْرُو بْنُ وَاقِـدٍ الرَّاوِي مُنْكَرُ الْحَدِيـثِ.

[ت: ٢٣٤٠، جه: ٤١٠٠].

وقوله: (إلا أنه لم يذكر: وإن روح القدس) يعني أنه لم يذكره بدلاً عن قوله: (وإن الروح الأمين) فـي روايـة، بل ذكر (وإن الروح الأمين نفث في روعي) من غير ذكر قوله: وفي رواية: وإن روح القدس.

٥٣٠١ ـ [٧] (أبو ذر) قوله: (الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال . . . إلخ)، قالوا: الزهد فـي الدنيا هـو عدم الرغبة فيها، والخروج عن متاعها وشهواتها ومالهـا وجاهها، فأشار ﷺ أنـه لا يتـم مقام الزهـد بهذا؛ لأن غايتـه تـرك اللذات والأموال، وإسقاطها وإخراجها عن اليد؛ لأنه في الحقيقة تحريم الحلال وإضاعة المال، قال: هذا تنقيصاً له وحطًّا لرتبته.

وقوله: (**ولكن الزهادة في الدنيا . . . إلخ**) يشير إلى أن مقام الزهد إنما يتحقق بالتوكل علـى الله، والثقة بـه، والاعتماد عليه وعلى ما عنده بالصبر على المصائب؛ رغبة في ثواب الآخرة.

ومعنى (**أبقيت**) أي: المصيبة (**لك**) منعت وأخرت عنك ما أصبت بها، والحاصل

٥٣٠٢ ـ [٨] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ. [حم: ١/ ٢٩٣، ت: ٢٥١٦].

٥٣٠٣ ـ [٩] وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ، ....

أن رغبتك في المصيبة لأجل ثوابها أكثر من رغبتك في عدمها.

٥٣٠٢ ـ [٨] (ابن عباس) قوله: (احفظ الله يحفظك) أي: احفظ حق الله وراعِهِ يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة.

وقوله: (تجاهك) أي: مقابلك، والتاء بدل من الواو، وفي الحديث زيادات في غير رواية أحمد والترمذي نقلها الطيبي وشرحها[1].

وقوله: (رفعت الأقلام وجفت الصحف) كناية عن معنى القضاء وثبوت القدر لا يتغير ولا يتبدل.

٥٣٠٣ ـ [٩] (سعد) قوله: (من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له) لأداء حقوق العبودية وامتثال الأمر الإرادي، ولأن فيه سلامة القلب، وجمعية الخاطر، وفراغ الوقت من الاضطراب والتدبير والتشعب في أودية الهموم، وأما الاستخارة

---

(١) انظر: «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٣٣٨).

وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [حم: ١/ ١٦٨، ت: ٢١٥١].

*** الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٥٣٠٤ ـ [١٠] عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ...................

فهي مأمور بها، ففيها امتثال الأمر التشريعي كما في سائر الأوامر والنواهي، ولها فوائد ومنافع في تسهيل الأقدار وحصول الخيرة من الله، وهي أيضاً من الأسباب القدرية كالدعاء، ووراء ذلك سر لا ينكشف، وقيل: الاستخارة طلب الخير، ومعنى تركه ذلك أن لا يرضى لما اختاره الله ويتركه، وفيه خفاء، فافهم.

وقوله: (**تركه استخارة الله**) الاستخارة طلب الخير، ومعنى تركه ذلك أن لا يرضى بما اختاره الله ويتركه، لما كان الرضا بما قضى الله على الإطلاق يشمل الرضا بما قدر الله تعالى له من المعاصي، وجب أن يطلب الخير؛ رجاء أن يقدر له الخير، ويذهب به مذهب الخير.

الفصل الثالث

٥٣٠٤ ـ [١٠] (جابر) قوله: (**قبل نجد**) النجد: ما أشرف من الأرض، وبلاد العرب، وهو تهامة، وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد.

وقوله: (**فأدركتهم القائلة**) في (القاموس)[1]: القائلة: نصف النهار، وقال قَيلاً

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٤٧).

فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً»، قَالَ: مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: «اللهُ» ثَلاَثاً، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٢٩١٠، م: ٨٤٣].

٥٣٠٥ - [١١] وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»: فَقَالَ[١]: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ»، فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَقَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لاَ أُقَاتِلَكَ وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، . . . .

وقائلة وقَيلولة ومَقيلاً ومَقالاً وتَقَيَّل: نام فيه، فهو قائل. (كثير العضاه) في (القاموس)[٢]: العضاهة بالكسر: أعظم الشجر، أو الخمط، أو كل ذات شوك، أو ما عظم منها وطال، كالعضه كعنب، والعِضَهَة كعنبة، والجمع عضاه. و(السمرة) بفتح السين وضم الميم واحدة سَمُر: شجر الطلح، والطلح: شجر عظام، كالطلاح ككتاب. و(اخترط السيف) سلَّه من غمده. (صلتاً) الصلت بالفتح: السيف الصيقل الماضي، والسكين الكبير، ويضم. وقال الطيبي[٣]: صلتاً، أي: مسلولاً.

٥٣٠٥ - [١١] (أبو بكر الإسماعيلي) قوله: . . . .

---

(١) في نسخة: «قال».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٢٥).

(٣) «شرح الطيبي» (٩/ ٣٦٧).

فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ. هَكَذَا فِي «كِتَابِ الْحُمَيْدِيِّ» وَفِي «الرِّيَاضِ». [الجمع بين الصحيحن: ١٥٢٦، رياض: ٧٨].

٥٣٠٦ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَتْهُمْ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾». [الطلاق: ٢ ـ ٣]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارِمِيُّ. [حم: ٥/ ١٧٩، جه: ٤٢٧٣، دي: ٢٧٢٥].

٥٣٠٧ ـ [١٣] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِني أنـا الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ الْمَتِينُ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. [د: ٣٩٩٣، ت: ٢٩٤٠].

٥٣٠٨ ـ [١٤] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ....

(في الرياض) أي (رياض الصالحين) تصنيف الشيخ محيي الدين النووي.

٥٣٠٦ ـ [١٢] (أبو ذر) قوله: (لو أخذ الناس بها) أي: عملوا بها واتقوا، (لكفتهم) من طلب الرزق والتعب في أسبابها، قال بعض المشايخ: لكل قوم حرفة، وحرفتنا التقوى والتوكل، أو كما قال.

٥٣٠٧ ـ [١٣] (ابن مسعود) قوله: (إني أنا الرزاق) قراءة شاذة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[الذاريات: ٥٨].

٥٣٠٨ ـ [١٤] (أنس) قوله: (فشكا المحترف أخاه) أي: عن إنفاقه على ذلك الأخ، (النبي ﷺ) أي: إلى النبي ﷺ بحذف الخافض، يقال: شكا أمره إلى الله شكوى،

فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٣٤٥].

٥٣٠٩ - [١٥] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةٌ، فَمَنْ أَتْبَعَ قَلْبَهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ الشُّعَبُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٤٢١٨].

٥٣١٠ - [١٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَبُّكُمْ ﷻ: لَوْ أَنَّ عَبِيدِي أَطَاعُونِي لَأَسْقَيْتُهُمُ الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ، وَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ، وَلَمْ أُسْمِعْهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٢/ ٣٥٩].

٥٣١١ - [١٧] وَعَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَهْلِهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ الْحَاجَةِ خَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، ....

وينون، كذا في (القاموس)[1].

٥٣٠٩ - [١٥] (عمرو بن العاص) قوله: (بكل واد شعبة) أي: في كل هم له قطعة، كناية عن تشعب همومه وتفرقها في أسباب رزقه وتحصيله، ومن فوض أموره إلى الله تعالى كفاه مؤن حاجاته المتشعبة، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

٥٣١٠ - [١٦] (أبو هريرة) قوله: (ولم أسمعهم صوت الرعد) كناية عن الأمن والسلامة الخالصة عن خوف الهلاك كما يكون في السحاب من الخوف بالرعد والبرق.

٥٣١١ - [١٧] (وعنه) قوله: (خرج إلى البرية) أي: ليحصل له شيء فيجيء به

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧).

فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ قَامَتْ إِلَى الرَّحَى فَوَضَعَتْهَا وَإِلَى التَّنُّورِ فَسَجَرَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: اللهُمَّ ارْزُقْنَا، فَنَظَرَتْ فَإِذَا الْجَفْنَةُ قَدِ امْتَلأَتْ، قَالَ: وَذَهَبَتْ إِلَى التَّنُّورِ فَوَجَدَتْهُ مُمْتَلِئاً، قَالَ: فَرَجَعَ الزَّوْجُ، قَالَ: أَصَبْتُمْ بَعْدِي شَيْئاً؟ قَالَتِ امْرَأَتُهُ: نَعَمْ مِنْ رَبِّنَا، وَقَامَ إِلَى الرَّحَى، فَذُكِرَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْفَعْهَا لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٢/ ٥١٣].

٥٣١٢ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ». رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ». [حلية: ٦/ ٨٦].

إلى الأهل، و(البرية) بتشديد الراء والياء: الصحراء، (فلما رأت امرأته) أي: حالة الزوج وخروجه لطلب الرزق (قامت إلى الرحى ووضعتها) أي: وضعت الرحى بين يديها لتدورها، أو وضعت أحد شقي الرحى على الأخرى رجاء أن يجيء زوجها بشيء من الحبوب فتطحنها.

وقوله: (فسجرته) سجر التنور: أحماه، و(الجفنة) القصعة الكبيرة، والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق، (فوجدته ممتلئاً) أي: وجدت التنور ممتلئاً من الخبز من غير أن تعجن وتخبز، (فقام) أي: الزوج (إلى الرحى) أي: ثم رفعها.

وقوله: (أما إنه لو لم يرفعها . . . إلخ)، فإن النظر إلى الأسباب وتفتيشها يورث الخلل في اليقين والفتور فيه، وذلك كثير في المعجزات.

٥٣١٢ ـ [١٨] (أبو الدرداء) قوله: (إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله) فالرزق يصل إليه ما لم يصل الأجل؛ فإذا جاء الأجل انقطع الرزق.

٥٣١٣ ـ [١٩] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُـودٍ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَـهُ قَوْمُـهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُـوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِـهِ وَيَقُـولُ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ. [خ: ٣٤٧٧، م: ١٧٩٢].



٥ ـ باب الرياء والسمعة

٥٣١٣ ـ [١٩] (ابن مسعود) قوله: (يحكي نبيًّا) قال الشيخ ابن حجر: لم أقف على تعيين هـذا النبي صريحاً، ويحتمل أن يكون نوحاً ﷺ، وقيل: بل أراد به نفسه الكريمة ﷺ ذكره بطريق الإبهام.

وقوله: (نبياً من الأنبياء ضربه) الظاهر أنه مفعول (يحكي)، أي: يحكي حاله، و(ضربه) صفة أو استئناف، ويحتمل أن يكون منصوباً على شريطة التفسير.

٥ ـ باب الرياء والسمعة

(الريـاء) من الرؤية، راءى يرائـي مراءاة ورياء، فهـو مراءٍ وهم مراؤون، وقال البيضاوي فـي سورة النساء[١]: المراءاة مفاعلـة بمعنـى التفعيـل، كنعـم وناعـم، أو للمقابلـة، فإن المرائـي يري مـن يرائيه عمله وهـو يريه استحسانه، وقـال فـي سورة الماعون[٢]: يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم. وفي (الصراح)[٣]: رياء بالكسر

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ٢١).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٤٢٠).

(٣) «الصراح» (ص: ٥٥٩).

. . . .

والمد: خويشتن را به نيكي بخلق نمودن، وهو طلب المنزلة عند الناس بالعبادة، فيختص بعمل الظاهر، وما لا يكون من قسم العبادة لا يكون فيه رياء، ككثرة المال والأتباع، وحفظ الأشعار، وحسن الرمي، وإنما هو تكبر وافتخار، وكذلك ما لا يطلب منه المنزلة والجاه عند الناس، كاستمالة قلوب المريدين وترغيبهم وحثهم الاتباع، وفي ذلك قيل: رياء الصديقين خير من إخلاص المريدين.

قال بعض المشايخ: الرياء أن يكون في شخص كمال في الواقع ويريد به الناس، ويحب أن يظهر ذلك عليهم، وأما إذا لم يكن فيه ذلك ويريه الناس ويحب أن يعلموه منه فذلك كذب ونفاق لا رياء، على قياس ما يقال: إن الغيبة أن تقول ما في أخيك من العيب، وأما إذا لم يكن فيه ذلك فذلك بهتان وافتراء، وأفحش الرياء وأقبحها أن لا يريد الثواب أصلاً، وهو في غاية المقت، حتى قيل: إنه لا يبرئ الذمة ويجب القضاء، ثم ما فيه إرادتان والرياء غالب، وهو بقربه، ثم ما استويا فيه، والظاهر فيه أن لا يكون له ولا عليه، ويرجى العفو، على قياس قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠٢]، ولكن الأحاديث والآثار ناظرة في الوعد عليه وعدم القبول، والله أعلم. ثم ما ترجح فيه نية الثواب، والظاهر فيه النقصان لا البطلان، أو الثواب والعقاب بحسب القصدين.

ثم قد فرقوا بين وجود الرياء في ابتداء العمل وعروضه في أثنائه ولحوقه بعد تمامه، والأول أشنع، ثم الثاني، والثالث أدنى لا يبطل ما تقدم، وأيضاً فرق بين قوته والتصميم عليه وبين خطوره والوقوع فيه، وههنا حالة أخرى، وهي الفرح والسرور بفضل الله ورحمته وحسن لطفه تعالى بإخفاء الذنوب وإظهار الطاعات أو باقتداء من

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٣١٤ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلاَ أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٦٣].

رآه، وهي محمودة ليست من باب الرياء كما سيأتي في (الفصل الثاني) من حديث أبي هريرة، والمسألة غامضة، فيها تفاصيل، ولم يتعرض لها الفقهاء، وتحقيقها في كلام القوم خصوصاً في كتاب (إحياء العلوم)، فليرجع إليه.

و(السمعة) بضم السين وسكون الميم، تذكر مع الرياء، يقال: فعله رياء وسمعة، أي: ليراه الناس ويسمعوه، كذا في (الصحاح)[١]، وقال في (القاموس)[٢]: فعله رياء وسمعة، ويضم ويحرك، وهي ما نُوِّه بذكره ليرى ويسمع، وقال الكرماني[٣]: السمعة بضم سين: ما يتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر.

الفصل الأول

٥٣١٤ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) أي: لا ينظر نظر الرحمة إلى صوركم المجردة عن السيرة المرضية، وأموالكم العارية عن الخيرات والإنفاق في سبيل الله تعالى، ولكن ينظر إلى قلوبكم التي هي محل التقوى، وأعمالكم التي يتقرب بها إليه سبحانه، في

---

(١) «الصحاح» (٣/ ١٢٣٢).

(٢) «القاموس» (ص: ٦٥٧).

(٣) انظر: «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١١٩).

٥٣١٥ ـ [٢] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَـى: أَنَـا أَغْنَى الشُّرَكَـاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِـلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيـهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُـهُ وَشِرْكَهُ»، وَفِي رِوَايَـةٍ: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ هُوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٨٥].

٥٣١٦ ـ [٣] وَعَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: . . . .

(النهاية)[١]: النظر ههنا الاختيار والرحمة والعطف، وقال النووي[٢]: نظر الله مجازاته ومحاسبته، فلا يكون إلا على القلوب دون الصور الظاهرة، ويحتج به على كون العقل في القلب.

٥٣١٥ ـ [٢] (وعنه) قولـه: (أنا أغنـى الشركاء) جمع شريك، والمراد به من يدعى له الشريك، وليس في الواقع.

وقولـه: (تركتـه وشركه) يجوز فيه العطف، وكون الواو بمعنى (مع)، قالوا: هذا في القسمين من الأقسام المذكورة، وهو ما لم يقصد الثواب أصلاً، أو كان قصد الشرك غالباً، والله أعلم.

وقيـل: في الحديث دليل على أنـه لا يجوز الأضحية ببدنـة إذا كان فيها شركة لحم.

٥٣١٦ ـ [٣] (جنـدب) قولـه: (وعن جندب) هـو اسم أبـي ذر الغفاري رضي الله عنه بضم الدال وفتحها.

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٧٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٨/ ٣٦٤).

«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٩٩، م: ٢٩٨٧].

٥٣١٧ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: يُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٦٤٢].

وقوله: (من سمع) في (القاموس)[1]: التسميع: التشنيع والتشهير، وإزالة الخمول بنشر الذكر، والإسماع، أي: من شهر نفسه وقصد التشهير، أو من سمع الناس فضائله وأحواله شهر الله عيوبه يوم القيامة وفضحه، يقال: سمعت به تسميعاً وسمعته: إذا شهرته، وقد جاء لفظ يوم القيامة صريحاً في حديث جندب في أول (الفصل الثالث)، وقيل: يظهر سريرته للناس في الدنيا، أي: أعماله السيئة التي يخفيها، أو نيته الفاسدة وغرضه الباطل، ويظهر للناس أن عمله لم يكن خالصاً، وقيل: أراد من سمع الناس بعمله أسمعه الله به وأراه ثوابه من غير أن يعطيه، وقيل: أراد من سمع الناس بعمله أسمعه الله الناس، وكان ذلك ثوابه، وقيل: يريد من نسب إلى نفسه عملاً صالحاً لم يفعله وادعى خيراً لم يصنعه؛ فإن الله يفضحه ويظهر كذبه.

وقوله: (ومن يرائي) أي: يعمل رياء يجزه الله جزاء المرائي، بأن يقول: اطلب جزاء عملك ممن عملت لأجله، ويحتمل أن يكون هذا الجزاء في الدنيا أيضاً.

٥٣١٧ ـ [٤] (أبو ذر) قوله: (يعمل عمل الخير) أي: لوجه الله وثوابه بدون

---

(١) «القاموس» (ص: ٦٥٨).

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٣١٨ ـ [٥] عَنْ أَبِي سَعْدِ[1] بْنِ أَبِي فَضَالَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كانَ أشرك فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. [حم: ٣/ ٤٦٦].

٥٣١٩ ـ [٦] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ أَسَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٦٤٠٢].

رياء، فيجزيه الله في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني

٥٣١٨ ـ [٥] (أبو سعد) قوله: (أبي سعد) الحارثي الأنصاري اسمه كنيته، كذا في (جامع الأصول)[2].

وقوله: (ليوم لا ريب فيه) بدل من (يوم القيامة)، ذكره لبيان أنه مما لا بد في وقوعه، ويتعدى (جمع) بـ (في) وباللام.

قوله: (عمله لله) فكيف بمن عمله لغير الله خالصاً؟

٥٣١٩ ـ [٦] (عبدالله بن عمرو) قوله: (سمع الله به أسامع خلقه): (سمع)

---

(١) في النسخة الهندية: «أبو سعيد»، قال القاري (٨/ ٣٣٣٣): وفي نسخ «المصابيح»: «أبو سعيد» بياء بعد العين، قال الجزري: هو تصحيف.

(٢) «جامع الأصول» (١٢/ ٤٨٥).

٥٣٢٠ ـ [٧] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الآخِرَةِ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ اللهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلاَ يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ.

٥٣٢١ ـ [٨] وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ عَنْ أَبَانَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ.

[حم: ٢١٥٩٠، دي: ٢٣٥].

من التسميع، و(أسامع) جمع أسمع جمع سميع كأكالب وأكلب، وروي (سامع) مرفوعاً بلفظ اسم الفاعل من السمع، والمراد به الله تعالى، أي: سمع الله به الذي هو سامع خلقه، أي: فضحه به، أو منصوباً، أي: من كان له سمع من خلقه، وأما على رواية (أسامع) فهو منصوب، أي: سمع الله به أسماع خلقه، ويفضحه يوم القيامة وفي الدنيا.

٥٣٢٠ ـ [٧] (أنس) قوله: (**جمع له شمله**) أي: أموره المتفرقة، أي: جعله مجموع الخاطر بتهيئة أسبابه من حيث لا يدري.

وقوله: (**وهي راغمة**) ذليلة حقيرة لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير شاءت أو لم تشأ، وفي (القاموس)[1]: الرغم: الكره، رَغِمَه كَعَلِمَه ومنعه: كرهه، والتراب، كالرغام، والقسر، والذل.

٥٣٢١ ـ [٨] قوله: (**أبان**) بن عثمان ﷺ بفتح همزة وخفة موحدة وبنون، بصرف وتركه، والصرف أكثر.

---

(١) «القاموس» (ص: ١٠٠٥).

٥٣٢٢ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! بَيْنَا أَنَا فِي بَيْتِي فِي مُصَلَّايَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَعْجَبَنِي الْحَالُ الَّتِي رَآنِي عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٣٨٤].

٥٣٢٣ ـ [١٠] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللهُ: أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عليَّ يَجْتَرِئُونَ؟ ....

٥٣٢٢ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (فأعجبني الحال التي رآني عليها) وذلك للفرح والسرور بفضل الله ورحمته؛ لكونه موسوماً بالعبادة بين المسلمين، وكون الرائي شاهداً على ذلك، أو ليقتدي به كما ذكرنا في شرح الترجمة.

٥٣٢٣ ـ [١٠] (وعنه) قوله: (يختلون) بكسر التاء، أي: يخدعون، في (القاموس)[1]: ختله يختِله ويختُله ختلاً وختلاناً: خدعه، والذئب الصيد: تَخَفَّى له، فهو خاتل وختول.

وقوله: (من اللين) أي: لأجل إظهار اللين.

وقوله: (أبي) أي: بإمهالي إياهم (يغترون).

وقوله: (أم علي) قال الطيبي[2]: (أم) منقطعة، إضراب عن اعتذارهم بالله على اغترارهم عليه سبحانه.

---

(١) «القاموس» (ص: ٨٩٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠).

فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٠٤].

٥٣٢٤ ـ [١١] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقاً أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، فَبِي حَلَفْتُ لأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ، فَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حديثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٤٠٥].

وقوله: (لأبعثن على أولئك منهم) أي: من أنفسهم أو من قبل الناس، و(من) للابتداء، أي: ناشئة منهم، وكونه للتبيين كما ذكره الطيبي بعيد كما لا يخفى.

وقوله: (تدع الحليم) أي: العاقل الحازم، وفي بعض نسخ (المصابيح): (الحكيم) بالكاف.

وقوله: (حيران) أي: يتحير على دفع ذلك العذاب عنه؛ لشدته وصعوبته فضلاً عن غير الحازم.

٥٣٢٤ ـ [١١] (ابن عمر) قوله: (من الصبر) في (القاموس)[1]: بكسر الباء: عصارة شجر مرٍّ.

وقوله: (لأتيحنهم) في (النهاية)[2]: أتاحه الله وأتاح له، أي: قدره [له] وأنزله به، انتهى. وفي (القاموس)[3]: المتاح: الأمر المقدر.

---

(١) «القاموس» (ص: ٣٨٠).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٢٠٢).

(٣) «القاموس» (ص: ١٩٥).

٥٣٢٥ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَإِنْ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فَلاَ تَعُدُّوهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٥٣].

٥٣٢٥ ـ [١٢] (أبو هريرة) قوله: (**إن لكل شيء شرة**) الشرة بكسر الشين وتشديد الراء آخره تاء: الحرص والنشاط، وشرة الشباب: نشاطه، ذكروه في باب الراء في مادة الشر ضد الخير، وأما الشره بفتحتين والهاء فهو بمعنى شدة الحرص، ذكروه في باب الهاء، و(**الفترة**) بفتح فاء وسكون تاء: الضعف والانكسار، فتر يفتر ويفتر فتوراً وفتاراً: سكن بعد حدة، ولان بعد شدة، ومادته للضعف والسكون، والمراد بالشرة هنا: جانب الإفراط وبالفترة: التفريط، فلكل من الأعمال والأخلاق طرفين: الإفراط والتفريط، والمحمود هو التوسط كما بُيِّن في موضعه، وأشار إلى التوسط والاقتصار بقوله: (**فإن صاحبها سدد**)، و(إن) شرطية والفعل مقدر بعدها على وتيرة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[التوبة: ٦]، أي: سلك طريق السداد والصواب، و(**قارب**) أي: لم يبعد ولم يذهب إلى أحد الجانبين، (**فارجوه**) أي: ارجوا فوزه وفلاحه.

(**وإن أشير إليه بالأصابع**) بأن سلك طريق الإفراط، فلا تعدوه من الفائزين، هكذا ذكر الطيبي[١]، ويمكن أن تجعل الإشارة بالأصابع شاملةً لكل من طرفي الإفراط والتفريط؛ فإن الاشتهار كما يكون بالذهاب والإغراق في جانب الإفراط كذلك يكون في جانب التفريط، ولعله إنما خصه بجانب الإفراط؛ لأن عدم العد من الفائزين في جانب التفريط أظهر من أن يذكر، وإنما يحتاج ذكره في جانب الإفراط لأنه قد يتوهم

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١١).

٥٣٢٦ ـ [١٣] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا إِلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٦٥٨٠].

*** الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٥٣٢٧ ـ [١٤] عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ قَالَ: ....

كونه كمالاً، وفي الحقيقة ليس بكمال، وإنما الكمال هو التوسط، وفي قوله: (فارجوه) (ولا تعدوه) إشارة إلى إبهام العاقبة لعدم العلم بالسابقة، وإنما الحكم على الظاهر بالظن الغالب، فافهم.

٥٣٢٦ ـ [١٣] (أنس) قوله: (أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا) أما في الدنيا فظاهر، وأما في الدين فلأنه مظنة الوقوع في شبكة الرياء، وحب الرياسة، واعتقاد الناس وتعظيمهم، والشهوات الخفية النفسانية، ومكائد النفس وغوائليها، ومكر الشيطان، مما قل أن ينجو عنها إلا الصديقون، فالخمول والذبول هو الأولى والأسلم، ولذا قيد بقوله: (إلا من عصمه الله)، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، قيل للحسن البصري: إن الناس قد أشاروا إليك بالأصابع، فقال: لا يعني النبي ﷺ ذلك، وإنما عنى به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه، فالحاصل أن ذلك فيمن يحب الرياسة والجاه في قلوب الناس بالباطل، وأما من عصمه الله فغير داخل فيه، وقد قال الله تعالى حكاية عن حال خواص عباده: إنهم يدعونه ويقولون: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، والله أعلم.

الفصل الثالث

٥٣٢٧ ـ [١٤] (أبو تميمة) قوله: (عن أبي تميمة) هو أبو تميمة خالد الهجيمي

شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَأَصْحَابَهُ وَجُنْدُبٌ يُوصِيهِمْ، فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالُوا: أَوْصِنَا، فَقَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ إِلاَّ طَيِّباً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ أَهَرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٧١٥٢].

البصري، بضم الهاء وفتح الجيم، نسبة إلى هجيم بن عمرو.

(**ومن شاقَّ شقَّ الله عليه**) في (القاموس)[1]: شق عليه: أوقعه في المشقة، وفي بعض النسخ: (شاق الله عليه)، والأول أصح وأكثر، ولقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي» أي: لولا أثقل عليهم، من المشقة، وهي الشدة، أي: من يحمل الناس على أمر شاق ويكلفهم بما فوق طاقتهم، أو يكون في شق منهم وناحية بالخلاف لهم، شق الله، أي: ثقله وأوقعه في شدة، وفي حديث آخر: (من ضار ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه)، والضرر: إتلاف مال أحد، والمشقة: إيصال أذية إلى بدنه بتكليفه عملاً شاقًّا، والمشاقة منه، أو من الشقاق بمعنى النزاع، كذا في (مجمع البحار)[2].

وقوله: (**أول ما ينتن**) بضم الياء من أنتن فهو منتن، صار نتناً.

وقوله: (**بطنه**) كناية عن مسه النار بسبب أكل الحرام المفضي لدخول النار، فاجتنبوا ذلك بأكل الحلال.

وقوله: (**ملء كف**) فاعل (لا يحول)، قلّله إشارة إلى أن القليل من القتل

---

(١) «القاموس» (ص: ٨٠٨).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٢٤٤، ٣٩٩).

٥٣٢٨ ـ [١٥] وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّهُ خَرَجَ يَوْماً إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِداً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُتَفَقَّدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُقَرَّبُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [جه: ٣٩٨٩، شعب: ٦٣٩٣].

بأن يكون قتل نفس واحد مثل الحول فكيف بالكثير وقتل نفوس متعددة؟ وقيل: قلّله تسفيهاً لرأي من ارتكب هذا المحظور الجنس الحقير وفوّت على نفسه الجنة.

٥٣٢٨ ـ [١٥] (عمر بن الخطاب) قوله: (لم يتفقدوا) على صيغة المجهول، في (القاموس)[١]: تفقده: طلبه عند غيبته.

وقوله: (وإن حضروا لم يدعوا) من الدعوة، أي: إلى ضيافته ومائدته.

وقوله: (ولم يقربوا) من التقريب بلفظ المجهول أيضاً، أي: وإذا دعوا لم يقربوا بل تركوا في صف النعال.

وقوله: (غبراء مظلمة) صفة لمساكينهم.

---

(١) «القاموس» (ص: ٢٧٨).

٥٣٢٩ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فِي الْعَلَانِيَةِ فَأَحْسَنَ وَصَلَّى فِي السِّرِّ فَأَحْسَنَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: هَذَا عَبْدِي حَقًّا». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٤٢٠٠].

٥٣٣٠ ـ [١٧] وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْـوَامٌ إِخْوَانُ الْعَلَانِيَـةِ أَعْدَاءُ السَّرِيرَةِ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَكُـونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ بِرَغْبَـةِ بَعْضِـهِمْ إِلَـى بَعْضٍ وَرَهْبَـةِ بَعْضِـهِمْ مِنْ بَعْضٍ».

٥٣٣١ ـ [١٨] وَعَنْ شَـدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَـالَ: سَمِعْـتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «مَنْ صَلَّـى يُرَائِي فَقَـدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَـدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ». رَوَاهُمَا أَحْمَدُ. [حم: ٥/ ٢٣٥، ٤/ ١٢٥].

٥٣٣٢ ـ [١٩] وَعَنْهُ أَنَّهُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: . . . .

٥٣٢٩ ـ [١٦] (أبو هريرة) قوله: (إذا صلى في العلانية) يعني لا يرائي، ويحسن سره وعلانيته.

٥٣٣٠ ـ [١٧] (معاذ بن جبل) قوله: (برغبة بعضهم إلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض) أي: أمورهم معللة بالأغراض، فتارة يرغبون بالأغراض فيظهرون الصداقة، وتارة يكرهون لأغراض فيعادون.

٥٣٣١ ـ [١٨] (شداد بن أوس) قوله: (فقد أشرك) وذلك هو الشرك الأصغر كما ورد في الحديث.

٥٣٣٢ ـ [١٩] (وعنه) قوله: . . . .

شَيْءٌ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ فَذَكَرْتُهُ فَأَبْكَانِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «أَتَخَوَّفُ على أمتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: «نعَمْ، أَمَا إِنَّهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ حَجَراً وَلاَ وَثَناً، وَلَكِنْ يُرَاؤُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِماً، فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [حم: ١٧١٢٠، شعب: ٦٤١١].

٥٣٣٣ ـ [٢٠] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[١] قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ فَيَزِيدَ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رجلٍ». رَوَاهُ ابْن مَاجَهْ. [جه: ٤٢٠٤].

(والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم . . . إلخ)، أي: الكامنة في نفسه، الظاهرة عند معارضة الطاعة، كأنها كانت مختفية في نفسه عند نية الصوم، وقال الطيبي[٢]: سمي خفيًّا بخفاء هلاكه، أو لمشاكلة الشرك؛ لأن المراد منه الشرك الخفي.

٥٣٣٣ ـ [٢٠] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فيصلي فيزيد) هذا على سبيل التمثيل وليس الرياء منحصراً فيه، وإنما كان هذا أخوف؛ لأن في الدجال علامات ظاهرة

---

(١) «الخدري» سقط في نسخة.

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٥).

٥٣٣٤ ـ [٢١] وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَزَادَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»: «يَقُولُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً وَخَيْراً؟». [حم: ٢٣٦٣، شعب: ٦٤١٢].

٥٣٣٥ ـ [٢٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَجُلاً عَمِلَ عَمَلاً فِي صَخْرَةٍ لاَ بَابَ لَهَا وَلاَ كَوَّةَ خَرَجَ عَمَلُهُ إِلى النَّاسِ كَائِناً مَا كَانَ[١]».

تدل على كذبه عند أهل العلم، وأما الرياء فخفي أمره غاية الخفاء، والنفس لها مكايد خفية يعسر إدراكها، قال بعض المشايخ: إدراك الرياء أصعب من رؤية دبيب النمل في الليلة الظلماء على الحجر الأسود، أو كما قال.

٥٣٣٤ ـ [٢١] (محمود بن لبيد) قوله: **(قال الرياء)** وقد فسر قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] بالرياء، وقيل: إن العمل الصالح الذي يصلح لقبول جناب الحق سبحانه هو الذي يخلص عن الرياء.

٥٣٣٥ ـ [٢٢] (أبو سعيد الخدري) قوله: **(ولا كوة)** بتشديد الواو، والكوة بالفتح إذا كانت غير نافذة، وبالضم إذا كانت نافذة، كذا في (الحواشي)، وفي (القاموس)[٢]: الكوة بالفتح ويضم: الخرق في الحائط، أو التذكير للكبير، والتأنيث

---

(١) في نسخة: «من كان».

(٢) «القاموس» (ص: ١١٩٦).

٥٣٣٦ ـ [٢٣] وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ سَرِيرَةٌ صَالِحَةً أَوْ سَيِّئَةً أَظْهَرَ اللهُ مِنْهَا رِدَاءً يُعْرَفُ بِهِ».

٥٣٣٧ ـ [٢٤] وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ كُلَّ مُنَافِقٍ يَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمَةِ وَيَعْمَلُ بِالْجَوْرِ». رَوَى الْبَيْهَقِيُّ الأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٦٥٤١، ٦٥٤٣، ٤١١].

٥٣٣٨ ـ [٢٥] وَعَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: ....

للصغير، وقال الكرماني: الكوة بفتح الكاف: ثقب البيت، وحكي الضم، ومعنى الحديث: أنه لا حاجة إلى إظهار العمل وإفشائه فيكون رياء، بل الله يظهره إذا كان لله خالصاً وأراد الله إظهاره، ورأى فيه مصلحة، أو المعنى ـ والله أعلم ـ ينبغي أن يحتاط العبد المخلص في إخفاء العمل ويتكلف فيه؛ فإنه قد يشيع من حيث لا يدري، والله أعلم.

٥٣٣٦ ـ [٢٣] **(عثمان بن عفان)** قوله: **(من كانت له سريرة)** السريرة: السر، وهو ما يكتم، والجمع سرائر وأسرار.

وقوله: **(أظهر الله منها رداء يعرف به)** المراد بالرداء هنا علامة يعرف بها كما يعرف بالرداء كون الرجل من الأعيان، كذا في الحواشي.

٥٣٣٧ ـ [٢٤] **(عمر بن الخطاب)** قوله: **(ويعمل بالجور)** أي: يكون جابراً مائلاً عن طريق الاستقامة.

٥٣٣٨ ـ [٢٥] **(المهاجر)** قوله: **(وعن المهاجر بن حبيب)** بالحاء المهملة

إِنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلَامِ الْحَكِيمِ أتقبَّلُ، وَلَكِنِّي أَتَقَبَّلُ هَمَّهُ وَهَوَاهُ، فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِي طَاعَتِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ حَمْداً لِي وَوَقَاراً وإِنْ لمْ يَتَكَلَّمْ». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢٥٨].



على وزن (فعيل).

٦ ـ باب البكاء والخوف

بكى يبكي بُكَاءً فهو باكٍ، والجمع بُكاةٌ وبُكِيٌّ، والتَّبْكَاءُ: كثرته، وأبكاه: فَعَلَ به ما يوجب بكاءه، والتباكي: التكلف في البكاء، والبَكَّاء كشداد: كثير البكاء، وفي (الصراح)[1]: بكـاء بالمد: گريه بآواز، وبالقصر: آب جشم باريـدن، يقال: بكيته وبكيت عليه، والخوف: الفزع، خاف يخاف خوفاً وخيفاً ومخافة وخيفة بالكسر: فزع، والخوف أيضاً: القتل، ومنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾[البقرة: ١٥٥]، ومنه: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾[الأحزاب: ١٩]، والعلم، ومنه: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾[النساء: ١٢٨]، وتخـوف عليـه شيئاً: فاتـه، والشيء تخوفـه: تنقصه، ومنـه: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[النحل: ٤٧]، ورجل خافٍ، أي: شديد الخوف، كما يقال: رجل صات، أي: شديد الصوت.

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٤٥).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٣٣٩ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٦٣٧].

٥٣٤٠ ـ [٢] وَعَنْ أُمِّ الْعَلاَءِ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لاَ أَدْرِي وَاللهِ لاَ أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ١٢٤٣].

الفصل الأول

٥٣٣٩ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (لو تعلمون ما أعلم) من أحوال القيامة وأهوالها، وحقيقة المبدأ والمعاد، وصفات الباري تعالى ما يورث الخوف والهيبة، فيعرض من أجل ذلك غم على قلبه الشريف لأجل الأمة، وهذا حث منه ﷺ للأمة على كثرة البكاء واستحضار ما يورثه من خوف الله وخشيته، واستشعار عظمته وهيبته تعالى، والاجتناب عن الضحك، فإنه دأب الجاهلين الغافلين عما ذكر وإن كان رجاء العفو والمغفرة أيضاً متصوراً في الجملة.

٥٣٤٠ ـ [٢] (أم العلاء الأنصارية) قوله: (والله لا أدري والله لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم) قيل: مورد الحديث أنه لما مات عثمان بن مظعون، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة، فحضر رسول الله ﷺ موته، وقبل بين عينيه، فقالت امرأة: هنيئاً لك الجنة، فقال ﷺ هذا القول زجراً لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب والجزم به، فكان خلاصة المقصود الكناية عن عدم التصريح بعلم الغيب تأدّباً، أو مراده ﷺ بنفي الدراية ليس تردداً في عاقبة أمره؛ فإنه منفي

٥٣٤١ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعاً، . . . . . .

بالدلائل القطعية، وإنما المراد الدراية التفصيلية، إذ لا علم له بالغيب إلا بتعليم الله تعالى، وقيل: لا أدري أموت أو أقتل، وقيل: هو في الأمور الدنياوية، وقيل: هو إشارة إلى فتح مكة وعزته عند الله وهوان المشركين فيه، وهو لا يلائم المورد على ما قيل، وقيل: قاله قبل نزول قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾[الفتح: ٢]، وهو الأظهر.

٥٣٤١ ـ [٣] **(جابر)** قوله: **(خشاش الأرض)** الخشاش بالكسر: ما لا دماغ له من دواب الأرض، ومن الطير، مثلثة: حشرات الأرض، والعصافير ونحوها، كذا في (القاموس)[١]، وفي (الصراح)[٢]: خشاش حشرات زمين، وبالفتح أيضاً خشاشة مكي، وفي (مجمع البحار)[٣] عن (النهاية): خشاش الأرض، أي: هوامها وحشراتها، وروي (خشيشها) بمعناه، ويروى بحاء مهملة، وهو يابس النبات، وهو وهم، وقيل: إنما هو خشيش مصغر خشاش على الحذف، أو خشيش بتشديد الياء وبتركه، وعن النووي: فتح خاء (خشاش) أشهر الثلاثة، وإعجامه أصوب، وهي الهوام، وقيل: ضعاف الطير، وقال الكرماني: في الحديث أن بعضهم معذب في جهنم اليوم، انتهى. ويمكن أنه ﷺ كوشف وأريت له الأحوال الآتية وتمثلت، والله أعلم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٣٢).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٥٧).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٤٠).

وَرَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٩٠٤].

٥٣٤٢ ـ [٤] وَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ يَوْماً فَزِعاً يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، . . . .

وقوله: (**عمرو بن عامر**) وفي بعض الروايات عمرو بن لحيٍّ، ولعلهما واحد، أحدهما أبوه والآخر جده، كذا قيل.

وقوله: (**يجر قصبه**) بالضم وسكون الصاد المهملة: المعى، كذا في (القاموس)[1]، واختلف أنه اسم للأمعاء كلها أو لما كان أسفل البطن من الأمعاء.

وقوله: (**وكان أول من سيب السوائب**) أي: وضع تحريمها، والسائبة: الناقة يدرك [نتاج] نتاجها فتسيب، أي: تهمل وتترك ولا تركب، وكانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه، أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن على التوالي كلهن أناث سيبت، أو كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو برئ من مرض أو نجت دابته من مشقة أو جرب قال: هي سائبة، أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً، وكانت لا تُمنع من ماء أو كلأ، ولا تركب ولا تحلب، وكان ذلك تقرباً منهم إلى أصنامهم، وكان أول من فعل هذا عمرو المذكور، والسائب: العبد الذي يعتق ويترك ولا يكون للمعتق ولاء، ويقال: إن عمراً أول من سن عبادة الأصنام بمكة وحمل أهلها بالتقرب إليها.

٥٣٤٢ ـ [٤] (زينب بنت جحش) قوله: (**فزعاً**) يروى بكسر الزاي، أي: خائفاً، وقال النووي: وجوز فتحها أيضاً، أي: خوفاً.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٦).

وَيلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِأُصْبَعَيْهِ: الإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَنُهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذا كثُرَ الخَبَثُ». مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٤٦، م: ٢٨٨٠].

وقوله: (ويل للعرب من شر قد اقترب) أي: قرب خروج جيش يقاتل العرب، قيل: أراد به الفتن الواقعة في العرب أولها قتل عثمان ﷺ واستمرت إلى الآن، وقيل: كثرة الفتوح والأموال والتنافس فيها، ثم التنافس في الإمارة، كذا قال الشيخ ابن حجر[1].

وقوله: (ردم يأجوج ومأجوج) بفتح الراء، ردم الباب والثلمة يردمه: سدّه كله أو بعضه، أو هو أكثر من السد، وخص العرب لأن معظم شرهم راجع إليهم، أو أنه ﷺ أعلم أن تلك الثقبة علامة ظهور الفتن في العرب، وقيل: إن المراد من يأجوج ومأجوج في هذا الحديث هو الترك، وقد أهلكوا المعتصم بالله، وجرى منهم ببغداد وسائر بلاد الإسلام ما جرى. وقيل: المراد أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبة إلى اليوم، وقد انفتحت فيه، وانفتاحها من علامات قرب الساعة، فإذا اتسعت خرجوا، وذلك بعد خروج الدجال، كذا في (الحواشي).

وقوله: (وحلق بأصبعيه) تمثيلاً لبيان مقدار ثقبة الردم.

وقوله: (أفنهلك) بلفظ المضارع المتكلم مع الغير، من الهلاك معلوماً ومجهولاً، والأول أقوى وأشهر.

وقوله: (الخبث) بضم الخاء وسكون الباء، أي: الفسق والفجور، وفي بعض

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ١٠٧).

٥٣٤٣ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَزَّ. . . . .

النسخ بفتحتين كذا فسره الجمهور، وقيل: الزنا، وقيل: أولاده، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً، أي: إذا كثر فقد يحصل الهلاك، لكنه طهارة للمطيعين عن الذنوب، فإن قلت: لم لا يعكس، فإن الأبرار لا يشقى جليسهم؟ قلت: ذلك في القليل، وإذا غلب الخبث يغلبهم، كذا في (مجمع البحار)[١] عن الكرماني.

٥٣٤٣ ـ [٥] (أبو عامر) قوله: **(أبي عامر أو أبي مالك الأشعري)**: (أبو عامر) عم أبي موسى الأشعري، واسمه عبيد بن وهب، وقيل: ابن سليم الأشعري، كان من كبار الصحابة، قتل يوم حنين أميراً على طلب أوطاس، فلما أخبر رسول الله ﷺ بقتله رفع يديه يدعو له أن يجعله فوق كثير من خلقه، روى عنه ابنه عامر وأبو موسى الأشعري.

و(أبو مالك الأشعري)، ويقال الأشجعي، اسمه مختلف، وهو كعب بن عاصم على المشهور المختار، وقيل: اسمه عبدالله، وقيل: عمرو، وقيل: عبيد، مات في خلافة عمر بن الخطاب، وأخرج البخاري حديثه بالشك، فقال: عن أبي مالك الأشعري أو عن أبي عامر، قال ابن المديني: والأول هو الصواب، كذا في (جامع الأصول)[٢].

وقوله: **(يستحلون الخز)** في (القاموس)[٣]: الخز من الثياب معروف، والجمع

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٤).

(٢) «جامع الأصول» (١٢/ ٨١٢).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٤٥٩).

وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ. . . . .

خزوز، وفي (مجمع البحار)[١]: كان الخز أولاً ثياباً تنسج من صوف وإبريشم، وهي مباحة، وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزي المترفين، وإن أريد بالخز ما هو المعروف الآن فهو حرام؛ لأن جميعه من إبريشم، وعليه يحمل حديث: (يستحلون الخز والحرير)، ولم يكن في عصره ﷺ، فهو معجزة للإخبار بالغيب، انتهى.

وعلى هذا يكون عطف الحرير عليه من باب التعميم بعد التخصيص.

و(**المعازف**) الملاهي، كالعود والطنبور، والواحد عزف أو مغزف كمنبر، والعازف: اللاعب بها والمغني، سمي به لأنه تعزف به الجن، والعزف والعزيف: صوت الجن، وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل، وعزف الرياح: أصواتها، كذا في (القاموس)[٢]، وفي (مجمع البحار)[٣] عن (النهاية): كانت الجن تعزف الليل كله بين الصفا والمروة، وعزيف الجن: جرس أصواتها، وقيل: هو صوت يسمع بالليل كالطبل، وقيل: إنه صوت الرياح في الجو فتوهمه أهل البادية صوت الجن، وعزيف الرياح: ما يسمع من دويها.

وقوله: (**ولينزلن أقوام . . . إلخ**)، هذا خبر آخر بوقوع العذاب من الإهلاك والمسخ في أمته من جهة منعهم السائل وذا الحاجة، ودفعهم إياه بالمطل والتسويف في قضاء حاجاته والاستهزاء به، وكذبهم وخلف وعدهم مع وفور الثروة وظهورها،

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٣).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٨٧).

يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ رَجُلٌ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ. . . . .

وشرحه: (لينزلن أقوام إلى جنب علم) أي: يكون منزلهم ومقامهم عند جبل، والتعبير عنه بالعلم إيذان بأن المكان مشهور معلوم يقصده ذوو الحاجات، فيكون تخييبهم أشد وأقبح.

وقوله: (**يروح عليهم بسارحة لهم**) قيل: سقط من صاحب (المصابيح) فاعل (يروح)، وقد وجد في الروايات، أي: يدخل وقت الرواح الذي هو وقت مجيء المواشي ملأى البطون حافلة الضروع رجل بسارحة لهم تسرح، والسارحة والسارح والسرح: الماشية تطلق لترعى، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[النحل: ٦]، فسقط (رجل) وهو فاعل (يروح)، وهو الراعي، وقيل: الفاعل ضمير رجل مفهوم من السياق، أي: يأتيهم راعيهم، وقيل: الباء في (بسارحة) زائدة، وهو الفاعل، وقد تزاد الباء في الفاعل كما قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٧٩]، والتذكير للفصل، وقد يروى: (تروح) بالتاء المثناة الفوقانية، و(سارحة) بالرفع بدون الباء كما نقله المؤلف عن الحميدي والخطابي، فتعين القول بزيادة الباء توفيقاً بين الروايتين.

وقوله: (**يأتيهم رجل لحاجة**) هو السائل يلتمس منهم قوتاً فيمنعونه بالمطل والتسويف.

وقوله: (**فيبيتهم الله ويضع العلم**) بيان للعذاب النازل عليهم، (يبيتهم) أي: يرسل عليهم العذاب بياتاً، ويضع الجبل على بعضهم حتى يهلكوا فلم ير منهم أثر، ومن هنا قيل بسقوط كلمة (عليهم)، ولا حاجة إلى القول بسقوطها بل هي مرادة.

وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَـةِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي بَعْضِ نُسَخِ «الْمَصَابِيحِ»: «الْحِرَ» بِالْحَاءِ وَالرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَإِنَّمَا هُـوَ بِالْخَـاءِ وَالزَّايِ الْمُعْجَمَتَيْنِ نَصَّ عَلَيْـهِ الْحُمَيْدِيُّ وَابْنُ الأَثِيـرِ فِي هَـذَا الْحَدِيثِ، ....

وقولـه: (ويمسخ آخريـن قردة وخنازير) دل علـى وقوع المسخ في هذه الأمة على خلاف قول من زعم أن مسخها بقلوبها، كذا قيل، وفيه ما فيه.

وقولـه: (إلى يوم القيامة) إما حال مـن (قردة وخنازير)، أي: باقين على هذه الصورة إلى يوم القيامة، وهذا أقبح وأشنع من موتهم بعد المسخ بعد حين، أو متعلق بالمجموع، أي: يقـع هـذا التعذيب علـى معاصيهم إلـى يوم القيامة علـى أقوام بعد أقوام، هذا شرح الحديث وتنقيح ما ذكره الطيبي فيه.

وقولـه: (وفـي بعض نسخ المصابيـح: الحـر بالحـاء والـراء المهملتين) في (القامـوس)[1]: الحـر بكسر الحاء وفتـح الراء مـع التخفيف: الفرج، والمراد الزنا، أصله حـرح حـذف الحاء للتخفيف، والدليل على أنه يجمع الحر على أحراح، وقد يجمع على حِرون وينسب بِحِرِيّ، كذا في (القاموس)[2].

وقوله: (وهو تصحيف وإنما هو بالخاء والزاي المعجمتين) قال التُّورِبِشْتِي[3]: بـل الرواية بالخاء والزاي المعجمتين تصحيـف، صحفـه بعض الرواة مـن أصحـاب الحديث، وذلك رواية من لا يعلم، والجواب أنه قد ذكر الحميدي وابن الأثير في هذا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٩٧).

(٣) «كتاب الميسر» (٣/ ١١٢٠).

وَفَي كِتَابِ «الْحُمَيْدِيِّ» عَنِ الْبُخَارِيِّ وَكَذَا فِي «شَرحه» للخطابي: «تَرُوحُ سَارِحَةٌ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ لِحَاجَةٍ». [خ: ٥٥٩٠].

٥٣٤٤ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧١٠٨، م: ٢٨٧٩].

الحديث: والحر بالحاء والراء المهملتين إنما هو في حديث آخر غير حديث البخاري، أخرجه أبو داود وغيره، كما ذكره الطيبي[١]، وقد أشار المؤلف إلى ذلك بقوله: (في هذا الحديث).

هذا ولكن قال الشيخ ابن حجر[٢]: وقع في معظم روايات البخاري بالحاء والراء المهملتين، فعلى هذا يكون كلا الروايتين صحيحة، والله أعلم.

وقوله: (**وفي كتاب الحميدي عن البخاري، وكذا في شرحه**) أي: شرح البخاري (**للخطابي: تروح عليهم سارحة**) أي: بالتاء المثناة الفوقية ورفع (سارحة) على أنه فاعل (تروح) كما ذكرنا في شرح الحديث، و(**لهم يأتيهم لحاجة**) أي: بتقديم قوله: لحاجة على رجل أو بدون ذكر رجل، وعلى هذا كان الضمير راجعاً إلى رجل يفهم من سياق الكلام كما في يروح عليهم بسارحة على بعض الوجوه.

٥٣٤٤ ـ [٦] (**ابن عمر**) قوله: (**من كان فيهم**) أي: صالحاً كان أو طالحاً، هكذا جرت السنة الإلهية في بعض الذنوب، وفي بعض الأحيان، وقد يحفظ من يريد، والله عليم حكيم.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٢٢).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٥).

٥٣٤٥ ـ [٧] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٧٨].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٣٤٦ ـ [٨] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلاَ مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٦٠١].

٥٣٤٧ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ[1] ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ...............

٥٣٤٥ ـ [٧] (جابر) قوله: (على ما مات عليه) من الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، والذكر والغفلة، فالمعتبر هو الخاتمة.

الفصل الثاني

٥٣٤٦ ـ [٨] (أبو هريرة) قوله: (ما رأيت مثل النار) أي: شدة وهولاً، (نام هاربها) ومن شأن الهارب من مثل هذا الشيء أن لا ينام ويجدّ في الهرب، وذلك بالتزام الطاعة، (ولا مثل الجنة) بهجةً وسروراً (نام طالبها) وينبغي له أن لا ينام ويغفل عن طلبها، ويعمل عملاً يوصل إليها.

٥٣٤٧ ـ [٩] (أبو ذر) قوله: (أطت السماء) أي: صاحت وأنَّتْ، أطّ الرجل ونحوه يأط أطيطاً: صوت، والإبل أَنَّتْ تعباً، والأطيط: صوت الرحل والإبل من ثقلها، وظاهر السياق أن أطيطها من ازدحام الملائكة وكثرتهم وثقلهم كما يأط المركب من ثقل الراكب، وهو كناية عن كثرتهم وإن لم يكن هنا صوت وأنين، كذا قالوا، وقيل:

---

(١) في نسخة: «النبي».

وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ[1] أَصَابِعَ إِلاَّ وملَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ». . . . .

من خشية الله تعالى، فإذا كانت تخشى من الله مع أنها جماد وموضع عبادة الملائكة، فالإنسان أولى بأن يخشى ويحن ويبكي مع أنه يموت بالذنوب، كذا في (الحواشي)، **(وحق لها)** على لفظ المجهول، أي: ينبغي لها أن تصيح، **(وأربع)** يروى بتاء وبدونها، والأصبع يذكر ويؤنث.

وقوله: **(ولخرجتم إلى الصعدات)** جمع صعد بضمتين جمع صعيد بمعنى الطريق، كطريق وطرق وطرقات، وهو في الأصل معنى التراب أو وجه الأرض، وقيل: جمع صعدة كظلمة وظلمات، وهو فناء الدار وممر الناس، أو المعنى لخرجتم من بيوتكم إلى فنائها وإلى الطرقات والصحاري كما هو شأن المحزون الذي ضاق عليه الأمر.

وقوله: **(تجأرون إلى الله)** أي: تتضرعون إليه رافعين أصواتكم، في (القاموس)[2]: جأر كمنع جأراً وجؤاراً: رفع صوته بالدعاء، وتضرع، واستغاث، والبقرة والثور: صاحا، وفي (الصحاح)[3]: الجؤار صوت البقر، وقرأ بعضهم: (عجلاً جسداً له جؤار) بالجيم، وعن الأخفش: وجأر إلى الله، أي: تضرع بالدعاء.

---

(١) في نسخة: «أَرْبَعَةِ».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٥).

(٣) «الصحاح» (٢/ ٦٠٧). وفيه: «الجؤار مثل الخوار»، فليتأمل.

قَالَ أَبُـو ذَرٍّ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ.

[حم: ٥/ ١٧٣، ت: ٢٣١٢، جه: ٤١٩٠].

٥٣٤٨ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَـغَ الْمَنْزِلَ، أَلَاَ إِنَّ سِلْعَـةَ اللهِ غَالِيَـةٌ، أَلَاَ إِنَّ سِلْعَـةَ اللهِ الْجَنَّةُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٥].

وقوله: (كنت شجرة تعضد) أي: تقطع، والعضد: القطع، من عضد يعضد من باب ضرب، والنصر والإعانة من باب نصر، وهذه كناية عن كونه بريئاً من الذنوب غير محشور ومعذب يوم القيامة.

٥٣٤٨ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (من خاف أدلج) الدلج محركة والدلجة بالضم والفتح: السير من أول الليل، وقد أدلجوا، فإن ساروا من آخره فادّلجوا بالتشديد، وفي (الصحاح)[1]: الإدلاج: السير من أول الليل، والإدّلاج: السير من آخر الليل، والاسم من الأول دلج بالتحريك، ومن الثاني دلجة بالضم والفتح.

وقوله: (ومن أدلج بلغ المنزل) أي: هرب في أول الليل؛ لأن العدو يغير في آخره، أي: من خاف عذاب الله وكيد الشيطان فليهرب سريعاً من المعاصي إلى الطاعات، ولا يسوّف في التوبة، ولا يتكاسل في الطاعة.

وقوله: (ألا إن سلعة الله غالية)، في (القاموس)[2]: السلعة بالكسر: المتاع وما تُجِرَ به، أي: متاع الله غال لا يحصل إلا ببذل الأنفس والأموال، قال سبحانه:

---

(١) «الصحاح» (١/ ٣١٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦٥٦).

٥٣٤٩ ـ [١١] وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْماً أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ والْبَيْهَقِيُّ فِي «كِتَابِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ». [ت: ٢٥٩٤].

٥٣٥٠ ـ [١٢] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ. [ت: ٣١٧٥، جه: ٤١٩٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

٥٣٤٩ ـ [١١] (أنس) قوله: (من ذكرني) أي: بالإخلاص في الطاعة، (أو خافني في مقام) أي: كف النفس عن الهوى في ارتكاب المعصية، تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠].

٥٣٥٠ ـ [١٢] (عائشة) قوله: (﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾) قراءة السبعة ﴿يؤتون ما آتوا﴾ من الإيتاء بمعنى الإعطاء، وقد قرئ: (يأتون ما أتوا) من الإتيان بمعنى الفعل، وقد تنسب هذه القراءة إلى النبي ﷺ، وسؤال عائشة مبني على هذه القراءة، لكن الواقع في النسخ هي الأولى، والظاهر أن تكون الثانية، وقد يوجه بأن الفاعل يؤتي، أي: يعطي من نفسه الفعل ويخرج منها، فافهم.

٥٣٥١ ـ [١٣] وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ[١]، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٢٤٥٧].

٥٣٥٢ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِصَلَاةٍ فَرَأَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى الْمَوْتُ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ..................

٥٣٥١ ـ [١٣] (أبي بن كعب) قوله: (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) رجف: حرك وتحرك واضطرب شديداً، رجفاً ورجوفاً ورجيفاً، والأرض: زلزلت كأرجفت، والرعد: ترددت هَدْهَدَتُه في السحاب، والرجفة: الزلزلة، والراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: الثانية، وفي (الصحاح)[٢]: ردفه وأردفه، أي: تبعه وأتبعه، ويقال: كان نزل بهم أمر فردف لهم آخر أعظم منه، ومنه قوله تعالى: ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾[النازعات: ٧].

وقوله: (جاء الموت بما فيه) يحتمل أن تكون الباء للتعدية أو للملابسة.

٥٣٥٢ ـ [١٤] (أبو سعيد) قوله: (يكتشرون) افتعال من الكشر بالشين المعجمة، وهو ظهور الأسنان للضحك، وكاشره: إذا ضحك في وجهه، وفي (الصراح)[٣]: كشر دندان سپيد كردن شتر، وتبسم كردن مردم.

وقوله: (هاذم اللذات) الهذم بالذال المعجمة: القطع، وبالدال المهملة؛ الهدم:

---

(١) وفي نسخة: «اذكروا الله» ثلاث مرات.

(٢) «الصحاح» (٤/ ١٣٦٤).

(٣) «الصراح» (ص: ٢١١).

الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِ على الْقَبْرِ يومٌ إِلاَّ تكلَّمَ فَيَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ، وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ، وَأَنَا بَيتُ التُّرَابِ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ، وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ الْقبْرُ: مَرْحباً وَأَهْلاً، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ». قَالَ: «فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ ـ أَوِ الْكَافِرُ ـ قَالَ لَهُ الْقَبْرُ: لاَ مَرْحَباً وَلاَ أَهْلاً، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرَى صَنِيعِي بِكَ» قَالَ: «فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَصَابِعِهِ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ، قَالَ: «وَيُقَيَّضُ لَهُ سَبْعُونَ تِنِّيناً، . . . .

نقض البناء، قال السيوطي: قد صرح السهيلي أن الرواية بالمعجمة، ونقل في (الحواشي) عن صاحب (المهمات): هاذم اللذات بالذال المعجمة معناه القاطع، وهو الأنسب بحسب المعنى، لكن في بعض النسخ بالدال المهملة.

وقوله: (**الموت**) إما مجرور أو مرفوع، ويحتمل النصب، والوجوه ظاهرة.

وقوله: (**أما إن كنت**): (أما) حرف تنبيه، و(إن) مخففة من المثقلة، و(إلي) متعلق بـ (أحب).

وقوله: (**فإذ وليتك**) على صيغة الماضي المتكلم، إما من التولية مجهولاً أو من الولاية معلوماً، أي: جعلت أو صرت حاكماً قادراً عليك.

و(**تختلف أضلاعه**) أي: يدخل بعضها في بعض.

وقوله: (**ويقيض له**) قيض الله فلاناً لفلان، أي: سلط ووكل، وقد مرّ في حديث:

لَوْ أَنَّ وَاحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئاً مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، فَيَنْهَسْنَهُ وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ»، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

[ت: ٢٤٦٠].

٥٣٥٣ ـ [١٥] وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ وَأَخَوَاتُهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٣٢٩٧].

(ما أكرم شاب شيخاً إلا قيض الله له من يكرمه).

وقوله: (**فَيَنْهَسْنَهُ**) نهس اللحم كمنع وفرح: أخذه بمقدم أسنانه ونتفه. (**ويخدشنه**) خدش الجلد: مزقه أو قشره بعود ونحوه.

وقوله: (**من حفر النار**) وفي بعض الروايات: (من حفر النيران).

٥٣٥٣ ـ [١٥] (**أبو جحيفة**) قوله: (**شيبتني سورة هود**) قالوا: وذلك لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: ١١٢]، وذلك لأن الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل إلى الإفراط والتفريط في الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة عسيرة جدًّا، انتهى. وذلك لقوله: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود: ١١٢]، ولذلك لم ينسبه إلى سورة الشورى، وفيها قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ من غير عطف ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، فالشيب إنما هو للاهتمام بأمر الأمة، وإلا فهو ﷺ واقف على حد الاستقامة والاعتدال لا عوج فيه ولا ميل ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧].

وقوله: (**هود وأخواتها**) قد عرف أن تشييب هود لأجل قوله: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، وعلى ذلك ينبغي أن تحمل السور الأخر.

٥٣٥٤ ـ [١٦] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي ﴿هُودٌ﴾ وَ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾ وَ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ وَ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وَ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَذُكِرَ حَدِيثُ أَبِي هريرة: «لاَ يَلِجُ النَّارَ» فِي (كتاب الْجِهَاد). [ت: ٣٢٩٧].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٣٥٥ ـ [١٧] عَن أنسٍ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ. يَعْنِي الْمُهْلِكَاتِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٦٤٩٢].

٥٣٥٦ ـ [١٨] وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِباً». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارِمِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [جه: ٤٢٩٧، دي: ٢٧٦٨، شعب: ٦٨٧٥].

٥٣٥٤ ـ [١٦] (ابن عباس) قوله: (والواقعة والمرسلات) هي أخوات هود المذكورة في الحديث السابق.

الفصل الثالث

٥٣٥٥ ـ [١٧] (أنس) قوله: (هي أدق في أعينكم من الشعر . . . إلخ)، فيه معنيان: **أحدهما**: إنكم تعملون أعمالاً هي أحسن الأعمال عندكم، **وثانيهما**: لا تبالون بها وتستصغرونها وكنا نعدها من المهلكات، ويؤيد المعنى الثاني قوله في الحديث الثاني: (ومحقرات الذنوب) أي: التي تحتقرونها.

٥٣٥٦ ـ [١٨] (عائشة) قوله: (فإن لها من الله طالباً) (من) إما تجريدية أو

٥٣٥٧ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: هَلْ تَدْرِي مَا قَالَ أَبِي لِأَبِيكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّ أَبِي قَالَ لِأَبِيكَ: يَا بَا مُوسَى هَلْ يَسُرُّكَ أَنَّ إِسْلاَمَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِجْرَتَنَا مَعَهُ وَجِهَادَنَا مَعَهُ وَعَمَلَنَا كُلَّهُ مَعَهُ بَرَدَ لَنَا؟ وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافاً رَأْساً بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ أَبُوكَ لِأَبِي: لاَ وَاللهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا، وَعَمِلْنَا خَيْراً كَثِيراً، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، قَالَ أَبِي: وَلَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافاً رَأْساً بِرَأْسٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَبَاكَ وَاللهِ كَانَ خيراً من أبي. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٩١٥].

ابتدائية، أي: أن لها من جانب الله طالباً، وهم الملائكة، ويحتمل أن تكون تعليلية، أي: لأجل حق الله تعالى.

٥٣٥٧ ـ [١٩] (أبو بردة) قوله: (برد لنا) أي: ثبت ودام، يقال: برد لي على الغريم حق، أي: ثبت، وفي (القاموس)[1]: عيش بارد: هنيء، وبرد حقي: وجب ولزم.

وقوله: (كفافاً) بفتح الكاف، أي: لا يكون لنا ولا علينا، أي: لا يوجب ثواباً ولا عقاباً.

وقوله: (رأساً برأس) في معنى قولهم: سواء بسواء، ومعناه هو قوله: (كفافاً).

وقوله: (كان خيراً من أبي) يدل على أن خير الناس من خاف الله وعذابه مع أنه عامل لم يتكل على عمله.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٤٣).

٥٣٥٨ ـ [٢٠] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ: خَشْيَةِ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، وَكَلِمَةِ الْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأُعْطِي مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْراً، وَنُطْقِي ذِكْراً، وَنَظَرِي عِبْرَةً، وَآمُرُ بِالْعُرْفِ ـ وَقِيلَ بِالْمَعْرُوفِ ـ». رَوَاهُ رَزِينٌ.

٥٣٥٩ ـ [٢١] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ثُمَّ يُصِيبُ شَيْئاً مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٤٢٥٠].

❖ ❖ ❖

٥٣٥٨ ـ [٢٠] (أبو هريرة) قوله: (والقصد في الفقر والغنى) يحتمل معنيين:

أحدهما: الاقتصاد والتوسط في الفقر والغنى؛ بأن لا يكون في نهاية الفقر ولا في نهاية الغنى، فإن المختار أن الكفاف أفضل من الفقر والغنى.

وثانيهما: رعاية الاعتدال في حالتي الفقر والغنى؛ بأن لا يسخط في الفقر ولا يطغى في الغنى، بل يبقى على حد الأدب والاعتدال في الحالتين.

وقوله: (وآمر بالعرف) بضم العين وسكون الراء، (وقيل): أي روي (بالمعروف) بلفظ المفعول، وهذا عاشر المذكورات، وقد قال ﷺ: (أمرني ربي بتسع)، فقيل: إن هذا مجمل ما ذكر بمنزلة فذلكة الحساب؛ فإن المعروف يتناول كل ما عرف في الدين.

٥٣٥٩ ـ [٢١] (عبدالله بن مسعود) قوله: (من حر وجهه) بضم الحاء، في

٧ ـ باب تغير الناس

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٣٦٠ ـ [١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ الْمِئَةِ.................................

(القاموس)[(١)]: الحر من الوجه: ما بدا منه، وفي (النهاية)[(٢)]: حر الوجه: ما أقبل [عليك وبدا لك] منه، وحُرُّ كل أرض ودار: وسطها وأطيبها، وحُرُّ البقل والفاكهة والطين: جيدها، وقال النووي[(٣)]: حر الوجه: صفحته وما رق من بشرته، ولعل المقصود تقليله، يدل عليه قوله: (شيئاً من حر وجهه)، ويحتمل أن يكون ذكره على مجرى العادة، والله أعلم.

٧ ـ باب تغير الناس

تغير عن حاله: تحول، وغيره: حوله وبدله، والمراد تغير الناس عما كانوا عليه في صدر النبوة من الاستقامة على الدين، والتزام أحكام السنة، والصبر على حفظها، واتباع الحق وأهله، والزهد في الدنيا، وعدم الاغترار بمتاعها وبزخارفها من الأموال، والخدم، والأعمال المرضية، والصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، ونورانية القلب، وصفاء الباطن، إلى ما عرض لهم في آخر الزمان من أضداد هذه المذكورات.

الفصل الأول

٥٣٦٠ ـ [١] (ابن عمر) قوله: (كالإبل المئة) وفي رواية: (كإبل مئة).

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٧).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٣٦٥).

(٣) انظر: «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٨٥).

لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٩٨، م: ٢٥٤٧].

٥٣٦١ - [٢] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» . . . .

وقوله: (**لا تكاد تجد فيها راحلة**) الراحلة: هي البعير القوي على الأسفار والأحمال، يستوي فيه الذكر وغيره، وهاؤه للمبالغة، والمعنى: أن الناس كثير والمرضي منهم قليل، وقيل: المراد قرون آخر الزمان دون القرون الثلاثة المشهود لهم بالفضيلة، وقيل: لا حاجة إليه لاحتمال أن المؤمنين منهم قليلون، والحق أن المنتخب من الناس المرضي الصالح للصحبة قليل في كل زمان، غايته أنه في آخر الزمان أقل قليل.

٥٣٦١ - [٢] (**أبو سعيد**) قوله: (**سنن من قبلكم**) روي بضم السين وفتحها، والمراد طريقة أهل البدع والأهواء التي ابتدعوها في الدين، وتغيير الأحكام التي حكم بها أنبياؤهم.

وقوله: (**شبراً بشبر، وذراعاً بذراع**) في (القاموس)[1]: الشبر بالكسر: ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، وقد يذكر، والجمع أشبار، والذراع بالكسر: من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى، وقد يذكر، والجمع أذرع وذرعان بالضم.

وقوله: (**اليهود**) منصوب بفعل مقدر، أي: أتعني ممن قبلنا اليهود والنصارى؟ وروي بالجر، أي: أنتبع سنن اليهود؟ وبالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي: أهم اليهود؟

وقوله: (**فمن**) استفهام إنكار؛ أي: فمن يكون غيرهم؟ يعني المتبوعين

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٧٢، ٦٤٥).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٤٥٦، م: ٢٦٦٩].

٥٣٦٢ ـ [٣] وَعَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لاَ يُبَالِيهِمُ اللهُ بالَةً». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٤١٥٦].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٣٦٣ ـ [٤] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ، ....

هم لا غير.

٥٣٦٢ ـ [٣] (مرداس الأسلمي) قوله: (الأول فالأول) بالرفع بدل من (الصالحون)، وبالنصب حال، أي: واحداً بعد واحد، سمي كل واحد أول لأنه لما ذهب الأول صار الذي بعده أول بالنسبة إلى الباقي.

وقوله: (الحفالة) بضم الحاء المهملة وبالفاء وبالتاء، في (القاموس)[1]: الحفالة: الحثالة، وهي القشارة وما لا خير فيه، والرديء من كل شيء، أي: لم يبق إلا رذالة من الناس وشرارهم.

وقوله: (لا يباليهم الله بالة) في (القاموس)[2]: ما أباليه بالة وبلاء ومبالاة، أي: ما أكترث، انتهى. ومنه حديث: (هؤلاء في الجنة ولا أبالي).

الفصل الثاني

٥٣٦٣ ـ [٤] (ابن عمر) قوله: (إذا مشت أمتي المطيطاء) بالنصب على أنه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٨).

وَخَدَمَتْهُمْ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ؛ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سَلَّطَ اللهُ شِرَارَهَا عَلَى خِيَارِهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٢٦١].

مفعول مطلق، أي: مشي تبختر، في (القاموس)[١]: المطيطاء كحميراء: التبختر، ومد اليدين في المشي، ويقصر، وتمطط: تمدّد، ومطه: مدّه، وحاجبيه وخده: تكبر. وفي (الصراح)[٢]: مطيطاء بالضم والمد: خراميدن ودست أندازان رفتن، وفي الحديث: (إذا مشت أمتي المطيطاء)، الحديث. وفي (النهاية)[٣]: (إذا مشت أمتي المطيطاء) هي بالمد والقصر: مشية فيها تبختر ومد اليدين، يقال: مطوت ومططت بمعنى مددت، ولم يستعمل إلا مصغراً، انتهى.

وأصل تمطى تمطط (تفعل) من المط، وهو المد، والمطيطاء مكتوبة بدون الياء في (القاموس) و(الصحاح) و(الصراح)، وفي (المصابيح) ونسخ مصححة من (المشكاة)، وفي الشروح والحواشي، وفي بعض النسخ: بالياء بعد الطاء الثانية المكسورة، وذكر في (مجمع البحار)[٤]: هو بضم ميم ممدوداً، وعند بعض بحذف ياء بعد طاء ثانية، وذكر في بعض الحواشي: ويروى بغير الياء، ويفهم من هذا أن لفظه على وجهين باليائين وبإحداهما قبل الطاء لا بعدها، والله أعلم.

وقوله: (خدمتهم) من باب نصر وضرب، والحديث من باب الإخبار بالغيب حيث وقع كما أخبره ﷺ، فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وسبوا أولادهم واستخدموهم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٩).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٩٩).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٣٤٠).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٥٩٢).

٥٣٦٤ ـ [٥] وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلُوا إِمَامَكُمْ، وَتَجْتَلِدُوا بِأَسْيَافِكُمْ، وَيَرِثَ دُنْيَاكُمْ شِرَارُكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢١٧٠].

٥٣٦٥ ـ [٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [ت: ٢٢٠٩، دلائل: ٦/ ٣٩٢].

سلط الله قتلة عثمان عليه، وسلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا، وهكذا.

٥٣٦٤ ـ [٥] (حذيفة) قوله: (**ويرث دنياكم شراركم**) أي: يصير الملك والمال في أيدي الظلمة.

وقوله: (**تجتلدوا بأسيافكم**) في (الصراح)[1]: تجالد اجتلاد به: شمشير زدن يك ديگر را.

٥٣٦٥ ـ [٦] (وعنه) قوله: (**أسعد الناس**) أي: أكثرهم مالاً وأطيبهم عيشاً وأنفذهم حكماً، (**لكع بن لكع**) واللكع كصرد: اللئيم، والعبد، والأحمق، ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره، وحذف الألف من (ابن) لإجراء اللفظين مجرى علمي الشخصين، كذا قيل، وحاصله يرجع إلى جواز حذفها في غير العلمين إذا كان كناية عن الأعلام، كأنه قيل: فلان اللكع ابن فلان اللكع، بخلاف العالم ابن العالم إذا أريد مجرد معنى الصفة من غير كناية عن العلم، فافهم. و(أسعد) اسم كان أو خبره، ويحتمل أن يكون الخبران مرفوعين، وفي (يكون) ضمير الشأن، و(اللكع) غير منصرف للعدل والوصفية.

---

(١) «الصراح» (ص: ١٢٥).

٥٣٦٦ ـ [٧] وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: إِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَاطَّلَعَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مَا عَلَيْهِ إِلاَّ بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرْوٍ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَكَى لِلَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالَّذِي هُوَ فِيهِ الْيَوْمَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي حُلَّةٍ، وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَرُفِعَتْ أُخْرَى، وَسَتَرْتُمْ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا الْيَوْمَ، نَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ وَنُكْفَى الْمُؤْنَةَ، . . .

٥٣٦٦ ـ [٧] (محمد بن كعب) قوله: (القرظي) بضم القاف وفتح الراء وبمعجمة نسبة إلى قريظة بن الخزرج من أولاد لاوي بن يعقوب النبي عليه السلام.

وقوله: (مصعب بن عمير) هو أبو عبدالله مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي، كان من أجلة الصحابة وفضلائهم، وله مناقب جليلة عظيمة.

وقوله: (مرقوعة بفرو) بالفارسية پوستين.

وقوله: (غدا أحدكم في حلة) أي: يلبس أول النهار حلة وآخره أخرى من غاية التنعم.

وقوله: (ونكفى المؤنة) التموّن: كثرة النفقة على العيال، ومانه: قام بكفايته، فهو ممون، وفي (الصراح)[1]: مؤنة برداشتن، يهمز ولا يهمز، وهي مفعلة من الأين، وهو التعب والشدة والخُرْج والعِدْل؛ لأنه ثقيل على الإنسان، مأنت القوم وأمأنهم مأناً، أي: احتملت مؤونتهم، ومن ترك الهمزة قال: منتهم أمونهم.

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٢٩).

قَالَ: «لاَ، أَنْـتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٤٧٦].

٥٣٦٧ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِسْنَاداً. [ت: ٢٢٦٠].

٥٣٦٨ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُم سُمَحَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُم بُخَلاَءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ من ظهرهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٢٦٦].

وقوله: (لا، أنتم اليوم خير) فيه فضل الفقير الصابر على الغني الشاكر، فافهم.

٥٣٦٧ ـ [٨] (أنس) قوله: (كالقابض على الجمر) في صعوبة الصبر وشدته، قبضه بيده: تناوله بيده، وقبض عليه وبيده: أمسكه، وهذا ما قال الشاطبي رحمه الله:

وهذا زمان الصبر مَن لك بالتي ... كقبضٍ على جمرٍ فتنجو من البلا

٥٣٦٨ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (سمحاءكم) جمع سميح، [سَمُحَ] ككرم سماحة وسموحاً: جاد.

وقوله: (وأموركم شورى بينكم) أشار إليه بكذا: أمره، وهي الشورى، واستشاره: طلب منه المشورة، وشورى مصدر بمعنى التشاور، أي: ذو شورى، والمشاورة موجب للائتلاف والاتفاق، بخلاف الاستبداد؛ فإنه يورث المخالفة.

٥٣٦٩ ـ [١٠] وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِن غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ». [د: ٤٢٩٧، دلائل: ٦/ ٥٣٤].

٥٣٦٩ ـ [١٠] (ثوبان) قوله: (أن تداعى عليكم) أصله تتداعى، وأراد بالأمم فرق الكفر والضلالة، وفي رواية: (تداعت)، أي: اجتمعوا ودعا بعضهم بعضاً لمقابلتكم وكسر شوكتكم، يقال: تداعوا عليه، أي: اجتمعوا، وتداعى العدو: أقبل، كما تتداعى الجماعة الأكلة بعضهم بعضاً إلى قصعتها التي يأكلون منها.

وقوله: (فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟) كأنه قال على طريق الاستفهام، أي: ذلك من قلة نحن عليها يومئذ؟ ويحتمل أن يكون (من) بمعنى (في)، فيكون خبراً لـ (نحن)، و(يومئذ) متعلق بالخبر.

وقوله: (ولكنكم غثاء) الغثاء ممدوداً كغراب وزناً: الزبد، والبالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل.

وقوله: (وما الوهن؟) أي: ما سبب الوهن؟ (قال: حب الدنيا وكراهية الموت) فإنه إذا أحب حياة الدنيا وكره الموت لم يتشجع على الجهاد والمقاتلة مع الكفار.

* **الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٥٣٧٠ ـ [١١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ فِي قَوْمٍ إِلاَّ أَلْقَى اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَلاَ فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ إِلاَّ كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلاَ نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ قُطِعَ عَنْهُمُ الرِّزْقُ، وَلاَ حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ، وَلاَ خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمِ الْعَدُوُّ». رَوَاهُ مَالِكٌ. [ط: ٢/ ٤٦٠].



الفصل الثالث

٥٣٧٠ ـ [١١] (ابن عباس) قوله: (ما ظهر الغلول) بضم الغين: الخيانة، أو مخصوص بالفيء، كذا في (القاموس)[١]، وفي (الصراح)[٢]: غلول بالضم: خيانت كردن درغنيمت، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[آل عمران: ١٦١]، وفي (مجمع البحار)[٣] عن (النهاية): الغلول الخيانة في المغنم، والسرقة قبل القسمة، وكل من خان في شيء خفيةً فقد غل، وسميت غلولاً لأن الأيدي فيها مغلولة، أي: ممنوعة مجعول فيها غل، وهي حديدة تجمع يد الأسير إلى عنقه، ويقال لها: جامعة أيضاً.

وقوله: (في قوم) الحديث، الظاهر أن ترتب هذه الأجزية على هذه الأشياء بحسب الخاصية، والسر في ذلك موكول إلى علم الشارع، وقد تستنبط علل ومناسبات، وهي

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٣٦).

(٢) «الصراح» (ص: ٤٤١).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٥٦).

٨ ـ باب الإنذار والتحذير(١)

*** الْفَصْلُ الأَوَّلُ:**

٥٣٧١ ـ [١] عَنْ عِيَاضِ بْنِ حمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حلالٌ، . . . .

في الثلاثة الأخيرة ظاهرة، وأما في الأولين فلأن الخيانة في الغلول توجب حرمان أهل العسكر من حقوقهم، وهو يوجب فقرهم واحتياجهم، وذلك يوجب الفترة في قوة قلوبهم وتطرق الرعب إليها، والزنا ضد التزوج يكثر التناسل فضده يورث لقليله، والله أعلم.

٨ ـ باب الإنذار والتحذير

في متمماته ولواحق الباب السابق مما يتعلق بالإنذار والتخويف.

الفصل الأول

٥٣٧١ ـ [١] (عياض بن حمار) قوله: **(مما علمني يومي هذا)** شروع في التعليم، والظاهر أن قوله: (هذا) إشارة إلى (يوم)، أي: مما أوحى ربي إلي في هذا اليوم، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما بعده من الكلام، أي: مما أوحي في يومي هذا الكلام، أي: قال الله تعالى: **(كل مال نحلته)** أي: أعطيته وملكته بوجه شرعي **(عبداً)** من عبادنا فهو **(حلال)** له لا يستطيع أحد أن يحرمه من تلقاء نفسه، وهو إنكار لما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة.

---

(١) في نسخة: «باب» بغير ترجمة.

وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً، . . . .

وقوله: (**وإني خلقت عبادي حنفاء**) جمع حنيف، والحنيف كأمير: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه، أي: مستعدين لقبول الحق والطاعة، إشارة إلى الفطرة، كذا قال الطيبي[1]، وفي (مجمع البحار)[2]: أي طاهري الأعضاء من المعاصي لا أنهم خلقهم مسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وقيل: أراد أنه خلقهم حنفاء مؤمنين عند الميثاق بـ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فلا يوجد أحد إلا وهو مُقِر له بأن له ربًّا وإن أشرك به، واختلفوا فيه، والحنيف: هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام، وأصل الحنف الميل، انتهى.

وقوله: (**وإنهم أتتهم الشياطين**) وهم جنود إبليس، ويحتمل أن يراد أعم من شياطين الجن والإنس، كقوله: (فأبواه يهودانه وينصرانه)، (**فاجتالتهم**) افتعال من الجولان، أي: جالت بهم الشياطين وبعدتهم عن دينهم، في (القاموس)[3]: اجتالهم: حوّلهم عن قصدهم.

وقوله: (**ما لم أنزل**) مفعول (يشركوا)، يريد به ما عبد من دون الله، و(أنزل) على صيغة المعلوم من المضارع المتكلم، من الإنزال، (**وسلطاناً**) أي: حجة استحقاقه

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٨).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٥٩٤).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨٢).

وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»، وَقَالَ: «إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيَقْظَانَ، . . . .

للعبادة، سميت الحجة سلطاناً لتسلطها على القلوب، ولهذا سميت حجة، من حج: إذا غلب، (**فمقتهم**) أي: أبغضهم لاتفاقهم وانهماكهم على الشرك والضلال، و(**عربهم وعجمهم**) بدل من الضمير المنصوب في (مقتهم)، وذلك قبل مجيئه ﷺ.

وقوله: (**إلا بقايا من أهل الكتاب**) وهم الذين ثبتوا على الإيمان بموسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ومتابعتهما، ولم يحرفوا كتابهم، ولم ينحرفوا عن جادتهم.

وقوله: (**لأبتليك**) خطاب من الله للنبي ﷺ، أي: لأمتحنك هل تبلغ الرسالة عني، وهل تصبر على إيذاء قومك إياك؟ وأمتحن الخلق بك هل يقبلون رسالتك ويمتثلون أمرك؟

وقوله: (**وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء**) أي: لا ينمحي أبداً، بل محفوظ في صدور العالمين، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت: ٤٢]، وكانت الكتب المنزلة لا تجمع حفظاً، وإنما يعتمد في حفظها على الصحف بخلاف القرآن [فإن حفاظه أضعاف مضاعفة لصحفه] فلا يتطرق إليه الذهاب على ممر الزمان، بل الله تعالى حافظه وواقيه عن التحريف والتبديل، ولم يعتمد على حافظ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، وقال في التوراة: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة: ٤٤] لا جرم تطرق إليه التحريف والتبديل، أو باقياً دائماً مستمرًّا لا ينسخ بالكلية.

وقوله: (**تقرؤه نائماً ويقظان**) أي: تجمعه حفظاً في حالتي النوم واليقظة، وقيل: أي يقرأ في يسر وسهولة.

وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً فَقُلْتُ: رَبِّ إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا أَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشاً نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٦٥].

وقوله: (أن أحرق قريشاً) أي: أهلك كفارهم.

وقوله: (إذاً يثلغوا رأسي)، في (القاموس)[١]: ثلغ رأسه كمنع: شدخه، والشَّدْخُ: الكسر، وكمعظم: ما سقط من النخلة رطباً فانشدخ، أو أسقطه المطر ودقه، وفي (مجمع البحار)[٢]: الثلغ: الشدخ، وقيل: ضربك الشيء الرطب باليابس حتى ينشدخ.

وقوله: (فيدعوه) بفتح الدال، أي: يتركوه بالشدخ مصفحاً كخبزة، أي: إني لا أقدر على محاربتهم لقلة جيشي وكثرتهم.

وقوله: (اغزهم) من غزا يغزو (نغزك) مجزوم جواب الأمر على صيغة المضارع، من أغزى، يقال: أغزيت فلاناً، أي: جهزته للغزو، (وأنفق) أمر من الإنفاق، الظاهر من السياق أن المراد الإنفاق على الجيش، وتجهيز أسباب الغزو، ويحتمل الإطلاق، (وابعث) أمر من البعث، و(نبعث) جوابه، و(خمسة مثله) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[آل عمران: ١٢٥]، كذا قال الطيبي[٣]، ولكن لا يخفى أن الظاهر من العبارة أن المراد خمسة أمثال البعث المبعوث، فيلزم أن

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٠٢).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٩٩).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٣٩).

٥٣٧٢ ـ [٢] وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ(١) النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ . . . .

يكون البعث ألفاً، وليس كذلك، بل هو يوم بدر ثلاث مئة وتسعة عشر، والألف إنما كانوا من المشركين، فتدبر.

٥٣٧٢ ـ [٢] (ابن عباس) قوله: (**يا بني فهر**) بكسر الفاء وسكون الهاء: قبيلة من قريش، (**أرأيتكم**) في (القاموس)(٢): أرأيتك وأرأيتكما وأرأيتكم، وهي كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرني وأخبراني وأخبروني، والتاء مفتوحة، انتهى.

وقد يستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والجمع.

وقوله: (**بين يدي عذاب شديد**) أي: من قبل نزول عذاب شديد، أي: إن لم تؤمنوا بي ينزل عليكم عذاب قريب.

وقوله: (**تبًّا لك**) التب والتباب: النقص والخسارة، وتبت يداه: ضلتا وخسرتا، وقال البيضاوي(٣): التب والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك.

وقوله: (**سائر اليوم**) الأكثرون على أن السائر بمعنى البقية، وقد يستعمل بمعنى

---

(١) في نسخة: «فصعد».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٥٧).

(٣) «تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٤٥).

فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد: ١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٤٧٧٠، م: ٢٠٨].

وَفِي رِوَايَةٍ نَادَى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ فَخَشِيَ أَنْ يسبقوه..................

الجميع، وقرر الطيبي رده، وقال في (القاموس)(١): السائر: الباقي لا الجميع كما توهم جماعات، أو قد يستعمل له، انتهى.

وسمعت من بعض العلماء من أهل الحرمين أنه إن كان يستعمل من السؤر بمعنى بقية الطعام والشراب، فهو بمعنى البقية، وإن اشتق من سور البلد فهو بمعنى الجميع؛ لتضمنه معنى الإحاطة والشمول، ففي الحديث إن حمل على معنى الجميع؛ فظاهر، وإن حمل على معنى البقية يراد بقية الأيام المستقبلة، فتدبر.

وقوله: (**فنزلت**: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾) أي: نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥]، وقيل: إنما خصتا لأنه أخذ حجراً ليرميه ﷺ به فنزلت، وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه، كذا قال البيضاوي.

وقوله: (**يربأ أهله**) بالهمزة، في (القاموس)(٢): ربأهم ولهم كمنع: صار ربيئة لهم، أي: طليعة، فالمعنى يصير عيناً لهم ورقيباً يحفظهم من العدو لئلا يأتيهم بغتة، ولا يكون إلا على جبل أو شرف، وأصل معنى ربأ: علا وارتفع.

وقوله: (**فخشي أن يسبقوه**) أي: خشي الرجل أن يسبق أهله وقومه العدوُّ، أي: يدركوه أولاً قبل إعلامه بغتة، أو تسبقوا الرجل في إدراك العدو، أي: يدركوه

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠).

فَجَعَلَ يَهْتِفُ: يَا صَبَاحَاه».

٥٣٧٣ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] **دَعَا النَّبِيُّ ﷺ قُرَيْشاً فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ من النَّار، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم من النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم من النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً.......................**

قبل إدراكه، والمآل واحد.

وقوله: (**فجعل يهتف**) أي: يصوت ويصيح الرجل من رأس الجبل، في (القاموس)[1]: هتفت الحمامة تهتف: صاتت، وهتف به هتافاً بالضم: صاح، وقوله: (**يا صباحاه**) نداء للصباح ليحضر ويخاف الناس منه، وهي كلمة تقال للإنذار من أمر مخوف؛ لأن الغارة تقع في الصبح.

٥٣٧٣ ـ [٣] (**أبو هريرة**) قوله: (**ابن لؤي**) بضم اللام وفتح الهمزة وتشديد الياء، (**وبنو مرة**) بضم الميم وتشديد الراء.

وقوله: (**فإني لا أملك لكم من الله شيئاً**) أي: من غير ذاته تعالى، قاله ترهيباً وإنذاراً، وإلا فقد ثبت فضل بعض هؤلاء المذكورين ودخولهم الجنة وشفاعته ﷺ لأهل بيته وللعرب عموماً ولأمته عامة، وقبول شفاعته فيهم بالأحاديث الصحيحة،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٧٥).

غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٠٤].

وَفِي الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً».

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٣٧٤ ـ [٤] عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ....

ويمكن أن يكون ورود تلك الأحاديث بعد هذه القضية، والله أعلم.

وقوله: (ببلالها) البلال ككتاب: الماء، وَيُثَلَّث، وكل ما يبل، والمراد أداء حق الرحم بقدر ما يتيسر، وقد مرت هذه الكلمة في (باب البر والصلة).

وقوله: (ما شئت من مالي) قيل: لم يكن رسول الله ﷺ ذا مال خصوصاً بمكة، فالمراد ما يملكه من الأمور وينفذ تصرفه فيه، ويحتمل أن اللفظ (مما لي) فكتب منفصلاً، انتهى.

أقول: المال يطلق على القليل والكثير، والجزم بأنه لم يكن له ﷺ شيء من المال أصلاً لا يخلو عن شيء، وقد ثبت تجارته في بعض الأحيان وإن كان قبل هذه الحال، مع أن إمكان حصوله يكفي في هذا القول، أي: سليني ما شئت من مال إن كان لي، وهذا ظاهر.

الفصل الثاني

٥٣٧٤ ـ [٤] (أبو موسى) قوله: ....

«أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٧٨].

٥٣٧٥، ٥٣٧٦ ـ [٦، ٧] وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ....

(أمتي هذه أمة مرحومة) الحديث، قد وردت الأحاديث في تخصيص الأمة المحمدية بفضائل ومناقب ليست للأمم السالفة، منها اختصاصهم بالرحمة الخاصة المنجية من عذاب الآخرة، وتكفير المصائب والبلايا الواقعة عليهم في الدنيا ذنوبهم، حتى قيل: إن عذاب القبر من خصائصهم حتى يمحص الله ذنوبهم في البرزخ، ويذهب بهم في الآخرة طاهرين مطهرين لا غبار عليهم، وقد قيل: تخصيصهم ببشارة ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، وقد ورد في شأن أمة نوح ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤] بـ ﴿مِّن﴾ التبعيضية، ونجاتهم ووصولهم بشفاعة سيد المرسلين إلى أعلى الدرجات، وقد ادخر ﷺ دعاءه لهم يوم القيامة الذي بشر بإجابته، وأما ورود الأحاديث بتعذيب مرتكبي الكبيرة فلا ينافيه؛ إذ هو في مشيئة الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] عموماً وخصوصاً، وليس واقعاً حتماً في الناس كلهم، وبالجملة هذه الأمة مخصوصة بمزيد عناية الله، ورحمته تقتضي نجاتهم، ويرجى العفو عنهم والمغفرة لهم ما لا يرجى لغيرهم، والكل في مشيئة الله تعالى لا يجب عليه شيء، لكن وقوع الوعد مرجو، وهذا هو المراد من هذا الحديث، والأحاديث كثيرة في ذلك، والله أعلم.

٥٣٧٥، ٥٣٧٦ ـ [٥، ٦] (أبو عبيدة، ومعاذ بن جبل) قوله: (إن هذا الأمر) أي: أمر الدين (بدأ) من البداية، وفي بعض النسخ: (بدا) من البدو بمعنى ظهر.

ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ مُلْكاً عَضُوضاً، ثُمَّ كَائِنٌ جَبْرِيَّةً وَعُتُوًّا وَفَسَاداً فِي الأَرْضِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ، يُرْزَقُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُنْصَرُونَ..........................

وقوله: (**ثم ملكاً عضوضاً**) عضه وعض عليه كسمع ومنع عضًّا وعضيضاً: أمسكه بأسنانه، والعضوض: ما يعض عليه ويؤكل، ومُلْكٌ فيه عَسْفٌ وظُلْمٌ، كذا في (القاموس)[1]، وفي (الصراح)[2]: العض گزيدن، والعضوض بفتح العين: صيغة مبالغة، أي: يصيب منه الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه، وروي: (ملوك عضوض)، وهو جمع عض بالكسر، وهو الخبيث الشرير، ومعنى الحديث: أنه كان أول الدين زمان نزول الوحي والرحمة، ثم بعده إلى انقضاء الخلفاء الراشدين زمان رحمة وشفقة وعدل، ثم يوهن الأمر، وظهر بعض الظلم.

(**ثم كائن**) أي: الأمر المذكور (**جبرية**) بالنصب تمييزاً، أي: قهراً وغلبة، أي: يغلب الظلم والفساد، وصحح (الجبرية) في نسخ (المشكاة) بفتح الجيم والياء، وفي (القاموس)[3]: الجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقًّا، وفي (مجمع البحار)[4] من (شرح الشفا): هو بفتح الجيم وسكون الموحدة: الكبر.

وقوله: (**يرزقون على ذلك**) أي: لا يستأصلون على ذلك ـ وذلك لما سبق لهذه الأمة من الله [من] مغفرة ورحمة، أو لحكمة أخرى لا يعرفها إلا الله ـ كالأمم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٨٢).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٨٢).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٥).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣١٨).

حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٥٢٢٨].

٥٣٧٧ ـ [٧] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ ـ قَالَ زَيْدُ بْنُ يَحْيَى الرَّاوِي: يَعْنِي الإِسْلَامَ ـ كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ، يَعْنِي الْخَمْرَ»، قِيلَ: فَكَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ فِيهَا مَا بين؟ قَالَ: «يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا». رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. [دي: ٢١٤٥].

السابقة لما عصوا أمر دينهم أهلكوا.

وقوله: (حتى يلقوا الله) فإما يأخذهم أو يغفرلهم.

٥٣٧٧ ـ [٧] (عائشة) قوله: **(إن أول ما يكفأ ـ يعني الإسلام ـ كما يكفأ الإناء، يعني الخمر)** لعل خبر (إن) محذوف، وهو الخمر الذي بينه الراوي بقوله: (يعني الخمر)، وكأنه ﷺ كان تحدث في الخمر فقال في أثناء حديثه: (إن أول ما يكفأ . . . إلخ)، و(يكفأ) ببناء المجهول، يقال: كفأت الإناء، أي: أملته وكببته لإفراغ ما فيه، والمراد هنا الشرب، وقول الراوي: (يعني الإسلام) صوابه: (في الإسلام)، لعل كلمة (في) سقطت من لفظ الراوي، كذا قالوا.

وأقول ـ وبالله التوفيق ـ: الأظهر أن لا يقدر (في)، ويترك قوله: (يعني الإسلام) على ظاهره، ويكون بياناً للضمير في (يكفأ) راجعاً إلى (الإسلام)، وهو أنسب بقوله: (كما يكفأ الإناء)، كأن الإسلام مثل إناء فيه الأحكام فيكفأ، أي: يقلب ويكب، فتخرج منه الأحكام وتنصب كما يخرج الماء وينصب من إكفاء الإناء وكبه، وتكون (ما) مصدرية، ويكون التقدير: أول إكفاء الإسلام وسقوط أحكامه شرب الخمر، فتأمل.

يعني أول ما يشرب في المحرمات ويجترأ على شربه كما يشرب الماء هو

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٣٧٨ ـ [٨] عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»، ثُمَّ سَكَتَ، ....

الخمر، والأظهر أن المعنى: أول ما يمال ويغير في الإسلام من الأشياء المحرمة ويقلب حكمه تغييراً سريعاً شبيهاً بقلب الإناء بما فيه هو الخمر، يعني أول ما يكفأ في الإسلام إكفاء مثل إكفاء ما في الإناء الخمر، يكفأ ويقلب ويمال، قيل: وكيف يشرب أو كيف يغير حكمها يا رسول الله! وقد بين الله تحريمه؟ قال: (يسمونها بغير اسمها) كالنبيذ والمثلث، أي: هو خمر حقيقة، ولكن يسمونها باسم آخر، وهذا التأويل على مذهب من لا يخص اسم الخمر بماء العنب كالشافعية، أو المعنى: يتخذونها من الذرة والعسل وغيرهما، ويعتقدون حل هذه الأشربة، ويقولون: إنها ليست بخمر؛ لأن الخمر يتخذ من العنب، وهذا على مذهب من يخص اسم الخمر بماء العنب كالحنفية.

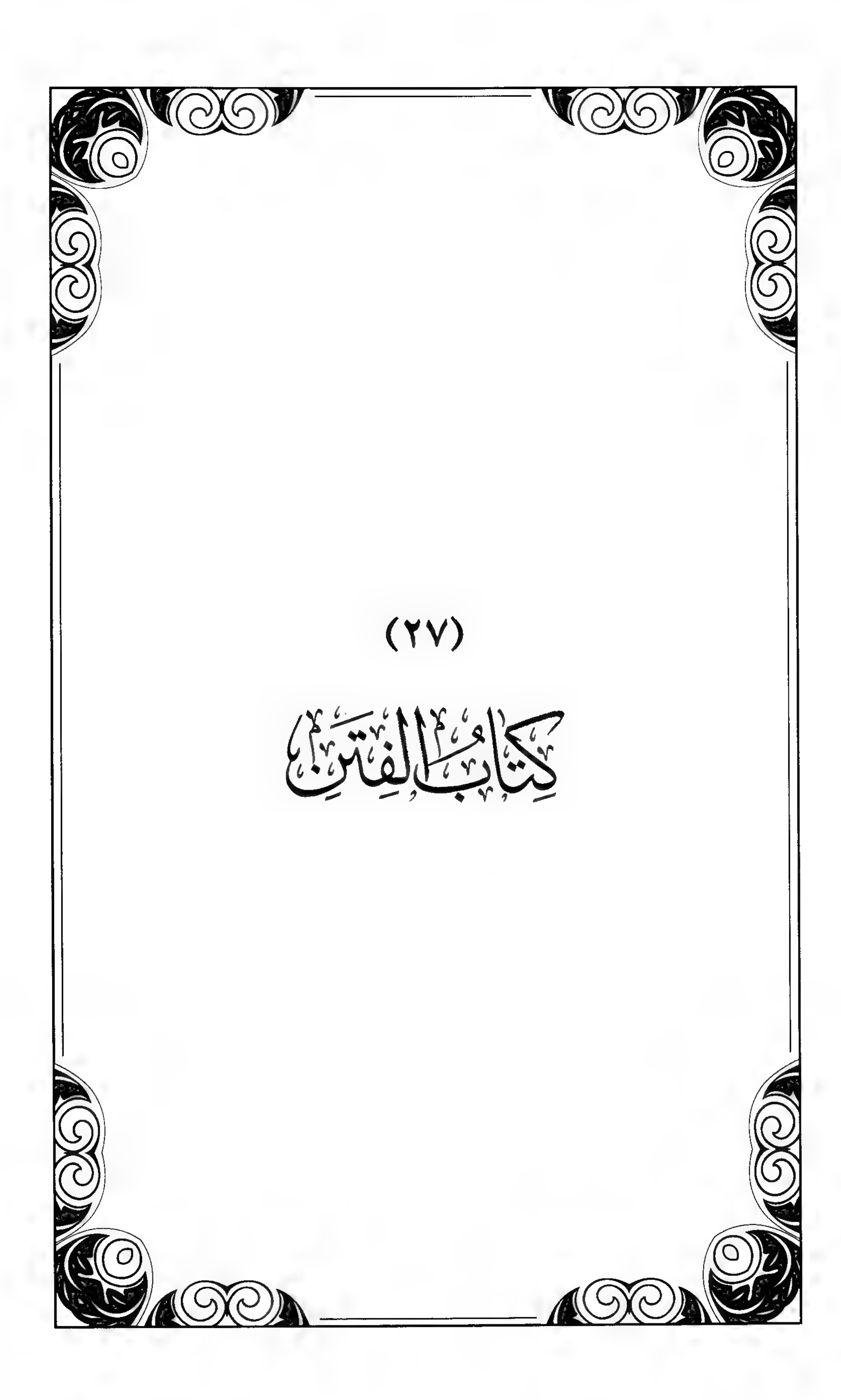
الفصل الثالث

٥٣٧٨ ـ [٨] (النعمان بن بشير) قوله: (ثم يكون خلافة): (كان) تامة أو ناقصة، وكذلك قوله: (ثم تكون خلافة على منهاج نبوة) الظاهر أن المراد به زمن عيسى والمهدي.

قَالَ حَبِيبٌ: فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ أُذَكِّرُهُ إِيَّاهُ وَقُلْتُ: أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمُلْكِ الْعَاضِّ وَالْجَبْرِيَّةِ، فَسُرَّ بِهِ وَأَعْجَبَهُ، يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِل النُّبُوَّةِ». [حم: ٤/ ٢٧٣، دلائل: ٦/ ٤٩١].

وقوله: (أن تكون أمير المؤمنين) الظاهر أن يقال: أن تكون خليفة، وقد سماه بعض العلماء خليفة خامسة.

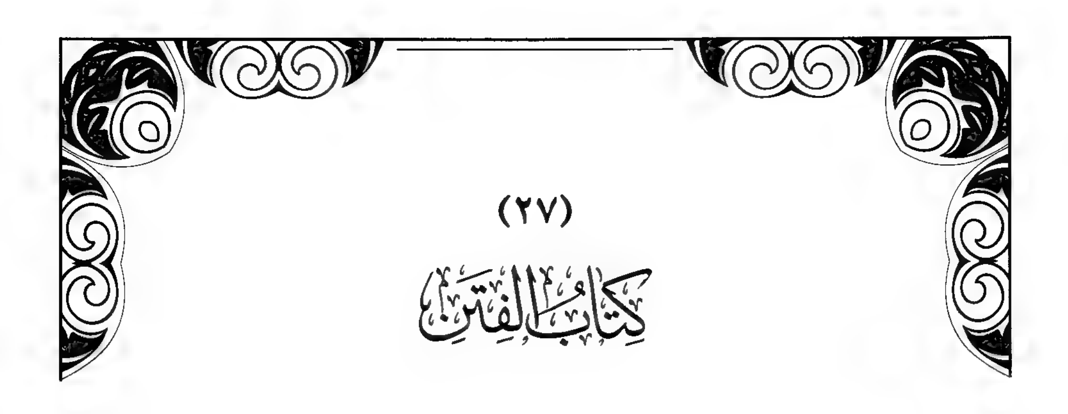




(٢٧)

كِتَابُ الْفِتَنِ





. . . .

---

٢٧ ـ كتاب الفتن

الفتـن جمع فتنـة، كالمحن جمـع محنة لفظاً ومعنًى، والفتنة: هـي الاختبار والامتحـان، فـي (القاموس)[١]: الفتنـة بالكسر: الخبرة كالمفتون، ومنه: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[القلم: ٦]، وإعجابـك بالشيء، والضـلال، والإثـم، والكفـر، والفضيحة، والعذاب، وإذابة الذهب والفضة، والإضلال، والجنون، والمحنة، والمال، والأولاد، واختـلاف الناس فـي الآراء، وفتنه يفتنه: أوقعه في الفتنة، كفتّنـه وأفتنه، فهـو مُفتَّنٌ ومَفْتُونٌ، ووقع فيها، لازم ومتعد، كافتتن فيهما، انتهى.

ثـم إن المؤلف رحمـه الله تعالى جعـل (كتاب الفتن) ورتب فيه أبواباً إلى آخر الكتاب، ولا يظهر لـه وجـه خصوصاً (بـاب الفضائـل والمناقـب)، ولا يظهر معنى الافتتنان، ولو اعتبر باعتبار أنا مكلفون باعتقادها والانقياد لها فكل ما ذكر في الكتاب من هذا القبيل فما وجه التخصيص، وهذا كما أسلفنا من الكلام في جعله (كتاب البيوع) شاملاً لما ذكر بعده من الأبواب إلى (كتاب النكاح) خصوصاً مثل الفرائض والوصايا، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٠٠).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٣٧٩ ـ [١] عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَاماً، مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مقامه إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ، فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٦٠٤، م: ٢٨٩١].

٥٣٨٠ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً، ....

الفصل الأول

٥٣٧٩ ـ [١] (حذيفة) قوله: (قام فينا رسول الله ﷺ) أي: خطب ووعظ وأخبر بما يظهر من الفتن، و(مقاماً) مصدر أو اسم مكان، وقوله: (ما ترك) صفته، و(يكون) تامة، و(مقامه) مظهر وضع موضع ضمير الموصوف، أو استئناف، و(في) متعلق بـ (ترك)، والضمير في (إنه) للشأن، وضمائر (حفظه) و(نسيه) و(علمه) لـ (شيء).

وقوله: (إلا حدث به) استثناء منقطع، أي: لكن حدث به.

وقوله: (كما يذكر الرجل وجه الرجل) أي: إجمالاً ومبهماً وإن نسيه تفصيلاً ومعيّناً، فإذا رآه عرفه مشخصاً معيناً.

٥٣٨٠ ـ [٢] (وعنه) قوله: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير) عرض الشيء عليه: أراه، وعرض العود على الإناء: وضعه عليه، وعرض الجند: عيّن أمرهم ونظر في حالهم، وكل من هذه المعاني يناسب المقصد، أي: تتطرق الفتن إلى القلوب وتدخل فيها (عوداً عوداً) روي على ثلاثة وجوه: بالفتح، أي: مرة بعد مرة،

. . . .

وروي بالضم واحـد العيدان، يريد ما ينسج به الحصير من طاقاته وشطباته، وبالفتح مع ذال المعجمة، كأنه استعاذ من الفتن، وأشهر الثلاثة بمضمومة ومهملة، ثم بمفتوحة فمعجمة أو مهملة، ومعناه علـى الأول: تدخـل الفتن فـي القلوب فتنـة بعد فتنة كما يدخل العود فـي الحصير واحداً بعد واحد، وقيل: شبه عرضها عليها بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد، وقيل: يلصق بعرض القلوب ـ أي: بجانبها ـ كما يلصق الحصير بجنب النائـم ويؤثر فيهـا، وعلى الثاني نعوذ بالله عوذاً بعد عوذ، كما يقال بعد ذكر الكفر والعصيان: نعوذ منه أو معاذ الله، وعلى الثالث يعاد ويكرر مرة بعـد مرة، ثـم الرواية على تقدير ضم العين والدال المهملة بالرفع والنصب، والرفع علـى تقدير المبتدأ، أي: وهـو عود عـود، والجملة حاليـة، والنصب على الحالية، والمراد بالفتن الاعتقادات الفاسدة أو أعم، والأول أظهر.

واعلـم أن لفظ الحديث علـى ما ذكر فـي (مشارق الأنوار)[1] للقاضـي عياض هكذا: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير أو عرض الحصير عوداً عوداً)، وقال في حرف الحاء مع الراء: قيل: معناه تحيط بالقلوب، يقال: حصر به القوم: إذا أحدقوا بـه، وقيل: حصيـر الجنب: عـرق يمتد معترضاً علـى جنب الدابة إلى ناحية بطنها، شبهها بذلك، وقـال ثعلب: الحصير: لحـم يكون فـي جانب الصلب من لدن العنق إلى المتين، وقيل: أراد عرض أهل السجن واحداً واحداً، والحصير: السجن، وقيل: تعرض بالقلوب، فتلصق بها لصق الحصير بالجنب وتأثيرها فيه وبقاء آثارها بأعوادها فـي الجلد إذا لزقت بـه، وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا سفيان بن العاص والوزير

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٢٠٥، ٢/ ٧٣، ١٠٦).

فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا. . . . .

أبو الحسين، وقيل: تعرض عليها واحدة بعد واحدة كما تعرض المنقية لشطب الحصير وهو ما تنسج منه من لحاء القضبان على النساجة وتناوله إياها عوداً بعد آخر، وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا أبو عبدالله بن سليمان، وهو أشبه بلفظ الحديث.

وقال في حرف العين مع الواو: (تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً عوداً) بضم العين وبالدال المهملتين فيهما، كذا قيدنا هذا الحرف على أبي بحر، ومعنى (تعرض): تلصق الفتن القلوب كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه، وإلى هذا التأويل كان يذهب من شيوخنا ممن باحثناه عن معنى الحديث الأستاذ أبو الحسين والشيخ أبو بحر، وقيل: معنى (تعرض على القلوب) أي: تظهر لها وتعرف ما تقبل منها ويوافقها وما تأباه، ومنه عرضت الخيل، وعرض السجان أهل السجن، أي: أظهرهم واختبر حالهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ الآية، [الكهف: ١٠٠] أي: أظهرناها، وأن المراد بالحصير هنا [الحصير المعلوم] عند عملها ونسجها، وعرض المنقية على الناسجة للحصير ما ينسج ذلك منه واحداً بعد واحد، كما قال: عوداً عوداً، وإليه كان يذهب من شيوخنا الأستاذ أبو عبدالله بن سليمان، وقال الهروي: معنى (تعرض) أي: تحيط بالقلوب، وما ذهب إليه أبو عبدالله أظهر وأولى، وقيدنا عن القاضي الشهيد (عوذاً عوذاً) بفتح العين وبذال معجمة، كأنه استعاذ من الفتن، وعند الجياني (عوداً عوداً) بفتح العين والدال المهملة، وهو اختيار شيخنا أبي الحسين من هذه الوجوه، أي: تعاد عليه وتكرر، و(العود) بفتح العين: تكرار الشيء، ومنه قولهم: العود أحمد.

وقوله: (فأي قلب أشربها) على لفظ المجهول، من الإشراب، والإشراب: خلط

نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، ....

لـون بآخر، كأن أحـد اللونين شرب [الآخـر] وكسي لونـاً آخر، وفي (الصراح)[1]: الإشراب: در خوردن رنگ ودر خورانيدن، لازم ومتعد، يقال: أشرب الأبيض حمرة، أي: علاه ذلك، وفي (القاموس)[2]: أُشْرِب فلان حب فلان: خالط قلبه، وتشرب: سرى، والثوبُ العـرقَ: نَشِفه، فالمراد هنـا أيّ قلب اختلط بالفتن، أي: وحلَّت منه دخولاً تامًّا وحلَّت منه محل الشراب [في نفوذ المسام وتنفيذ المرام]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[البقرة: ٩٣].

قـال البيضاوي[3]: أي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته؛ لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب، والشراب أعماق البدن، و﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ بيان لمكان الإشراب، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[النساء: ١٠]، انتهى.

يعني يكفي في هذا المعنى أن يقال: وأشربوا العجل، أي: حبه، فلمَ زاد ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾؟ فوجهه به.

وقوله: (**نكتت فيه نكتة سوداء**) في (القاموس)[4]: النكت: أن تضرب في الأرض بقضيب فيؤثر فيها، والنكتة بالضم: النقطة، وفي (مجمع البحار)[5]: النكتة: الأثر، وقال أيضاً: وهي النقطة في شيء يخالف لونها.

---

(١) «الصراح» (ص: ٣٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٣).

(٣) «تفسير البيضاوي» (١/ ٩٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٩).

(٥) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٨٠٣).

وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى يَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا. . . . .

وقوله: (**أنكرها**) أي: امتنع عن قبول الفتن ولم يتأثر بها. وقوله: (**حتى يصير**) غاية للأمرين، وصحح بالرفع والنصب، و(حتى) على الأول حرف الابتداء نحو: مرض حتى لا يرجونه، وعلى الثاني للغاية، ويروى بلفظ التذكير، فالضمير للإنسان المفهوم من السياق، وبالتأنيث فالضمير للقلوب، والمعنى على الأول: يصير جنس الإنسان مشتملاً على نوعين من القلب، وعلى الثاني: يصير القلوب على نوعين، وصحح (أبيض) بالرفع على الخبرية، وبالنصب بدلاً مع ما عطف عليه من (قلبين)، والظاهر هو الأول؛ لقوله: (والآخر أسود).

وقوله: (**مثل الصفا**) بالقصر: حجر أبيض شديد البياض، وفي (القاموس)[1]: الصفا: الحجر الضخم الصلد لا ينبت.

وقوله: (**مثل الصفا**) المتبادر من العبارة أن التشبيه لبيان بياضه، ولكن المراد بيان أنه مع وجود البياض متصف بالشدة والصلابة، حتى إنه لا يتأثر بالفتنة أصلاً.

وقوله: (**مربادا**) منصوب على الحال أو الذم، بضم الميم وسكون الراء وتشديد الدال، اسم فاعل من اربادّ يربادُّ كاحمارّ يحمارُّ محمارًّا، والربدة بالضم: لون إلى الغبرة، وقد اربدّ واربادّ كاحمرّ واحمارّ، وقد روي (مربئدًّا) بهمزة مكسورة، وهي لغة من نجد في الهرب عن التقاء الساكنين، ويقول: (احمأر) بهمزة بعد الميم، وقد قرئ قوله: ﴿ولا الضألين﴾ بهمزة بعد الضاد المعجمة على هذه اللغة.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٢).

كَالْكُوزِ مُجَخِّيًّا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٤٤].

٥٣٨١ ـ [٣] وَعَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا: «إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» . . . .

وقوله: (**مجخيا**) حال من (الكوز)، والعامل فيه معنى الفعل الذي في الكاف، وهو بضم الميم وفتح الجيم قبل الخاء المعجمة المكسورة، أي: مائلاً، يقال: جخَّى الليل: إذا مال ليذهب، وفي (القاموس)[1]: جَخَّى المصلي تجخية: خَوَّى في سجوده، والليل: مال، والشيخ: انحنى، ومنه الحديث: (كالكوز مجخيا)، انتهى.

والمعنى لم يبق فيه خير كالكوز المجخى لا يبقى فيه ماء، فلم يبق فيه معرفة معروف وإنكار منكر، ولم يبق سوى ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية، وهذا هو موت القلب، أعاذنا الله من ذلك.

٥٣٨١ ـ [٣] (وعنه) قوله: (إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال) يحتمل أن يراد بالأمانة التكاليف الشرعية التي كلف الله به عباده، ونزولها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾[الأحزاب: ٧٢]، والمراد بنزولها ورودها وثبوتها في القلوب وأصلها الإيمان، ويدل عليه قوله في آخر الحديث: (وما في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان)، ويحتمل أن يراد معناها المشهور كما يدل عليه قوله: (ولا يكاد واحد يؤدي الأمانة)، ونزولها بنزول الإيمان لتضمنه إياها، والأظهر هو الأول؛ لكونه الأصل والعمدة، ويتضمن الأمانة وغيرها من الأحكام الشرعية.

---

(١) «القاموس المحيط» (١١٤٢).

وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ، ....

و(الجذر) بفتح الجيم ويكسر وسكون الذال المعجمة: الأصل، يعني أنها نزلت وثبتت في قلوب رجال الله تعالى باعثة على أن يعلموا بنورها حقيقة الدين وأحكام الشرع من القرآن والسنة، نبَّه على أن خلق الهداية وإرادتها من الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين سابق على إرسال الرسل وتنزيل القرآن حتى اهتدوا إلى الإيمان به والانقياد لأحكامه وقبولها، وقد يقال: إن (ثم) هنا للتراخي في الرتبة، وهذا أحد الحديثين الذي قال حذيفة: (رأيت أحدهما في أصحاب رسول الله ﷺ في عصره وحضرته ﷺ)، والحديث الآخر هو الذي أشار إليه بقوله: (وحدثنا عن رفعها)، أراد به ارتفاع كمال ثمر الإيمان وانتقاصه شيئاً فشيئاً بعده ﷺ.

وقوله: (**ينام الرجل النومة**) الظاهر أن المراد يغفل عن التذكر لآيات الله تعالى، وعن التدبر في كتاب الله تعالى والتنبه لسنة رسوله، وهو مقابل لقوله: (ثم علموا من القرآن والسنة)، (**فتقبض**) بلفظ المجهول (**الأمانة**) أي: بعضها، وينقص بعض ثمر الإيمان؛ لقوله: (**فيظل**) أي: يصير (**أثرها**) أي: أثر الأمانة، والأثر ما بقي من رسم الشيء، يعني ترفع الأمانة عن القلوب عقوبة على الذنوب وترك النظر والتدبر، حتى إذا استيقظوا وتفحصوا عن أحوال قلوبهم ونظروا فيها لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه، ويبقى أثر من الأمانة تارة مثل الوكت وتارة مثل المجل، و(**الوكت**) بفتح الواو وسكون الكاف جمع وكتة، وهي الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه، وقيل: هي نقطة بيضاء تظهر في سواد العين، و(**المجل**) غلظ الجلد من العمل، يقال: مجلت

كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِـراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، . . . . .

يده بالفتح تمجل من نصر وضرب مجلاً بسكون الجيم، أي: ثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البثر [من العمل] بالأشياء الصلبة، وفي (القاموس)[١]: مجلت يده كنصر وفرح مجلاً ومجولاً: نفطت من العمل فمرنت، كأمجلت.

وقوله: **(كجمر)** بدل من (مثل أثر المجل)، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو كجمر، أي: أثر المجل في القلب كأثر جمر قلّبته على رجلك **(فنفط)** أي: العضو موضع إصابة الجمر، وهو رجلك، أي: صار نفطة، أي جدرياً، **(فتراه منتبراً)** أي: مرتفعاً منتفخاً، ويحسب الناس أن في جوفه شيئاً وليس فيه شيء صالح، فكذا هذا الرجل يحسبه الناس صالحاً ولا يكون فيه من الصلاح والإيمان شيء إلا قليل، فظهر من هذا التقرير أن الوكت والمجل تمثيلان لبقاء أثر الأمانة، ويخدش في هذا الوجه أن أثر المجل والجمر أشدّ وأكثر من أثر الوكت، وسوق الكلام يقتضي أن يكون أقلّ وأضعف؛ لأنه قبض في هذه المرتبة مما بقي من المرتبة الأولى، فيكون أنقص، وأشاروا إلى توجيهه أن هذا أقلّ من الأولى؛ لأنه شبه بالمجوف الذي ليس فيه شيء، ولا طائل تحته، ولا يخفى ما فيه.

وقيل: إن الوكت والمجل تمثيلان لزوال الأمانة لا لبقائها، ومعنى الحديث: تزول الأمانة عن القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء زال نورها وخلفه ظلمة كالوكت، فإذا زال منه جزء آخر صار كالمجل واشتدّ أثر الظلمة حتى لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق ما قبلها، وهذا التوجيه لا يخلو عن بعد من لفظ الحديث، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٥٢).

وَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ وَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِيناً، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٤٩٧، م: ١٤٣].

٥٣٨٢ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، . . . . . .

وقوله: (ويصبح الناس يتبايعون) أي: فيما بينهم، (ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة) أي: الحقوق الثابتة لبعضهم على بعض، وهذا أيضاً من جهة زوال أثر الإيمان والعمل بمقتضاه، فلا دليل فيه على أن المراد بالأمانة معناه المشهور كما أشرنا إليه.

وقوله: (فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً) عبارة عن قلة الأمانة، أي: لا يبقى من يحفظ الأمانة إلا قليل، حتى يكون في جماعة كثيرين واحد، (ويقال للرجل: ما أعقله . . . إلخ)، يعني يكون في الرجال أشياء يعدّها العقلاء وأهل العرف فضائل من كثرة العقل والظرافة والجلادة، ويمدحون بذلك، وليس فيهم إيمان وصلاح مما يكون في الشرع عليه مدح وثواب، وفيه أنه لا عبرة بالفضائل والمزايا العرفية، وإنما العبرة للتقوى وقوة الإيمان، رزقنا الله.

٥٣٨٢ ـ [٤] (وعنه) قوله: (وكنت أسأله عن الشر) لعل المراد ما يقع في الناس من الفتن، وما يفشو فيهم من البدع والنزاع والجدال ولو على غير حق، وإلا فالمنهيات في الشرع مبينة، وليس السؤال عنها مخصوصاً به ﷺ.

وقوله: (مخافة أن يدركني) فإن دفع الضرر أهم من جلب النفع.

وَفِيهِ دَخَنٌ»، قلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: . .

وقوله: (**وفيه دخن**) الدخن محركة: الدخان، والدخنة كدرة في سواد، ودخنت النار كمنع ونصر دخناً ودخوناً وأدخنت: ارتفع دخانها، وكفَرِحَتْ: ألقي عليها حطب فأُفسِدَتْ ليهيج لها دخان، ودخنت النبت والدابة: صارت ألوانهما كدرة في سواد، ومنه: (هدنة على دخن) أي: على فساد واختلاف تشبيهاً بالدخان لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر، والمعنى: خير ممزوج بشر، فالشر فيه أنه لا يرجع قلوب قوم على ما كانت عليه، أي: لا يصفو بعضها لبعض ولا ينصع حبها، كالكدرة التي في لون الدابة، وقيل: (فيه دخن) أي: لا تكون الاعتقادات صحيحة والأعمال صالحة، وعدل الملوك خالصاً، ويرتكب فيه البدع والمناهي.

وقوله: (**يهدون**) على وزن يبغون بدون تاء الافتعال، وفي رواية مسلم: (**أئمة لا يهتدون**) بلفظ الافتعال.

وقوله: (**تعرف منهم وتنكر**) أي: ترى فيهم المعروف والمنكر جميعاً، أو تعرف منهم المنكر؛ بأن يصدر منهم المنكر، و(تنكر) خبر بمعنى الأمر، والمعنى الأول أظهر وأنسب بقوله: (نعم، وفيه دخن)، وليس في قوله: (يستنون بغير سنتي) دليل على المعنى الثاني، فإنه مع وجود الاستنان بغير سنة فيهم خير معروف، فافهم.

قالوا: الخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز، والذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده، ومنهم من يدعو إلى بدعة كالخوارج.

وقيل: يحتمل أن الشر زمان قتل عثمان والخير بعده زمان علي، والدخن الخوارج، والشر بعده زمان الذين يلعنون على المنبر.

«نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ.........................

وقوله: (**دعاة على أبواب جهنم**) أي: يدعون الناس إلى الضلالة. وقوله: (**هم من جلدتنا**) بكسر الجيم، أي: من أبناء جنسنا ومن أهل ملتنا، أو من عشيرتنا وأقربائنا، وجلدة الشيء: ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن، كذا في (الحواشي).

وقوله: (**ويتكلمون بألسنتنا**) أي: يتكلمون بالقرآن والأحاديث، أو بالمواعظ والحكم وما في قلوبهم شيء من الخير من الاعتقاد الصحيح والإيمان الخالص، أي: لا تعرفهم بصورهم وظاهرهم بل بسيرتهم واعتقاداتهم، وهذا كما قال في شأن الخوارج: (يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم) الحديث، ولعلهم المراؤون.

وقوله: (**إن أدركني ذلك**) الشر أو زمانه.

وقوله: (**ولو أن تعض بأصل شجرة**) أي: اعتزل ولو قنعت فيه بِعَضِّ أصل شجرة، كذا قال الطيبي[1]، وفي بعض الحواشي: أي: تأكل الحشيش في البراري.

اعلم أنه قد قال في (القاموس)[2]: عضضته وعليه كسمع ومنع عضًّا وعضيضاً: أمسكته بأسناني، وبصاحبي عضيضاً: لزمته، ولما كان العض في الحديث مستعملاً بالباء كان المعنى لزوم أصل الشجر، أي: تنقطع عن الناس وتتبوأ أجمة، وتلزم أصل

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٥٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٨٢).

حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٠٦، م: ١٨٤٧].

شجرة إلى أن تموت مع أنه ليس مما يلزم ويتبوأ، ففيه مبالغة في العزم على اعتزالهم والانقطاع عنهم، وأما العض بمعنى الإمساك بالأسنان فهو إنما يستعمل متعدياً بنفسه أو بـ (على)، كما في حديث: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا)[١]، وفي حديث: (عضوا عليها بالنواجذ).

نعم قد يعلم من (الصراح)[٢] أن العض بهذا المعنى قد يستعمل بالباء أيضاً، حيث قال: عض گزيدن، يقال: عضَّه وعضَّ به وعضَّ عليه بالهاء والباء وبـ (على)، وقال بعده: عضيض ملازم شدن، ولم يتعرض في (القاموس) لاستعماله بمعنى الإمساك بالأسنان مستعملاً بالباء، ولم يغلط الجوهري في ذلك أيضاً كما هو عادته، ثم إن الطيبي[٣] ذكر معنى اللزوم في الحديث الآتي في (الفصل الثاني) في قوله: (وأنت عاض على جذل الشجرة) أي: أصلها مع أنه مستعمل بـ (على)، واستشهد بقولهم: عض الرجل بصاحبه مستعملاً بالباء، ولا يخفى ما فيه، فلعله جوز استعماله في كلا المعنيين مستعملاً بكلا الحرفين، وقد يظهر ذلك في (الصراح) أيضاً، بل متعدياً بنفسه أيضاً، وذكر الطيبي في ذلك الحديث معنى آخر أيضاً، وهو الصبر على عضيض الزمان والتحمل لمشاقه وشدائده، قال: عض جذل الشجر ـ وهو أصله ـ كناية عن مكابدة الشدائد، من قولهم: فلان يعض بالحجارة لشدة الألم، وقد أشير إلى هذا المعنى في (القاموس)[٤] أيضاً حيث قال: وعض الزمان والحرب شدتهما، لكنه أيضاً مستعمل

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٨١٣).

(٢) «الصراح» (ص: ٢٨٢).

(٣) انظر: «شرح الطيبي» (١١/ ١٣٤).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٥٨٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ الأَمِيرَ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٥٣٨٣ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١١٨].

في قولهم بالباء، وفي الحديث بـ (على)، ويجوز إرادته في الحديث الذي نحن فيه أيضاً بطريق الأولى؛ لاستعماله بالباء، فتدبر.

وقوله: (في جثمان): (الجثمان) بالضم وسكون المثلثة الجسد، وفي (القاموس)[1]: الجسم والشخص، وبالسين: الجسم.

وقوله: (وإن ضرب وأخذ) صحّح بلفظ المجهول والمعلوم.

٥٣٨٣ ـ [٥] (أبو هريرة) قوله: (**بادروا بالأعمال فتناً**) أي: بادروا إلى الاشتغال بالأعمال الصالحة قبل وقوع الفتن المانعة عنه، (**كقطع الليل المظلم**) من حيث إنها شاعت ولا يعرف سببها، ولا طريق للخلاص منها.

وقوله: (**يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً**) ويجوز أن يكون معناه مؤمناً لتحريمه

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٩).

٥٣٨٤ ـ [٦] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْـهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِـهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، واليقظانُ فِيهَـا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَـا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَسْتَعِذْ بِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٦٠١، م: ٢٨٨٦].

دم أخيه وعرضه وماله، وكافراً لتحليله، والله أعلم.

٥٣٨٤ ـ [٦] (وعنه) قوله: (خير من الساعي) في (الصراح)[١]: السعي: دويدن وشتاب كردن وكسب وكار كردن، والمقصد من الحديث أن التباعد عنها خير في أيّ مرتبة كانت، فالقاعد أبعد، ثم الواقف في مكانه، ثم الماشي من الساعي.

وقوله: (من تشرف لها تستشرفه) أي: صار مشرفاً، واستشرف الشيء: رفع بصره إليه وبسط كفه فوق صاحبه، كالمستظل من الشمس، وحاصل المعنى: من تطلع لها ودعته إلى الوقوع فيها فالخلاص في التباعد عنها.

وقوله: (ملجأً أو معاذاً) كلاهما بمعنًى، في (القاموس)[٢]: المعاذ: الملجأ، وقال: العوذ: الالتجاء، وفي (الصراح)[٣]: لجأ ملجأً: پناه گرفتن، وقال: عوذ عياذ معـاذ اندخسيدن، وعذت بـه واستعذت بـه، أي: لجأت إليـه، وهـو عيـاذي أي:

---

(١) «الصراح» (ص: ٥٦٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٣).

(٣) «الصراح» (ص: ١٤، ١٥٥).

٥٣٨٥ ـ [٧] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتَنٌ، أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ، القاعدُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلاَ فَإِذَا وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، . . . .

ملجئي، ولذا اكتفى في الجزاء بأحدها، وقال: (فليعذ به)، فعلى هذا يجوز أن تكون (أو) للشك من الراوي، أو تكون تأكيداً، وهكذا تقع هاتان الكلمتان معاً.

٥٣٨٥ ـ [٧] (أبو بكرة) قوله: **(إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة)**: (ثم) للتراخي في الرتبة، والتنوين للتعظيم، وهو من عطف الخاص على العام، وفي بعض النسخ زيادة: (ثم تكون فتن) بعد قوله: (إنها ستكون فتن)، وليست موجودة في النسخ المصححة، ويفهم من كلام الطيبي أيضاً أنه ليس موجوداً في نسخته، وأخرجه في (الجامع الصغير) من حديث أحمد، وليس فيه هذه الزيادة، وعلى تقدير وجودها المعنى على تكثير الفتن طائفة بعد طائفة، وأن منها تكون فتنة عظيمة.

وقوله: **(فيدق)** بضم الدال **(على حده بحجر)** قيل: أراد كسر السيف حقيقة ليسدّ على نفسه باب القتال، وقيل ـ وهو الأظهر ـ: إنه كناية عن ترك القتال، وبمثله احتج من لا يرى القتال في الفتنة بكل حال، وهو مذهب أبي بكرة، وقال ابن عمر: لا يقاتل ابتداء ويدفع لو قوتل، وقال معظم الصحابة والتابعين: يجب نصر المحق وقتال الباغي، وإلا ظهر الفساد واستطال أهل البغي بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ الآية [الحجرات: ٩]، ويتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق

ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» ثَلَاثاً، فَقَالَ: رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ. . . . .

من المبطل، أو على طائفتين لا تأويل لواحد منهما.

وقوله: (**ثم لينج إن استطاع النجاء**) وهو السرعة، نجا ينجو: إذا أسرع، ونجا من الأمر: إذا خلص، وأنجاه غيره، وهو بالمد، والمعروف فيه المد إذا أفرد، والمد والقصر إذا كرر، كذا في (مجمع البحار)[1].

وقوله: (**اللهم هل بلغت ثلاثاً**) أي: قال هذا القول وهو (اللهم هل بلغت) ثلاث مرات، والمراد تبليغ ما ذكره، أو مطلق ما أمر أن يبلغ.

وقوله: (**يبوء بإثمه وإثمك**) أصل هذا التركيب قوله تعالى حكاية عن قول هابيل لأخيه: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾[المائدة: ٢٩]، وفسره البيضاوي[2]: تبوء بإثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك إليّ، وقيل: معنى بإثمي: بإثم قتلي، وبإثمك الذي لم يتقبل من أجله قربانك، انتهى.

أي: الذي هو السبب الباعث على قتلك إياي، فإن الباعث عليه عدم التقبل الباعث على الحسد، فسببه سبب له، ففيما نحن فيه المراد بـ (إثمك) قتلك بالإضافة إلى المفعول، وبـ (إثمه) الذي بعثه على قتلك من العداوة والبغضاء، فافهم.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٦٨٥).

(٢) «تفسير البيضاوي» (١/ ٢٦٣).

النَّار». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٨٧].

٥٣٨٦ ـ [٨] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ١٩].

٥٣٨٧ ـ [٩] وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَإِنِّي لأَرَى الْفِتَنَ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْمَطَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٨٧٨، م: ٢٨٨٥].

٥٣٨٦ ـ [٨] (أبو سعيد) قوله: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم) يجوز أن يكون برفع (خير) وبنصب (غنم)، وأن يكون بالعكس، على أن يكون أحدهما اسماً لـ (كان) والثاني خبراً، وكلاهما رواية، والموجود في (البخاري) وفي نسخ (المشكاة) و(المصابيح) هو الثاني، وأن يكونا مرفوعين لكونهما مبتدأً وخبراً، وفي (يكون) ضمير الشأن.

وقوله: (يتبع) بتشديد التاء من الاتباع، و(الشعفة) محركة: رأس الجبل، والجمع شعف وشعاف وشعوف وشعفات، يعني يسكن في الجبال فراراً عن صحبة الناس، و(مواقع القطر) أي: مواضع المطر ليرعاه.

٥٣٨٧ ـ [٩] (أسامة بن زيد) قوله: (على أطم): (الأطم) بضمتين: القصر وكل حصن مبني بالحجارة، وفي المدينة وحواليها آطام كان يسكن فيها اليهود وغيرهم. وقوله: (فإني لأرى الفتن تقع) إن كانت الرؤية قلبية فـ (تقع) مفعول ثان، وإن كانت بصرية فهو حال، فكأنه كوشف له ﷺ ومثل بصور فرآها بالبصر.

٥٣٨٨ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. [خ: ٣٦٠٥].

٥٣٨٨ ـ [١٠] (أبو هريرة) قوله: (هلكة أمتي) في (القاموس)[١]: هلك كضرب ومنع وعلم هُلكاً بالضم، وتُهلوكاً وهُلوكاً بضمهما، ومهلكة وتهلكة مثلثتي اللام: مات، والهلكة محركة: الهلاك، (غلمة) بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام كغلمان بالكسر: الشاب والكهل، ضد، كذا في (القاموس)[٢]. وفي (الصراح)[٣]: غلام كودك، وأصل معنى اللفظ: غلبة الشهوة وهيجانها، من غلم كفرح واغتلم: غلبته شهوته، وقال الطيبي[٤] في تفسيره: أي أحداث السن الذين لا مبالاة لهم بأصحاب الوقار وذوي النهى.

وقال في (مجمع البحار)[٥]: وكان أبو هريرة ﷺ يعرف أسماءهم وأعيانهم، وسكت عن تعيينهم مخافة مفاسد، وكأنهم يزيد بن معاوية، وعبيدالله بن زياد ونحوهما من أحداث ملوك بني أمية، فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت النبي ﷺ وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والأنصار، وما صدر عن الحجاج وسليمان بن عبد الملك وولده[٦] من سفك الدماء وإتلاف الأموال فغير خاف.

وأقول: لما كان الحجاج من أمراء عبد الملك بن مروان كان ما فعله من الفساد منسوباً إليهم وإن لم يكن هو من قريش.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٠).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٦٢).

(٣) «الصراح» (ص: ٤٨٥).

(٤) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٠٨).

(٥) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٥٩).

(٦) كذا في «مجمع بحار الأنوار»، والظاهر: «عبد الملك وولده الوليد»، والله أعلم.

٥٣٨٩ ـ [١١] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٨٥، م: ١٥٧].

٥٣٩٠ ـ [١٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ؟ وَلاَ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ؟» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٠٨].

٥٣٨٩ ـ [١١] (وعنه) قوله: (يتقارب الزمان) قد يراد به اقتراب الساعة، وقد يراد تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض في الشر والفتنة، أو تقارب الزمان في نفسه حتى يشبه أوله آخره، أو قصر أعمار أهله، أو قصر مدة الأيام والليالي حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالأسبوع، أو تسارع الدول إلى الانقضاء فتتقارب أزمنتها، وقد ذكرنا في (كتاب الرؤيا) في شرح صدق الرؤيا عند اقتراب الزمان وجوهاً أخر، والحق أن هذا اللفظ له معاني متعددة بعضها أنسب بحديث الرؤيا، وبعضها بهذا الحديث، فتدبر.

وقوله: (ويقبض العلم) أي: يقبض العلماء كما جاء في الحديث.

وقوله: (ويلقى الشح) المراد به غلبته وعمومه على طوائف الناس وإطاعتهم له، كالغني يبخل بماله، والعالم بعلمه، والصانع بصنعه، وإلا فوجود أصل الشح من طبيعة الإنسان.

و(الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء: الفتنة والاختلاط، فتفسيره بالقتل لأنه سببه.

٥٣٩٠ ـ [١٢] (وعنه) قوله: (القاتل والمقتول في النار) وإنما كان المقتول في النار لكونه حريصاً عازماً على قتل صاحبه، وهذا إذا كان يقاتل من غير شبهة

٥٣٩١ ـ [١٣] وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٨].

٥٣٩٢ ـ [١٤] وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ أَشَرُّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٧٠٦٨].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٣٩٣ ـ [١٥] عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا؟ وَاللهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ...............

وتأويل كما يشعر به سياق الحديث.

٥٣٩١ ـ [١٣] (معقل بن يسار) قوله: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ) لوجود المانع الصارف، فلا تتيسر إلا بخروجه من موطن الطبيعة، وخروجه من بين الناس واجتماعهم.

٥٣٩٢ ـ [١٤] (الزبير بن عدي) قوله: (إلا الذي بعده أشر منه) استشكل هذا بزمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن إخوانه من بني أمية، وبزمن المهدي وعيسى بعد زمن الدجال، وأجيب بحمله على الأكثر والأغلب.

وقوله: (أشر) ورد على الأصل المتروك.

الفصل الثاني

٥٣٩٣ ـ [١٥] (حذيفة) قوله: (من قائد فتنة) كمن يأمر الناس بالبدعة ويدعوهم

إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِئَةٍ فَصَاعِداً إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٤٢٤٣].

٥٣٩٤ ـ [١٦] وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. [د: ٤٢٥٢، ت: ٢٢٢٩].

٥٣٩٥ ـ [١٧] وَعَنْ سَفِينَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ....

إليها، وكمن يحارب المسلمين. وقوله: (يبلغ) صفة (قائد)، و(من معه) فاعل (يبلغ)، و(ثلاث مئة) مفعوله، والمراد تابعوه، ومعنى التقييد بهذا الوصف كما يظهر الآن أنه ﷺ ذكر من قواد الفتنة من تكون فتنته شائعة في هذا العدد أو أزيد منه، فإنها إذا بلغت إليه شاعت وانتشرت، وعاد ضررها إلى الناس، بخلاف ما لو كانت في أقل من هذا العدد فلم يذكرها ولم يعتبر[ها]، والله أعلم.

٥٣٩٤ ـ [١٦] (ثوبان) قوله: (وإذا وضع السيف في أمتي . . . إلخ)، أي: إذا ظهرت الحرب بين أمتي تبقى إلى يوم القيامة، وبقاؤها إلى يوم القيامة مرتب على وجود الأئمة المضلين وشرهم، فظهر الربط بين الجملتين، وترتبت الثانية على الأولى، هذا ما ذكروه، والظاهر أنهما إخباران مستعملان على انفرادهما، وأول وضع السيف فيما بينهم وقعة قتل عثمان ﵁، ثم لم تزل المحاربة إلى يوم القيامة.

٥٣٩٥ ـ [١٧] (سفينة) قوله: (وعن سفينة) هو سفينة مولى رسول الله ﷺ، وقيل: مولى أم سلمة، وقوله: (الخلافة ثلاثون سنة) أي: الخلافة الكاملة المرضية الموافقة للسنة للذين استحقوا إطلاق هذا الاسم عليهم حقًّا، ومن بعدهم ملوك وأمراء

ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً»، ثُمَّ يَقُولُ سَفِينَةُ: أَمْسِكْ: خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرَةً، وَعُثْمَانَ اثْنَتَيْ[1] عَشْرَةَ، وَعَلِيٍّ سِتَّةً. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [حم: ٥/ ٢٢٠، د: ٤٦٤٦، ت: ٢٢٢٦].

وإن سمّوا بذلك مجازاً، ولكونهم خلفاً لمن مضى وقائمين مقامهم.

وقوله: (**ثم تكون**) صحح بالتاء والياء، فإن كان بالتاء فالضمير للخلافة، أي: تصير، أي: تتبدل، وإن كان بالياء فالضمير للأمر أو نحوه.

وقوله: (**أمسك خلافة أبي بكر سنتين . . . إلخ**)، المذكور في (جامع الأصول)[2]: كانت خلافته ﷺ سنتين وأربعة أشهر، وخلافة عمر ﷺ عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان ﷺ اثنتي عشرة سنة إلا أياماً، وخلافة علي ﷺ أربع سنين وتسعة أشهر، انتهى.

وعلى هذا يتم خلافة الخلفاء الأربعة في تسعة وعشرين سنة وسبعة أشهر، وتبقى خمسة أشهر في ثلاثين سنة، وتتم بالحسن بن علي ﷺ، وهو متمم الخلافة الكبرى، والمشار إليها بهذا الحديث، وفي (مجمع البحار)[3] لأبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال، ولعمر عشر سنين ونصف وخمس ليال، ولعثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثنتي عشرة ليلة، ولعلي ﷺ خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وللحسن من رمضان سنة أربعين إلى نصف جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، فذا ثلاثون سنة، انتهى.

فعلى هذا تبقى ستة أشهر وثلاث ليال وتتم بالحسن المجتبى ﷺ.

---

(١) في نسخة: «اثني».

(٢) «جامع الأصول» (١٢/ ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٨٨).

٥٣٩٦ ـ [١٨] وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ؟ قَالَ: «السَّيْفُ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «نعمْ، تكونُ إِمارةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلَالِ، ....

٥٣٩٦ ـ [١٨] (حذيفة) قوله: (أيكون بعد هذا الخير) أي: يبقى بعد ظهور الإسلام (شر) أي: كفر كما كان قبله.

وقوله: (فما العصمة؟) أي: ما طريق النجاة من ذلك الشر؟ (قال: السيف) أي: طريق النجاة أن تقاتلهم وتضربهم بالسيف، وقد يحمل ذلك على أهل الردة الذين كانوا في زمن الصديق.

وقوله: (وهل بعد السيف بقية؟) أي: هل يبقى أهل الإسلام بعد مقابلتنا إياهم؟ وهل يصلح أهل ذلك الزمان للإمارة؟ (قال: نعم) يبقون ويصلحون للإمارة، (على أقذاء) جمع قذىً، وهو ما يقع في العين وفي الشراب من غبار ووسخ ونحوهما، قذيت عينه كرضي قذى وقَذَياناً: وقع فيها القذى، أي: يكون اجتماع الناس على من جعل أميراً بكراهة وفساد وإنكار في القلوب لا بطيبها، ويقال: فعلت كذا وفي العين قذى، والأولى أن يكون معناه: أنه تكون إمارة مع ارتكاب المناهي وظهور البدع؛ ليكون قوله: (هدنة على دخن) كالتأسيس، و(هدنة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة: الصلح، يقال: هدن يهدن هدونا: سكن وأسكن، والصبي: أرضاه، و(دخن) بفتحتين: الدخان، وقد مر معناه، وحاصله أنه يكون صلح مع خداع وخيانة ونفاق.

فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَأَطِعْهُ، وَإِلاَّ فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جَذْلِ شَجَرَةٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ..

(فإن كان لله في الأرض خليفة) أي: أمير وحاكم فأطعه، وإن جلد ظهرك وأخذ مالك أي: ظلمك في نفسك ومالك، (وإلا) أي: وإن لم يكن خليفة وأمير فاعتزل ومت على ذلك.

وقوله: (وأنت عاض على جذل شجرة) قد أمضينا الكلام فيه في (الفصل الأول)، وقيل: (وإلا) أي: لم تطعه (فمت) أمر في معنى الخبر، وفي بعض النسخ: (قمت) من القيام، خبر بمعنى الأمر على الوجهين، أي: اذهب واخرج من بينهم، و(الجذل) بالكسر: أصل الشجر وغيرها بعد ذهاب الفرع، وما عظم من أصول الشجر، و[ما] على مثال شماريخ النخل من العيدان، ويفتح فيهن.

وقوله: (ثم يخرج الدجال) سمي به لتمويهه وتلبيسه وكذبه، والدجل: الكذب والتمويه، وسيجيء وجوه أخر في تسميته بذلك في (باب أشراط الساعة) إن شاء الله تعالى.

وقوله: (معه نهر ونار) الظاهر أنهما على الحقيقة، ويحتمل أن يراد أن معه لطفاً وقهراً ووعداً ووعيداً، (فمن وقع في ناره) أي: خالفه طمعاً في ثواب الله وأجره حتى يلقيه في ناره، ويدخله في معرض قهره، وجب أجره على الله؛ جزاء على صبره وثباته على دينه، (ومن وقع في نهره) أي: أطاعه ووافقه طمعاً في الدنيا وحبًّا لحياتها.

يُنْتَجُ الْمُهْرُ فَلاَ يُرْكِبُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

وَفِي رِوَايَـةٍ: قال: «هُدْنَـةٌ عَلَى دَخَنٍ وَجَمَاعَـةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! الْهُدْنَـةُ عَلَى الدَّخَنِ مَـا هِـيَ؟ قَـالَ: «لاَ تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ»، قُلْتُ: بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ...

وقوله: (ينتج المهر فلا يركب): (ينتج) على صيغة المجهول من النتج، وهكذا يستعمل مجهولاً، من نتجت الناقة: إذا ولدتها، وكذلك يقال: نتجت الناقة والفرس بلفـظ المجهول، ونتجها أهلها نتجاً، وسبق الكلام في تحقيق هذا اللفظ (في الفصل الأول) من (كتاب الإيمان بالقدر) في حديث شرح الفطرة. و(المهر) بضم الميم وسكون الهاء: ولد الفرس، أو أول ما نتج منه ومن غيره، والجمع أمهار ومِهار ومهارة.

و(لا يركب) بضم الياء وكسر الكاف، أركب المهر: حان أن يركب، فهو مركب بكسر الكاف، والمراد زمن عيسى عليه السلام، إذ ذاك لا يركب المهر إلى يوم القيامة؛ لعدم احتياج الناس فيه إلى المحاربة والقتال، أو المراد أن بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم الساعة، أي: يكون حينئذ قيام الساعة قريباً قدر انتاج المهر وإركابه، هـذا هـو الأظهر كمـا جـاء في حديث آخر: (لو نتج رجل مهراً لم يركب حتى تقـوم الساعة)[1].

وقوله: (لا ترجع قلـوب) بالرفع فاعـل (ترجع) بلفـظ التذكير والتأنيث، وقد أعرب فـي بعض النسخ بالنصب، وكأنـه على أنه مفعول (ترجع) من الرجع متعدياً، والفاعل ضمير (الهدنة).

وقوله: (عميـاء) أي: يعمى فيهـا الإنسان عـن أن يـرى الحق، (صماء) أي:

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصفهاني في «العظمة» (٤/ ١١٧٦).

صَمَّاءُ، عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِنْ مُتَّ يَا حُذَيْفَةُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جَذْلٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَداً مِنْهُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٤٤].

٥٣٩٧ ـ [١٩] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفاً خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا جَاوَزْنَا بُيُوتَ الْمَدِينَةِ قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ جُوعٌ تَقُومُ عَنْ فِرَاشِكَ وَلاَ تَبْلُغُ مَسْجِدَكَ حَتَّى يُجْهِدَكَ الْجُوعُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «تَعَفَّفْ يَا أَبَا ذَرٍّ»، قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ مَوْتٌ يَبْلُغُ الْبَيْتُ الْعَبْدَ................

يصم عن أن يسمع فيها النصح، فالإسناد إلى الفتنة مجازي، وزاد أبو هريرة في روايته: (بكماء) كما سيأتي.

٥٣٩٧ ـ [١٩] (أبو ذر) قوله: (كيف بك) الباء زائدة في المبتدأ، أي: كيف أنت، ولما زيدت الباء بدل الضمير المرفوع المنفصل مجروراً متصلاً.

وقوله: (تعفف) أي: لازم العفة وتكلف بها، واصبر على أذى الجوع والتقوى والكف عن الحرام وعن سؤال الناس، في (القاموس)[1]: عف: كف عما لا يحل، وتعفف: تكلفها.

وقوله: (إذا كان في المدينة موت يبلغ البيت العبد): (البيت) فاعل (يبلغ)، و(العبد) مفعول، وقيل: في معناه وجوه:

أحدها: أن المراد بالبيت هو القبر، يعني يباع موضع قبر بعبد لضيق مواضع القبر لكثرة الموت، فيغلو ثمنه.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٥).

حَتَّى إِنَّهُ يُبَاعُ الْقَبْرُ بِالْعَبْدِ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «تَصَبَّرْ يَا أَبَا ذَرٍّ»، قَالَ: «كَيْفَ بِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ.........................

وثانيها: أن البيت هو القبر، والمراد أجرة حفر القبر قيمة العبد لكثرة الموتى وقلة الحفار، وترتب قوله: (حتى إنه يباع القبر بالعبد) على المعنى الأول ظاهر، وعلى الثاني بإرادة استئجار الحافر من بيع القبر.

وثالثها: أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها، فيباع بيت بعبد مع أن قيمة البيت على ما هو الغالب المتعارف تكون أكثر من قيمة العبد، فيراد بالقبر البيت.

ورابعها: أنه لا يبقى في البيت إلا عبد يقوم بمصالح أهل ذلك البيت.

وقال الطيبي[١]: على هذين الوجهين الأخيرين لا يحسن موقع (حتى) حسنُها على الوجهين الأولين، انتهى.

وحقيقة الحال أنه لا يصح موقع (حتى) على الوجه الأول من هذين الوجهين الأخيرين لعدم المناسبة بينهما، وأما على الوجه الأخير فيجوز أن يقال: إنه لما ماتوا ولم يتركوا مالاً ولم يبق من الأموال إلا هذا العبد، فإذا مات أحد من أهل البيت يباع هذا العبد في اشتراء موضع القبر وأجرة الحفر، فيباع موضع القبر بالعبد، ويتخذ في أجرة حفره، فافهم.

وقوله: (تصبر) على لفظ الأمر من باب التفعل، وفي بعض النسخ: (تصبر) على صيغة المضارع من الصبر.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٦١).

إِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَتْلٌ تَغْمُرُ الدِّمَاءُ أَحْجَارَ الزَّيْتِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «تَأْتِي مَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: وَأَلْبَسُ السِّلَاحَ؟ قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذاً»، قُلْتُ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَلْقِ نَاحِيَةَ ثَوْبِكَ عَلَى وَجْهِكَ لِيَبُوءَ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٦١].

وقوله: (قتل تغمر الدماء أحجار الزيت) الغمر: الماء الكثير، غمره الماء غمراً واغتمر: غطاه، تغطي الدماء وتستر وتعلو أحجار الزيت، وهو اسم موضع بالمدينة فيه أحجار سود كأنها طليت بالزيت، والعائد إلى الموصوف محذوف، أو يقال: إن الدماء في معنى القتل واللام بدل من الإضافة، وهذا إخبار عن وقعة الحرة، وهي من أشنع الوقائع وأقبحها، وقعت في زمن يزيد بن معاوية، أرسل جيشاً إلى مدينة الرسول ﷺ سنة ثلاث وستين بعد وقعة قتل أمير المؤمنين الإمام الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنهما، فاستباح حرم المدينة، وهتك حرمة مسجده ﷺ، وربط فيه الدواب، وقتل من الصحابة والتابعين من يبلغ ألوفاً، وغير ذلك من الشنائع، وقد ذكرناها في تاريخ المدينة فليطلب ثمة، وذلك في ذي الحجة في سنة ثلاث وستين.

وقوله: (تأتي من أنت منه) قيل: أي ارجع إلى من خرجت من عنده، يعني أهلك وعشيرتك، وقيل: ارجع إلى إمامك ومن بايعته.

وقوله: (أن يبهرك) البهر: الإضاءة والغلبة، وهو كناية عن استعمال السيف.

واعلم أنه ينبغي أن تحمل هذه الأخبار على أنه ﷺ لم يكشف له عن تعيين أوقات هذه الوقائع، فأخبر أبا ذر بالصبر فيها باحتمال أنه لعله يكون مدركاً لها، وإلا فأبو ذر رضي الله عنه لم يكن باقياً إلى وقعة الحرة؛ لأنه مات اثنين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه،

٥٣٩٨ ـ [٢٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ بِكَ إِذَا أُبْقِيتَ[١] فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ؟ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا؟» وَشَبَّكَ بَيْـنَ أَصَابِـعِهِ، قَالَ: فَبِـمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّـةِ نَفْسِكَ وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ» وَفِي رِوَايَةٍ: . . . .

وأمـا وقوع الجوع والموت فـي المدينة يحتمل أنـه أدركها أبو ذر؛ لأنه قد وقع قحط وموت بها كما في عام الرماد وغيره، أو يكون حالها أيضاً كذلك، والله أعلم.

٥٣٩٨ ـ [٢٠] (عبـدالله بـن عمرو) قولـه: **(في حثالة من الناس)** بضم الحاء المهملة: القشارة، وما لا خير فيه، والرديء من كل شيء.

وقوله: **(مرجـت عهودهم)** بكسر الراء علـى صيغـة المعلوم، أي: اختلطـت وفسدت، وقولـه تعالـى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن: ١٥] أي: لهبهـا المختلط بسوادها، ومرج الأمر: لم يـف بـه، وفي (الصحاح)[٢]: مرج الأمر، أي: اختلط واضطرب، وقد صحح في بعض النسخ (مرجت) بلفظ المجهول، من المرج متحركاً بمعنى الخلط، من قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[الرحمن: ١٩].

وقوله: **(قال: عليك بما تعرف، ودع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك . . . إلخ)**، ولقد اتبـع رضي الله عنه ما أمـره النبي ﷺ، وكان وصاه أيضاً باسترضاء والـده، فكـان بحكـم الضرورة مـع أبيه ومعاوية فـي الظاهر، مختلطاً معهم فـي الظاهر، ولـم يكن معهم بالقلب، ولـم يكن مخالفاً لهم ظاهراً لرضا الوالد، وكانوا يقولون: لست منا، فأمره ﷺ

---

(١) في نسخة: «بقيت».

(٢) «الصحاح» (١/ ٣٤١).

«الْزَمْ بَيْتَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ أَمْرَ الْعَامَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(١) وَصَحَّحَهُ.

٥٣٩٩ ـ [٢١] وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا فِيهَا قِسِيَّكُمْ، ....

بالاجتماع مع الناس والتزام العزلة بالكلية، أمر الكل ما يليق بحاله ويتيسر له، وهو المرشد الحكيم العارف بمصالح أمته ﷺ.

وقوله: (الزم بيتك) وفي رواية: (وليسعك بيتك) أي: لا تخرج منه إلا لضرورة، (وأملك عليك لسانك) صحح بفتح الهمزة وكسر اللام، من الإملاك، وفسر الطيبي(٢): الإملاك بالسد والإحكام، يعني سدّ لسانك ولا تتكلم في أحوال الناس؛ كيلا يؤذوك.

وفسره في (مجمع البحار)(٣): أي لا تُجرِه إلا بما يكون لك لا عليك، وقال: هو أمر من الثلاثي، أي: احفظها عما لا خير فيه، وفي الحديث رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا قوي الأشرار وضعف الأخيار.

٥٣٩٩ ـ [٢١] (أبو موسى) قوله: (فكسروا فيها قسيكم) القسي بكسر القاف وتشديد الياء جمع قوس، والقوس يذكر ويؤنث، وفي (الصحاح)(٤): أصل قسي (فليع)

---

(١) لم أجده في «سنن الترمذي» وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٤٢، ٤٣٤٣).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٦٣).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٦٢٨).

(٤) «الصحاح» (٣/ ٩٦٧).

وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٥٩].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: ذَكَرَ إِلَى قَوْلِهِ: «خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي»، ثُمَّ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ».

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي الْفِتْنَةِ: «كَسِّرُوا فِيهَا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالْزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ». وَقَالَ: هَذَا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ. [ت: ٢٢٠٤].

٥٤٠٠ ـ [٢٢] وَعَنْ أُمِّ مَالِكٍ الْبَهْزِيَّةِ قَالَتْ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً..

كان أجوف فصارت ناقصاً، فإذا نسبت إليها قلت قسوي؛ لأنها (فلوع) مغير من (فعول).

وقوله: (فإن دخل) على صيغة المجهول مسند إلى قوله: (على أحد).

وقوله: (كخير ابني آدم) وهو هابيل حين استسلم للقتل وقال لأخيه قابيل: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المائدة: ٢٨ ـ ٢٩].

وقوله: (كونوا أحلاس بيوتكم) جمع حلس بالكسر: كساء على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حُرِّ الثياب، ويحرك، كذا في (القاموس)[1].

٥٤٠٠ ـ [٢٢] (أم مالك) قوله: (البهزية) بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالزاي، نسبة إلى بهز بن امرئ القيس.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٨٥).

فَقَرَّبَهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا؟ قَالَ: «رَجُلٌ فِي مَاشِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّهَا وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَرَجُلٌ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ يُخِيفُ الْعَدُوَّ وَيُخَوِّفُونَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢١٧٧].

٥٤٠١ ـ [٢٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ، قَتْلَاهَا فِي النَّارِ، . . . .

وقوله: (فقربها) أي: جعلها قريباً وقوعها، وقال الطيبي[1]: أي وصفها وصفاً بليغاً، فإن من وصف شيئاً عند أحد وصفاً بليغاً فكأنه قربه إليه، انتهى.

لعله أراد أنه وصفها وصفاً بليغاً اتضح عنده وحضر في ذهنه فتخيله واقعاً، ويمكن أن يكون المراد تقريبها إلى أذهانهم وخيالاتهم، والله أعلم.

وقوله: (يخيف العدو) من الإخافة، والمراد بالعدو الكفار، أي: هرب من الفتنة وقتال المسلمين وقصد ثغراً من الثغور يقاتل فيه الكفار، فيبقى سالماً منها غانماً.

٥٤٠١ ـ [٢٣] (عبدالله بن عمرو) قوله: (تستنظف العرب) أي: تستوعبهم وتصل إلى جميعهم، يقال: استنظف الوالي ما عليه من الخراج: استوفى، واستنظف الشيء: أخذه كله.

وقوله: (قتلاها) جمع قتيل كمرضى جمع مريض، والظاهر من اللفظ يشمل الفريقين، وإنما يكون كذلك إذا كان قصدهم بالمقاتلة الطمع في الملك والمال لا إعلاء الدين، أما إذا كان أحدهما محقًّا والآخر مبطلاً من غير شبهة وتأويل، فالآخر هو الذي قتلاه في النار، وإذا كان بشبهة وتأويل، واجتهاد، ولو كان مخطئاً، فليس أحد

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٦٤).

اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه. [ت: ٢٦٧٨، جه: ٣٩٦٧].

٥٤٠٢ ـ [٢٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتكُونُ فِتْنَةٌ صَمَّاءُ بَكْمَاءُ عَمْيَاءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ، وَإِشْرَافُ اللِّسَانِ فِيهَا كَوُقُوعِ السَّيْفِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٦٤].

٥٤٠٣ ـ [٢٥] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلَاسِ، قَالَ[1] قَائِلٌ: وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلَاسِ؟. . . . .

منهما في النار، وقيل: قاله زجراً وتوبيخاً ومبالغةً في النهي عن المقاتلة وإثارة الفتنة.

وقوله: (اللسان فيها أشدّ من وقع السيف) لأنهم مسلمون، وغيبة المسلمين بدعة شنيعة على طبق قوله: (الغيبة أشد من الزنا) خصوصاً إذا كان من الصحابة، ويحتمل أن يكون المراد أن إطالة القول في ذمهم وغيبتهم يفضي إلى القتل فإنهم لو سمعوه لربما قتلوا المغتاب والذام، وربما ينشأ من ذلك النهب والجلاء والمفاسد العظيمة أكثر مما ينشأ من نفس الفتنة.

٥٤٠٢ ـ [٢٤] (أبو هريرة) قوله: (صماء بكماء عمياء) قد عرفت أنها وصفت بهذه الأوصاف بأوصاف أصحابها، أي: لا يسمع فيها الحق، ولا ينطق به، ولا يتضح الباطل عن الحق.

٥٤٠٣ ـ [٢٥] (عبدالله بن عمر) قوله: (فتنة الأحلاس) قد علم معنى الحلس،

---

(١) في نسخة: «فقال».

قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرَبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، . . . .

وإنما أضيفت الفتنة إليها لدوامها؛ لأن الحلس يبقى تحت الثياب دائماً، أو تشبيهاً به في الكدرة والرداءة، أو بمجرد أن الأحلاس تفرش وتبسط في البيوت، ففيه إشارة إلى التزام البيوت والعزلة في ذلك الزمان.

وقوله: (هرب وحرب) كلاهما بفتح الراء، و(الحرب) بالحركة: نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له، كذا قال الطيبي[1]، والحارب: المسلح الغاصب الناهب الذي يعري الناس ثيابهم، والهرب: الفرار، هرب هرباً بالتحريك: فرّ، **(وفتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل . . . إلخ)**، الرواية في (فتنة السراء) بالرفع، و(دخنها) خبره، فهو عطف على جملة (وهي هرب وحرب)، ويروى بالنصب، وهو الظاهر، أي: ثم ذكر فتنة السراء.

وقوله: **(دخنها من تحت قدمي)** جملة مستأنفة لبيانها، أي: السبب في وقوعها السرور لسبب كثرة النعم وفضول الأموال، أو لأنها تسر الكفار لوقوع الخلل في الدين والضرة في المسلمين.

وقوله: **(رجل من أهل بيتي)** لعل هذه الفتنة بل هذه الفتن كلها تكون في آخر الزمان كما ينبئ عنه قوله: (فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده)، فتدبر.

وقوله: **(كورك)** بفتح الواو وكسر الراء، **(على ضلع)** بكسر الضاد وفتح اللام،

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٦٦).

ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لاَ تَدَعُ أَحَداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لاَ نِفَاقَ فِيهِ، وفُسطَاطِ نِفَاقٍ لاَ إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَانتَظِرُوا الدَّجَّالَ أَوْ مِنْ غَدِهِ». رَوَاهُ أَبُو داوُدَ. [د: ٤٢٤٢].

٥٤٠٤ ـ [٢٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ». رَوَاهُ أَبُو داوُدَ. [د: ٤٢٤٩].

وفي (القاموس)(١): كعنب وجذع، أي: على رجل لا استقامة له ولا نظام، لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه.

(ثم فتنة الدهيماء) تصغير الدهماء، وهي الداهية السوداء المظلمة، من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل: هي اسم ناقة غزا عليها سبعة إخوة، فقتلوا عن آخرهم، وحملوا عليها [حتى رجعت بهم]، فصارت مثلاً في كل داهية، كذا قال الطيبي(٢)، فلا يكون من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقال في (القاموس)(٣): الدهماء: العدد الكثير وجماعة الناس، فيحتمل أن يكون المعنى: فتنة يجتمع فيها الناس، أو تكون سبباً لاجتماع الناس للشر والنهب. و(الفسطاط) بالضم: مجتمع أهل الكورة، والسرادق من الأبنية، ويكسر، كذا في (القاموس)(٤).

٥٤٠٤ ـ [٢٦] (أبو هريرة) قوله: (من شر قد اقترب) الظاهر أنه إشارة إلى

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٨).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٦٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٠٠).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٣).

٥٤٠٥ ـ [٢٧] وَعَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلِمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهاً». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٦٣].

٥٤٠٦ ـ [٢٨] وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيين لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ...............

وقعة عثمان ﷺ، بل شامل لما وقع بعده بين علي ومعاوية أيضاً، والله أعلم.

٥٤٠٥ ـ [٢٧] (المقداد بن الأسود) قوله: (إن السعيد لمن جنب الفتن) كرر ثلاث مرات، و(جنب) بلفظ المجهول بلفظ التفعيل إشارة إلى أنه ابتلاء من الله، ومنه تبعيد من يشاء من عباده لطفاً منه تعالى.

وقوله: (ولمن ابتلي فصبر) بفتح اللام عطف على قوله: (لمن جنب).

وقوله: (فواهاً) منقطع عنه، ومعناه التلهف والتحسر، أي: واهاً لمن باشر الفتنة وسعى فيها، وقيل: معناه الإعجاب والاستطابة، و(لمن) بكسر اللام؛ أي: ما أحسن وأطيب صبر من صبر عليها، ولا يخفى أنه لو حمل على معنى التعجب لصح بالفتح أيضاً.

٥٤٠٦ ـ [٢٨] (ثوبان) قوله: (كلهم يزعم) أي: كل واحد، ولذا وحد الضمير، أو هو باعتبار لفظ (كل).

وقوله: (أنه نبي الله) أي: يدعون النبوة، وقد وجد منهم كثيرون في الأمصار فأهلكهم الله تعالى، وكذلك يفعل بمن بقي إن شاء الله تعالى، والدجال الأكبر خارج

لاَ يَضُرُّهُـمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ. [د: ٤٢٥٢، ت: ٢٢٠٢، ٢٢١٩، ٢٢٢٩].

٥٤٠٧ ـ [٢٩] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلاَمِ لِخَمْسٍ وَثَلاَثِينَ أَوْ سِتٍّ وَثَلاَثِينَ أَوْ سَبْعٍ وَثَلاَثِينَ، . . . .

عن هذا العدد، وهو يدعي الألوهية، وبه فارق الدجالين.

٥٤٠٧ ـ [٢٩] (عبدالله بن مسعود) قوله: **(تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين)**(١) أي: أمر الإسلام يستقر وينتظم على ما ينبغي هذه المدة، واللام في (لخمس) بمعنى (في)، وفي خمس وثلاثين كان مقتل عثمان ﷺ، وهو أول فتنة وقعت في الإسلام، وفي ست وثلاثين وقعة الجمل، وفي سبع وثلاثين حرب صفين، فابتداء الأمر معتبر من الهجرة التي هي مبدأ ظهور دولة الإسلام، ويحتمل أنه قد قال رسول الله ﷺ هذا القول وقد بقيت من عمره السنون الزائدة على الثلاثين باختلاف الروايات، فإذا انضمت إلى مدة الخلافة ـ وهي ثلاثون سنة ـ كانت بالغة ذلك المبلغ، وهذا أولى إن أريد الاستقرر والانتظام باعتبار عدم تطرق البدعة، وخلاف ما كان عليه الأمر في الابتداء والأول إن أريد باعتبار تطرق الفتنة والمحاربة، ويحتمل أن يعتبر من ابتداء ظهور الوحي، فيتم عدد خمس وثلاثين بانقضاء خلافة الفاروق، فإنه لا شك أن أمر الأمن والإيمان والسنة كان أنظم وأسلم في خلافة الشيخين، وقد تطرق في خلافة عثمان أو بعد سنة أو سنتين منها ما صار سبباً للوحشة وإثارة الفتنة، والله أعلم.

---

(١) حمله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢١٣) على زمن بني أمية بعد إخراج زمن معاوية ﷺ، وهو أحسن المحتملات في معناه، كذا في «التقرير».

فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَاماً». قُلْتُ: أَمِمَّا بَقِيَ أَوْ مِمَّا مَضَى؟ قَالَ: «مِمَّا مَضَى». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٥٤].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٤٠٨ - [٣٠] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى غَزْوَةِ حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ..............

وقوله: (فإن يهلكوا فسبيل من هلك) أي: فسبيلهم سبيل من هلك من القرون السابقة.

وقوله: (وإن يقم لهم دينهم) في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام، (يقم لهم) أي: يقم أمرهم إلى عام سبعين، ولعله كان الأمر لعبد الملك باعتبار هذه الأمور أنظم وأتم إلى هذه المدة بإخبار المخبر الصادق وهو أعلم به.

وقوله: (قلت: أمما بقي أو مما مضى؟) يعني أن السبعين لهم مبتدأة بعد خمس أو ست أو سبع وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها، (قال: مما مضى) يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى عام سبعين سنة من أول دولة الإسلام أو وجود الهجرة، لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، وهذ المقدار يكفي في شرح هذا الكلام، وهو الوجه المختار، وذكروا فيه وجوهاً، فتدبر.

الفصل الثالث

٥٤٠٨ - [٣٠] (أبو واقد) قوله: (ذات أنواط): (الأنواط) في الأصل جمع

لَتَرْكَبُنَّ سُـنَنَ مَنْ كَـانَ قبلكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢١٨٠].

٥٤٠٩ ـ [٣١] وَعَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الأُولَى ـ يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ ـ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدٌ، ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ ـ يَعْنِي الْحَرَّةَ ـ فَلَمْ يَبْـقَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِـيَةِ أَحَدٌ، ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الثَّالِثَةُ فَلَمْ تُرْفَعْ[1] وَبِـالنَّاسِ طَبَاخٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٨٠٠].



نوط، مصدر ناطه نوطاً: علقه، أريد به المنوط تسمية بالمصدر.

٥٤٠٩ ـ [٣١] (ابن المسيب) قوله: (**فلم يبق من أصحاب بدر أحد**) يعني أنهم ماتوا منـذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلـى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة لا أنهم قتلوا في هذه الفتنة، وكـان آخر مـن مات مـن البدريين سعد بـن أبي وقاص، ومات قبل وقعة الحرة ببضع سنين، وكذا الحال في أصحاب الحديبية.

وقولـه: (**ثـم وقعت الفتنة الثالثة**) قيـل: المراد بالفتنة الثالثة خروج ابن حمزة الخارجي فـي زمـن مروان بـن محمد بن مروان بن الحكم، قيل: هي فتنة الأزارقة، والأول أولى لأنها مخصوصة بالمدينة، وفتنة الأزارقة غير مخصوصة، وظاهر الحديث يفهم منه الاختصاص كالفتنتين الأوليين، كذا في (الحواشي).

وقوله: (**وبالناس طباخ**) الطباخ بالفتح كسحاب، ويضم: القوة والسمن، وقال الطيبي[2]: يقـال: فلان لا طباخ لـه؛ أي: لا عقل لـه ولا خير عنده، أراد أنه لم يبق

---

(١) في نسخة: «تَرْتَفِعُ».

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ٧٢).

١ ـ باب الملاحم

في التابعين أحد من الصحابة، وفي (مجمع البحار)[1] عن الكرماني: الفتنة الثالثة قتال بين عبدالله بن الزبير والحجاج وتخريبه الكعبة، وذلك في أربع وسبعين زمان عبد الملك بن مروان، انتهى.

وعلى هذا لا يصح القول بعدم بقاء أحد من الصحابة فيها؛ لوجود الصحابة إلى سنة مئة، اللهم إلا أن يراد عدم وجودهم في منابذة الفتنة لا في زمنها.

وفي (مشارق الأنوار)[2] قوله في الفتن: (لم يبق للناس طباخ)، وقيل: معناه لم يبق عقال، وقيل: قوة، وقيل: حسن الدين والمذهب، والمراد هنا بقية الخير والصلاح، والطباخ: القوة.

١ ـ باب الملاحم

جمع ملحمة، وهو موضع القتال، إما من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، أو من لحمة الثوب لاشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بسداه، والأول أنسب وأقرب، وفي (مشارق الأنوار)[3]: ملاحم القتال: معاركها، وهي مواضع القتال، ولكن قال في (القاموس)[4]: الملحمة: الوقعة العظيمة. وفي (الصراح): ملحمة: فتنة وحرب بزرگ، وإنما أفردها من الفتن؛ لأن الفتنة أعم مفهوماً من الملحمة وإن كان المذكور هنا من الفتن هو القتال، ولأنه ذكر في هذا الباب حروباً مخصوصة بين طوائف

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٤٢٩).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٣١٧).

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٥٥).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٣).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٤١٠ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، . . . .

المسلمين بأعيانها، وذكر مواضع مخصوصة وبلاد معينة وقع فيها القتال، فافهم.

الفصل الأول

٥٤١٠ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (دعواهما واحدة) أي: كل واحد يدعي الإسلام، إذ كل واحد يدعي أنه على الحق على زعمه واعتقاده، قالوا: المراد علي ومعاوية وأتباعهما، لكن الحق كان على يدي علي، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: إخواننا بغوا علينا، وقد روي أيضاً أنه جيء برجل من فئة معاوية على علي فقال رجل من شيعة علي متأسفاً على حاله: إني لأعلم أنه كان مؤمناً محسناً في إيمانه، فقال علي ﷺ: هو الآن مؤمن أيضاً، وفي الحديث دليل على بطلان قول الخوارج في تكفيرهم كلتا الطائفتين، وبطلان قول الروافض: إن مخالفي علي ﷺ كفرة.

وقوله: (دجالون) أي: كذابون مموهون، وأصل الدجل: الخلط، دجل: إذا لبس وموه، وفي الحديث: أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي ﷺ فقال: (وعدتها لعلي ولست بدجال) أي: لست بخداع ولا ملتبس عليك.

وقوله: (قريب) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: عدوهم قريب، وبهذا الاعتبار وحد، وقد سبق في آخر (الفصل الثاني) من (كتاب الفتن): (كذابون ثلاثون)، ولعل المراد منه أيضاً القريب منه مسامحة، أو يقال: كوشف عليه ﷺ أولاً هكذا مبهماً ثم عين العدد، والله أعلم.

كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ. . . . . . .

وقوله: (**ويتقارب الزمان**) قد مرّ معناه مكرراً أولاً في (كتاب الرؤيا) وثانياً في (كتاب الفتن).

وقوله: (**ويكثر الهرج**) قد سبق أن (الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء معناه الفتنة والاختلاط، فتفسيره بالقتل تفسير بالمسبب، و(المرج) محركة بمعناه، وإذا ذكر مع الهرج أُسْكِنَ.

وقوله: (**فيفيض**) بفتح ياء بمعنى يكثر زائداً في الكثرة، في (القاموس)[1]: فاض الماء يفيض فيضاً: كثر حتى سال كالوادي.

وقوله: (**حتى يهم رب المال من يقبل صدقته**): (يهم) بضم ياء وكسر هاء، و(رب المال) مفعوله، و(من يقبل) فاعله، أي: يقلق صاحب المال طلب من يأخذ منه زكاته وصدقته لفقد المحتاج، ويروى بفتح الياء وضم الهاء، من هم: إذا قصد، و(رب) فاعله و(من) مفعوله، أي: يقصده فلا يجده فيقلق، وروي (رب) بالنصب، من همه الشيء: إذا أحزنه، كذا في (مجمع البحار)[2]، وفي (القاموس)[3]: الهم: الحزن، همه الأمر هماً: حزنه، كأهمه.

وقوله: (**وحتى يعرضه**) بفتح أوله، وهو عطف على مقدر، أي: حتى يجده

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٨٥).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٥/ ١٨٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٥٦).

فَيَقُولُ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، . . . .

ويعرضه عليه، كذا قالوا، قيل: مضى ذلك في زمن الصحابة، كان يعرض عليهم الصدقة فيأبون قبولها، ولكن كان هذا حال زهادتهم لعدم الرغبة في الدنيا لا لفيض المال، وسياق الحديث يدل على أن ذلك لفيض المال، والصحيح أن ذلك في زمان المهدي عليه السلام.

وقوله: (**يا ليتني**): (ليت) كلمة تمنٍّ، تنصب الاسم وترفع الخبر، وتتعلق بالمستحيل غالباً وبالممكن قليلاً، وقد تُنَزَّلُ منزلة وجدتُ، فيعديها إلى مفعولين، نحو ليت زيداً شاخصاً، ويقال: ليتني وليتي، كما يقال: لعلي ولعلني، وإنما يتمنى الموت مكانه لوجود الفتن والمحن في الدين، فيتمنى الموت لينجو منها، وأما تمني الموت لمحنة الدنيا فلا يجوز، ومع ذلك هو واقع.

وقوله: (**وحتى تطلع الشمس من مغربها**) سيجيء بيانه في (باب اشتراط الساعة).

وقوله: (**فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، وحمله المفسرون على حالة الاحتضار، وتمسك به المعتزلة على عدم نفع الإيمان بدون العمل كما هو مذهبه، وأجاب عنه أصحابنا بما لا يخلو عن دقة وخفاء، والكل مذكور في (الكشاف) و(البيضاوي) وحواشيهما، ويفهم من الحديث أن المراد

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧١٢١، م: ١٥٧].

٥٤١١ ـ [٢] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، ....

من يومئذ يوم طلوع الشمس من مغربها، فتدبر.

وقوله: **(ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما)** إلى آخر الحديث، المقصود من هذه الفقرات الأربعة أن الساعة تأتي الناس بغتة وهم في أشغالهم بعد وجود أشراطها، والمراد منها نفخة الصعق، و(اللقحة) بالكسر اللَّقُوح، وهي الناقة الحلوب، أو التي نُتجت لقوحٌ إلى شهرين أو ثلاثة، ثم هي لبون، ولاط الحوض: طينه.

٥٤١١ ـ [٢] (وعنه) قوله: **(نعالهم الشعر)** الظاهر أن المراد أن نعالهم من شعر مضفور، وقيل: المراد بيان طول شعرهم حتى يصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال، **(ذلف الأنوف)**: (ذلف) بضم الذال وسكون اللام في آخره فاء جمع أذلف، كأحمر وحمر، الذلف محركة: صغر الأنف واستواء الأرنبة، أو صغره في دقة، أو غِلْظٌ واستواء في طرفه، ورجل أذلف، وقد ذلف كفرح، وهي ذلفاء، وفي (مجمع البحار)[1]: الذلف محركة: قصر الأنف وانبطاحه، وقيل: ارتفاع طرفه مع صغر أرنبته،

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٢٤٨).

كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ». مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٢٩٢٨، م: ٢٩١٢].

٥٤١٢ ـ [٣] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزاً وَكِرْمَانَ مِنَ الأَعَاجِمِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، . . . .

وروي بمهملة أيضاً، أي: صغير الأنف مستوي الأرنبة.

وقوله: (كأن وجوههم المجان) بفتح الميم وتشديد النون على وزن (مفاعل)، جمع مجن بكسر الميم وفتح الجيم، وهو الترس، و(المطرقة) بسكون الطاء وتخفيف الراء على اللغة الفصحى، وقد يفتح الطاء ويشدد الراء، و(الطرق) بكسر الطاء: جلد بقـدر الدرقة، ثـم يلصق عليها ويجعـل طاقة فوق طاقـة كالنعل المخصوفة، أطرقت الترس: إذا فعلـت بـه ذلك، ومنـه طارق النعلَ: إذا صيّرها طاقاً فوق طاق، وركَّب بعضها على بعض، والمراد تشبيه وجوه الترك في عرضها ونتو وجناتها وغلظها وكثرة لحمها بالترس المطرقة.

٥٤١٢ ـ [٣] (وعنـه) قولـه: (خوزاً) بضم الخـاء وبالـزاي، و(كرمان) بكسر الكاف: بلدان، والخوز جبل معروف، وفي (القاموس)[١]: الخوز: الجيل من الناس، واسم لجميع بلاد خوزستان، وهكذا الخوز[٢] بأصبهان، وكرمان بلد معروف، ويروى بكسر الكاف وفتحها، وقال في (القاموس)[٣]: وقد يكسر، أو لحنٌ: إقليم بين فارس وسجستان، وقال الكرماني شارح (البخاري): المحدثون يروونه بالفتح، ونحن أعلم باسم بلدنا، هو بكسر الكاف لا غير، انتهى، ولا يبعد أن يكون هو على لسان الأعاجم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٦٠).

(٢) «وهكذا الخوز» كذا في الأصل، وفي «القاموس»: «وسكة الخوز».

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٠).

فُطْسَ الأُنُوفِ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، وُجُوهُهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٥٩٠].

٥٤١٣ ـ [٤] وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ: «عِراض الْوُجُوه». [خ: ٢٩٢٧].

٥٤١٤ ـ [٥] وَعَنْهُ[1] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَاللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

بالكسر وبلفظ العرب بالفتح على نحو من التعريب.

وقوله: (فطس الأنوف) جمع أفطس، والفطس بالتحريك: تطامن قصبة الأنف وانتشارها، أو انفراش الأنف في الوجه، فطس كفرح، والنعت أفطس وفطساء، والاسم الفطسة محركة.

٥٤١٣ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (عمرو بن تغلب) بكسر التاء وفتحها.

٥٤١٤ ـ [٥] (وعنه) قوله: (إلا الغرقد) نوع من شجر العضاه، وبه سمي مقبرة المدينة المنورة بقيع الغرقد، وفي (مجمع البحار)[2]: هو نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، واحده غرقدة، وهناك يكون قتل الدجال.

---

(١) في نسخة: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ».

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٠).

٥٤١٥ ـ [٦] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٥١٧، م: ٢٩١٠].

٥٤١٦ ـ [٧] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْجَهْجَاهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: الجَهْجَاهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩١١].

٥٤١٧ ـ [٨] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَتَفْتَحَنَّ..

٥٤١٥ ـ [٦] **(وعنه)** قوله: **(حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه)** وفي حديث آخر: (سيكون ملك من قحطان يسوق الناس)، وقحطان هو أبو اليمن، وسـوق الناس بعصاه هـو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يـرد نفس العصا، وإنما ضربـه مثلاً لاستيلائه عليهـم وطاعتهم لـه، إلا أن في ذكرها دليلاً على عسفه بهم وخشونته عليهم، وقال الكرماني: هو حقيقة أو مجاز عن القهر والضرب، وقال الطيبي[1]: سوق العصا عبارة عن التسخير كسوق الراعي.

٥٤١٦ ـ [٧] **(وعنـه)** قولـه: **(يقال له: الجهجاه)** ويروى (جهجا) بترك الهاء و(جهجاء)، وفي (مجمع البحار)[2]: ويروى (الجهجل)، ويقال لها: الجهجاهة بفتح جيمين وسكون هاء بينهما، وبهائين بعد ألف.

٥٤١٧ ـ [٨] **(جابـر بن سمرة)** قوله: **(لتفتحن)** بفتح التاء والحاء على صيغة

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٧٥).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤١٠).

عِصَابَـةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الأَبْيَضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩١٩].

٥٤١٨ ـ [٩] وَعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ كِسْـرَى فَلاَ يَكُونُ كِسْـرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرُ لِيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لاَ يَكُونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ، وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَسَمَّى الْحَرْبَ خَدْعَـةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْـهِ. [خ: ٣٠٢٧، م: ٢٩١٨].

الغائبة، وفي رواية: (لتفتتحن) بالتاءين.

وقوله: (في الأبيض) هو حصن بالمدائن كانت تسميه العجم: سفيد كرشك، والآن بني مكانه مسجد المدائن، وقد أخرج كنزه زمن عمر ﷺ، وفي (مجمع البحار)[1] عن النووي: أي في قصره الأبيض أو دوره البيض. وفي (القاموس)[2]: الأبيض: قصر للأكاسرة، وكان مـن العجائب إلـى أن نقضه المكتفي، وبنى بشرافاته أساس التاج، وبأساسه شرافاته، فتعجب من هذا الانقلاب، وبلد باليمامة، وحصن باليمن.

٥٤١٨ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (هلك كسرى . . . إلخ)، إخبار بالغيب وعبر بالماضي لتحقق وقوعه.

وقولـه: (وسمى الحـرب خدعـة) عطف على (قال)، أي: قال هذا الحديث وسمى الحرب خدعـة، وكأنـه جرى فـي مجلسه ﷺ ذكر عن الحرب والسؤال عنه، فالراوي نقل جميع ما جرى ذكره في المجلس، و(خدعة) مثلثة، وكهمزة، وروي بهن

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٤٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٥٧٣).

٥٤١٩ ـ [١٠] وَعَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، . . . .

جميعاً، كذا في (القاموس)[١]، وفي بعض الشروح: (خدعة) بضم أو بفتح مع سكون، وبضم مع فتح، والثاني أفصح، قيل: معناه على الإسكان: أن الحرب تخدع أهلها، من وصف الفاعل بالمصدر، ويروى (خدعة) بالفتح فيهما جمع خادع؛ أي: أهلها، وأصل الخدع: إظهار أمر وإضمار خلافه، واتفقوا على جوازه ما لم يكن فيه نقض عهد وأمان.

٥٤١٩ ـ [١٠] (نافع بن عتبة) قوله: (جزيرة العرب) اعلم أن عبارات الناس اختلفت في تحديد أرض العرب، فقال صاحب (التبيين)[٢]: حدّها طولاً ما وراء ريف العراق إلى أقصى صخر باليمن، وعرضاً من جُدّة وما والاها من الساحل إلى حدّ الشام، وقال الزاهدي شارح (القدوري): حدّها من العذيب إلى مكة، ومن عدن إلى أقصى حجر باليمن بمهـرة إلى حد الشام، وقال الإمام خواهر زاده: من عدن أبين إلى ريف العراق، ومن رمل يبرين إلى منقطع السماوة، وهي تهامة والحجاز ومكة واليمن والطائف والعمان والبحرين، وقال محمد رحمه الله: وأرض العرب من العذيب إلى مكة، ومن عدن أبين إلى أقصى حجر باليمن بمهرة، وقال صاحب (مواهب الرحمن): هي ما بين العذيب إلى أقصى حجر باليمن بمهرة طولاً، وما بين الدهناء ويبرين ورمل عالج إلى حـد الشام عرضاً، وقال شارح (الوقاية): هي ما بين العذيب إلى أقصى حجر باليمن بمهرة إلى حد الشام، وهذه العبارة موافقة لما في (ملتقى الأبحر).

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٤١).

(٢) «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» (٣/ ٢٧١).

ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[م: ٢٩٠٠].

وقال في (مجمع البحار)[1]: جزيرة العرب اسم صقع من الأرض، وهو ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة في العرض، سميت به لأن بحر فارس وبحر السودان أحاط بجانبها، وأحاط بالشمال دجلة والفرات، وقال الأصمعي: جزيرة العرب ما لم يبلغ ملك فارس من أقصى عدن إلى ريف العراق، وعرضها من جُدّة وما والاها إلى ساحل البحر إلى أطوار الشام، قال صاحب (القاموس)[2]: جزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام، ثم دجلة والفرات، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً، ومن جُدّة إلى ريف العراق عرضاً، قال في الشُّمُنِّي: هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وما بين أرض يبرين إلى منقطع السماوة في العرض، وقال البخاري[3]: قال يعقوب بن محمد: سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن جزيرة العرب فقال: مكة والمدينة واليمامة واليمن، وقال يعقوب: والعرج أول تهامة، وفي (شرح الوافي): هي أرض الحجاز وتهامة واليمن ومكة والطائف والبرية، انتهى.

نقلت هذا من مجموعات سيدي الشيخ الإمام عبد الوهاب المتقي روح الله روحه، وأوصل إلينا فيوضه وفتوحه.

وقوله: (**ثم تغزون الروم**) بالضم، قيل: من ولد روم بن عيصو، والرومي نسبة

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٥٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٠٥٣).

٥٤٢٠ ـ [١١] وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ....

إليهم، أي: واحد منهم، كاليهودي والزنجي، فليس بين الواحد والجمع إلا الياء المشددة، كذا في (الصحاح)[1]، وصار الروم الآن اسم بلادهم، وإليها ينسب.

٥٤٢٠ ـ [١١] (عوف بن مالك) قوله: **(في غزوة تبوك)** هي اسم موضع من أرض الشام، وقال في (القاموس)[2]: تبوك أرض بين الشام والمدينة، وفي (الصحاح)[3]: تبوك اسم غزوة للنبي ﷺ، وهي تفعل من البوك، ورأى النبي ﷺ قوماً من أصحابه يبوكون حِسْي تبوك بقدح، أي: يدخلون فيها القدح ويحركونه ليخرج الماء، فقال: (ما زلتم تبوكونها)، فسميت تلك الغزوة غزوة تبوك، وفي (النهاية)[4]: والبوك: تثوير الماء بنحو عود ليخرج من الأرض، و(الحسي) بكسر الحاء وسكون السين المهملتين: العين.

وقوله: **(موتي)** بيان لقوله: (ستًّا)، أي: الأمور الستة هذه.

وقوله: **(ثم فتح)** صححوه بالرفع وإن كان يحتمل النصب بدلاً عن قوله: (ستًّا).

وقوله: **(بيت المقدس)** كمجلس ومعظم، فكأنه من إضافة الموصوف إلى الصفة

---

(١) «الصحاح» (٥/ ١٩٣٩).
(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٤١).
(٣) «الصحاح» (٤/ ١٥٧٦).
(٤) «النهاية» (١/ ١٦٢).

ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ..........................

بتأويل: بيت المكان المقدس، وقد يقال: البيت القدس، سمي به لأنه مكان يتقدس ويتطهر فيه من الذنوب.

وقوله: (**ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم**) في (النهاية)[1]: الموتان بوزن البطلان: الموت الكثير الوقوع، وفي (القاموس)[2]: موتان بالضم: موت يقع في الماشية ويفتح، وكأن المراد به ما وقع في زمن عمر ﷺ، ويسمى طاعون عمواس، وعمواس قرية من قرى بيت المقدس كان معسكر المسلمين حينئذ، قالوا: مات في ثلاثة أيام سبعون ألفاً من المسلمين، و(قعاص) بضم القاف آخره صاد: داء في الغنم لا يُلبثها أن تموت، وداء في الصدر كأنه يكسر العنق.

وقوله: (**فيظل ساخطاً**) أصل (ظل) اقتران مضمون الخبر بالنهار، فمعنى ظل زيد سائراً: أنه ثبت له ذلك في جميع نهاره، ويجيء بمعنى صار، والظاهر أن المراد هنا هذا المعنى، أي: يصير ساخطاً؛ استقلالاً للمال المذكور، وتحقيراً له لكثرة المال عنده.

وقوله: (**بينكم وبين بني الأصفر**) المراد بهم الروم، وسمي الروم بني الأصفر؛ لأن أباهم الأول ـ وهو روم بن عيصو بن إسحاق ـ كان أصفر في بياض، كذا في (النهاية)[3]، وقيل: لأن جدهم روم بن عيص تزوج بنت ملك حبشة، فجاء ولده بين

---

(١) «النهاية» (٤/ ٣٧٠).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٨).

(٣) «النهاية» (٣/ ٣٧).

فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣١٧٦].

٥٤٢١ ـ [١٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، ....

السواد والبياض، وقيل: إن [جيشاً من] الحبشة غلب على بلادهم في وقت، فوطئ نساءهم فولدت كذلك، وقيل: نسبوا إلى الأصفر بن روم بن عيصو، والوجهان الأخيران مذكوران في (القاموس)[1].

وقوله: (**تحت ثمانين غاية**) الغاية: الراية، ويقال: غييتها وأغييتها: نصبتها، وروي (غابة) بموحدة بمعنى أجمة، شبه كثرة رماح العسكر بها.

٥٤٢١ ـ [١٢] (**أبو هريرة**) قوله: (**تنزل الروم بالأعماق أو بدابق**): (أعماق) بلفظ الجمع: اسم موضع من أطراف المدينة، وليس بجمع، و(دابق) بفتح الباء: اسم سوق بها، وكلمة (أو) للشك من الراوي كما هو الظاهر المتعارف في أمثال هذه العبارة، ولا يحسن الشك منه ﷺ، إلا أن يقال: لم يوح إليه هذا معيناً بل على الإبهام، ومثله يوجد في الأحاديث، وهنا احتمال أن كلمة (أو) بملاحظة الاختيار الذي هو ثابت للروم عند إرابتهم[2] في النزول بأي موضع منهما شاءت، فافهم فإنه لا يخلو عن دقة.

وقوله: (**سبوا منا**) ببناء الفاعل، أي: الذين غزوا بلادنا وسبوا ذرياتنا، يريدون

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٨٤).

(٢) أراب الأمر: صار ذا ريب.

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللهِ لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ، ....

به تفريق كلمة المؤمنين، وروي ببناء المجهول، فالمراد الموالي الذين صاروا مسلمين.

وقوله: **(فينهزم ثلث)** أي: من المسلمين، **(ويقتل ثلثهم)** أي: ثلث المسلمين، وكتب (ثلثهم) متصلاً (هم) بـ (ثلث) المرفوع من غير تنوين مضافاً إلى (هم)، فيكون (أفضل) بدلاً من (ثلثهم)، أو خبر محذوف، ويرى في الظاهر أن يكون (ثلث) منوناً، و(هم) مبتدأ، و(أفضل) خبره.

(قسطنطينية) بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية، وبعدها ياء ساكنة ثم نون، ونقل بعضهم زيادة ياء مشددة بعد النون، وقد تخفف الياء، وقال في (القاموس)[1]: قسطينية: حصن بحدود إفريقية، وقُسْطَنْطِينَة أو قُسْطَنْطِينِيّة بزيادة ياء مشددة، وقد تضم الطاء الأولى منهما: دار ملك الروم، وفتحها من أشراط الساعة، وتسمى بالرومية بُوزنطيا، وارتفاع سورها أحد وعشرون ذراعاً، وكنيستها مستطيلة، وبجانبها عمود عال في دور أربعة أبواع تقريباً، وفي رأسه فرس من نحاس، وعليه فارس، وفي إحدى يديه كرة من ذهب، وقد فتح أصابع يده على الأخرى مشيراً بها، وهو صورة قُسْطَنْطِينَ بانيها.

وقال القاضي عياض في (مشارق الأنوار)[2]: قسطنطينة بضم أوله وسكون السين المهملة وضم الطاء الأولى وسكون النون وكسر الطاء الثانية، كذا قيدناها، وكذا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٤).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٩٩).

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ . . . .

قيدها أهل هذا الشأن، قال ابن مكي: ولا يقال: بفتح الطاء الأولى ولا بطاء واحدة، وفي روايـة السجزي: قسطنطينية بزيادة ياء مشددة، ونقل الطيبي[1] عن الترمذي: قد فتحت قسطنطينية في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ، وتفتح عند خروج الدجال.

وقوله: **(إن المسيح)** أي: الدجال، وأكثر ما يطلق المسيح عليه مع ذكر الدجال، والمطلق يطلق على عيسى عليه السلام، وأطلق هنا بناء على وضوح القرينة.

وقولـه: **(وذلك)** أي: هـذا الخبـر **(باطـل)** أي: كـاذب، **(فإذا جـاؤوا)** أي: المسلمون، **(الشأم)** بالهمزة، وقد لا يهمز: بلاد عن مشأمة القبلة، وسميت بذلك لأن قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها، أي: تياسروا، أو سميَّ بسام بن نوح، فإنه بالشين بالسريانية، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود، وعلى هذا لا تهمز.

وقوله: **(ذاب)** أي: شرع في الذوبان.

وقوله: **(لانذاب)** أي: بتمامـه، وكلمـة **(لكن يقتله الله بيده)** فيـه تصريح بأن فعل العبد مخلوق لله تعالى وكسبه للعبد.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٧٨).

فِي حَرْبَتِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٩٧].

٥٤٢٢ ـ [١٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «إِنَّ الساعةَ لاَ تقومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ ميراثٌ وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ»، ثُمَّ قَالَ: «عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الشَّامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ ـ يَعْنِي الرُّومَ ـ، فَيَتَشَرَّطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجِزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَتَشَرَّطُ الْمُسْلِمُونَ. . . . . .

وقوله: (في حربته) الحربة: رمح صغير.

٥٤٢٢ ـ [١٣] (عبدالله بن مسعود) قوله: (ولا يفرح بغنيمة) الفرح: محركة السرور والبطر، فهو فرِح ومفروح وفارح وفرحان، وهم فراحى وفرحى، وامرأة فرِحة وفرحى وفَرحانة، وأفرحه وفرّحه.

وقوله: (ثم قال) أي: في بيان ذلك ووقوعه: (عدو) أي: أعداء، لأن العدو اسم جنس يقع على الواحد والجمع، وهو مبتدأ مخصص بالصفة، و(يجمعون) خبره، أي: عدو كثير عظيم يجمعون لمقاتلة أهل الشام، و(أهل الإسلام) هم أهل الشام.

وقوله: (يعني الروم) بيان للمراد من العدو، أي: يعني بالعدو الروم، وهم النصارى، والظاهر أنه من كلام الراوي.

وقوله: (فيتشرط المسلمون) بالياء التحتانية قبل الفوقانية من باب التفعل، ويروى (فيشترط) من الافتعال، و(الشرطة) بضم الشين وفتح الراء وسكونها: واحد الشرط كصرد، وهم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت، أي: يأخذ المسلمون نخبة وخياراً من جيشهم ليقاتلوا ويستعدّوا للموت، ولا يرجعوا إلا غالبين، أي: لا يرجعون مغلوبين، بل إن رجعوا رجعوا غالبين، وليس معناه أنهم يرجعون البتة

شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجِزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَتَشَرَّطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنْبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتاً، . . . .

غالبين حتى ينافي قوله: (تفنى الشرطة)، والمراد بقوله: (فيفيء) أي: يرجع (هؤلاء) أي: المسلمون والعدو، يعني معظم الجيش لا الشرطة، فلا يشكل بأنه لما فنيت الشرطة فقد غلب فيه العدو، وحجز يحجز من ضرب ونصر.

وقوله: (**فإذا كان يوم الرابع**) هكذا في نسخ (المصابيح) و(المشكاة)، وفي نسخ (صحيح مسلم)، وكأنه من إضافة الموصوف إلى الصفة، أو الإضافة بيانية من إضافة العام إلى الخاص، كشجر الأراك، وقد كتب في هامش نسخة من (صحيح مسلم) مصححة مقروءة على الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي: (يوم الرابعة، صفة الليلة، أي: يوم الليلة الرابعة)، وفي نسخة من (المصابيح) لا يعتمد عليها ذاك الاعتماد جعل الألف واللام على (الرابع) بالحمرة، وكان في أصل النسخة بدونهما، والله أعلم.

وقوله: (**نهد**) كمنع ونصر: نهض وقصد، و(**الدبرة**) محركة: الهزيمة في القتال، ونقيض الدولة، والعاقبة، و(**الجنبات**) بفتحات جمع الجنبة محركة، والجنب والجانب: شق الإنسان وغيره، (**فما يخلفهم**) بالتشديد من التفعيل، أي: يجاوزهم، من الخلف نقيض قدام، (**حتى يخر ميتا**) إما لنتنهم، وإما لطول مسافتهم التي وقعوا فيها قتلى، فلا يستطيع قطعها فيقع ميتاً.

فَيُتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِئَةً فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ، أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقْسَمُ؟ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ أَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ ـ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ ـ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٨٩٩].

وقوله: (**فيتعاد**) بضم الياء وفتح التاء وتشديد الدال المرفوعة، أي: يعد بعضهم بعضاً، أي: كان يعد الأقارب الحاضرون في تلك الحرب فلا يجدون من مئة إلا واحداً، يعني كان كثرة القتلى إلى هذا الحد بقي من كل مئة واحد، وفي رواية: (بنو الأم فلا يجدونه) أي: المئة بتأويل العدد، وفي رواية: (فلا يجدون) بدون الضمير.

وقوله: (**فبأي غنيمة يفرح، أو أيّ ميراث يقسم**) هذا بيان معنى قوله: (حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة)، و(**البأس**) العذاب والشدة في الحرب، (**فجاءهم الصريخ**): (الصريخ): المغيث والمستغيث كالصارخ، وفي (الصراح)[1]: صريخ: آواز فرياد خواه، وفرياد كننده، وفرياد رس، وهو من الأضداد، (**فيبعثون عشر فوارس طليعة**) الفارس: راكب الفرس وصاحبه كلابس، والجمع فوارس شاذ، وإنما جرد (عشر) عن التاء نظراً إلى أنهم طلائع، ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون فوارس جمع فارسة، أي: جماعة فارسة، فيكون المبعوث عشر جماعات من الفارسين، وطليعة الجيش: من يبعث ليطلع على عدد العدو، (فعيلة) بمعنى (فاعلة)، يستوي فيه الواحد والجمع، والجمع طلائع.

---

(١) «الصراح» (ص: ١١٦).

٥٤٢٣ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَلْ سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاؤُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاَحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أحدُ جانبيها» ـ قَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ الرَّاوِي: لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ قَالَ: الَّذِي فِي الْبَحْرِ ـ «ثُمَّ يَقُولُونَ الثَّانِيَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُونَ الثَّالِثَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُونَهَا فَيَغْنَمُونَ، فَبَيْنَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٢٠].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٤٢٤ ـ [١٥] عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، . . . .

٥٤٢٣ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (من بني إسحاق) قيل: هم عسكر الشام، وهم من نسل إسحاق عليه السلام، وهم المسلمون.

وقوله: (قال ثور بن يزيد . . . إلخ)، لفظ الحديث في (المصابيح) هكذا: (فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر)، فأشار المؤلف إلى أن قوله: (الذي في البحر) ليس من قول النبي ﷺ، بل هو مدرج من قول الراوي، وهو ثور بن يزيد.

الفصل الثاني

٥٤٢٤ ـ [١٥] (معاذ بن جبل) قوله: (عمران) بضم العين، أي: عمارة بيت

وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ خُرُوجُ الدَّجَّال». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٩٤].

٥٤٢٥ ـ [١٦] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الملحمة الْعُظْمَى وَفَتْحُ الْقُسْطُنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٢٣٨، د: ٤٢٩٥].

٥٤٢٦ ـ [١٧] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي السَّابِعَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ: هَذَا أَصَحُّ. [د: ٤٢٩٦].

المقدس سبب خراب يثرب؛ لأن عمرانه باستيلاء الكفار، والمعنى أن كل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده، وإن وقع هناك مهلة كما في الحديثين الآتيين، فلا يرد أنه قد سبق في حديث أبي هريرة: (إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، [فيخرجون]، وذلك باطل) أي: هذا الإخبار والصياح كذب، فيعلم منه أنه لا يكون فتح القسطنطينية أمارة خروج الدجال، فافهم.

وقوله: (خروج الملحمة) أي: الملحمة العظمى المذكورة من قبل التي يبقى فيها من مئة واحد.

٥٤٢٥ ـ [١٦] (وعنه) قوله: (**الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر**) قال الجزري: في إسناده كلام، وفيه بقية، وقد تكلم فيه.

٥٤٢٦ ـ [١٧] (**عبدالله بن بسر**) قوله: (**ست سنين**) لا يخفى ما في هذا الحديث والذي قبله من الاختلاف الفاحش، ولكن هذا الحديث صحيح، والذي قبله في إسناده كلام لا يكاد يصح كما عرفت، فلا يعارضه، والله أعلم.

٥٤٢٧ ـ [١٨] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَالِحِهِمْ سَلَاحُ، وَسَلَاحُ: قَرِيبٌ مِنْ خَيْبَرَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٥٠].

٥٤٢٨ ـ [١٩] وَعَنْ ذِي مِخْبَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: . . .

٥٤٢٧ ـ [١٨] (ابن عمر) قوله: (يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة) أي: يضطروا إليها لمحاصرة العدو إياهم، والظاهر أن هذا إخبار عن حال المسلمين زمن الدجال حين يأرز الإسلام إلى المدينة المطهرة، أو يكون هذا في زمان آخر.

وقوله: (حتى يكون أبعد مسالحهم) جمع مسلحة، وأصله موضع السلاح، ثم استعمل للثغر، وهو المراد هنا، أي: أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر القريب من المدينة على عدة مراحل، وقد يستعمل لقوم يحفظون الثغور من العدو لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلح الذي هو موضع السلاح يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة كما في حديث الدعاء: (بعث الله له مسلحةً يحفظونه من الشيطان)[١]، وقد جاء في الحديث: مسالح الدجال، والمراد به مقدمة جيشه، و(سلاح) كسحاب وقطام: موضع أسفل خيبر، كذا في (القاموس)[٢]، فعلى الأول يكون منصرفاً إن أوّل بالموضع، وغير منصرف إن أوّل بالبقعة، وعلى الثاني علماً لعين المؤنث، وهي غير منصرف عند بني تميم، ومبني عند أهل الحجاز.

٥٤٢٨ ـ [١٩] (ذو مخبر) قوله: (وعن ذي مخبر) بميم مكسورة وسكون خاء معجمة وفتح موحدة، وقيل: بميم بدل موحدة، ابن أخي النجاشي خادم رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: «النهاية» (٢/ ٣٨٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٠٤).

«سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحاً آمِناً، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ». وَزَادَ بَعْضُهُمْ: «فَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ اللهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٩٢].

وقوله: (فتغـزون عدوًّا) مفعول (تغـزون)، و(مـن ورائكم) أي: مـن خلفكم صفة (عدوًّا).

وقوله: (صلحاً آمناً) صفة النسبة، أو الإسناد مجازي. و(المرج) بسكون الراء في آخره جيم: الموضع ترعى فيه الدواب، و(التلول) بضم مثناة وخفة لام جمع (تل) بمفتوحة: كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل.

وقوله: (فيرفع رجل من أهل النصرانية) وهم الروم، و(الصليب) شيء يكون للنصارى، وسيجيء معناه في (باب نزول عيسى ﷺ): (فيقول): أي: ينقض الذمة، كأن النصراني نسب الفتح إلى الصليب تعظيماً للنصرانية، فيلزم منه نقض العهد بالمسلمين، ويجوز أن يكون قوله ذلك لقصد نقض الذمة إخباراً بغلبتهم على المسلمين في معنى الإنشاء، فافهم.

وقوله: (فيثور المسلمون) الثَّوْر: الهيجان، والوثب، والسطوع، ونهوض القطا والجراد، كذا في (القاموس)[1].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٤).

٥٤٢٩ ـ [٢٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ، فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلاَّ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٠٩].

٥٤٣٠ ـ [٢١] وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ». رَوَاهُ.................

٥٤٢٩ ـ [٢٠] (عبدالله بن عمرو) قوله: (فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة) و(السويقة): تصغير الساق، وصغر لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والخموشة، والمراد بالكنز مال كان مدفوناً في الكعبة من نذور كانت تحمل إليها قديماً وغيرها، وقيل: هو كنز مدفون تحت الكعبة، وفي حديث آخر: (يخرب الكعبة ذو السويقتين)، وهذا عند قرب الساعة حيث لا يبقى قائل: الله الله، وقيل: يخرب في زمان عيسى عليه السلام.

وقال القرطبي: بعد رفع القرآن من الصدور والمصحف بعد موت عيسى عليه السلام، وهو الصحيح، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾[القصص: ٥٧]؛ إذ أمنه إلى قرب القيامة وخراب الدنيا، وبعد ما يخرب الحبشة لا يعمر، ومعنى حديث: (ليحجن البيت بعد [خروج] يأجوج ومأجوج) أن يحج مكان البيت، كذا في (مجمع البحار)(١)، ومما ذكرنا يحصل الجواب عما يشكل أنه قد ورد أن المهدي عليه السلام يخرج كنز الكعبة الشريفة بأن هذا الكنز الذي يجتمع بعد المهدي، فتدبر.

٥٤٣٠ ـ [٢١] (رجل من أصحاب النبي ﷺ) قوله: (ما ودعوكم) أي: تركوكم، هـذا الحديث حجة على الصرفيين في حكمهم بأنهم أماتوا ماضي (يدع) إن ثبت أنه

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٥٠).

أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ. [د: ٤٣٠٢، ن: ٣١٧٦].

٥٤٣١ - [٢٢] وَعَنْ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثٍ: «يُقَاتِلُكُمْ قَوْمٌ صِغَارُ الأَعْيُنِ» يَعْنِي التُّرْكَ، قَالَ: «تَسُوقُونَهُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى تُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَمَّا فِي السِّيَاقَةِ الأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الثَّانِيَةِ فَيَنْجُو بَعْضٌ وَيَهْلِكُ بَعْضٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةِ فَيُصْطَلَمُونَ»، أَوْ كَمَا قَالَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٠٥].

٥٤٣٢ - [٢٣] وَعَن أبي بكرَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ.................................

لفظ الرسول ﷺ، أو بعض من يوثق بعربيته من الرواة من الصحابة أو غيرهم، والحمل على أنه كان اللفظ (وادعوكم) أي: سالموكم فسقط الألف من قلم بعض الرواة تكلف، إلا أن يكون مرادهم قلة ورود ذلك، وكذا ورد مصدره في حديث: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن [الله] على قلوبهم)(١)، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾[الضحى: ٣] بالتخفيف، فتدبر، ولهذا أخوات وأمثلة كـ (اتزر) ووقوع (قط) في المستقبل وغيرهما ذكرت في محالِّها.

٥٤٣١ - [٢٢] (بريدة) قوله: (فيصطلمون) بلفظ المجهول افتعال من الصلم، وهو القطع، وقيل: هو قطع الأذن والأنف من أصله، أريد به الاستئصال.

٥٤٣٢ - [٢٣] (أبو بكرة) قوله: (بغائط) الغائط: المطمئن الواسع من الأرض، كذا في (القاموس)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨٦٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٢).

يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَـهُ: دِجْلَةُ، يَكُونُ عَلَيْـهِ جِسْرٌ يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَيَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ عِرَاضُ الْوُجُوهِ صِغَارُ الأَعْيُـنِ حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْـرِ، فَيَتَفَرَّقُ أَهْلُهَا ثَلاَثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا، . . . .

وقوله: (**يسمونه البصرة**) بالفتح ويحرك وبكسر الصاد، وهو بلد معروف، وقد كـان بلد آخر بالمغرب يسمى بالبصرة خربت بعد الأربع مئة، ويجيء بمعنى الأرض الغليظة، وحجارة رخوة فيها بياض، وبالضم: الأرض الحمراء الطيبة، وبصرى كحبلى: بلد بالشام، وقرية ببغداد، كل ذلك ذكره في (القاموس)[1].

ثم إنهـم قالوا: إن المـراد بالبصرة المذكورة في الحديث هو بغداد، فإن دجلة ـ بفتح الدال وكسرها ـ هي الشط، وجسرها إنما هو في بغداد لا في البصرة، وفي بغداد موضع خارج عنـه قريب من بابه يدعى باب البصرة، فلذلك سمي به تسمية بالجزء، وبغداد ما كانت مبنية في عهده ﷺ، ولا مصراً من الأمصار، بل أخبر ﷺ بوجوده في الاستقبال بقولـه: (**ويكون من أمصار المسلمين**)، ويسكن فيه أناس كثير من أمتي، بل كانـت قرى متفرقة منسوبة إلى البصرة، وأيضاً لـم يدخل الترك البصرة على سبيل الحرب والقتال بالكيفية المذكورة، فأخبر ﷺ أنه إذا كان، أي: الأمر أو الحال في جانب آخر الزمان من بناء ذلك المصر، جاء بنـو قنطوراء، والمراد بهـم الأتراك، وقنطوراء بفتح القاف وضم الطاء مقصوراً [وقـد يمد]: اسم أبي الترك، وقيـل: كانـت جارية لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولاداً منهم الترك والصين، وتعقب بأن الترك من أولاد يافث ابـن نوح عليه السلام، وهو قبل الخليل بكثيـر، ثـم أخبر بأنهـم يجيئون لمقاتلة أهل بغداد،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣١٧).

وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ وَهَلَكُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَهُمُ الشُّهَدَاءُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٠٦].

٥٤٣٣ ـ [٢٣] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَنَسُ إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَاراً، فَإِنَّ مِصْراً مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ، . . . .

وينزلون على شط النهر، ففرقة من أهلها يأخذون في أذناب البقر، على معنى يوقعون الأخذ في الأذناب ويتمسكون بها، تنزيلاً للمتعدي منزلة اللازم، أو يأخذون ملجأ فيها، وله معان، **أحدها**: أنهم يشتغلون بالزراعة إعراضاً عن المقاتلة واستخلاصاً عنها، أو يبيعون البقر ويطلبونها للحراثة ويذهبون في طلبها إلى البلاد النائية فيهلكون، أو يحملون أحمالهم على البقر ويسوقونها ويتوغلون في السفر إلى البلاد ويهلكون، وينظر إلى هذا المعنى ويقويه قوله: (والبرية).

(**وفرقة يأخذون لأنفسهم**) أي: ملجأ وأماناً من بني قنطورا ولم يجدوا الأمان منهم، قيل: هم المستعصم بالله الخليفة ورؤساء بغداد وعلماؤها طلبوا الأمان فقتلوا تقتيلاً وجرى ما جرى عليهم، وفرقة قاتلوهم فاستشهد أكثرهم ونجى قليلون، وهذا الذي أشير إليه في الحديث، ومصدوقه قصة التتار وخروجهم على بلاد الله وقتلهم عباد الله في عهد المستعصم بالله، وهي فتنة عظيمة لم يقع ولم يرو مثلها، والله أعلم، نسأل الله تعالى العافية.

٥٤٣٣ ـ [٢٤] (أنس) قوله: (**يمصرون**) من التمصير، في (القاموس)[١]: مصروا المكان تمصيراً: جعلوه مصراً، فتمصر.

وقوله: (**وإن مصراً منها يقال له: البصرة**) يظهر منه أن تعمر البصرة وتمصيرها

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٢٩).

فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا أَوْ دَخَلْتَهَا فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا وَكَلَّاءَهَا وَنَخِيلَهَا وَسُوقَهَا وَبَابَ أُمَرَائِهَا، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ وَيُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ». رَوَاهُ[1]. [د: ٤٣٠٧].

أيضاً بعد زمانه ﷺ، ولكن تمصيرها كان قبل تمصير بغداد وبنائها؛ لأن تمصير الكوفة والبصرة في زمن عمر رضي الله عنه، وتمصير بغداد في زمان المنصور، فلم يناف بما ذكروا من التوجيه، و(السباخ) بالكسر جمع سبخة ويحرك: أرض ذات نزٍّ وملح، موضع بالبصرة. و(كلاَّء) ككَتَّان: موضع بالبصرة، ويذكر، وساحل كل نهر، كالمكلأ كمعظم، و(الضواحي) جمع ضاحية، وهي الناحية البارزة للشمس، وضاحية البصرة موضع منها.

وقوله: (**فإنه يكون بها خسف**) الظاهر أن الضمير للسباخ، وما ذكر بعدها من المواضع حذر منها، وقيل: للمواضع المذكورة، وخسَف المكان يَخسِف خُسوفاً: ذهب في الأرض، وقذف بالحجارة يقذف: رمى بها، ورجف: حرك وتحرّك واضطرب شديداً، رجفاً ورجفاناً ورجوفاً ورجيفاً، والأرض: زلزلت كأرجفت.

وقوله: (**وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير**) المراد به المسخ، قيل: في هذا إشارة إلى أن بها قدرية؛ لأن الخسف والمسخ إنما يكون للمكذبين بالقدر، وقد أصاب القائل، فإن إمامهم ورئيسهم هو واصل بن عطاء، ومنه نشأت بدعة الاعتزال وما يتفرع عليها.

وقوله: (**رواه أبو داود . . . إلخ**)، في الأصل هنا بياض، وموسى بن أنس بن

---

(١) قال القاري (٨/ ٣٤٢٣): هنا بياض في الأصل، وقال الجزري: رواه أبو داود من طريق لم يجزم بها الراوي، بل قال: لا أعلمه إلا عن عيسى بن أنس عن أنس بن مالك.

٥٤٣٤ ـ [٢٤] وَعَنْ صَالِحِ بْنِ دِرْهَم يَقُولُ: انْطَلَقْنَا حَاجِّينَ فَإِذَا رَجُلٌ، فَقَالَ لَنَا: إِلَى جَنْبِكُمْ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا: الأُبُلَّةُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ يَضْمَنُ لِي مِنْكُمْ أَنْ يُصَلِّيَ لِي فِي مَسْجِدِ الْعَشَّارِ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعاً وَيَقُولُ: هَذِهِ لأَبِي هُرَيْرَةَ؟ سَمِعْتُ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْعَثُ مِنْ مَسْجِدِ الْعَشَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ لاَ يَقُومُ مَعَ شُهَدَاءِ بَدْرٍ غَيْرُهُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٠٨]. وَقَالَ: هَذَا الْمَسْجِدُ مِمَّا يَلِي النَّهْرَ.

وَسَنَذْكُرُ حَدِيثَ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ» فِي (بَابِ ذِكْرِ الْيَمَنِ وَالشَّامِ) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

مالك الأنصاري قاضي البصرة، في الطبقة الثالثة، من تابعي البصرة، روى عن أبيه، وروى عنه مكحول وحميد الطويل، كذا في (جامع الأصول)[1].

٥٤٣٤ ـ [٢٥] (صالح بن درهم) قوله: (فإذا رجل) أي: واقف، وهو أبو هريرة ﷺ، و(الأبلة) بضم الهمزة والباء وتشديد اللام: موضع بالبصرة أحد جنان الدنيا، كذا في (القاموس)[2].

وقوله: (ويقول: هذا لأبي هريرة) الظاهر أن معناه ثواب هذه الصلاة لأبي هريرة، وقد جاز في العبادة البدنية أن يجعل ثواب عمله لغيره، وفيه خلاف، ولعل مذهب أبي هريرة ﷺ هذا، وأما في العبادة المالية فجائز بالاتفاق، ويؤخذ من هذا الحديث أن العمل في الأمكنة الفاضلة فاضل.

وقوله: (وقال: هذا المسجد. . . إلخ)، قول أبي هريرة ﷺ أو قول راوي

---

(١) «جامع الأصول» (١٢/ ٩١٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٦٣).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٤٣٥ ـ [٢٥] عَنْ شَقِيقٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَـةِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ وَكَيْفَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، ....

الحديث.

الفصل الثالث

٥٤٣٥ ـ [٢٦] (شقيق) قوله: (هات إنك لجريء) من الجراءة، أي: قد تجاسرت بما ادعيت مـن حفظ كلام الرسول ﷺ كما قال، وفي بعض الروايات: (لجريء عليه أو عليها) أي: علـى رسول الله أو علـى مقالته وكلمته، وقد يقال: والظاهر نظراً إلى حال حذيفة وما كان من كونه صاحب سر رسول الله ﷺ فيما يقع من الفتن: أن المعنى: إنك لجراءتك وكثرة سؤالك أخذت عن النبي ﷺ ما لم نأخذ منه، فهات وبين كيفيته، فحمل حذيفة الفتنة على ما يفتن بها الرجل ويبتلى من جهة الأهل والمال والولد ورعاية حقوقها ويكفـر بما يأتي من الحسنات؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقولـه: (يكفرها الصيام والصلاة) قال في (القاموس): الكفارة في المعاصي كالإحباط في الطاعات[1].

---

(١) كذا فـي الأصل، وفي «القاموس المحيط» (ص: ٤٢٥): التفكير في المعاصي كالإحباط في الثواب.

فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً، قَالَ: فَيُكْسَرُ الْبَابُ أَوْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ أَبَداً، قَالَ: فَقُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ البابُ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةٌ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثاً لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، . . . .

وقوله: (إن بينك وبينها باباً مغلقاً) والمراد من باب المغلق وجود أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كما فسره في آخر الحديث.

وقوله: (فيكسر الباب أو يفتح؟) قيل: يحتمل أن يكنى بالكسر عن القتل وبالفتح الموت.

وقوله: (قلت: لا، بل يكسر): (لا) نفي للتردد.

وقوله: (قال ذاك) أي: الكسر أحرى وأولى بأن لا يغلق؛ لأنه لما كسر الباب لم يتصور بعده الغلق، والفتح أقرب إلى الغلق، ويرجى فيه ذلك.

وقوله: (من الباب؟) أي: الباب كناية عمن.

وقوله: (كما يعلم أن دون غد ليلة) أي: كما يعلم أن الليل قبل الغد علماً ضروريًا.

وقوله: (إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط) الغلط محركة: أن تَعْيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، غَلِطَ كفرح في الحساب وغيره، أو خاص بالمنطق، وغَلِتَ بالتاء في الحساب، ويقال: حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، وهي جمع أُغلوطة، وقد سبق بيانه تماماً في حديث: (نهى عن الأغلوطات) في (كتاب العلم).

قَالَ: فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مَنِ الْبَابُ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: عُمَرُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٥٢٥، م: ١٤٤].

٥٤٣٦ ـ [٢٦] وَعَن أنسٍ قَالَ: فَتْحُ القُسْطُنْطِينِيَّةِ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. [ت: ٢٢٣٩].

❖ ❖ ❖

٢ ـ باب أشراط الساعة

وقوله: (فهبنا أن نسأل حذيفة) عن تعيين الباب (فقلنا لمسروق) من التابعين وكان حاضراً في المجلس أن يسأل حذيفة.

وقوله: (عمر) أي: الباب الذي تدخل الفتنة بانكساره كناية عن عمر وقتله، فوجوده رضي الله عنه هو المانع عن دخول الفتنة، فإذا قتل دخلت الفتنة التي تموج كموج البحر، وهو قتل عثمان، ثم لا تزال تموج وتتكرر إلى يوم القيامة.

٥٤٣٦ ـ [٢٧] (أنس) قوله: (مع قيام الساعة) أي: مقرون معه، أي: قريب من قيامها.

٢ ـ باب أشراط الساعة

الشرط بالتسكين: تعليق شيء بشيء، وفي (القاموس)[١]: إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، كالشريطة، وهذا المعنى أيضاً راجع إلى معنى التعليق، وجمعه شروط، و(الأشراط) جمع شرط بالتحريك، وهو العلامة، وأول الشيء، ورُذال المال

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٠٥).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٤٣٧ - [١] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنا، ويكثُرَ شُربُ الخمرِ، ويقِلَّ الرِّجالُ، وتكثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «يَقِلُّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٨٠، م: ٢٦٧١].

وصغارها، والأشراف: أشراط أيضاً، ضد، وطائفة من أعوان الولاة، وهو شرطي كتُرْكي وجُهَني، سموا بذلك لأنهم أَعلموا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها، كذا في (القاموس)(١).

وقيل: أشراط الساعة: ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل قيامها.

أقول: لعله إنما اعتبر صغار أمورها أخذاً مما ذكر في (القاموس) من كونه رُذال المال وصغارها، واعتبر كونها قبل قيامها لما أنها قد تجيء بمعنى أول الشيء كما ذكرنا، وأيضاً شرط الجند: نخبتهم الذين يقدمون على غيرهم كما مر في (باب الملاحم)، وأما إنكار تفسير الأشراط بالعلامات جمع شرط بالتحريك كما نقله الطيبي(٢) عن الخطابي فمما لا وجه له، فتدبر.

الفصل الأول

٥٤٣٧ - [١] (أنس) قوله: (القيم الواحد) أي: القائم بمصالحهن، والقيم:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦٠٦).

(٢) انظر: «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٣٦).

٥٤٣٨ ـ [٢] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٨٢٢].

٥٤٣٩ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٥٩].

٥٤٤٠ ـ [٤] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يُخْرِجَ الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ فَلاَ يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجاً وَأَنْهَاراً». رَوَاهُ...............

القائم بأمر غيره.

٥٤٣٨ ـ [٢] (جابر بن سمرة) قوله: (كذابين) أي: وضاعين الأحاديث والمدعين النبوة.

وقوله: (فاحذروهم) ليس في (صحيح مسلم)، ولكن جاء في بعض الروايات من غيره، وقيل: إنه قول جابر رضي الله عنه، كذا في بعض الشروح.

٥٤٣٩ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: (وسد الأمر) على لفظ المجهول بتشديد السين، وقد يخفف، أي: فوض الأمر من سلطنة أو إمارة أو قضاء، كأنه جعل وسادة له، وفي الجوابين تنبيه على أنه لا يمكن تعيين الوقت حقيقة، لكن لها أمارات تنتظر عند وجودها وقربها.

٥٤٤٠ ـ [٤] (وعنه) قوله: (مروجاً) أي: رياضاً ومزارع، والمرج: أرض واسعة ذات نبات كثيرة.

مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: قَالَ: «تَبْلُغُ الْمَسَاكِنُ إِهَابَ أَوْ يَهَابَ». [م: ١٥٧].

٥٤٤١ ـ [٥] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يُقَسِّمُ الْمَالَ وَلاَ يَعُدُّهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْياً وَلاَ يَعُدُّهُ عَدًّا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩١٤].

٥٤٤٢ ـ [٦] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ. . . . .

وقوله: (**إهاب**) موضع على أميال من المدينة، غير منصرف للعلمية والتأنيث بتأويل البقعة، وفي (القاموس)[1]: الإهاب كسحاب: موضع قرب المدينة، والإهاب ككتاب: الجلد، أو ما لم يدبغ.

وقوله: (**أو يهاب**) الظاهر أنه شك من الراوي في اسمه، وقيل: يدعى ذلك الموضع بكلا الاسمين، فـ (أو) للتنويع.

٥٤٤١ ـ [٥] (**جابر**) قوله: (**يحثي المال**) وفي رواية: يحثو، في (القاموس)[2]: حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه حثواً وحثياً.

وقوله: (**ولا يعده**) من العد، وقيل: يحتمل أن يكون من الإعداد، أي: لا يدخره، والظاهر هو الأول، والمراد بالخليفة المهدي، ويحتمل أن يكون غيره، والله أعلم.

٥٤٤٢ ـ [٦] (**أبو هريرة**) قوله: (**يوشك الفرات**) الفرات: الماء العذب جدًّا،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٤٥).

أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٧١١٩، م: ٢٨٩٤].

٥٤٤٣ ـ [٧] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنجُو». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[م: ٢٨٩٤].

٥٤٤٤ ـ [٨] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلاَذَ..

ونهر بالكوفة، وهو المراد في الحديث.

وقوله: (أن يحسر) حسره يحسره: كشفه، من ضرب ونصر، والأول أكثر.

وقوله: (عن كنز) أي: سيُظهر ويكشف فرات عن نفسه كنزاً (من ذهب) أي: يذهب ماؤه فيظهر من تحتـه الكنز، (فلا يأخذ منه شيئاً) لأنه موجب للتقاتل كما في الحديث الآتي، وقيل: النهي لأنه مستعقب للبليات، وهو آية من آيات الله، وقيل: لعله مال مغضوب عليه كمال قارون، فحرم الانتفاع به، كذا في (مجمع البحار)[1].

٥٤٤٣ ـ [٧] (وعنه) قوله: (أنا الذي أنجو) هذا باعتبار المعنى على وتيرة: أنا الذي سمّتني أمي، والظاهر من حيث اللفظ ينجو بلفظ الغيبة، وتمامه في علم المعاني.

٥٤٤٤ ـ [٨] (وعنه) قوله: (تقيء الأرض) من القيء، والمراد الإخراج، أي: تخرج الكنوز المدفونة.

وقولـه: (أفلاذ) جمـع فلذ بالكسر جمـع فلذة: القطعة المقطوعة طولاً كقوله

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٥١٢).

كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعتْ يَدِي، ثمَّ يَدَعُونهُ فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[م: ١٠١٣].

٥٤٤٥ ـ [٩] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ ويقولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلاَّ الْبلاَءُ». . . . .

تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة: ٢]، وخص الكبد لأنها من أطايب الجزور، ويكون المال محبوباً عند الطبائع. وفي (القاموس)[1]: الفلذ بالكسر: كبد البعير، وبهاء: القطعة من الكبد، ومن الذهب والفضة واللحم، والأفلاذ جمعها، كالفِلَذ كعنب، ومن الأرض: كنوزها، والفالوذ: ذُكرة الحديد كالفولاذ، وأما الفلز بالزاي المشددة وكسر الفاء واللام وقد جاء كعَجَفٍّ وعُتُلٍّ: ما في الأرض من الجواهر المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص، وقيل: ما ينفيه الكير منها.

وقوله: (ثم يدعونه) أي: يتركونه، وقيل: المراد بأفلاذ كبد الأرض العروض المعدنية، وسوق الحديث لا يلائمها.

٥٤٤٥ ـ [٩] (وعنه) قوله: (فيتمرغ) أي: يتقلب، تمرغ: تقلب وتلوى من وجع يجده.

وقوله: (وليس به الدين إلا البلاء) أي: لم يبق له الدين والعادة إلا المحنة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٤).

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٥٧].

٥٤٤٦ ـ [١٠] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٧١١٨، م: ٢٩٠٢].

والابتلاء، فالمستثنى منقطع، فلذلك تمنى الموت، وقال الطيبي[1]: المعنى أن ليس التمرغ عادته، وإنما حمله عليه البلاء وكثرة الفتن، أو المراد أن ليس الباعث على التمرغ والتمني الدين بل البلاء من جهة الدنيا، انتهى.

٥٤٤٦ ـ [١٠] (وعنه) قوله: **(حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى)**: (الحجاز): مكة والمدينة والطائف ومخاليفها، كأنها حجزت بين نجد وتهامة، أو بين نجد والسراة، و(بصرى) كحبلى: بلد بالشام بينها وبين دمشق مراحل، وقد تواترت الأخبار بظهور هذه النار في سنة أربع وخمسين وست مئة في المدينة المنورة من ابتداء يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب، ومجموعه اثنين وخمسين بها، وكانت مثل بلدة لها حصن له بروج وشراريف، وكأنها تجرها الناس، تُصَيِّر كل جبل تصل إليه رماداً، وتصوت كالرعد، وتموج كالبحر، وكأنها يخرج منها أنهار حمر وخضر، وتقرب إلى المدينة، ومع ذلك يجيء منها إلى جانب المدينة نسيم بارد، أضاءت المدينة وبيوتها منها كضوء الشمس، وكان الناس يعملون في ضوئها في الليالي المظلمة، وانخسف في أيامها ولياليها الشمس والقمر، ورأى الناس به[2] تيماء وبصرى ضوءها، وأضاءت

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٣٩).

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: «من».

٥٤٤٧ ـ [١١] وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ٣٣٢٩].

أعناق الإبل بها، وقيل: المراد بأعناق الإبل في الحديث تلول بصرى وهيضاتها، وذكر أن طول تلك النار على قدر أربعة فراسخ، وعرضها أربعة أميال، وعمقها على قدر قامة الرجل ونصفها، وذكر أنها كانت تحرق الأحجار وتسلم منها الأشجار، وقيل: إنه كان حجر واحد نصفه قد احترق ونصفه سالم، وهو الجانب الذي كان داخل الحرم النبوي الشريف، فاشتغل أهل المدينة بالتضرع والابتهال والتصدق والإنفاق، واجتمع أهلها حتى النساء والصغار بالحرم الشريف وابتهلوا وتضرعوا، فصرف الله تعالى النار إلى جانب الشمال ونجا أهل بلدة هذه البقعة المباركة من شرها، وحدثت في هذه السنة الوقائع الغريبة في أكناف العالم، منها طغيان دجلة بغداد حتى غرقت أبنيتها وانهدمت بيوتها، وفي أول سنة خمس وخمسين وست مئة خرج التتار ففعل ما فعل، وأوقع ما أوقع كما مر.

٥٤٤٧ ـ [١١] **(أنس)** قوله: **(أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)** قال الطيبي[١]: لعل المراد بأول الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على قربها؛ لأنها لم تخرج إلى الآن، وقد خرجت نار الحجاز، فكيف تكون أولها حقيقة؟ أو أراد نار الحرب والفتنة كفتنة الترك، فإنها سارت من المشرق إلى المغرب، انتهى.

وفيه أن فتنة الترك أيضاً وقعت بعد نار الحجاز كما نقلنا، فكيف تكون أولها؟ والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ٩٦).

* **الْفَصْلُ الثَّانِي:**

٥٤٤٨ ـ [١٢] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّـى يتقاربَ الزَّمـانُ، فَتكُونُ السَّنةُ كالشهرِ، والشَّهرُ كالجمعةِ، وتكونُ الجمعةُ كاليومِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٣٣٢].

الفصل الثاني

٥٤٤٨ ـ [١٢] (أنس) قوله: (حتى يتقارب الزمان) قد سبق لهذه العبارة معاني محتملة، ولما وقع في صريح الحديث تفسيره بما ذكر من قوله: (فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة . . . إلخ)، وجب الاقتصار عليه كما لا يخفى.

وقوله: (وتكون الساعة كالضرمة) هي بفتح معجمة وسكون الراء: الشعلة الواحدة مـن النار، يقال: ضرمت النار: اشتعلت، وبفتح الراء: حشيش يحرق سريعاً، وفي (القاموس)[1]: الضرمة محركة: السَّعَفة، أو الشِّيحَة في طرفها نار، والرواية في الحديث بالسكون والحركة معاً كما صحح في النسخ المصححة، وقول الطيبي[2]: أي كزمان إيقاد الضرمة، وهي مـا توقد به النار أوّلاً كالقصب والكبريت إنما يصح إذا كان بفتح الراء.

نعم لا بد على تقدير السكون أيضاً من تقدير الزمان كما لا يخفى.

هـذا وقـد جاء الضرمة بالحركة بمعنـى النار، كما يقال: مـا بهـا نافخ ضرمة، للمبالغة فـي الهلاك، أي: ما بهـا أحد، وفي الحديث الكناية عن قصر الأعمار وقلة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٢٠).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ١٤٤١).

٥٤٤٩ ـ [١٣] وَعَن عبدِالله بنِ حوالةَ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَغْنَمَ عَلَى أَقْدَامِنَا، فَرَجَعْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئاً، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا، فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: «اللهُمَّ لاَ تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلاَ تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلاَ تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ قَالَ: ....

البركة، أو أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد والفتن لا يشعرون بمضي الأيام، ولا يدرون كيف ذهبت.

٥٤٤٩ ـ [١٣] **(عبدالله بن حوالة)** قوله: **(عبدالله بن حوالة)** بفتح الحاء والتخفيف. **(لنغنم)** أي: لنغزو ونغنم، واقتصر على ذكر الغنيمة اختصاراً واقتصاراً على ما هو الباعث، كأن القوم كانوا فقراء محتاجين ماشين غير قادرين على الركوب، وهذا معنى قوله: **(على أقدامنا)** متعلق بـ **(بعثنا)**.

وقوله: **(فأضعف)** بلفظ المتكلم منصوباً بتقدير (أن)، **(عنهم)** أي: عن كفاية مؤنتهم ورفع احتياجهم.

وقوله: **(فيعجزوا عنها)** لعدم قدرتهم على الوصول بمراداتهم ورفع حوائجهم.

وقوله: **(فيستأثروا عليهم)** أي: يختاروا لأنفسهم ويقدموا حقوقهم في اختيار ما هو الأولى والأصلح لهم، وفيه تعليم منه ﷺ بأن يكلوا أمورهم وحوائجهم إلى الله ﷻ، ولا يعتمدوا على غيره، وأقام ﷺ نفسه في هذا المقام على حد البشرية والضعف والعبودية رعاية لكمال التوحيد وعزة الربوبية، وإلا فهو خليفة الله المطلق ونائبه في الكل يفعل ويعطي ما يشاء بإذنه تعالى، ﷺ، يا رسول الله في جاهك ما يبلغ القاصد أقصى ما قصد.

«يَا بْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلاَفَةَ قَدْ نزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دنَتِ الزَّلاَزِلُ وَالْبَلاَبِلُ وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِه إِلَى رَأْسِكَ». رَوَاهُ[1]. [د: ٢٥٣٥].

٥٤٥٠ ـ [١٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اتُّخِذَ الْفَيْءُ دِوَلاً، ....

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

صلى الله عليه وسلم، وجزاه عنا خير الجزاء، وله التصرف وبيده العطاء.

وقوله: (إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة) كأنه أراد ما وقع في آخر الزمان من فتح بيت المقدس كما مر من الأحاديث.

وقوله: (والبلابل) جمع بلبلة، وهي الهم والحزن والفتنة، وبلبلت الألسنة: اختلط.

٥٤٥٠ ـ [١٤] (أبو هريرة) قوله: (إذا اتخذ الفيء دولا) الدول بكسر الدال وفتح الواو: جمع دولة بضم الدال وفتحها، وهما واحد، وهو انقلاب الزمان والعُقْبة في المال، وقيل: الضم في المال والفتح في الحرب، وقيل: الضم في الآخرة والفتح في الدنيا، وقيل: بالضم اسم لما يتناول من المال وبالفتح الفعل، وهو الانتقال من حال البؤس والضر إلى حال التنعم والسرور، والمراد في الحديث أن الأغنياء وأصحاب المناصب يتداولون أموال الفيء ويقسمونها بينهم ويمنعونها مستحقيها، ويلزمه أنهم إنما يغزون لطلب الغنيمة لا لإعلاء الدين.

---

(١) كذا هنا بياض بالأصل، وألحق في الحاشية: رواه أبو داود وإسناده حسن، ورواه الحاكم في «صحيحه». «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٤٣٥).

وَالأَمَانَـةُ مَغْنَماً، وَالزَّكَاةُ مَغرَمـاً، وَتُعُلِّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وَعَقَّ أُمَّـهُ، وَأَدْنَى صَدِيقَهُ وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَظَهَرَتِ الأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَسَـادَ الْقَبِـيلَةَ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيـمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَـةَ شَرِّهِ، وَظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وشُربتِ الخمورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، ....

وقوله: (**والأمانة مغنماً**) أي: يذهب الناس بودائعهم وأماناتهم فيتخذونها مغانم يغنمونها، والمغنم والغنيمة والغنم بالضم: الفيء، والفوز بالشيء بلا مشقة.

وقولـه: (**والزكاة مغرماً**) أي: يعدون الزكاة غرامة وخسارة؛ أي: يشق عليهم أداؤها كأنها تؤخذ كالغرامات.

وقوله: (**وأدنى صديقه**) أي: قربه. دناه دنواً ودنّاه تدنية وأدناه: قربه.

(**وأقصى أباه**) أي: أبعده، والقُصيا: الغاية البعيدة، والقصاء: فناء الدار.

وقوله: (**وكان زعيم القوم**) في (القاموس)[1]: الزعيم: الكفيل، وقد زعم به زعماً وزِعامة، وسيد القوم، ورئيسهم، أوالمتكلم عنهم.

(**والقينات**) جمع قينة بفتح القاف: الأمة المغنية، (**والمعازف**) الملاهي كالعود والطنبور، الواحد عزف، كذا في (القاموس)[2]، وقد مر تمام معناه.

وقوله: (**ولعن آخر هذه الأمة أولها**) قال الطيبي[3]: أي طعن الخلف في السلف وذكروهم بالسوء ولم يقتدوا بهم، فكأنهم لعنوا بهم، انتهى. وقد وقع حقيقة هذا في

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٠٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٣).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ٩٩).

فَارْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحاً حَمْرَاءَ وَزَلْزَلَةً وَخَسْفاً وَمَسْخاً وَقَذْفاً وَآيَاتٍ تَتَابَعُ كَنِظَامٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فَتَتَابَعَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢١١].

٥٤٥١ ـ [١٥] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ» وَعَدَّ هَذِهِ الْخِصَالَ وَلَمْ يَذْكُرْ «تُعُلِّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ»، ....

شأن الصحابة ومن تبعهم من الفرقة الزائغة الرافضة، ولعل هذا هو مصدوق الحديث، خذلهم الله تعالى.

(وخسفاً ومسخاً وقذفاً) قد مر معانيها في (الفصل الثالث) من (باب الملاحم).

وقوله: (كنظام قطع سلكه) في (القاموس)[1]: النظم: التأليف، والمنظوم، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً ونظّمه: ألّفه، وجمعه في سلك، فانتظم، والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه، انتهى.

فينبغي أن يحمل النظام هنا على معنى المصدر ويجعل بمعنى المنظوم، أو الحاصل بالمصدر، فافهم.

٥٤٥١ ـ [١٥] (علي) قوله: (إذا فعلت أمتي خمسة عشر خصلة) المراد الخصال المذكورة في الحديث السابق، فإن الترمذي ذكر الحديثين على الولاء.

وقوله: (وعد هذه الخصال) كلام صاحب (المصابيح)، والضمير في (عدّ) للترمذي.

وقوله: (ولم يذكر) أي: الترمذي (تعلم لغير الدين) فيكون خمسة عشر، وأما

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٨).

قَـالَ: «وَبَـرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ»، وَقَالَ: «وَشُرِبَ الْخَمْرُ وَلُبِـسَ الْحَرِيرُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢١٠].

٥٤٥٢ ـ [١٦] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَذْهَـبُ الدُّنْيَا حَتَّـى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أهلِ بَيْتِـي يُواطِـىءُ اسـمُه اسْمِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي ـ أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ـ يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِيَ، وَاسْمُ أَبِـيهِ اسْـمَ أَبِـي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً». [د: ٤٢٨٢، ت: ٢٢٣٠].

٥٤٥٣ ـ [١٧] وَعَنْ أُمِّ سَلَمَـةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي...............................

ما يذكره يكون ستة عشر، وقال: (وبر صديقه وجفا أباه) مكان (وأدنى صديقه وأقصى أباه)، (ولبس الحرير) بدل (ولعن).

٥٤٥٢ ـ [١٦] (عبـدالله بـن مسعود) قوله: (حتى يملك العرب) خص الذكر بالعرب لكونه الأصل والأشرف.

٥٤٥٣ ـ [١٧] (أم سلمة) قوله: (من عترتي) في (القاموس)[١]: العترة بالكسر: نسل الرجل، ورهطـه، وعشيرته الأدنون ممـن مضى وغبـر، وفي (النهاية)[٢]: عترة

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٣).

(٢) «النهاية» (٣/ ١٧٧).

مِنْ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٤٢٨٤].

٥٤٥٤ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٨٥].

الرجل: أقاربه، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب، وقيل: أهل بيته الأقربين، وهم أولاده، وقيل: قريش كلهم، والمشهور أنهم الذين حرمت عليهم الزكاة، انتهى.

وقوله: (**أولاد فاطمة**) تقييد للعترة فإن العترة كما ذكر من معانيها أعم من أولاد فاطمة.

٥٤٥٤ ـ [١٨] (أبو سعيد الخدري) قوله: (**أجلى الجبهة، أقنى الأنف**) أجلى من الجلاء، أي: أنور وأوضح وأوسع، وقنا الأنف: ارتفاع أعلاه، واحديداب وسطه، وسبوغ طرفه، أو نتو وسط القصبة، وضيق المنخِرين، هو أقنى، وهي قنواء، كذا في (القاموس)[١]، وفي (النهاية)[٢]: القنا في الأنف: طوله، ورقة أرنبته مع حدب في وسطه، وفي شمائله ﷺ: أقنى العِرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، وفي (القاموس)[٣]: العرنين بالكسر: الأنف كله، أو ما صلب منه عظمه، ومن كل شيء: أوله.

وقوله: (**قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**) في (القاموس)[٤]: القسط:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٣).

(٢) «النهاية» (٤/ ١١٦).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٥).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٤، ٩٢٧، ١٠٢٢، ٣٣٢).

٥٤٥٥ ـ [١٩] وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ الْمَهْدِيِّ قَالَ: «فَيَجِيءُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي، قَالَ: فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢٣٢].

٥٤٥٦ ـ [٢٠] وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ اخْتِلَافُ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِباً إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمقَامِ، وَيُبْعَثُ. .

العدل، من المصادر الموصوف بها كالعدل، يستوي فيه الواحد والجمع، والعدل: ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، كالعدالة والعدولة والمَعْدَلة، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والمصدر الحقيقي الظلم بالفتح، والجور: نقيض العدل وضد القصد، انتهى.

فظهر من هذا أن العدل والقسط متقاربان في المعنى، وكذا الجور والظلم، وجمعهما في الحديث من باب التأكيد والتقرير.

٥٤٥٥ ـ [١٩] (وعنه) قوله: (**فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ**) كناية عن كثرة المال وفيضانه كما سبق.

٥٤٥٦ ـ [٢٠] (أم سلمة) قوله: (**فيخرج رجل من أهل المدينة**) قالوا: هو المهدي، ونقل عن القرطبي أنه ذكر أن المهدي يخرج من المغرب الأقصى، وقال السيوطي: لا أصل له.

وقوله: (**فيخرجونه**) أي: يتخذونه إماماً.

وقوله: (**ويبعث**) لمقاتلته ملك من ملوك زمانه بعثاً من الشام.

إِلَيْـهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِـمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْـنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ . . . .

وقوله: **(فيخسف)** على صيغة المجهول، و**(البيداء)**: الفلاة، واسم موضع بين الحرمين، وهذه هي فتنة إمارة السفياني إحدى علامات خروج المهدي، وقد وردت فيه الأحاديث كثيرة متواترة المعنى، منها: ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بيضاء، يخرج من ناحية مدينة دمشق)[١]، و(عامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تَلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم)، أخرجه أبو عبدالله الحاكم في (مستدركه)[٢]، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، كذا في رسالة الشيخ العارف بالله علي بن حسام الدين المتقي.

وقوله: **(أتاه أبدال الشام)** الأبدال جمع بدل بفتح الدال وكسرها، وبديل كأمير: الخلف من الشيء، والأبدال: قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض، وهم سبعون: أربعون بالشام وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس، كذا في (القاموس)[٣].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الفتن» (٨١٢).

(٢) «المستدرك» (٤/ ٥٦٥).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٨٦٨).

وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، . .

وقال الحافظ السيوطي في تعليقه على أبي داود: لم يرو في الكتب الستة ذكر الأبدال إلا في هذا الحديث عند أبي داود، وأخرجه الحاكم وصححه، والأبدال قوم بهم يقيم الله ﷿ الأرض، وهم سبعون: أربعون بالشام وثلاثون بغيرها، وذكر السيوطي في (جمع الجوامع) من غير الكتب الستة في أكثرها عدد الأربعين وفي بعضها ثلاثون، وذكر أيضاً من حديث ابن أبي الدنيا في (كتاب الأولياء) والخلال عن علي ﷺ: الأبدال ستون رجلاً، ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين، ولا بالمتعمقين ولا بالمعجبين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم ـ وفي رواية ابن عساكر عن أنس ﷺ: وسلامة الصدر ونصيحة المسلمين ـ إنهم يا علي في أمتي أقل من الكبريت الأحمر، وذكر عن الديلمي في (مسند الفردوس) عن معاذ: ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال: الرضاء بالقضاء، والصبر عن محارم الله تعالى، والغضب في ذات الله تعالى[1]، وفي كلام بعض الصوفية بسطة في ذلك.

وقوله: **(وعصائب أهل العراق)** قال في (القاموس)[2]: العصبة بالضم من الرجال والخيل والطير: ما بين العشرة إلى الأربعين، كالعصابة بالكسر، وعصب القوم محركة: خيارهم، والمراد بالعصائب أيضاً طائفة من الرجال مسماة بها كالأبدال، كما في خبر علي ﷺ: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، وقيل: المراد خيار الناس وزهادهم.

وقوله: **(ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب)** اسم قبيلة، دحية الكلبي منها،

---

(١) انظر: «كنز العمال» (١٢/ ١٨٩)، و«كتاب الأولياء» (ص: ١٢).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٧).

فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثاً فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٨٦].

٥٤٥٧ ـ [٢١] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَلَاءً يُصِيبُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، حَتَّى لَا يَجِدَ الرَّجُلُ مَلْجَأً يَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللهُ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي وَأَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلأُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، لَا تَدَعُ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئاً إِلَّا صَبَّتْهُ مِدْرَاراً، ....

وهذا الرجل ينازع المهدي، ويستعين بأخواله من بني كلب، ويبعث بهم بعثاً، فيظهر أصحاب المهدي عليهم.

وقوله: (ويلقي الإسلام بجرانه) في (القاموس)(١): جران البعير بالكسر: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره، انتهى.

يقال: ألقى البعير جرانه على الأرض إذا برك واستقر وصار مستريحاً، وهذا كناية عن تمكن الإسلام وقراره، فلا يكون فيه هرج ولا حرب، واستقرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل، وفي حديث الهجرة أن ناقته ﷺ وضعت جرانها، أي: على باب أبي أيوب ﷺ، وظهر من هذا التقرير أن الباء في قوله: (بجرانه) زائدة.

٥٤٥٧ ـ [٢١] (أبو سعيد) قوله: (إلا صبته مدراراً) حال من السماء، كقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١]، ويستوي في المفعال المذكر والمؤنث على

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٨).

وَلاَ تَدَعُ الأَرْضُ مِنْ نَبَاتِهَا شَيْئاً إِلاَّ أَخْرَجَتْهُ، حَتَّى يَتَمَنَّى الأَحْيَاءُ الأَمْوَاتَ، يَعِيشُ فِي ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ». رَوَاهُ[1].

٥٤٥٨ ـ [٢٢] وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ. . . . .

ما قال الطيبي[2]، ويحتمل أن يكون حالاً من القطر، في (القاموس)[3]: درّت السماء بالمطر درًّا ودُرُوراً فهي مدرارٌ، ودرّ العرق: سال، انتهى.

والمدرار صيغة مبالغة كالمكسار والمعطار.

وقوله: (**حتى يتمنى الأحياء الأموات**): (الأحياء) مرفوع على أنه فاعل (يتمنى)، و(الأموات) مفعوله بحذف المضاف، أي: حياتهم، أي: لما رأى الأحياء عندهم من الخير الكثير والخصب والرخاء يقولون من كثرة المحبة والابتهاج بما عندهم: يا ليت أحبَّاؤنا الذين مضوا وماتوا كانوا أحياء في هذا الزمان حتى يروا هذا العيش الناعم، وقيل: (الإحياء) مصدر من أحيى يحيي، فهو منصوب على المفعولية، و(الأموات) مرفوع على أنه فاعل (يتمنى)، أي: يتمنى الأموات إحياء الله لهم، وهذا مبالغة وكناية عن وجود السرور ورغد العيش في الأحياء، أي: كاد أن يقال على سبيل الفرض والتقدير: إن الأموات يتمنون الحياة، وهذا إن صحت الرواية، وإلا فهو مجرد احتمال لا يعبأ به.

٥٤٥٨ ـ [٢٢] (علي) قوله: (**يخرج رجل من وراء النهر**) وفي نسخ (المصابيح):

---

(١) ترك هنا بياضاً في الأصل وألحق به: رواه الحاكم في «مستدركه» وقال: صحيح، لكن نقل الجزري أن الذهبي قال: إسناده مظلم. قاله القاري في «المرقاة» (٨/ ٣٤٤٥).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٤٥).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٥٣).

يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ، حَرَّاثٌ، عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مَنْصُورٌ يُوَطِّنُ أَوْ يُمَكِّنُ لآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَّنَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللهِ[1]، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ ـ أَوْ قَالَ: إِجَابَتُهُ ـ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٢٩٠].

٥٤٥٩ ـ [٢٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ...............

(من ما وراء النهر)، والظاهر من سياق الأحاديث أن المراد من الخروج دعوى الإمامة، ولهذا قال: وجب على كل مؤمن نصره وإجابته.

وقوله: (**يقال له: الحارث حراث**) قال الطيبي[2]: اسم ذلك الرجل الحارث وحراث صفته، وهذا هو الأظهر من العبارة، وليس المراد من الصفة النعت النحوي بل عمله وحرفته، كأنه قال: يدعى له باسم الحارث، أي: يقال له: الحارث، ويقال له: حراث، إما علمين أو وصفين، والله أعلم.

وقوله: (**كما مكنت قريش**) أي: بعضهم، فإن المهاجرين من أهل مكة قريش، وقد عزروه ونصروه ومكنوه.

٥٤٥٩ ـ [٢٣] (أبو سعيد الخدري) قوله: (**عذبة سوطه**) في (القاموس)[3]: العذب بالتحريك: الخيط الذي يرفع به الميزان، وطرف كل شيء، الواحدة بهاءٍ في

---

(١) زادت التصلية في نسخة.

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠٣).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٥).

بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢١٨١].

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٤٦٠ - [٢٤] عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الآيَاتُ بَعْدَ الْمِئَتَيْنِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ. [جه: ٤٠٥٧].

٥٤٦١ - [٢٥] وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيَّ». رَوَاهُ أَحْمَدُ. . . . .

الكل، وفي (الصراح)[1]: عذبة اللسان: تيزي زبان، وعذبة السوط: جابق تازيانه، عذبة الميزان: الخيط الذي يرفع به. ومنه عذبة العمامة وطرفها المرخى بين الكتفين.

وقوله: (بما أحدث أهله بعده) متعلق بـ (يخبره) أو بالكل، والله أعلم.

الفصل الثالث

٥٤٦٠ - [٢٤] (أبو قتادة) قوله: (الآيات بعد المئتين) أي: شروع أشراط الساعة وتواليها واقع بعد المئتين، واعتبار المئتين إما بعد ظهور دولة الإسلام، أو بعد وفاة النبي ﷺ، أو بعد الهجرة، أو بعد هذا الإخبار، قال الطيبي[2]: وهذا هو الظاهر.

٥٤٦١ - [٢٥] (ثوبان) قوله: (إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان) تفصيله يطلب من الرسالة المذكورة للشيخ علي المتقي رحمه الله في علامات المهدي.

---

(١) «الصراح» (ص: ٤٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠٤).

وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ». [حم: ٥/ ٢٧٧].

٥٤٦٢ ـ [٢٦] وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ، يُشْبِهُهُ فِي الْخُلُقِ وَلاَ يُشْبِهُهُ فِي الْخَلْقِ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. . . . .

٥٤٦٢ ـ [٢٦] (أبو إسحاق) قوله: (وسيخرج من صلبه رجل . . . إلخ)، قد تظاهرت الأحاديث البالغة حد التواتر معنى [على] كون المهدي من أهل البيت من ولد فاطمة، وقد ورد في بعض الأحاديث كونه من أولاد الحسن، وفي بعضها من أولاد الحسين، سلام الله تعالى عليهم أجمعين، وقد ورد في بعض الأحاديث الغريبة أنه من ولد العباس، وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي: ولا منافاة بينهما؛ إذ لا مانع من اجتماع الولادات في شخص من جهات مختلفة، ولكن يكون للحسن فيه الولادة العظمى؛ لأن أحاديث كونه من ذريته أكثر، وللحسين فيه ولادة أيضاً، ويمكن أن يكون للعباس فيه أيضاً ولادة من جهة أن في أمهاته عباسية، ثم إنه ورد في حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم) وهو حديث ضعيف باتفاق المحدثين، وبعد تسليم صحته تأويله لا مهدي كامل معصوم إلا عيسى بن مريم، كذا قيل، ثم ما وقع في هذا الحديث من قوله: (ويشبهه في الخلق) يعني بضم الخاء (ولا يشبهه في الخلق) يعني بفتح الخاء لا يخلو عن شذوذ، لأن الأحاديث الصحيحة متظاهرة في كونه مشابهاً له ﷺ خلقاً وخلقاً، اللهم إلا أن يراد بالمشابهة في الخلق بالفتح من جميع الوجوه، ولم يثبت ذلك، والله تعالى أعلم.

وقوله: (ثم ذكر قصة) بالإضافة ودونها.

وَلَمْ يَذْكُرِ الْقِصَّةَ. [د: ٤٢٩٠].

٥٤٦٣ ـ [٢٧] وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: فُقِدَ الْجَرَادُ فِي سَنَةٍ مِنْ سِنِي عُمَرَ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا، فَاهْتَمَّ بِذَلِكَ هَمًّا شَدِيداً، فَبَعَثَ إِلَى الْيَمَنِ رَاكِباً وَرَاكِباً إِلَى الْعِرَاقِ وَرَاكِباً إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الْجَرَادِ هَلْ أُرِيَ مِنْهُ شَيْئاً؟ فَأَتَاهُ الرَّاكِبُ الَّذِي مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ بِقَبْضَةٍ فَنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا رَآهَا عُمَرُ كَبَّرَ، وَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ أَلْفَ أُمَّةٍ سِتُّ مِئَةٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ وَأَرْبَعُ مِئَةٍ فِي الْبَرِّ، فَإِنَّ أَوَّلَ هَلَاكِ هَذِهِ الأُمَّةِ الْجَرَادُ، فَإِذَا هَلَكَتِ[1] الْجَرَادُ، تَتَابَعَتِ الأُمَمُ كَنِظَامِ السِّلْكِ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ».

[شعب: ٩٦٩٥].



وقوله: (لم يذكر القصة) قال الطيبي[2]: هذا كلام صاحب (جامع الأصول)[3].

٥٤٦٣ ـ [٢٧] (جابر بن عبدالله) قوله: (هل أري) بلفظ الماضي المجهول أي: أحد من الناس (منه شيئاً).

وقوله: (خلق ألف أمة) المراد بها كل جنس من أجناس الدواب آخذاً من قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقوله: (فإن أول هلاك هذه الأمة) قال الطيبي[1]: (هذه الأمة) إشارة إلى (ألف

---

(١) في نسخة: «هلك».

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠٤).

(٣) «جامع الأصول» (١٠/ ٣٣٢).

٣ ـ باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

أمة)، انتهى، وفي بعض النسخ: (فإن أول هذه الأمة) بدون لفظ (هلاك).

٣ ـ باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

ذكر في هذا الباب من العلامات الكبرى للقيامة كما ذكر في الباب السابق علاماتها الصغرى، لكن كان الظاهر أن يذكر خروج المهدي في هذا الباب؛ فإنه مع عيسى والدجال كما أشرنا، ولعله ذكره في ذلك الباب تقريباً واستطراداً لذكر الفتن والملاحم التي تقع قبل خروجه وترتفع بعده، ثم إنه قد اختلفت الأخبار في ترتيب الآيات العشر التي ذكرها هنا، والكلام بتطبيق الأحاديث المختلفة الواردة فيه كثير، وأعظمها وأشدها الدجال، ولذا ذكر فيه أحاديث أكثر مما ذكر في غيره.

والدجال مشتق من الدجل، وأصله الخلط، ويجيء بمعنى الخداع والتلبيس، دجل الحق بالباطل: إذا خلطه ولبّس وموّه، ويجيء بمعنى الكذب.

وفي (القاموس)[٢]: دجل البعير: طلاه بالقطران، أو عمّ جسمه بالهناء، ومنه الدجال المسيح؛ لأنه يعم الأرض، أو من دجل: كذب، وأحرق، وجامع، وقطع نواحي الأرض سيراً، أو من دجّل تدجيلا: غطّى وطلى بالذهب لتمويهه بالباطل، أو من الدُّجال: للذهب أو مائه؛ لأن الكنوز تتبعه، أو من الدَّجّال: لفِرِنْدِ السيفِ، أو من الدَّجّالة: للرفقة العظيمة، أو من الدَّجَال كسحاب: للسرجين؛ لأنه ينجس وجه الأرض، أو من دُجَّلِ الناس: للُقَّاطِهم؛ لأنهم يتبعونه.

والمسيح اسم مشترك بينه وبين عيسى عليه السلام، والأكثر أن يقيد اسمه بالدجال

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠٤، ١٠٥).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٩٨).

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٤٦٤ ـ [١] عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، . . . .

ويطلق في عيسى عليه السلام، وسمي عيسى مسيحاً لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، أو لأنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، وقيل: المسيح الصديق، وقيل: إنه كان أمسح الرجلين لا أخمص له، وقيل: هو بالعبرانية مشيحاً فعرب.

وقال صاحب «القاموس»[١]: ذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لـ (مشارق الأنوار)[٢] وغيره، وسمي به الدجال لأن عينه الواحدة ممسوحة، ورجل ممسوح الوجه ومسيح الوجه: وهو أن لا يبقى على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا سوي، أو لأنه يقطع الأرض، وقيل: إن الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة، كما أن الشر مسح عن مسيح الهداية، وقيل: إنه مسيح بوزن سكيت، وإنه الذي مسح خلقه، أي شُوِّه، وقال أبو داود: المثقل هو الدجال والمخفف عيسى، وأخطأ من قال: إن الدجال مسيخ بالمعجمة.

الفصل الأول

٥٤٦٤ ـ [١] (حذيفة بن أسيد الغفاري) قوله: **(فذكر الدخان)** اعلم أنه قد ذكر الدخان في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢١٩).

(٢) اسمه «شوارق الأسرار العلية في شرح مشارق الأنوار النبوية للصغاني».

وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِـهَا، . . . .

أَلِيمٌ﴾[الدخان: ١٠ ـ ١١]، فالأكثرون على أن المراد به ما أصاب قريشا من القحط في عهد رسول الله ﷺ بدعائه ﷺ عليهم بقوله: (اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)، فابتلوا بالقحط سبع سنين، فكانوا يأكلون الجلود والجيف حتى جيف الكلاب وعظامها، ويرى لهم الهواء في الجوّ كالدخان، فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره، ولأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار، ولأن العرب تسمي الشر الغالب دخاناً، وهذا قول ابن مسعود ومن تبعه، وقد ورد في (صحيح البخاري) وغيره في ذلك أحاديث، وقد ذهب البعض إلى أن المراد به ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة، وهذا قول حذيفة وتابعيه؛ لأنه قد روى أنه ﷺ لما ذكر الآيات وعدّ منها الدخان كما في هذا الحديث سئل عنه وما الدخان يا رسول الله؟ قرأ هذه الآية وقال: (يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، فالمؤمن يصير كالزكام، والكافر كالسكران)، الحديث[1].

وقوله: **(والدابة)** أي: دابة الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية [النمل: ٨٢]، قيل: طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ودبر، وقيل: مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، يتصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان، لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، تضرب المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه: مؤمن، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه: كافر، وروي أنه ﷺ سئل عن مخرجها فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله، يعني المسجد الحرام.

وقوله: **(وطلوع الشمس من مغربها)** سيأتي في الحديث بيانه وكيفيته.

---

(١) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٦٦).

وَنُـزُولَ عِيسَـى ابْـنِ مَرْيَـمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَـةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْـرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَـارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

وقولـه: (**ويأجوج ومأجوج**) همـا قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وقيل: يأجـوج من الترك ومأجـوج مـن الجيل، وهما اسمـان عجميان بدليل منع الصرف، وقيل: عربيان من أجّ الظليم: إذا أسرع، وأصلهما الهمزة كما قرأ عاصم، ومنع صرفهما للتعريـف والتأنيث، كذا قـال البيضاوي[1]، وفي (القاموس)[2]: الأجة: الاختلاط، ولا يخفى أنـه يمكن اشتقـاق يأجوج ومأجوج منـه أيضاً، بل مـن الأجة بمعنى شدة الحر، بل من الأجيج بمعنى تلهب النار كما ذكر من المعنيين لشدة في خروجهم مثل شدة الحـر ولهـب النار، ثـم قـال: ويأجوج ومأجوج من لا يهمزهما يجعل الألفين زائدتين من يَجَجَ ومَجَجَ، وقرأ رؤبة: (آجوج وماجوج)، وأبو معاذ: (يمجوج).

وقولـه: (**تطـرد الناس إلـى محشرهـم**) الحشر: الجمـع، من نصر وضرب، والمحشر بالفتـح: موضعه، كذا فـي (القاموس)[3]، وقالـوا: المراد بالمحشر أرض الشام؛ إذ صح في الحديث أن الحشر يكون متى يكون في أرض الشام، ولا يلزم منه أن يكون هذا الطرد بعد الحشر، ونقل في (مجمع البحار)[4] من حاشية (المصابيح): فإن قيـل: النار مـن حيث إنها مـن أشراطها تتقدم عليهـا والحشر بعد قيامها؟ قلت:

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٩٣).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٦٤).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٣٩).

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٥١٩).

وَفِي رِوَايَةٍ: «نَـارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُـوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ». وَفِي رِوَايَةٍ فِي الْعَاشِرَةِ: «وَرِيـحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٠١].

لعلها تخـرج أولاً وتبقى حتى تقوم الساعة، ثم تسوق أهل الشقاوة إلى المحشر وإلى النار.

وقوله: (من قعر عدن) بالتحريك: مدينة معروفة باليمن، كان التبع يحبس فيه أصحاب الجرائم، مـن عدن بالبلد من باب ضرب ونصر، عدناً وعدوناً: أقام، ومنه ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾، ويقال لـه: عدن أبين، أضيف إلى أبين على وزن أبيض، اسم رجل من حمير أقام بها، وقعـر كل شيء: أقصاه، وقعر البئر: عمقه، ثم قيل: إنه قد جاء في (صحيح البخاري): (إن أول الأشراط نار تخرج من المشرق إلى المغرب) فكيف تكون آخر الآيات؟ وأجابوا بأن آخريتها بالنسبة إلى ما ذكر من الآيات، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا يبقى بعدها شيء من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها، فإنه يبقى مع كل آية منها أشياء من أمور الدنيا.

وحاصله ما قال الطيبي[1]: إن بعض الآيات أمارات لقرب قيام الساعة، وبعضها دالة علـى حصولها وقيامها، فيمكـن أن تكـون النار آخراً بالنسبة إلـى القسم الأول، وأولاً بالنسبة إلى الثاني، كذا قالوا، وفيه نظر؛ لأن طلوع الشمس من مغربها كما يجيء في الحديث عدّ أولاً، ولا شك أنه ليس من القسم الأول؛ لأن الدخان والدجال قبله، فيكون مـن الثاني، وكيف يكون الشيئان أول؟ فالأوجه أن يقال: إن الأولية والآخرية إضافيتان، فيمكن أن يكون شيء أولاً بالنسبة إلى بعض، وآخراً بالنسبة إلى آخر، فلا

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٤٩).

٥٤٦٥ ـ [٢] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٧].

٥٤٦٦ ـ [٣] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ. . . .

يرد ما ذكر، فافهم، والله أعلم.

٥٤٦٥ ـ [٢] **(أبو هريرة)** قوله: **(بادروا بالأعمال ستًّا)** أي: تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء هذه الدواهي الست، والمبادرة: المعاجلة، بادره مبادرة وبِداراً: عاجله، وبدره الأمر وإليه: عجل إليه واستبقه، كذا في (القاموس)[1].

وقوله: **(وأمر العامة)** أي: الفتنة التي تعم الناس، و**(خويصة أحدكم)** أي: ما يختص بأحدكم من الشواغل في الفتنة في نفسه وأهله وماله، وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث من علامات القيامة، وقيل: أمر العامة القيامة التي تعم الناس، وخويصة أحدكم الموت، وتعقب بأن كونها من الآيات لا يستقيم، كذا قيل، ويمكن أن يقال: إنه لما حذر عن علامات القيامة حذر عنها وعن الموت الذي هو القيامة الصغرى، على أنه لم يقل ستًّا من العلامات بل أطلق، أي: ستًّا من الحوادث والمصائب والدواهي.

٥٤٦٦ ـ [٣] **(عبدالله بن عمرو)** قوله: **(وخروج الدابة)** قيل: الواو بمعنى (أو)، وقد وقع بـ (أو) في بعض الروايات، ويناسبه سياق الحديث.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣١٤).

عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيباً». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤١].

٥٤٦٧ ـ [٤] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٥٨].

٥٤٦٨ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ وَلاَ تُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلاَ يُؤْذَنُ لَهَا، وَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]» قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣١٩٩، م: ١٥٩].

وقوله: (وأيهما ما كانت): (ما) زائدة.

٥٤٦٧ ـ [٤] (أبو هريرة) قوله: (ثلاث إذا خرجن) أي: ثلاث آيات إذا ظهرن وحصلن.

٥٤٦٨ ـ [٥] (أبو ذر) قوله: (فتستأذن فيؤذن لها) يجوز أن يكون المراد استئذانها للدخول في حضرة الحق تعالى والإذن به، يعني ثم يؤمر بطلوعها من مشرقها، والأولى أن يراد ابتداء الاستئذان لطلوعها من مشرقها والإذن به.

وقوله: (فذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾) قد ذكر له في التفاسير

٥٤٦٩ ـ [٦] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٦].

٥٤٧٠ ـ [٧] وَعَن عَبْدِاللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، . .

وجوه غير ما في هذا الحديث، ولا شك أن ما وقع في الحديث المتفق عليه يكون هو المعتبر والمعتمد، والعجب من البيضاوي أنه ذكر وجوهاً في تفسيره ولم يذكر هذا الوجه، ولعله أوقعه في ذلك تفلسفه، نعوذ بالله من ذلك.

وفي كلام الطيبي أيضاً ما يشعر بضيق الصدر، نسأل الله العافية.

٥٤٦٩ ـ [٦] (عمران بن حصين) قوله: (أمر أكبر من الدجال) أي: في باب الفتنة والابتلاء، والإضلال والاستدراج.

٥٤٧٠ ـ [٧] (عبدالله) قوله: (إن الله لا يخفى عليكم) أي: قد عرفتموه بصفات الكمال وآمنتم به، فلا تضلوا بما ترون منه من المكر والاستدراج.

وقوله: (إن الله ليس بأعور) نفي للنقص لا لإثبات الجارحة، أي: ليس هو من جنس الآدميين، وليس له عين فضلاً عن أن يكون أعور، والعور: ذهاب حسن إحدى العينين.

وقوله: (عين اليمنى) أي: عين جهة اليمنى، أو عينه اليمنى، وقيل: إن ذلك من سهو قلم الناسخ بدليل ما جاء في حديث حذيفة: (أعور العين اليسرى)، والله تعالى أعلم.

كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٤٠٧، م: ١٦٩].

وقوله: (كأن عينه عنبة) فيه تجنيس لطيف من غير تكلف، و(طافية) أي: بارزة عالية، في (القاموس)[١]: طفا فوق الماء طفْواً وطفوًّا: علا، والخوصةُ فوق الشجر: ظهرت، والطفاوة: ما طفا من زبد القدر، ذكره في الناقص.

قال الشيخ ابن حجر[٢]: طافية بياء غير مهموزة، أي: بارزة، ولبعضهم بالهمز، أي: ذاهب ضوءها، وجزم به الأخفش، وفي شرح (المصابيح) لابن الملك[٣]: طافئة بالهمزة، أي: ذاهب ضوءها، وروي بغير الهمزة، أي: ناتئة بارزة، انتهى، من طفئت النار كسمع: ذهب لهيبها، كانطفأت وأطفأتها.

وقال القاضي عياض في (مشارق الأنوار)[٤]: (طافية) روي بالهمز وغيره، وقال: أكثر الروايات بغير همز، وهو الذي صححه الشيوخ والمفسرون، أي: ناتئة كحبة العنب الطافية فوق الماء، وقيل: البارزة من بين صواحبها، وقد رويناه عن بعضهم بالهمزة وأنكره أكثرهم، ولا وجه لإنكاره، لأنه قد روي في الحديث أنه ممسوح العين ومطموس العين، وأنها ليست جحراء ولا ناتئة، وهذه صفة حبة العنب التي سال ماؤها وطفئت، وعلى ما جاء في الأحاديث الأخر: (جاحظ العين وكأنها كوكب) يحتج به للرواية الأولى، ويصح الجمع بينهما بأنه أعور إحداهما، والعوراء مطموسة وممسوحة وغير ناتئة وطافئة بالهمزة، والأخرى كأنها كوكب وجاحظة وطافية بغير

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٧٦).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٩٧).

(٣) كذا في الأصل، والظاهر «شرح المشارق» لابن الملك، كما في «المرقاة» (٨/ ٣٤٥٣).

(٤) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٢٦).

٥٤٧١ ـ [٨] وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧١٣١، م: ٢٩٣٣].

٥٤٧٢ ـ [٩] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نبيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّه أعورُ، وَإِنَّه يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٣٣٣٨، م: ٢٩٣٦].

همزة، والله تعالى أعلم، انتهى.

٥٤٧١ ـ [٨] (أنس) قوله: (إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب) وذلك لعدم العلم بوقت خروجه لهم حين أنذروا.

وقوله: (مكتوب بين عينيه ك ف ر) هكذا كتب في نسخ (المصابيح) و(المشكاة)، وهذه الحروف غير مركبة إشارة إلى المادة الصرفية من غير اعتبار صيغة معينة، ولعلها على هذه الصورة مكتوبة بين عيني الدجال، وهكذا جاء من لفظه ﷺ مكتوب بين عينيه: الكاف والفاء والراء.

٥٤٧٢ ـ [٩] (أبو هريرة) قوله: (بمثل الجنة والنار) يحتمل الحقيقة والمجاز، وكذا قوله: (ماء ونار)، والمجاز أن يراد بهما اللطف والقهر والرحمة والغضب.

وقوله: (فالتي يقول: إنها الجنة هي النار) يأتي في الحديث الآتي عكسه أيضاً.

وقوله: (كما أنذر به نوح) خصه بالذكر لأنه مقدم المشاهير من الأنبياء.

٥٤٧٣ ـ [١٠] وَعَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَاراً، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَزَادَ مُسْلِمٌ: «إِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ العَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غليظةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كاتبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ». [خ: ٣٤٥٠، م: ٢٩٣٤].

٥٤٧٣ ـ [١٠] (حذيفة) قوله: (عليها ظفرة) بالتحريك: لحمة نبتت عند الماق من كثرة البكاء أو الماء، كذا قال الطيبي[١]، وفي (القاموس)[٢]: الظفر بفتحتين: جليدة تُغَشِّي العين كالظفرة محركة، وقد ظفرت العين كفرح فهي ظفرة، وفي شرح (جامع الأصول)[٣]: جليدة ناتئة من جانب يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها، وقال الطيبي[٤]: يحتمل أن تكون الظفرة في العين الممسوحة وأن تكون في العين الأخرى، انتهى.

لا يخفى أن وجود الظفرة في العين الممسوحة بالمعنى الذي ذكروه مما لا يظهر إلا أن يراد بالممسوح المعيوب، فالظاهر كونها في العين الأخرى وإن كان ظاهر اللفظ يأباه.

وقوله: (كاتب وغير كاتب) بالجر صفة (مؤمن)، أي: الذي يعرف الكتابة

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٩١).

(٣) «جامع الأصول» (١٠/ ٣٥٠).

(٤) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٠٩).

٥٤٧٤ ـ [١١] وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّتُهُ وَنَارُهُ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[م: ٢٩٣٤].

٥٤٧٥ ـ [١٢] وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ...............

ويحسن قراءتها والذي لا يعرفها، وذلك برهان من الله سبحانه وتعالى على كذبه.

٥٤٧٤ ـ [١١] **(وعنه)** قوله: **(أعور العين اليسرى)** قال التُّورِبِشْتِي[1] في وجه تطبيق هذه الرواية ورواية عبدالله: (أعور العين اليمنى): إن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة، فيصح أن يقال: لكل واحدة عوراء، إذ العور في الأصل العيب.

وقوله: **(جفال الشعر)** بضم الجيم، في (القاموس)[2]: جفل الشعر جفولاً: شعث، والجفالة بالضم: الجماعة، وما أخذته من رأس القدر بالمغرَفة، وكغراب: [رِغْوَةُ اللَّبَنِ]، والكثير، أو من الصوف، وجفلة من الصوف: جُزَّة منه، وبالفتح: الكثيرة الورق من الشجر.

٥٤٧٥ ـ [١٢] **(النواس بن سمعان)** قوله: **(وعن النواس)** بفتح النون وتشديد الواو (ابن سمعان) بكسر السين وفتحها.

وقوله: **(وأنا فيكم فأنا حجيجه)** الحجيج: الغلبة بالحجة، وهو (فعيل) بمعنى (فاعل).

---

(١) «كتاب الميسر» (٤/ ١١٦٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٨٠).

دُونَكُـمْ، وَإِنْ يَخْـرُجْ وَلَسْـتُ فِيكُـمْ فَامْـرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِـهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِـي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، ....

وقوله: (دونكم) أي: قدامكم.

وقوله: (فامـرؤ) للعموم فـي الإثبات، قد ثبت مـن الأحاديث ما يدل على أن خروجه في آخـر الزمان، ولكنه قالـه هكذا إبقاء للخوف على الأمة حتى يلتجئوا إلى الله تعالـى مـن شره، وأيضاً هذا كناية عن تحقق وقوعه البتة، وإشارة إلى الإبهام في زمانه كالساعة.

وقوله: (والله خليفتي) لما كان الاحتجاج على الدجال وجعله محجوجاً يرجع نفعه إلى بقاء دينه وتقويته، وكان ذلك أمـره وشأنه ﷺ مما يهتم بـه، اتخذ الله خليفته ووليه على كل مسلم وحافظه، فيعينه عليه ويدفع شره.

وقولـه: (قطط) فـي (القاموس)[1]: القطط محركة: القصير الجعد من الشعر كالقط، انتهى، والقطط يطلق على الشعر وعلى الرجـل، وفي (مجمع البحار)[2]: هو شديد الجعـودة، وقيل: الحسن الجعودة، والأول أكثـر، أي: شديد التقبض كشعر السودان، وهو بفتحتين على المشهور، وروي بكسر الطاء الأولى.

وقوله: (كأني أشبهه) تـردد ﷺ فـي تشبيهه بـه، ولو قال: كأنه عبد العزى لزم الجزم بالتشبيه، والعزى في الأصل تأنيث الأعز، واسم صنم، أو سمرة عبدتها غطفان، وعبد العزى هذا كان من المشركين، وقيل: رجل من خزاعة من ملوك الجاهلية.

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٤).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٢٩٤).

فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ بِفَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ، فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ، إِنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً، . . .

وقوله: (**فمن أدركه منكم**) وقد ورد قراءة سورة الكهف وقت النوم اتقاء شر الدجال.

وقوله: (**فإنها جواركم**) بكسر الجيم، أي: أمانكم، وفي شرح ابن الملك على (المصابيح)[1]: جوازكم بفتح الجيم والزاي، وهو الصك الذي يأخذه المسافر من السلطان لئلا يتعرض له المترصِّدة في الطريق، يعني أنه سبب مجاوزتهم الطريق من غير تعرض. وقال: وفي بعض النسخ بالراء، ومعناه: حافظكم وسبب أمانكم.

وقوله: (**إنه خارج خلة**) بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام، وهو الطريق في الرمل، أي: يخرج من طريق واقع بين الشام والعراق، وفي (القاموس)[2]: الخل: الطريق في الرمل، أو النافذ بين رملتين، أو النافذ في الرمل المتراكم، ويؤنث.

وقوله: (**فعاث يميناً وعاث شمالاً**) على صيغة الماضي من العيث، وهو الإفساد، أي: أفسد، وروي بصيغة اسم الفاعل، أي: فهو مفسد، وقد صوب هذه الرواية في العطف على (خارج)، وقال في (مشارق الأنوار)[3]: يقال: عاث وعث، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[البقرة: ٦٠]، وفي حديث الدجال روي بفتح الثاء فعل ماض، وروي بكسر الثاء وتنوينها على مثال (قاض) اسم فاعل، من

---

(١) «شرح مصابيح السنة» (٥/ ٥٦٦).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٨٩٤).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٠٦).

يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْماً، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَه»، قُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟........

عث، وبالوجهين قيدهما الجياني.

وقوله: (**قال أربعون يوماً**) وجاء في رواية: (أربعين) وهو بتقدير (يلبث).

وقوله: (**يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**) قيل: الأول لكثرة الهموم والغموم وشدة البلاء والفتنة يرى لهم كسنة، وعلى هذا القياس، ثم الحق يزيد قدراً والباطل ينقص ويهون المحنة وشدتها، وهذا القول لا يناسب سؤال الصحابة: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ وجوابه ﷺ: (اقدروا له قدره)، وقيل: ذلك لسحر ذلك اللعين واختلال حواسهم وقواهم بذلك، فيرى الظلام ضياءً والضياء ظلاماً، ولا يخفى أنه لا يظهر بهذا القول ولا بالقول الأول وجه تخصيص الأيام الثلاثة على هذا القدر المخصوص دون غيرها من الأيام ودون غير هذا القدر، إلا أن يحمل ذلك على طريق التمثيل، وهو بعيد.

وقوله: (**واقدروا له قدره**) أي: اقدروا لأداء الصلوات الخمس قدر يوم، وبيان تقديره: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين ظهر يومه يصلون الظهر، وعلى هذا قياس اليوم الذي كالشهر، والذي كالجمعة، قالوا: وهذا مخصوص بذلك اليوم، والله تعالى أعلم.

وقوله: (**وما إسراعه؟**) لما سمعوا أنه يفسد في آفاق الأرض وأكنافها في مدة يعسر فيها ذلك عادة علموا أن له إسراعاً، فسألوا عنه.

قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، . . . .

وقوله: (فتروح عليهم سارحتهم) الرواح: العشي، أو من الزوال إلى الليل، والمراد من السارحة المواشي تذهب بالغداة إلى مراعيها، والسرح: المال السائم، وسوم المال، يقال: سرحت المال سرحاً وسرحت هي بنفسها سروحاً، ويقال: سرحت بالغداة وراحت بالعشي.

وقوله: (ذرى) تمييز، جمع ذروة، بالفارسية كوهان شتر، وذروة كل شيء: أعلاه.

وقوله: (وأسبغه) أي: أتمه وأملأه، و(الضرع) بالفارسية پستان، و(أمده خواصر) جمع خاصرة، أي: ما تحت الجنب، وأمدها عبارة عن كثرة الأكل والشبع، وهو كناية عن السمن، والضمير في (أسبغه) و(أمدّه) لها.

وقوله: (ثم يأتي القوم) أي: قوماً آخرين غير الذين آمنوا به، وهم الذين جحدوه وكفروا به، ويحتمل أن يكون المراد القوم الأول كما هو قاعدة إعادة المعرفة، فهم كانوا تارة يؤمنون به بحكم الاشتباه والاضطرار، وأخرى يكفرون لما لاح عليه من دلائل الكذب المقتضية للإنكار.

وقوله: (ممحلين) المحل: الشدة، والجدب، وانقطاع المطر، وزمان ومكان ماحل، وأرض ممحلة، وأمحل القوم: أجدبوا، أي: صاروا ذات جدب.

فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُوذَتَيْنِ.........................

وقوله: (**فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**) جمع يعسوب، وهو أمير النحل وذكرها والرئيس الكبير، كما في قول أمير المؤمنين علي ﷺ في صفة نفسه: أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكفار، أي: يلوذ بي المؤمنون ويلوذ بالمال الكفار كما يلوذ النحل بمقدمها وسيدها، وفي صفة أمير المؤمنين أبي بكر ﷺ: كنت للدين يعسوباً، والمراد يتبع الدجال كنوز الأرض كما يتبع النحل يعاسيبها، وإنما جمع لأن لنحل كل بقعة يعسوباً.

وقوله: (**ممتلئاً شباباً**) تمييز، والمراد كونه في غاية الشباب.

وقوله: (**جزلتين**) بفتح الجيم وروي بالكسر، وقيل: الجزلة بالكسر: القطعة، وبالفتح المصدر، وفي (القاموس)[1]: جزله بالسيف يجزله: قطعه جزلتين.

وقوله: (**رمية الغرض**): (الغرض) محركة: الهدف، أراد أنه يكون بُعد ما بين القطعتين بُعد رمية السهم إلى الهدف، وقيل: أي يصيبه بالضربة إصابة رمية الغرض، (**ثم يدعوه فيقبل**) أي: ثم يحيي الدجال الشاب المذكور فيقبل عليه ضاحكاً مسروراً، و(دمشق) المشهور فيه كسر الدال وفتح الميم، وقد يكسر.

وقوله: (**مهروذتين**) يروى بالدال والذال، وأكثر ما يقع في النسخ بالدال المهملة،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٧٩).

وَاضِـعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ. . . . .

ومعنـاه لابساً ثوبين مصبوغين بالزعفران، كذا نقل الطيبي[١]، وفي (القاموس)[٢] في باب الدال المهملة: الهرد: الشق للإفساد، وبالضم: الكُركُم، وطين أحمر، وعروق يصبغ به، والهردي: المصبوغ به، وقال في باب الذال المعجمة: المهروذة لم تسمع إلا في قول النبي ﷺ في المسيح عليه الصلاة والسلام: (ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في مهروذتين)، ويروى بالدال، وفي (الصراح)[٣]: هردى بالكسر على فعلى: گياهي ثوب، مهروذ زرد رنگ وليس، ولم يذكر فيه هرذ بالذال المعجمة.

وقال القاضي عياض في (مشارق الأنوار)[٤] في الدال المهملة: في خبر عيسى عليـه الصلاة والسلام: فينزل فـي ثوبين مهرودتيـن، قيل: في شقتين أو حلتين، قال ابـن قتيبة: مأخوذ من الهرد، وهو الشق، أي: في شقتين، والشقة: نصف الملاءة، وقال أبو بكر: إنما يسمى الشق هرداً إذا كان للإفساد لا للإصلاح، وقال ابن السكيت: هرد القصار الثوب وهردته: إذا خرقته، وقيل: أصفرين كلون الحوذانة، وهو ما صبغ بالورس والزعفران، فيقال له: مهرود.

وقال ابن الأنباري: يقال: مهرودتين بالدال والذال معاً، أي: ممصرتين، كما جاء في الحديث الآخر، وقال غيره: الثوب المهرود: الذي يصبغ بالعروق التي يقال لها: الهرد بضم الهاء، وقال أبو العلاء المعري: هرد ثوبه: صبغه بالهرد، وهو صبغ

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١١٤).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٧، ٣٠٧).

(٣) «الصراح» (ص: ١٥١).

(٤) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٦٧).

مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ مِثْلَ جُمَانٍ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدَ مِنْ رِيحِ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، ....

يقال له: العروق، وقال الجياني: يقال هو الكُركُم، وقال ابن قتيبة: ما ذكر عندي خطأ من النقلة وأراه مهرودتين، أي: صفراوين، وخطأ ابن الأنباري قوله هذا، وقال: إنما يقوله العرب: هريت لا هروت، ولا يقولون ذلك إلا في العمامة خاصة.

وقوله: (**إذا طأطأ رأسه**) أي: خفضه، (**قطر**) أي: عرق، (**وإذا رفعه**) أي: الرأس (**تحدر**) أي: نزل، و(**الجمان**) كغراب اللؤلؤ، أو حبات بأشكال اللؤلؤ من فضة، الواحدة جمانة، وفي بعض الحواشي: (الجمان) بضم الجيم وتشديد الميم: اللؤلؤ الصغار، وبتخفيفها حب يتخذ من الفضة، وقيل: المراد هو الأخير، انتهى. والقرينة على ذلك قوله: (كاللؤلؤ) يعني إذا خفض رأسه قطر من شعره قطرات نورانية، وإذا رفعه نزلت تلك القطرات من الماء، كذا في (مجمع البحار)[1].

وقوله: (**فلا يحل لكافر**) بكسر الحاء، أي: لا يمكن ولا يحصل، والدجال مستثنى من هذا، و(**نفسه**) بفتح الفاء.

وقوله: (**فيطلبه**) أي: عيسى الدجال، و(**اللد**) بضم لام وتشديد دال: اسم جبل بالشام، وقيل: قرية من قرى بيت المقدس، وفي (القاموس)[2]: (لد) بالضم: قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها.

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٨٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٧).

فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِـمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[الأنبياء: ٩٦] فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ وَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ، هَلُمَّ..............................

وقوله: (**فيمسح**) أي: يزيل الغبار عن وجوههم، أو يكشف ما بهم من الشدة وأثر المحنة.

وقوله: (**لا يدان**) أي: لا طاقة ولا قدرة، وقيل: أراد المبالغة بأن يديه كأنهما معدومتان لعجزه، و(**الحدب**) الغليظ المرتفع من الأرض، (**والنسل**) الإسراع، نسل ينسل نسيلاً ونسَلاً ونسَلاناً: أسرع.

و(**بحيرة طبرية**) بالإضافة، وبحيرة تصغير بحرة، وهو ماء يجتمع بالشام طوله عشرة أميال، وطبرية: اسم موضع، وفي (القاموس)[١]: قرية بواسط، و(**الخمر**) بفتحتين: ما واراك من شجر وغيره، كذا في (القاموس)[٢]، قال الطيبي[٣]: الشجر الملتف، وجبل بالقدس، قيل: سمي به لكثرة شجره.

وقوله: (**هلم**) معناه تعال، مركبة من (ها) للتنبيه ومن (لم)، من لمّ الله شعثه،

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٨٨).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٣٤٩).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ١١٥).

فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَماً، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ..................

أي: جمعه، أي: لـم نفسك إلينا، وحذفت ألفها وجعلا اسماً واحداً، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يصرفونها فيقولون: هلم وهلما وهلموا وهلمي وهلممن، وقد يوصل باللام فيقال: (هلم لك) كما قالوا: (هيت لك)، ويؤكد بالنون فيقال: (هلمن)، وفي المؤنث بكسر الميم، وفي الجمع بضمها، وفي التثنية (هلمان) للمذكر والمؤنث، وللنسوة (هلممنان). **(نشابهم)** بضم نون وتشديد شين: السهام، واحده نشابة بهاء، ونشاب بالفتح متخذه، وقوم نشابة: يرمون به. و**(يحصر نبي الله)** أي: يحبس في جبل الطور.

وقوله: **(حتى يكون رأس الثور)** أي: يبلغ بهم الحاجة والفاقة إلى أن يكون رأس الثور الذي هو أرخص اللحم بالنسبة إلى ما في لحمه، **(خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم)** ويقاس عليه غيره من الأجزاء، وقيل: أراد نفس الثور لاحتياجهم إليه للزراعة، وتعقب بأن ما لهم للزراعة وهم محصورون.

وقوله: **(فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه)** أي: يدعون الله في إهلاك يأجوج ومأجوج. **(فيرسل الله عليهم النغف)** وهو بفتح النون والغين المعجمة: دود في أنوف الإبل والغنم، والواحدة نغفة، و**(فرسى)** كقتلى جمع فريس بمعنى قتيل، من افتراس الأسد، و**(الزهم)** بالتحريك مصدر زهمت يده كفرح فهي زَهِمَةٌ، أي: دَسِمَةٌ،

وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «تَطْرَحُهُمْ بِالنَّهْبَلِ، وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ، ....

والزهم بالضم: الريح المنتنة، انتهى، والأول أكثر رواية. و(**طيراً كأعناق البخت**) أي: أعناقها كأعناق البخت بالضم: الإبل الخراسانية، كالبُختية، انتهى، والبختية: الأنثى من الجمال [البخت، وهي جمال] طوال الأعناق، والذكر بختي، والجمع بخت وبخاتي. و(**النهبل**) بفتح النون وسكون الهاء وفتح الباء الموحدة: موضع من بيت المقدس، وقيل: حيث تطلع الشمس، كذا في الحواشي، وقد صحح في نسخ (المشكاة) كذلك بالنون، وكذلك صورة اللفظ في نسخ الطيبي، وفي (مجمع البحار)[١] من الكرماني (بالمهبل) بالميم، وفسره بالهوة الذاهبة في الأرض، وفي (القاموس)[٢]: المهبل كمنزل: الهُوِيُّ من رأس الجبل، وفي (الترمذي)[٣]: في حديث الدجال: (فتطرحهم بالنهبل) بالنون، وهو تصحيف، والصواب بالميم.

و(**الجعاب**) بكسر الجيم جمع جعبة بفتحها: كنانة للنشاب، أي: ظرفها.

وقوله: (**لا يكن من بيت مدر ولا وبر**) في (مجمع البحار)[٤]: (لا يكن) هو

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٥/ ١٣١).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ٩٦٤).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٢٤٠) وفيه: «بالمهبل».

(٤) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٤٤١).

فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، . . . .

بفتح ياء وضم كاف، من كننته: صنته عن الشمس، ومفعوله محذوف، أي: لا يكن ولا يصون من ذلك المطر بيت مدر ولا وبر، يعني بيت الحضر وأهل البدو شيئاً، بل يغسل الأماكن، أي: لا يمنع من نزول الماء بيت المدر، انتهى.

و(يكن) صحح في النسخ بضم الياء وكسر الكاف من الإكنان، وفي الحواشي: (لا يكن) من الإكنان والكن، أكننته وكننته، أي: سترته، والجملة صفة (مطر)، والمفعول محذوف، أي: لا يستر ولا يصون من ذلك المطر بيت مدر ولا وبر، أي: أهل الحضر والبدو شيئاً، بل يعم جميع الأماكن كما عرفت، وقال في (القاموس)[1]: أكنه كنه: ستره.

(كالزلفة) قال الطيبي[2]: روي بفتح الزاي واللام وبالفاء والقاف، وروي بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وبيَّنَ معانيها من غير تعيين أن أيها بأي معنى، والذي في (القاموس)[3] في باب الفاء وفصل الزاي: الزلف محركة: الحوض الملآن، وبهاء: المَصْنعة الممتلئة، والإجّانة الخضراء، والصدفة، والصخرة الملساء، والأرض المكنوسة، والزلفة بالضم: الصحفة، والزلف بالكسر: الروضة.

وقال في باب القاف: الزلقة محركة بهاء: الصخرة الملساء، والمرآة، انتهى.

ولا يخفى أن الأنسب هنا حمله على المَصْنعة الممتلئة والإجّانة الخضراء؛ لأن الظرف إذا ملئ ماء يرى أخضر، ويقرب منه حمله على الصحفة والمرآة كذلك، كأن الأرض صارت لكثرة الماء بحيث يرى الرائي وجهه فيه، والله أعلم.

ويناسب قوله: **(فيغسل الأرض)** حمله على الأرض المكنوسة والصخرة الملساء

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١١٠٧).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٥٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٧٣٥، ٨٠٢).

ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، ....

لصفائها وملاستها، وعلى المرآة لهذا المعنى أيضاً، فافهم.

و(**العصابة**) بالكسر من الرجال والخيل والطير: ما بين العشرة إلى الأربعين كالعصبة بالضم، والمراد بـ (قحف الرمانة) بكسر القاف: مقعر قشرها، شبه بالعظم فوق دماغ الآدمي وما انفلق من الجُمْجُمَة فبان، ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء، و(**الرسل**) بالكسر: اللَّبَن، يقال: أرسلوا: كثر رسلهم، و(**اللقحة**) بالكسر ويفتح: اللقوح كصبور، وهي الناقة الحلوب، أو التي نُتجت، لقوح إلى شهرين أو ثلاثة، ثم هي لبون، والجمع لَقَحٌ ولِقَاحٌ.

وقوله: (**لتكفي الفئام**) في (القاموس)[1] في فصل الفاء: الفئام: الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه، وفي (الصحاح)[2]: والعامة تقول: (فيام) بلا همز، وقال في (المشارق)[3] في حديث: (يغزو فئام من الناس): بكسر الفاء، معناه الجماعة، وقيل: الطائفة، قال ثابت: هو مأخوذ من الفئام، وهي كالقطعة من الشيء، وقال بعضهم: بفتح الفاء، حكاه الخليل، وهي رواية القابسي، وأدخله صاحب (العين) في حرف الياء بغير همزة وغيره بهمزة، وكذا قاله القابسي، وحكى الخطابي أن بعضهم رواه فيام بالفتح مشددة الياء، وهو غلط، وفي المهموز ذكره الهروي، وكذا

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣١).

(٢) «الصحاح» (٥/ ٢٠٠٠).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٤).

وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، ....

قيد عن أبي ذر بالهمز.

و(**الفخذ**) بسكون الخاء: جماعة دون البطن، والبطن دون القبيلة، وأما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء وبسكونها، كذا في شرح ابن الملك موافقاً لما قال الطيبي[١]، وفي (المشارق)[٢]: الفخذ من الناس: الجماعة منهم والقبيلة، ويقال في العضو: [فَخِذ] فَخْذ وفِخْذ، وكذلك في نفر القوم فَخْذ وفخذ، وحكي عن ابن فارس أنه بالكسر في العضو وبالسكون في النفر، وحكى صاحب (الجمهرة) السكون والكسر في العضو، وقال: الفخذ بالسكون ما دون القبيلة وفوق البطن، انتهى.

وفي (القاموس)[٣]: الفخذ ككتف: ما بين الساق والورك، مؤنث، كالفخذ ويكسر، وحيّ الرجل إذا كان من أقرب عشيرته.

وقوله: (**فتقبض**) أي: الريح على الإسناد المجازي.

وقوله: (**كل مؤمن وكل مسلم**) يدل على مغايرة الإيمان والإسلام، أو هو تأكيد ومبالغة في التعميم.

وقوله: (**تحت آباطهم**) يريد به إسقاطهم على الأرض.

---

(١) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٥٩).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٤٨).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٣٠٤).

وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ إِلاَّ الرِّوَايَةَ الثَّانِيَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «تَطْرَحُهُمْ بِالنَّهْبَلِ» إِلَى قَوْلِهِ: «سبع سِنِين». رَوَاهَا التِّرْمِذِيُّ. [م: ٢٩٣٧، ت: ٢٢٤٠].

٥٤٧٦ ـ [١٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، ....

وقوله: (يتهارجون) أي: يختلطون ويتخاصمون في الأرض، وقيل: يجامعون النساء علانية، وفي (القاموس)[1]: هرج جاريته: جامعها.

٥٤٧٦ ـ [١٣] (أبو سعيد الخدري) قوله: (فيتوجه قبله) بكسر القاف وفتح الباء، أي: نحوه، والضمير في (فيلقاه) للرجل، و(المسالح) جمع مسلح، وهو الثغر؛ لكونه موضع السلاح، وقد يطلق على رجل ذي سلاح يحفظ الثغر، والمراد هنا مقدمة جيش الدجال، وقد مر ذكره.

وقوله: (ما بربنا خفاء) أي: ليس براهين ألوهية ربنا مخفية، فإنه تعالى ليس أعور كما مرّ في الحديث.

وقوله: (دونه) أي: في غير حضوره.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٩١).

فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، قَالَ: «فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً»، قَالَ: «فَيَقُول: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ»، قَالَ: ....

وقوله: (**فيشبح فيقول: خذوه وشجوه**) روي على ثلاثة أوجه:

أحدها: (فيشبح) بشين معجمة فموحدة وحاء مهملة على صيغة المضارع المجهول، من التشبيح، وهو جعل الشيء عريضاً، ورجلٌ شَبْحُ الذراعين ومشبوحهما: عريضهما، أي: يلقى على قفاه.

وقال الطيبي[١]: مدوه على بطنه، و(شجوه) بالجيم أمر من الشج، وهو الجرح في الرأس.

وثانيها: (يشبح) كالأول، و(شَبِّحُوه) بالباء والحاء أمر من التشبيح.

وثالثها: (فيشج) و(شجوه) كلاهما بالجيم، والوجه الثاني هو الذي ذكره الحميدي، والأصح الأول، كذا في (شرح مسلم)[٢]، وقال في (المشارق)[٣] في مادة (ش ب ح): فيشبح أي: يمد للضرب، وقال الهروي: الشبح: مدّك شيئاً بين أوتاد، وكذلك المضروب إذا مدّ للجلد، (**فيوسع**) عليه، قال الطيبي[٤]: بإسكان الواو وفتح السين، يعني من الوسع، وفي نسخة بفتح الواو من التوسيع.

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١١٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/ ٣٠٠).

(٣) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٤٣).

(٤) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٦٠).

«فَيُؤْمَرُ بِـهِ فَيُؤشَرُ بالمنشارِ مِنْ مَفْرِقِـهِ حَتَى يُفرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْـهِ»، قَالَ: «ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أتؤمنُ بِـي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلاَّ بَصِيرَةً»، قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ»، قَالَ: «فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً، . . . .

وقوله: (**فيؤشر بالمنشار**) وشر الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في أشرها بالمئشار بالهمز: نشرها، كذا في (القاموس)[1]، وقال في (المشارق)[2]: يوشر بالميشار في حديث الدجال يقال بالهمزة وبالياء، والفعل منه أشرت ووشرت أشراً ووشراً، وبالنون، والفعل منه نشرت نشراً من المنشار بالنون، و(**المفرق**) بكسر الراء: الطريق في شعر الرأس.

وقوله: (**ما ازددت فيك إلا بصيرة**): (ازداد) جاء في الأكثر لازماً، فيكون قوله: (بصيرة) تمييزاً، وقد يجيء متعدياً فيكون مفعولاً به، وفي (تاج المصادر): الازدياد: أفزون كردن وأفـزون شدن، و(ازددت) علـى صيغـة المعلوم، وفي نسخة على لفظ المجهول بكسـر الـدال الأولى، والمراد بازديـاد البصيـرة العلم بكونه كاذباً؛ لوجود علامة أخبر بها رسول الله ﷺ، وهي إحياء الموتى.

وقوله: (**ثـم يقول**) أي: الرجـل المذكور (**إنـه**) الدجال (**لا يفعل بعدي**) هذا الفعل من القتل والإحياء (**بأحد**) لقرب زمان هلاكه. و(**الترقوة**) بفتح التاء وضم القاف: العظم بين نقرة النحر والعاتق، والجمع التراقي والترايق.

وقوله: (**نحاساً**) أي: كالنحاس فلا يعمل فيه السيف، ويحتمل الحقيقة، والله

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٤٣).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٤٩).

فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً» قَالَ: «فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٣٨].

٥٤٧٧ ـ [١٤] وَعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ حَتَّى يَلْحَقُوا بِالْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٥].

٥٤٧٨ ـ [١٥] وَعَنْ أَنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أصفَهانَ...............................

تعالى أعلم.

وقوله: (فيأخذه بيديه ورجليه) الضمير في (يأخذ) للدجال وبواقي الضمير للرجل، وفي بعض النسخ: (فيأخذ) بدون الضمير، فالباء في (بيديه) للتعدية، أو المفعول محذوف.

وقوله: (هذا أعظم الناس شهادة) أي: شهادة على دين الإسلام وحقيته.

٥٤٧٧ ـ [١٤] (أم شريك) قوله: (وعن أم شريك) بفتح الشين وكسر الراء.

وقوله: (فأين العرب) الذين شأنهم الجهاد في سبيل الله والذب عن دينه؟

٥٤٧٨ ـ [١٥] (أنس) قوله: (أصفهان): (أصبهان) بفتح الهمزة، وقد يكسر، وقد تبدل باؤها فاء، (أصبهان) أصله: أصت بهان، من أصّت الناقة تؤصّ وتئصّ: اشتد لحمها وتلاحكت ألواحها، وغزرت، وبهان: اسم امرأة كقطام، أي: سمنت المليحة، سميت لحسن هوائها وعذوبة مائها وكثرة فواكهها، فخففت، والصواب

سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٤].

٥٤٧٩ ـ [١٦] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، ....

أنها أعجمية، وأصلها إسباهان، أي: الأجناد؛ لأنهم كانوا سكانها، أو لأنهم لما دعاهم نمروذ إلى محاربة من في السماء كتبوا في جوابه: إسباه آن نه كه با خدا جنگ كنند، أي: هذا الجند ليس ممن يحارب الله[1].

وقوله: (عليهم الطيالسة) جمع طيلسان، الطيلس والطيلسان مثلثة اللام، عن عياض وغيره معرّب، أصله تالسان، ويقال في الشتم: يا بن الطيلسان، أي: أنك أعجمي، وقد احتج ابن القيم على ذم لبس الطيلسان بهذا الحديث، وبما روي عن أنس أنه رأى جماعة عليهم الطيلسان، فقال: ما أشبه هؤلاء بيهود خيبر، وأجاب عنه في (فتح الباري)[2]: أن الطيالسة في ذلك الوقت كان من شعار اليهود، فأنكر ذلك أنس ﷺ، ثم ارتفع في هذه الأزمنة، فيدخل في عموم المباحات، وقد ثبت في أحاديث كثيرة التطلس والتقنع عن رسول الله ﷺ والصحابة ﷺ، انتهى.

وقد استوفينا الكلام فيه في (شرح سفر السعادة).

٥٤٧٩ ـ [١٦] (أبو سعيد الخدري) قوله: (نقاب المدينة) أي: طرقها، و(النقاب) بكسر النون جمع نقب بفتح النون وسكون القاف، وهو الطريق في الجبل، كالمنقب والمنقبة بفتحهما، وقد يجمع على أنقاب. و(السباخ) جمع سبخة، وهي

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٧٥).

فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ رَجُلٌ ـ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ ـ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٨٨٢، م: ٢٩٤٥].

٥٤٨٠ ـ [١٧] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلاَئِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [م: ١٣٨٠].

٥٤٨١ ـ [١٨] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. [خ: ١٨٧٩].

الأرض التي لا تنبت شيئاً، وقد مرّ.

وقوله: (فيخرج إليه رجل) قيل: الرجل هو الخضر.

٥٤٨٠ ـ [١٧] (أبو هريرة) قوله: (همته) أي: قصده ومراده دخول مدينة الرسول ﷺ.

وقوله: (دبر أحد) أي: عقيب جبل أحد بضمتين.

٥٤٨١ ـ [١٨] (أبو بكرة) قوله: (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال): الرعب مقحم يفيد المبالغة، أي: لا يسري إلى أهلها خوف دخوله فضلاً أن يدخل.

٥٤٨٢ ـ [١٩] وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ[1]، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيماً الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ [فَبَايَعَ] وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ..........

٥٤٨٢ ـ [١٩] (فاطمة بنت قيس) قوله: (الصلاة جامعة) في إعرابه وجوه أربعة: رفعهما مبتدأ وخبر، إخبار ترغيباً لهم على الاجتماع، ونصبهما على تقدير: احضروا الصلاة حال كونها جامعة، ورفع الأول على تقدير: هذه الصلاة، ونصب الثاني على الحالية، وبالعكس على تقدير: احضروها وهي جامعة، وعلى جميع المقادير محل الجملة نصب؛ لأنه مفعول (ينادي) حكاية لكونه في معنى القول، أو مفعول مطلق، أي: ينادي هذا النداء الخاص الذي فيه هذا القول.

وقوله: (لرغبة ولا لرهبة) أي: لنحو عطاء أو عزاء.

وقوله: (لأن تميماً الداري) هو أبو رقية تميم بن أوس الداري، كان نصرانيًّا، أسلم سنة تسع.

وقوله: (وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم) إنما سرّ وابتهج ﷺ بهذه الموافقة لتحصيل اليقين لأصحابه بتأييد حديثه حديثه، لا لحصول اليقين له ﷺ بعد

---

(١) في نسخة: «رهبة».

بِهِ عَنِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً فِي الْبَحْرِ، فَأَرْفَئُوا. . . . .

التردد، ومثله ما روي أنه ﷺ كان يحب سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ لأجل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الأعلى: ١٨ ـ ١٩]، وأما ما جاء في مواضع أنه إذا شاهد معجزة كان يقول: أشهد أني رسول الله، فذلك أيضاً إما لتلقين الشهادة لأصحابه، أو لحصول العيان بعد البرهان، فافهم.

وقوله: (في سفينة بحرية) أي: كبيرة لا زورقاً، وقيل: قيد بها لتتميز عن الإبل؛ لأنه يقال لها سفن[١] البر، وتعقب بأن القرائن الصارفة عن ذلك كثيرة في سياق الحديث.

وقوله: (من لخم) بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة: حي باليمن، و(جذام) كغراب بالجيم والذال المعجمة: قبيلة من نجد.

وقوله: (فلعب بهم الموج) استعير اللعب لأمواج البحر وصرفها السفن عن جهة المقصد.

وقوله: (فأرفئوا) أي: قربوا السفينة، يقال: ارفأت السفينة إرفاء، أي: قربتها من الشط، كذا ذكر في (الصحاح)[٢] من باب الإفعال، وذكر في (القاموس)[٣] من المجرد وقال: رفأ السفينة كمنع: أدناها من الشط، ولم يذكر من الإفعال، ونقل الطيبي[٤]: أرفيت بالياء أيضاً، وأما صاحب (القاموس) ذكر هذا المعنى بالهمزة فقط،

(١) كذا في الأصل، والظاهر «سفينة» كما في «المرقاة» (٨/ ٣٤٧٢).
(٢) «الصحاح» (١/ ٥٣).
(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٤٠).
(٤) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٢١).

إِلَى جَزِيرَةٍ حِينَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، قَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، . . . .

وأما المعاني الأخر مثل رفأ الثوب: لأَمَ خرقه، ورفأ الرجل: سكَّنه، ورفأه ترفئة: قال له بالرفاء والبنين، فذكرها في المهموز والناقص معاً.

وقوله: (**فجلسوا في أقرب السفينة**): (أقرب) بفتح الهمزة وضم الراء: جمع قارب على خلاف القياس، والقياس قوارب، والقارب: السفينة الصغيرة تكون مع السفينة الكبيرة، وفي (مجمع البحار)[1]: أقرب السفينة: سفن صغار تكون مع السفن الكبار البحرية، كالنجائب لها، يستعجلون بها حوائجهم من البر، وأقرب السفينة: أدانيها، أي: ما قارب إلى الأرض منها، وقال الطيبي[2]: قارب بفتح راء وكسرها.

وقوله: (**أهلب**) في (القاموس)[3]: الهلب بالضم: الشعر كله، أو ما غلظ منه، أو شعر الذنب، أو شعر الخنزير الذي يخرز به، وبالتحريك: كثرة الشعر، وهو أهلب، ولم يقل: (هلباء) مع اعتبار التأنيث في شيطانة بتأويل الحيوان، أو لوقوع لفظ الدابة على الذكر والأنثى، (**من دبره**) أي: متميزاً عنه.

وقوله: (**أنا الجساسة**) دابة تكون في الجزائر، تجسس الأخبار فتأتي بها الدجال، كذا في (القاموس)[4]، وقيل: هي دابة الأرض التي تخرج في آخر الزمان،

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٢٤٦).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٢١).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٣٣).

(٤) «القاموس المحيط» (ص: ٤٨٢).

انْطَلِقُوا إِلَى هَـذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ؛ فَإِنَّـهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أعظمُ إِنْسَانٍ مَا رَأَيْنَاهُ قطُّ خَلْقاً وأَشَدُّهُ وَثَاقاً، مجموعةٌ يَده إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ. ....

ولا دليل عليـه، و(الدير): خـان النصارى، والجمع أديـار، وصاحبه ديّار وديراني، وفي (المغرب)[1]: صومعة الراهب.

وقوله: (**بالأشواق**) أي: ملتبس بها، وجمع لكثرة الشوق وشدته.

وقوله: (**لمـا سمت لنـا رجلاً فرقنا**) أي: لمـا تكلمـت مـع كونها دابة، فرق كسمع: خاف، و(**أن تكـون شيطانة**) بـدل اشتمال من الضمير في (منها)، أو مفعول له لتقدير اللام.

وقوله: (**ما رأيناه**) أي: مثله، وكلمة (ما) ساقطة في الأصول، ولعل من زادها نظر إلى (قط)، قال الطيبي[2]: والوجه أن يكون مراداً، انتهى.

ولا يذهـب عليك أنـه لو ثبت عـدم وجوده فـي الروايات الصحيحـة فاشتراط النحويين إياها محل مناقشة، والله أعلم.

و(**خلقاً**) تمييز من (أعظم)، و(**أشده**) عطف على (أعظم)، والضمير للإنسان، و(**الوثاق**) بالفتح والكسر: ما يشد به، وأوثقه: شده، وثّقه توثيقاً: أحكمه.

وقوله: (**ما بين ركبتيه**) أي: ومجموعة ما بين ركبتيه، وحذف (مجموعة) لدلالة الأولى، ويمكن أن يكون بحذف حـرف الجر، أو حالاً مترادفة أو متداخلة، ويمكن

---

(١) «المغرب» (ص: ١٧٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٢٢).

إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدَرْتُمْ[١] عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَلَعِبَ بِنَا الْبَحْرُ شَهْراً، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، اعْمِدُوا إِلَى هَذَا فِي الدَّيْرِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ هَلْ تُثْمِرُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهَا تُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ..............................

أيضاً أن يسند (مجموعة) إلى (ما بين)، ويكون قوله: (يده إلى عنقه) جملة حالية مثل: فُوهُ إلى فيّ، (ويلك ما أنت) لما لم يكن على صفة من رأوه من الإنسان ولم تتعين ماهيته عندهم عبر عنه بـ (ما)، والاستفهام إما محمول على الحقيقة أو للتعجب.

وقوله: (قد قدرتم على خبري) أي: أخبركم بخبري لأنكم وصلتم إليّ فأخبركم به[٢] (فأخبروني ما أنتم؟)، التعبير بـ (ما) هنا إما ليتطابق السؤالان، أو لأنه لما استنكرهم فكأنه لم يعتقد أنهم إنسان، فسأل عن ماهيتهم وصفتهم.

و(بيسان) بفتح الموحدة وسكون التحتية: قرية بالشام، وقرية بمرو، وموضع باليمامة، وفي (المشارق)[٣]: بيسان في حديث الجساسة هو من بلاد الحجاز، وبيسان آخر في بلاد الشام.

وقوله: (إنها توشك) الضمير للنخل، ويحتمل أن يكون للقصة، ويؤيد الأول أن ماءها يوشك أن يذهب.

---

(١) في نسخة: «قَدْ قَدَرْتُمْ».

(٢) قوله: «فأخبركم به» كذا في الأصول، والظاهر حذفه.

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ١١٦).

بُحيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قُلْنَا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ المَاءِ، وَأَهْلُهُ يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قُلْنَا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، . .

وقوله: (**بحيرة الطبرية**) بفتح الطاء والباء قرية من الأردن، وإليها ينسب الطبراني المشهور من أئمة الحديث.

وقوله: (**زغر**) كزفر بزاي وغين معجمة: قرية بالشام، سميت باسم ابنة لوط زغر؛ لأنها نزلت بها، وبها عين غُؤور مائها علامة خروج الدجال، كذا في (القاموس)[1].

وقوله: (**عن نبي الأميين**) أي: العرب، أضافه إليهم باعتبار بعثته ﷺ فيهم، وقيل: أراد طعناً عليه ﷺ بأنه مبعوث إليهم خاصة كما هو زعم اليهود، أو بأنه غير مبعوث إلى ذوي الفطنة والكياسة، كذا في (شرح ابن الملك).

وقوله: (**أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه**): (ذلك) إشارة إلى مبهم فسره بقوله: (أن يطيعوه)، أو إشارة إلى النبي ﷺ وما بعده خبره، وهذا يدل على أنه عارف بفضله وصدقه ﷺ، وإنما يجحده كفراً وعناداً كما هو شأن اليهود، أو المراد الخيرية في الدنيا، أو أنه لما لم يكن له غرض في إظهار كفره وإنكاره ﷺ أخفاه ولم يصرح به.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٦١).

وَإنِّي مُخْبِـرُكُمْ عَنِّي[١]: أَنَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَإِنِّي يُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَـلاَ أَدَعُ قَرْيَـةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَـةَ، هُمَا مُحَرَّمَتَـانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَـا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ -: «هَذِه طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ»، يَعْنِي الْمَدِينَةَ، «أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْـتُكُمْ؟» ....

و(الصلت) في (القاموس)[٢]: السيف الصيقل الماضي، كالمنصلت، وقيل: صلتاً، أي: مسلولاً عن الغمد.

وقوله: (عنها) هكذا في النسخ بضمير المؤنث، ولا يظهر وجهه؛ لأنه راجع إلى واحد، ولو كان (واحدة) بالهاء عبارة عن مكة والمدينة لكان وجهاً، فتدبر والله أعلم.

و(النقب) بفتحتين: الطريق في الجبل، كالمنقب والمنقبة بفتحهما.

وقوله: (بمخصرته) هي بكسر ميم وسكون معجمة ويمهملة: ما يتوكأ عليها نحو العصا والسوط، أو عكازة أو قضيب، وقد يأخذه الخطيب هذه[٣]، وكان في يده ﷺ.

وقوله: (هـذه طيبة) لما عصم الله وحفظ هذه البلدة الشريفة المطهرة من دنس الدجال وشره سماها طيبة وكررها ثلاثاً، ومن أسماء هذه البلدة: طيبة وطابة [و]مطيبة؛

---

(١) في نسخة: «أني».

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٤٣).

(٣) قوله: «هذه» كذا في الأصول، والظاهر حذفه.

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٢].

٥٤٨٣ ـ [٢٠] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلاً آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ..

لوجوه: إحداها: طهارتها من نجاسة الدجال على ساكنها السلام والتحية.

وقوله: (**إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق**) لما أبهم الله تعالى أمر الساعة ووقت قيامها وأوقات ظهور أماراتها بالتعيين ـ ولهذا وقع اختلاف في الأحاديث في ترتيبها وتقدم بعضها على بعض ـ أبهم مكان الدجال موثقاً مردوداً بين هؤلاء الأماكن الثلاثة مع غلبة الظن في آخرها، وهو أيضاً غير متعين، بل الذي علم كونه قبل المشرق، وهذا معنى نفي الأولين وإثبات الثالث، ويمكن أن يكون هذا الترديد لأجل أنه ينقل من بعضها إلى بعض، والله أعلم.

وقوله: (**ما هو**) قال القاضي عياض في (المشارق)[1]: (ما) هنا صلة، يعني زائدة وليست بنافية، أي: يدخل من قبل المشرق هو، انتهى، وذكر الطيبي[2] وجهاً آخر، وهو أن يكون بمعنى الذي، أي: الذي هو فيه المشرق، وذكر له أمثلة.

٥٤٨٣ ـ [٢٠] (**عبدالله بن عمر**) قوله: (**رجلاً آدم**) قال في (القاموس)[3]: الأدمة بالضم في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً، أو هو البياض الواضح، وفي

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٧١).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٦٥).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٩٦٩، ٣٧٩).

لِمَّـةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رجَّلَها فَهِـيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئاً عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» قَالَ: «ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَـةٌ كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْـتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِـعاً يَدَيْـهِ عَلَى مَنْكِبَـيْ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَـذَا؟ فَقَالُوا: هَـذَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ فِي الدَّجَّالِ: «رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، . .

الظباء: لون مشرب بياضاً، وفينا السُّمْرَة، السمرة بالضم: منزلة بين البياض والسواد، والسمراء: الحنطة. و(اللمة) بكسر اللام: شعر يتجاوز الأذن ويقرب إلى المنكبين، وسيجيء تحقيقه في حلية النبي ﷺ.

وقولـه: (تقطر مـاء) قال الشيخ ابن حجر[1]: يحتمل أن يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة.

وقوله: (على عواتق رجلين) جمع عاتق بمعنى المنكب، إطلاقاً للفظ الجمع على اثنين كـ ﴿قُلُوبُكُمَا﴾، أو المراد مواضع من عاتق كل منهما.

وقولـه: (مـن رأيت) مـروي بصيغة التكلم والخطاب، وعلى الأول يدل على أنه ﷺ رأى ابن قطن.

وقوله: (بابن قطن) هو عبد العزى بن قطن الذي مر ذكره في أول الفصل.

وقوله: (هـذا المسيح الدجـال) طوافـه بالبيت غيـر مستبعد؛ لأن كفار قريش

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٨٦).

أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهاً ابْنُ قَطَنٍ»، وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» فِي (بَابِ الْمَلاَحِمِ)، وَسَنَذْكُرُ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فِي (بَاب قِصَّة ابْنِ الصياد) إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. [خ: ٣٤٤٠، م: ١٦٩].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٤٨٤ - [٢١] عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فِي حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: قَالَ[1]: فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ تَجُرُّ شَعَرَهَا، ....

كانوا يطوفون بالبيت قبل أن يمنعوا من قربهم المسجد الحرام.

وقال الطيبي[2]: هذه رؤيا رآها ﷺ، وتعبيرها أنه رأى أن عيسى سيظهر يحول حول الدين لإقامته وإصلاح ما فيه من الخلل، وأن الدجال سيظهر يحول حوله يبغي العوج والفساد.

الفصل الثاني

٥٤٨٤ - [٢١] (فاطمة بنت قيس) قوله: (بامرأة تجر شعرها) لطول شعرها كما قال في الحديث السابق: (أهلب كثير الشعر)، وقيل في تطبيقه بالحديث السابق الذي ذكر فيه الدابة: إنه يمكن أن يكون للدجال جاسوسان دابة وامرأة، وإنه يصح إطلاق الدابة على الإنسان لغة، فإنه اسم لكل ما يدب، وقد وقع إطلاقها عليه في القرآن في غير موضع، والتخصيص بذوات الأربع أو أخص منه إنما هو بحسب العرف العام، أو لأن الجساسة كانت شيطانة تتمثل بأي صورة شاءت، وهذا أولى وأظهر؛

---

(١) في نسخة: «قالت».

(٢) انظر: «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٦٦).

قَالَ: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا رَجُلٌ يَجُرُّ شَعَرَهُ مُسَلْسَلٌ فِي الأَغْلاَلِ، يَنْزُو فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الدَّجَّال. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٤٣٢٥].

٥٤٨٥ ـ [٢٢] وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لاَ تَعْقِلُوا، إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَتْ بِنَاتِئَةٍ وَلاَ جَحْرَاءَ، . . . . .

لأن المرأة والدابة كيف تتجسس له أخبار العالم، إلا أن يخصص تجسسه بأحوال المراكب التي تمر بذلك الموضع، والله أعلم.

وقوله: (قال: ما أنت؟) الظاهر الموافق للسياق (قلت)، ولكن هكذا وقع في النسخ.

وقوله: (ينزو) أي: يتحرك، نزا ينزو نزواً ونزاءاً بالضم ونزواناً: وثب.

وقوله: (فيما بين السماء والأرض) إما متعلق بـ(ينزو) أو بـ(مسلسل).

٥٤٨٥ ـ [٢٢] (عبادة بن الصامت) قوله: **(حتى خشيت أن لا تعقلوا)** أي: حدثتكم أحاديث كثيرة شتى حتى خشيت أن لا تعقلوا ويلتبس عليكم حاله وكذبه، فاعقلوا، وقيل: خشيت بمعنى وجدت، و(لا) زائدة، وهذا الوجه بعيد، ولو التزم ارتكاب البعيد فيمكن أن يقال: (حتى) بمعنى لام التعليل، و(أن) مقدرة بعدها، أي: لأن خشيت، أي: لأجل خشيتي وخوفي وهو في عدم تعقلكم، والله أعلم.

وقوله: **(قصير)** وإن كان عظيماً بطيناً سميناً مشوه الخلق، و**(أفحج)** بتقديم الحاء على الجيم، فحج في مشيته: تدانى صدور قدميه وتباعد عقباه، والفحج محركة

فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٤٣٢٠].

٥٤٨٦ ـ [٢٣] وَعَن أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ»، فَوَصَفَهُ لَنَا، قَالَ: «لَعَلَّهُ سَيُدْرِكُهُ بَعْضُ مَنْ رَآنِي أَوْ سَمِعَ كَلاَمِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ قُلُوبُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «مِثْلُهَا»، يَعْنِي الْيَوْمَ، «أَوْ خَيْرٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ. [ت: ٢٢٣٤، د: ٤٧٥٦].

٥٤٨٧ ـ [٢٤] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّدِيق قَالَ: . .

والتفحج: التفريج بين الرجلين، و(جحرت العين) بتقديم جيم على الحاء: غارت، وعين جحراء: متجحرة، والجحر بالفتح: الغار البعيد القعر. (فإن ألبس) على لفظ المجهول، من الإلباس، أي: إن اشتبه (عليكم) أمره في دعوى الألوهية.

٥٤٨٦ ـ [٢٣] (أبو عبيدة بن الجراح) قوله: (بعد نوح) أي: بعد إنذار نوح، وليس المعنى نبي موجود بعد زمان نوح، فلا يخالف الحديث السابق الدال على إنذار نوح أيضاً قومه.

وقوله: (قد أنذر الدجال قومه) قدم المفعول الثاني للاهتمام، وبعد إرجاع الضمير إلى المفعولين قدم الأول كما هو الأصل، لأنه لو قدم الثاني لوجب الانفصال وفات الاختصار.

وقوله: (وسمع كلامي) أي: وصل إليه كلامي ولو بعد طول الزمان.

٥٤٨٧ ـ [٢٤] (عمرو بن حريث) قوله: (عن عمرو بن حريث) بالحاء المهملة

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطَرَّقَةُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢٣٧].

٥٤٨٨ ـ [٢٥] وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣١٩].

٥٤٨٩ ـ [٢٦] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمْكُثُ الدَّجَّالُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، ....

والثاء المثلثة بلفظ التصغير.

وقوله: (كأن وجوههم المجان المطرقة) قد سبق معناه في (كتاب الفتن)، وحاصله كالأتراس التي يطبق عليها الجلود بعضها على بعض.

٥٤٨٨ ـ [٢٥] (عمران بن حصين) قوله: **(فلينأ)** أي: فليبعد، أصله ينأى فحذفت الألف جزماً.

وقوله: **(وهو يحسب أنه)** الضمائر للرجل، أي: يحسب نفسه **(أنه مؤمن)** موقن لا يتزلزل إيمانه، فإذا رأى ما مع الدجال من السحر وإحياء الأموات وأمثال ذلك وقع في الكفر والضلالة، فيتبع الرجل الدجال.

٥٤٨٩ ـ [٢٦] (أسماء) قوله: **(يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة)** قد سبق في (الفصل الأول) من حديث النواس بن سمعان أن لبثه أربعون يوماً، فقيل:

وَالْيَوْمُ كَاضْطِرَامِ السَّعَفَةِ فِـي النَّـارِ». رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٢٦٤].

٥٤٩٠ ـ [٢٧] وَعَنْ أَبِـي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ». رَوَاهُ فِي «شرح السّنة». [شرح السنة: ٤٢٦٥].

٥٤٩١ ـ [٢٨] وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيـدَ قَالَتْ: كَـانَ رَسُولُ اللهِ[١] ﷺ فِي بَيْتِي، فَذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ: سَنَةٌ تُمْسِكُ السَّمَاءُ فِيهَا ثُلُثَ قَطْرِهَـا وَالأَرْضُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، وَالثَّانِيَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَيْ قَطْرِهَا وَالأَرْضُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَـا، وَالثَّالِثَةُ تُمْسِكُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا كُلَّهُ، وَالأَرْضُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا يَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ..............................

يمكن أن يكون المراد بالأول لبثه مقارناً للفتنة، وبالثاني مطلق المكث، فتدبر.

وقوله: (**كاضطرام السعفة**) السعف محركة: جريد النخل أو ورقه، وأكثر ما يقال إذا يبست، وإذا كانت رطبة فشطبة، وقد سبق في أشراط الساعة: (الجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كالضرمة).

٥٤٩٠ ـ [٢٧] (**أبو سعيد الخدري**) قوله: (**عليهم السيجان**) جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر أو الأسود.

٥٤٩١ ـ [٢٨] (**أسماء بنت يزيد**) قوله: (**ذات ظلف**): الظلف بالكسر للبقرة والشاة والظبي وشبهه بمنزلة القدم منَّا، كالخف للبعير، وقد يكون للنعام، ولا يكون

---

(١) في نسخة: «النبي».

وَلاَ ذَاتُ ضِـرْسٍ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلاَّ هَلَكَ، وَإِنَّ مِنْ أَشَدِّ فِتْنَتِهِ أَنَّهُ يَأْتِي الأَعْرَابِـيَّ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ إِبِـلَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيُمَثِّلُ لَـهُ الشَّيْطَانَ نَحْوَ إِبِـلِهِ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ ضُرُوعاً وَأَعْظَمِـهِ أَسْنِمَةً»، قَالَ: «وَيَأْتِـي الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ أَخُوهُ وَمَاتَ أَبُـوهُ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ أَبَـاكَ وَأَخَاكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيُمَثِّلُ لَهُ الشَّيَاطِينَ نَحْوَ أَبِيهِ وَنَحْوَ أَخِيـهِ»، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِـهِ ثُمَّ رَجَعَ وَالْقَوْمُ فِي اهْتِمَامٍ وَغَمٍّ مِمَّا حَدَّثَهُمْ، قَالَتْ: فَأَخَذَ بِلَحْمَتَيِ الْبَابِ. . . . .

إلا لهما، والحافر للفرس، وقال في (القاموس)[١]: حافر واحد حوافر الدابة، وقال في (الصراح)[٢]: الحافر: سم ستور، وهذا بالمعنى الأول.

وقوله: (**من البهائم**) في (القاموس)[٣]: البهيمة: كل ذات أربع قوائم ولو في الماء، وكل حيٍّ لا يميز، والجمع بهائم.

وقوله: (**فيمثل له**) أي: الدجال للأعرابي، وفي بعض النسخ: (الشياطين) فاعلاً لـ (يمثل)، وهذا أوفق لما بعده من قوله: (فيمثل له الشياطين نحو أبيه).

وقوله: (**فأخذ بلحمتي الباب**) هكـذا وقع فـي نسخ (المشكاة) و(المصابيـح) (لحمتا الباب) بفتـح اللام وسكون الحاء المهملة وبالميـم المفتوحة، أي: بناحيتـي الباب، ولم يذكر فـي (الصحاح) و(القاموس) اللحمة بهذا المعنى، وقال الطيبي[٤]:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٣٤١).

(٢) «الصراح» (ص: ١٧٢).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٥).

(٤) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٦٩).

فَقَالَ: «مَهْيَمْ أَسْمَاءُ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ خَلَعْتَ أَفْئِدَتَنَا بِذِكْرِ الدَّجَّالِ، قَالَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِلاَّ فَإِنَّ رَبِّي خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَاللهِ إِنَّا لَنَعْجِنُ عَجِينَنَا فَمَا نَخْبِزُهُ حَتَّى نَجُوعَ، فَكَيْفَ بِالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «يُجْزِئُهُمْ مَا يُجْزِئُ أَهْلَ السَّمَاءِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ»..............................

الصواب (بلجفتي الباب) بالجيم مكان الحاء والفاء بدل الميم، وقد ذكر في كتب اللغة (اللجفة) بالجيم والفاء بمعنى عضادة الباب، وألجاف البئر: جوانبه، وذكر في (القاموس)[1]: اللجيف كأمير، وقال: ولجيفتا الباب: جنبتاه، واللجف: الحفر في جوانب البئر.

وقوله: **(مهيم أسماء)** أي: يا أسماء، و(مهيم) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الياء المثناة التحتية كلمة استفهام، أي: ما حالك أو ما شأنك، أو ما وراءك، أو أَحَدَثَ لك شيء، كذا في (القاموس)[2].

وقوله: **(لقد خلعت)** في (القاموس)[3]: الخلع: النزع، إلا أن في الخلع مهلة.

وقوله: **(إنا لنعجن عجيننا)** أي: نعد العجين لنخبزه فلا نقدر على خبزه لخوف الدجال حين ذكرته لنا وخلعت أفئدتنا بذكره حتى نبقى جائعين، فكيف حال من ابتلي بزمانه؟ والمراد بقوله: **(يجزئهم ما يجزئ أهل السماء من التسبيح والتقديس)** أنه تعالى يسلّيهم ببركة التسبيح والتقديس، وسمعت من بعض مشايخي أن المعنى:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٧٦٧).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٤٢).

رَوَاهُ[1]. [حم: ٦/ ٤٥٣].

*** الْفَصْلُ الثَّالِثُ:**

٥٤٩٢ ـ [٢٩] عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي: «مَا يَضُرُّكَ؟» قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[خ: ٦٧٠٥، م: ٢١٥٢].

نحن نعجن فنجوع لتأخير الخبز، وهذه طبيعة الإنسان في الجوع، فكيف بالذين في زمانه من المسلمين لا يجدون ما يأكلونه؟ فكيف يصبرون على الجوع وعدم ما يجعلونه غذاء؟ وهذا المعنى أظهر وأنسب بقوله: (يجزئهم ما يجزئ أهل السماء من التسبيح والتقديس) يعني وغذاؤهم اليوم التسبيح والتقديس كما للملائكة، يعني من ابتلي بزمانه لا يحتاج إلى الأكل والشرب كما لا يحتاج الملائكة إليهما.

الفصل الثالث

٥٤٩٢ ـ [٢٩] (المغيرة بن شعبة) قوله: (هو أهون على الله من ذلك) أي: الدجال هو أهون على الله تعالى من أن يخلق على يده شيئاً؛ كونه مضلاً للمؤمنين مشككاً لهم، بل ليزدادوا إيماناً، أو هو، أي: عدم الإضلال به أهون على الله من إيجاد جبل خبز ونهر ماء على يده، أو الدجال أهون على الله من ذلك، أي: من أن يخلق على يده شيئاً من ذلك حقيقة، بل هو سحر باطل ليس له حقيقة ولا وجود

---

(١) هنا بياض في الأصل، وألحق به: أحمد وأبو داود الطيالسي، وقيل: رواه أحمد عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب عنها، وانفرد به هنا. قاله القاري في «المرقاة» (٨/ ٣٤٨٣).

٥٤٩٣ ـ [٣٠] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ عَلَى حِمَارٍ أَقْمَرَ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ سَبْعُونَ بَاعاً». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «كِتَابِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ»[١].



٤ ـ باب قصة ابن صياد[٢]

في الواقع.

٥٤٩٣ ـ [٣٠] (أبو هريرة) قوله: (أقمر) في (القاموس)[٣]: القمرة بالضم: لون إلى الخضرة أو حمرة فيه كدرة[٤]، حمار أقمر وأتان قمراء، قال أيضاً: الأقمر الأبيض. و(الباع) قدر اليدين كالبوع، ويضم، والأظهر طول ذراعي الإنسان وما بينهما، والضمير في (أذنيه) للحمار.

٤ ـ باب قصة ابن صياد

ويقال له: ابن صائد أيضاً، واسمه عبدالله، وقيل: صاف، وقد اختلف فيه كثيراً، وهو من يهود المدينة أو دخيل فيهم، وكان عنده شيء من الكهانة والسحر، وجملة أمره أنه كان فتنة امتحن الله به المؤمنين، فقيل: إنه تاب في كبره ومات بالمدينة وصلوا

(١) لم أجده في «كتاب البعث والنشور»، وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٩٩، رقم: ٦١٣).

(٢) في نسخة: «الصياد».

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٤١٩).

(٤) كذا في الأصل، وفي «القاموس»: «بياض في كدرة».

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٤٩٤ ـ [١] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ بْـنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِـهِ قِبَلَ ابْنِ الصَّيَّادِ[١] حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبيانِ فِي أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ[٢] يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «أتشهدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَنظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: ....

عليه، وقيل: فقد يوم الحرة، وهذا القول أصح، وكان يكتهن فيصدق أحياناً ويكذب كثيراً، وشاع حديثه، ويحدث أنه الدجال، وأشكل أمره ولم يبين الله شيئاً من أمره، والحق أنه من الدجاجلة وليس هو المسيح الدجال، وقيل: هو الدجال المعهود، وكان فيه قرائن محتملة لذلك، فلذلك لم يصرح النبي ﷺ بأحد الطرفين، واختلفت الصحابة أيضاً، وأما الاستدلال بأنه قد أسلم وحج وجاهد وولد له ولد ودخل مكة والمدينة وغير ذلك مما لا يجوز وجوده من الدجال فمما لا يتم؛ لأن ذلك إنما يكون في زمان الخروج، واستدل على كونه غير الدجال بحديث تميم الداري، وباقي أحواله ينكشف أثناء شرح الأحاديث، والله أعلم.

الفصل الأول

٥٤٩٤ ـ [١] (عبدالله بن عمر) قوله: (في أطم بني مغالة) الأطم بضمتين: القصر وكل حصن مبني بالحجارة، والجمع آطام وأطوم، وبنو مغالة بفتح الميم وتخفيف

---

(١) في نسخة: «صياد».
(٢) في نسخة: «الصياد».

أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَصَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ»، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صيَّاد: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئاً». . . . .

الغين المعجمة: قوم من اليهود.

وقوله: (**رسول الأميين**) أي: العرب، ومنطوقه حق ومفهومه باطل من قبيل ما يلقى إلى الكهان من الأباطيل.

وقوله: (**فرصه النبي ﷺ**) بصاد مهملة، في (القاموس)[١]: رص: ألزق بعضه ببعض، وضم، كرصصه، وفي بعض الروايات: (فرفضه) بفاء وضاد معجمة، أي: تركه، يعني ترك سؤاله عن الإسلام لعدم نفعه فيه، وأما قوله ﷺ: (آمنت بالله وبرسله) رد على ابن صياد أحسن رد، فإنه لا حاجة إلى استعجال التصريح برده، فإن دعواه ظاهر البطلان، وفيه من إرخاء العنان والتبكيت ما لا يخفى، وقد صرح به ما ظهر بعد ظهور حاله أنه كاهن ومخلط عليه، وقال: (اخسأ فلن تعدو قدرك)، ثم سأله عن حاله بعد القطع ببطلان دعوى رسالته ليظهر عليه أيضاً، وقد اعترف بحقيقة حاله موافقاً لما عليه الكهان بقوله: (**يأتيني صادق وكاذب**)، أي: يأتي عليّ بعض الأشياء صادقاً وبعضه كاذباً، وقد تحقق بها أنه ليس برسول، فإن الرسول لا يأتيه الكاذب، ولذا قال ﷺ: (**خلط عليك الأمر**)، من التخليط، أي: يأتيك به شيطان مخلِّط للحق بالباطل.

وقوله: (**قد خبأت لك خبيئاً**) الخبء: كل شيء غائب مستور، خبأته، أي:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٧).

وَخَبَّأَ لَـه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[الدخان: ١٠]، فَقَالَ: هُـوَ الدُّخُّ. فَقَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ». قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَتَأْذَنُ لي فِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ لاَ تُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»..............................

أخفيته وسترته، والخباء والخبيء والخبيئة: الشيء المخبوء، أي: المستور، والمروي في الحديث خبيئاً بوزن ضمير كما في رواية الكتاب، وخبء بوزن صعب كما في غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: القطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾[النمل: ٢٥]، أي: النبات، ومقصوده ﷺ من ذلك أن يحريه ويمتحنه هل يعلم ذلك المضمر أو لا، ليبرز أمره أساحر أو كاهن أو ممن يأتيه جني.

(فقال: هو الدخ) بضم الدال وفتحها بمعنى الدخان، ولم يقدر على الزيادة، وتمام الآية التي أضمرها رسول الله ﷺ إلا بهذه اللفظة الناقصة على عادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات، وهذا إما لكونه ﷺ تكلم في نفسه أو كلمه بعض أصحابه فسمعه الشيطان فألقاه إليه، وقيل: إضماره ﷺ هذه الآية رمز إلى أن الدجال يقتله عيسى بجبل يقال له: جبل الدخان، فلعله أراد تعريضاً بقتله لأنه قد ظن أنه الدجال.

وقوله: (فقال: اخسأ) كلمة زجر واستهانة، يقال: خسأ الكلب كمنع: طرده خسئاً وخسوءاً، والخاسيء من الكلاب والخنازير: المبعد لا يترك أن يدنو من الناس.

وقوله: (فلن تعدو قدرك) أي: قدرك في إظهار الخبيئات ليس إلا أن تأتي بكلمة ناقصة من كلام طويل، فكيف تدعي النبوة؟ فرده صريحاً بعد امتحانه حتى لا يبقى شبهة عليه وعلى الحاضرين.

وقوله: (إن يكن هو) الضمير المستكن لابن صياد والمنفصل للدجال، أو

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الأَنْصَارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ يَراهُ، وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ. فَقَالَتْ: أَيْ صَافِ ـ وَهُوَ اسْمُهُ ـ هَذَا مُحَمَّدٌ. فَتَنَاهَى ابْنُ صَيَّادٍ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ». . . . .

بالعكس، وعلى كل تقدير الظاهر (إياه)، فوضع المرفوع موضع المنصوب.

وقوله: (يؤمان) أي: يقصدان.

وقوله: (وهو) أي: رسول الله ﷺ، (يختل) الختل: الخداع، ختله يختله، أي: يراوده ويطلبه من حيث لا يشعر، أي: يخدع ابن صياد ويستغفله ليسمع منه شيئاً يتكلم في خلوته ويعلم الحاضرون بكهانته أو سحره.

وقوله: (زمزمة) بزائين معجمتين، وفي بعض الروايات برائين مهملتين، والمعنى واحد وهو الصوت البعيد له دوي وتتابع صوت الرعد، وهو أحسنه صوتاً وأثبته مطراً، كذا في (القاموس)[١]، وقال الطيبي[٢]: هو صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم، وروي: (رمزة) براء فزاي وبحذف الميم الثانية.

وقوله: (فتناهى ابن صياد) انتهى الشيء وتناهى: بلغ منتهاه، أي: تناهى عما كان وسكت.

وقوله: (لو تركته بين) أي: لو تركته أمه يزمزم لتبين حاله وما في ضميره.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٠٠٨).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٣٤).

قَـالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: قَـامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَـى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِـيٍّ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِـيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ١٣٥٤، م: ٢٩٣٠].

٥٤٩٥ ـ [٢] وَعَـنْ أَبِـي سَعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ قَـالَ: لَقِيَـهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُـو بَكْـرٍ وَعُمَرُ ـ يَعْنِـي ابْنَ صَيَّـادٍ ـ فِي بَعْضِ طُـرُقِ الْمَدِينَـةِ، فَقَالَ لَـهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَقَالَ هُوَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ، مَاذَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى عَرْشاً عَلَى الْمَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ»، قال: «وَمَا تَرَى؟» قَالَ: أَرَى صَادِقَيْنِ وَكَاذِباً أَوْ كَاذِبَيْنِ وَصَادِقاً. . . . . .

وقوله: (ثم ذكـر الدجال) ظاهـر الأحاديث أنه لم يجزم النبي ﷺ بأنه الدجال مـع احتمال ذلك، وهـذا الذكر على هذا الاحتمال، ويحتمل أنـه ذكر الدجال الذي يأتي من جهة رؤية بعض صفاته.

٥٤٩٥ ـ [٢] (أبـو سعيد الخدري) قوله: (ترى عرش إبليس على البحر) فإن إبليـس يضع عرشه علـى الماء، ثـم يبعـث سرايـاه يفتنـون الناس كما سبق فـي أول الكتاب في (باب الوسوسة).

وقوله: (أرى صادقين وكاذباً) أي: أرى شخصين يخبران عما هو صادق وآخر عما هو كذب.

وقولـه: (أو كاذبين وصادقاً) شك من الراوي، ويحتمل أن يكون شكاً من ابن

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لُبِسَ عَلَيْهِ فَدَعُوهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٢٥].

٥٤٩٦ ـ [٣] وَعَنْهُ: أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ: «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٢٨].

٥٤٩٧ ـ [٤] وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَيَّادٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلاً أَغْضَبَهُ فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ. فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٣٢].

صياد، وهذا أدخل في اختلال أمره والتباسه وتخليطه.

وقوله: (لبس عليه) بلفظ المجهول من اللبس بالفتح بمعنى الخلط والالتباس.

٥٤٩٦ ـ [٣] (وعنه) قوله: (درمكة بيضاء مسك خالص) في (القاموس)[1]: الدرمك كجعفر: الدقيق الحوَّارى، والتراب الناعم، والحوارى بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء: الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق، فقوله: (بيضاء) صفة مؤكدة ومشعر بأن التشبيه من جهة البياض، وقد يعتبر من جهة نعومتها أيضاً.

٥٤٩٧ ـ [٤] (نافع) قوله: (حتى ملأ السكة) بالكسر.

وقوله: (وقد بلغها) أي: بلغ حفصة خبر إغضاب ابن عمر ابن صياد فمنعته من إغضابه، فإن الدجال إنما يخرج حين يغضب.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٨٤٥).

٥٤٩٨ ـ [٥] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ صَيَّادٍ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ لِي: مَا لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ؟ يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَّالُ، أَلَسْتَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لاَ يُولَدُ لَهُ؟». وَقَدْ وُلِدَ لِي، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ: «هُوَ كَافِرٌ؟». وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلاَ مَكَّةَ؟» وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ. ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ وَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: فَلَبَسَنِي، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ. قَالَ: وَقِيلَ لَهُ: أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٢٧].

٥٤٩٩ ـ [٦] وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقِيتُهُ وَقَدْ نَفَرَتْ عَيْنُهُ، . . . .

٥٤٩٨ ـ [٥] (أبو سعيد الخدري) قوله: (ما لقيت من الناس؟) استفهام للتعجب، أي: أيّ شيء لقيت.

وقوله: (إني لأعلم مولده . . . إلخ)، يمكن أن يكون إشارة إلى كونه دجالاً فإنه قد يؤتى مثل هذه العبارة لمعرفة النفس، وهذا وجه قول ابن عمر. (فلبسني) بالتخفيف، أي: جعلني بحيث التبس الأمر عليّ، والأصل لبس الأمر عليه يلبسه: خلطه.

وقوله: (لو عرض عليّ ما كرهت) ما نافية، أي: لو عرض عليّ صفات الدجال وأحواله كنت راضياً، ويلزم من هذا الكلام كفره.

٥٤٩٩ ـ [٦] (ابن عمر) قوله: (وقد نفرت) بالنون والفاء، في (القاموس)[1]:

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٤٣٨).

فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلَتْ عَيْنُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي. قُلْتُ: لاَ تَدْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ، قَالَ: فَنَخَرَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٣٢].

٥٥٠٠ ـ [٧] وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ يَحْلِفُ بِاللهِ أَنَّ ابْنَ الصَّيَّادِ الدَّجَّالُ. قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللهِ؟ قَالَ: . . . .

نفرت العين وغيرها تنفر نفوراً: هاجت وورمت، وقال القاضي عياض في (مشارق الأنوار)[1]: هذا هو الصحيح، ويروى بالقاف، ويروى فقئت وفقرت وكلاهما بمعنى، وفقرت بمعنى استخرجت، ورواه أبو عبدالله المازري بقرت بالباء والقاف، والبقر: الشق والاستخراج، ويظهر من إيراد هذه الروايات في فصل الاختلاف والوهم الذي عقده في كتابه ببيان ما أخطأ فيه الناس أنها تصحيف، وقد صرح بأن الصحيح هو الأول، ولذلك قال الطيبي[2]: قد ذكر القاضي وجوهاً والظاهر أنها تصحيف.

وقوله: (وهي في رأسك) فكيف لا تدري ما عرضها من الألم؟ (قال: إن شاء [الله] خلقها) أي: العين أو وجعتها ونفرتها (في عصاك) أي: في جماد فلا تدري، فيمكن أن يكون الإنسان أيضاً لا يدري وهي فيه، وهذه حيلة وسفسطة منه، ونخر ينخر: مد الصوت في خياشيمه.

٥٥٠٠ ـ [٧] (محمد بن المنكدر) قوله: (يحلف بالله أن ابن الصياد هو الدجال) لعل المراد أنه من الدجاجلة الذين أخبر بخروجهم رسول الله ﷺ لا المعهود، ولكن حديث ابن عمر صريح في أن مذهبه أنه المسيح الدجال، وقيل: هذا هو مذهب

---

(١) «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٢).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٣٥).

إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧٣٥٥، م: ٢٩٢٩].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٥٠١ ـ [٨] عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: وَاللهِ مَا أَشُكُّ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ابْنُ صيَّادٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «كِتَابِ الْبَعْثِ والنشور». [د: ٤٣٣٠].

٥٥٠٢ ـ [٩] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَدْ[1] فَقَدْنَا ابْنَ صَيَّادٍ يَوْمَ الْحَرَّةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد. [د: ٤٣٣٢].

٥٥٠٣ ـ [١٠] وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ ثَلاَثِينَ عَاماً، لاَ يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلاَمٌ أَعْوَرُ أَضْرَسُ، . .

عمر ﷺ، والله أعلم.

الفصل الثاني

٥٥٠١ ـ [٨] (نافع) قوله: (ما أشك) أخبر عن اعتقاده فيه، ولعله قال هذا قبل أن يعلم أنه ليس الدجال، أو أن أمره مشكوك فيه.

٥٥٠٢ ـ [٩] (جابر) قوله: (فقدنا ابن صياد يوم الحرة) الظاهر من فقده من غير علم بموته، فيخالف رواية أنه مات بالمدينة، وليس المخالفة مجزوماً بها، ويوم الحرة قد سبق بيانه في الملاحم، وهو وقعة بالمدينة المطهرة في زمن يزيد بن معاوية.

٥٥٠٣ ـ [١٠] (أبو بكرة) قوله: (أضرس) أي: عظيم الضرس، وهو السن،

---

(١) «قد» سقط في نسخة.

وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً، تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ»، ثُمَّ نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «أَبُوهُ طُوَالٌ ضَرْبُ اللَّحْمِ كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ، وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ فِرْضَاخِيَّةٌ طَوِيلَةُ الْيَدَيْنِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: فَسَمِعْنَا بِمَوْلُودٍ فِي الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ. فَذَهَبْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبَوَيْهِ، فَإِذَا نَعْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمَا، فَقُلْنَا: هَلْ لَكُمَا وَلَدٌ؟. . . . .

وقيل: هو الذي يولد مع الضرس، ويؤيد الأول ما يأتي في حديث جابر: طالعة نابه، ثم إنه قد كتب في الحاشية من الجزري: أنه قد وقع في نسخ (المصابيح) أضرس، أي: عظيم الضرس، أو الذي يولد ومعه ضرسه، ولا شك عندي أنه تصحيف، وأن الصواب أضر شيء، وكذا هو في كتاب الترمذي الذي أخذه المؤلف منه، وبهذا يصح عطف قوله: **(وأقله منفعة)** عليه من غير تعسف ولا تكلف، ويكون الضمير عائداً إلى شيء، أي: أقل شيء منفعة.

وقوله: **(تنام عيناه ولا ينام قلبه)** لكثرة الوساوس وتوالي الأفكار الفاسدة التي يلقيها الشياطين في قلبه، و**(الطوال)** كغراب بمعنى الطويل، وكرمّان: المفرط الطول، كذا في (القاموس)[١]، وقال الطيبي[٢]: طوال مبالغةُ طويلٍ، وبالتشديد أكثر مبالغة، انتهى، والرواية في الحديث بالتخفيف.

وقوله: **(ضرب اللحم)** أي: خفيفه.

وقوله: **(امرأة فرضاخية)** في (القاموس)[٣]: رجل فرضاخ بالكسر: ضخم

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٤).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٣٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٢٣٤).

فَقَالاَ: مَكَثْنَا ثَلاَثِينَ عَاماً لاَ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ، ثُمَّ وُلِدَ لَنَا غُلاَمٌ أَعْوَرُ أَضْرَسُ وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً، تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمَا، فَإِذَا هُوَ مُنْجَدِلٌ فِي الشَّمْسِ فِي قَطِيفَةٍ وَلَهُ هَمْهَمَةٌ، فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ: مَا قُلْتُمَا؟ وَهَلْ سَمِعْتَ مَا قُلْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَنَامُ عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢٤٨].

٥٥٠٤ ـ [١١] وَعَنْ جَابِرٍ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ وَلَدَتْ غُلاَماً مَمْسُوحَةٌ عَيْنُهُ طَالِعَةٌ نَابُهُ، فَأَشْفَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ الدَّجَّالَ، فَوَجَدَهُ تَحْتَ قَطِيفَةٍ يُهَمْهِمُ. فَآذَنَتْهُ أُمُّهُ فَقَالَتْ: يَا عَبْدَاللهِ هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ فَخَرَجَ مِنَ الْقَطِيفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَهَا قَاتَلَهَا اللهُ؟ لَوْ تَرَكَتْهُ لَبَيَّنَ». فَذَكَرَ مِثْلَ مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَسْتَ صَاحِبَهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِلاَّ يَكُنْ هُوَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ». فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُشْفِقاً أَنَّهُ هُوَ الدَّجَّالُ. رَوَاهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ». [شرح السنة: ٤٢٧٤].

عريض، أو طويل، وامرأة فرضاخة وفرضاخية: عظيمة الثديين.

وقوله: (فإذا هو منجدل) أي: ملقًى على الجدالة، والجدالة كسحابة: الأرض أو ذات رمل رقيق، و(الهمهمة) الكلام الخفي لا يفهم.

٥٥٠٤ ـ [١١] (جابر) قوله: (طالعة نابه) وقال الطيبي(١): هكذا في (شرح

---

(١) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٣٧)، و«شرح السنة» (٤٢٧٤).

وَهَذَا الْبَابُ خَالٍ عَنِ الْفَصْلِ الثَّالِثِ.

❖ ❖ ❖



* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥٠٥ ـ [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم ابنُ مَرْيَم حكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ. . . .

السنة)، والظاهر طالعاً نابه إلا أن يراد به الجنس، والتعدد فيه على التمحل، انتهى. وفي (القاموس)[1]: الناب: السن خلف الرباعية، مؤنث، والقطيفة دثار مخمل.

٥ ـ باب نزول عيسى عليه السلام

قد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء التي فيها إلى الأرض، ويكون تابعاً لدين محمد ﷺ، ولا يحكم إلا بشريعته، وأما بعض الأحكام التي ليست في شريعتنا الآن ويحكم به عيسى، فهو من باب بيان المدة كالنسخ فهو في ذلك الزمان من شريعة محمد ﷺ كوضع الجزية ونحوه، وعيسى عبراني أو سرياني، والنسبة إليه عيسي وعيسوي.

الفصل الأول

٥٥٠٥ ـ [١] (أبو هريرة) قوله: (فيكسر الصليب) وهو خشبتان متقاطعتان

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ١٢٩).

وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». . . . .

على هيئة المصلوب، ومنه الشكل الصليبي يراعونها النصارى ويحفظونها في كل شيء من أدواتهم وآلاتهم، وربما يعلقونه في أعناقهم مثل الزنار لغيرهم من الكفار، وهو هيئة صلب اليهود عيسى عليه السلام، وقد يجعلون فيه صورة عيسى عليه السلام. وفي (القاموس)[1]: الصليب: المصلوب والذي للنصارى، وصلبوا: اتخذوا صليباً، وفي (الصراح)[2]: صليب چليپاى ترسيان، والمقصود إبطال النصرانية والحكم بشرع الإسلام، وكذا قوله: **(ويقتل الخنزير)**، ومعناه تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، كذا قال الطيبي[3]، والظاهر إيجاب قتله، ويحتمل أن يراد بذلك عدم تقرير أهل الذمة على دينهم وعاداتهم كما هو الآن، والأظهر أن المراد هو الأول أعني إبطال دين النصرانية ومحو آثارها بقرينة قوله: **(ويضع الجزية)** فإن المراد به أن يضعها عنهم ويحملهم على الإسلام وإن لم يسلموا قتلهم، فالشريعة يومئذ إما السيف أو الإسلام.

و**(يفيض المال)** بفتح الياء على صيغة المضارع المعلوم من الفيض، ورفع (المال)، أو بضمها من الإفاضة ونصب (المال).

وقوله: **(حتى لا يقبله أحد)** متعلق به.

وقوله: **(حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا)** قال الطيبي[4]: هو غاية.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٩٨).

(٢) «الصراح» (ص: ٣٩).

(٣) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٣٨).

(٤) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٣٩).

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْـرَةَ: فاقرؤا إِن شـئْتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآيَة [النساء: ١٥٩]. . . . .

لقوله: (فيكسر الصليب . . . إلى آخره)، أي: لمجموع ما ذكر، والمعنى يتقوى ويتأكد أمر الدين والعبادة حتى يبلغ اجتهاد الناس وشوقهم إلى هذا المبلغ، ويجوز أن يتعلق بـ (يفيض المال) بعد تقيده بقوله: (حتى لا يقبله أحد) أي: أنهم يعرضون عن الدنيا وأموالها لكثرتها وعـدم الاحتياج إليها، فلا طاعة في بذله والتصدق به، فلا يشتغلون إلا بالصلاة.

وقوله: (فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾) ذكروا في تفسير هـذه الآية وجهين: **أحدهما**: أن الضميرين المجرورين لعيسى عليه السلام، أي: وأن من أهل الكتاب أحداً لا يؤمنـنّ بعيسى قبل موته، وذلك إذا نزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى إلا يؤمن به، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، وهذا هو المشار إليه في الحديث بقوله: ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

وثانيهما: أن الضميـر الأول لعيسى والثانـي فـي (قبـل موته) لـ (أحد) المقدر مستثنى منـه، والمعنى: ما مـن اليهود والنصارى أحـد إلا ليؤمنـن بعيسى أنه عبدالله ورسولـه وابن أمتـه قبل أن يموت، ولو حين يزهـق روحـه ولا ينفعه إيمانـه، ويؤيد ذلك أنه قرئ إلا ليؤمنن قبل موتهم بضم النون؛ لأن أحـداً في معنـى الجمع، وهـذا للتحريض علـى معالجة الإيمان قبـل أن يضطروا ولم ينفعهم إيمانهـم، وقيـل: على هذا التقدير الضمير في (بـه) لنبينا محمد ﷺ أو لله سبحانه، والمراد الإيمان به تعالى على ما ينبغي.

مُتَّفق عَلَيْهِ. [خ: ٢٢٢٢، م: ١٥٥].

٥٥٠٦ ـ [٢] وَعَنْـهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمـاً عَادِلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيـرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَـةَ، وَلَيَتْرُكَنَّ الْقِلاَصَ فَلاَ يسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُونَّ إِلَى الْمَالِ فَـلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَـةٍ لَهُمَا قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ». [م: ١٥٥].

٥٥٠٦ ـ [٢] (وعنه) قوله: (وليتركنّ) بصيغة المعلوم والضمير لعيسى كما في قرائنه، وقد يجعل بصيغة المجهول.

وقولـه: (القلاص) بكسر القـاف جمـع قلوص بفتحها: الإبل الشابة أو الباقية على السير، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثنى، ثم هي ناقة، أي: يترك القلاص، ولا يجد مـن يقبلها للاستغناء، ولا يعمـل عليها، ولا يركـب عليها، ولا يضرب في الأرض للتجارات وتحصيل الأموال.

وقوله: (ولتذهبـنّ الشحنـاء والتباغض) الشحناء: العداوة كالشحنة بالكسر، شاحنة: باغضة، وسبب ذهابها لأنها نتيجة حب الدنيا، فلما زال حبها زال ما يتبعها، أو لأن أكثـر أسبابهـا اختـلاف الأديـان فلمـا اتحـدت الملـة ارتفعـت. (وليدعـون) على صيغة جمـع المذكـر الغائـب المعلوم، والمفعول محـذوف، أي: الناس هكذا صحح.

وقولـه: (وإمامكـم منكم) أي: مـن قريـش وهـو المهدي، أي: عيسـى عليه السلام يقتدي بـه تكرمـة لهذه الأمـة المكرمة كما في الحديث الآتـي، فيكون عيسـى معلماً

٥٥٠٧ ـ [٣] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قَالَ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ: لاَ إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٥٦].

وَهَذَا الْبَابُ خَالٍ عَنِ الْفَصْلِ الثَّانِي.

للجماعة وإمام العامة وخليفة على الناس، ولكن يكون إمام الصلاة غيره وهو المهدي عليه السلام كما جاء في الأخبار، وقيل: معنى قوله: (إمامكم منكم) أنه يحكم بينكم بدينكم لا بالإنجيل، وروي: (فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم)[1]، أي: يؤمكم عيسى عليه السلام حال كونه من دينكم حاكماً بكتابكم وسنتكم، كذا في (مجمع البحار)[2]، وهذا محمول على الإمامة بمعنى الخلافة، وأما إمامة الصلاة فالحديث الآتي صريح في كونها لغير عيسى، وعلى كل تقدير دلالة الحديث كما قيل على أن عيسى لا يكون من أمة محمد ﷺ بل مقرراً لدينه وعوناً لأمته محل بحث، فافهم.

٥٥٠٧ ـ [٣] (جابر) قوله: (إلى يوم القيامة) أي: إلى قربه وظهور أشراطه فلا يخالف حديث: (لا يقوم القيامة إلا على شرار الخلق).

وقوله: (تكرمة الله) منصوب على أنه مفعول له، ويجوز رفعه، أي: تأمير بعضكم على بعض تكرمة.

---

(١) أخرجه أبو عوانة في «مستخرجه» (٣١٦).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٩٥).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٥٠٨ ـ [٤] عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ إِلَى الأَرْضِ، فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ، وَيَمْكُثُ خَمْساً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ فَيُدْفَنُ مَعِي فِي قَبْرِي، فَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ». رَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيُّ فِي «كِتَابِ الْوَفَاءِ».

❖ ❖ ❖

٦ ـ باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته

الفصل الثالث

٥٥٠٨ ـ [٤] (عبدالله بن عمرو) قوله: (فيدفن معي في قبري) أي: مقبرتي، وقد جاء في الأخبار أن في تلك البقعة الشريفة موضع قبر لم يتفق دفن أحد فيه، وقد قصدوا دفن الإمام الحسن بن علي ورضيت بذلك عائشة ﵄، وكذا رضيت بدفن عبد الرحمن بن عوف فلم يتيسروا، وقيل: استأذنوا عائشة بأن تدفن فقالت: إنما أدفن مع صواحبي في البقيع، قالوا: الحكمة فيه أن يدفن فيه عيسى ﵇ إذا مات في آخر الزمان، والله أعلم.

٦ ـ باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته

(قرب الساعة) بمضي أكثر المدة، والأجل الذي أجل له، وقد يقال: إنه إذا مضى زمان من جانب المبدأ ولو قليلاً فقد قرب، إذ المسافة منه إلى المنتهى أقل وأقرب من المبدأ إليه، والمراد هنا الأول كما هو الظاهر من الأحاديث والأخبار كما سيأتي، و(من مات فقد قامت قيامته) لفظ حديث رواه، وتسمى هذه قيامة صغرى،

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥٠٩ ـ [١] عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». قَالَ شُعْبَةُ: وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ........

والقيامة الوسطى هي موت الطبقة من الناس الذين هم قرناء كما سيأتي في حديث عائشة ﵂، والقيامة الكبرى هي موت الناس كلهم أجمعين، وقد أثبت في القيامة الصغرى أنموذج جميع ما يكون في القيامة الكبرى من الأحوال والأهوال بالنسبة إلى الشخص الميت، وقد فسر ذلك في (إحياء العلوم)، فلينظر ثمة.

الفصل الأول

٥٥٠٩ ـ [١] (شعبة) قوله: (بعثت أنا والساعة) بالرفع والنصب من باب جئت أنا وزيداً، والنصب هنا أنسب معنى.

وقوله: (كهاتين) وزاد في حديث مسلم بعده: (وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى)، وربطه بما قبله على تقدير أن يراد تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الأصبعين على الأخرى، إذ بالقران تظهر هذه النسبة في الرأي عند الناظرين، وإلا فالتقدم المذكور ثابت قرن أو لم يقرن، لا يقال: المعية تنافي الفضل؛ لأنا نقول: تلك معية مخصوصة غير حقيقية بتفاوت قليل وفضل مذكور، فافهم، وكذلك على الوجه الآخر أيضاً، وهو أن يكون المراد ارتباط دعوته بالساعة واتصالها بها بحيث لا يتخلل بينهما نبي، كما أن السبابة لا يفرق عن الوسطى ولا يتخلل بين الأصبعين أصبع أخرى، فيكون القران لإظهار ذلك المعنى وتأكيده، وإلا فهو ثابت في نفس الأمر، ثم رجح المعنى الأول بتصريح الراوي بذلك في تفسيره، ويأتي في حديث المستورد مصرحاً، وفي هذا الحديث المقصود منه بيان قرب الساعة بتعين هذا المعنى،

فِي قَصَصِهِ كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَهُ عَنْ أَنَسٍ أَوْ قَالَهُ قَتَادَةُ؟. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥٠٤، م: ٢٩٥١].

فإن اتصال الدعوى وارتباطها بالقيامة بالمعنى المذكور لا يقتضي قربها كما لا يخفى، وأما في حديث: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)، وأشار بالسبابة والوسطى، فقد قيل: إن الحمل على معنى الاتصال والمقارنة أنسب وأبلغ، فإن كونه تلو النبي ﷺ ومتأخراً منه في دخول الجنة بهذا المقدار فضل عظيم.

وأما اتصاله ومقارنته معه ﷺ فأفضل وأكمل، والمقام يقتضي المبالغة حتى إن الكرماني نقل في (شرح صحيح البخاري) عن بعضهم على تقدير الحمل على المعنى الأول أنه لما قال ﷺ هذا الكلام استوى السبابة والوسطى منه ﷺ حينئذ عياناً، ثم عاد إلى حالها وطبيعتها الأصلية تأكيداً لإثبات فضيلة كفالة اليتيم، والظاهر من عبارته أن ظهور المساواة في تلك الحالة كان بطريق المعجزة تقريراً وتأكيداً للمقصد، وأما ما ذكر في بعض الكتب الفارسية أن السبابة والوسطى منه ﷺ كانتا متساويتين بحكم الطبيعة فلم نجد له أصلاً، وكلام شراح الحديث بل متن الحديث يخالفه.

وقوله: (في قصصه) بفتح القاف مصدر قص الخبر: أعلمه، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[يوسف: ٣] نبين لك أحسن البيان، كذا في (القاموس)[1]، وفي (مجمع البحار)[2]: القصص بالفتح الاسم وبالكسر جمع قصة، انتهى، وصحح في الحديث بالفتح، وفي الحواشي: قصصه بكسر القاف والضمير لقتادة، فتدبر.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٦٣).

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٢٨١).

٥٥١٠ ـ [٢] وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونِّي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ يَأْتِي عَلَيْهَا مِئَةُ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٣٨].

٥٥١٠ ـ [٢] (جابر) قوله: **(تسألوني عن الساعة؟)** أي: تسألوني عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله، والذي أعلم هو الوسطى والصغرى.

وقوله: **(أقسم بالله ما على الأرض من نفس . . . إلخ)**، بيان لهما، فإن موت كل شخص قيامة صغرى، وموت مجموع هذه الطبقة الباقية إلى مئة سنة قيامة وسطى.

وقوله: **(من نفس منفوسة)** أي: مولودة من النفاس بمعنى الولادة، والظاهر أن معنى الحديث أنه ما من نفس مولودة موجودة الآن تبقى إلى مئة سنة منذ اليوم، وقد وقع كما أخبر ﷺ فإنه لم يبق من الصحابة أحد إلا إلى مئة سنة أو شيء زائد من الهجرة، ولكن هذه الأخبار بعد عشر سنين منها، فلا ينافي هذا ما ثبت أنه قد عاش بعض الصحابة أكثر من مئة سنة، ولا حاجة إلى أن يقال: إنه بحسب الأكثر والأغلب، وهذا مبني على أن يكون المراد لا يعيش أحد من الموجودين اليوم مئة سنة، ويلزم منه موت الخضر عليه السلام، وبه تمسك من يذهب إلى موته من بعض أكابر المحدثين، وإن كان الصواب خلافه، ونقل عن محيي السنة أن أربعة من الأنبياء في الحياة: الخضر وإلياس في الأرض وعيسى وإدريس في السماء، وهم مخصوصون من الحديث، أو أراد من على وجه الأرض من أمته، وقيل: لا تمسك لموت خضر فلعله كان على البحر يومئذ أو على الهواء، وقد تواترت الأخبار بوجوده بعد ذلك، والله أعلم، وإن أريد

٥٥١١ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَأْتِي مِئَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٥٣٩].

٥٥١٢ ـ [٤] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ عَنِ السَّاعَةِ، فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: «إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٦٥١١، م: ٢٩٥٤].

* الْفَصْلُ الثَّانِي:

٥٥١٣ ـ [٥] عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ، فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ» وَأَشَارَ بِأُصْبَعَيْهِ السبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. [ت: ٢٢١٣].

أن من كان مولوداً في ذلك الزمان كما هو مدلول الحديث الآتي فلا إشكال، فتأمل.

٥٥١١ ـ [٣] (أبو سعيد) قوله: (اليوم) إشارة إلى زمنه ﷺ ومتعلق بـ (منفوسة)، أي: مولودة في زمان، فيخرج الخضر من عمومه.

٥٥١٢ ـ [٤] (عائشة) قوله: (حتى تقوم عليكم ساعتكم) وهذه هي القيامة الوسطى التي هي عبارة عن انقراض القرن، ومن هم في طبقته أجمعين، ولهذا قال: (تقوم عليكم ساعتكم).

الفصل الثاني

٥٥١٣ ـ [٥] (المستورد بن شداد) قوله: (في نفس الساعة) بفتحتين، أي: نفسها وابتداء ظهورها، من نفس الصبح: إذا ابتلج.

٥٥١٤ ـ [٦] وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِـي وَقَّاصٍ عَنِ[1] النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ تَعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّـهَا أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ». قِيلَ لِسَعْدٍ: وَكَمْ نِصْفُ يَوْمٍ؟ قَالَ: خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. [د: ٤٣٥٠].

٥٥١٤ ـ [٦] (سعد بن أبي وقاص) قوله: (إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها) عدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة والمكانة عند الله، والمعنى أني لأرجو أن يكون لأمتي مكانة ومنزلة عند الله أن يمهلهم إلى مدة خمس مئة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى الساعة، ويحتمل أن يكون يعجز بضم ياء وكسر جيم، أي: لا يفوتهم تأخير ربها إياهم، فـ (أمتي) مفعول، و(أن يؤخرهم) فاعل، كذا في (مجمع البحار)[2]، نقلا عن (المقاصد) شرح صحيح البخاري، وقيل: المراد تأخيرهم في الدنيا سالمين من العقوبات والشدائد والذلة.

واعلم أنه قد ذكر السيوطي في رسالته المسماة بـ (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف) أنه قد أفتى بعض العلماء في زماننا أنه يقع في المئة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وسائر الأشراط فاستبعدت ذلك ورددت عليه، وقلت: الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة، وأنه إن تأخر الدجال على رأس ألف إلى مئة أخرى كانت المدة أكثر، ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمس مئة سنة أصلاً، انتهى، والحق أنه شيء فهموه من الأخبار والآثار التي بلغت إليهم على ما بلغ إلى أفهامهم بعد أن تكون الأخبار صحيحة، والحق أنه مبهم، ولا يمكن تعيينه، والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(١) في نسخة: «أن النبي».

(٢) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٢٥).

* الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

٥٥١٥ ـ [٧] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ هَذِهِ الدُّنْيَا مَثَلُ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَبَقِيَ مُتَعَلِّقاً بِخَيْطٍ فِي آخِرِهِ، فَيُوشِكُ ذَلِكَ الْخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ». [شعب: ٩٧٥٩].

❖ ❖ ❖

٧ ـ باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس

* الْفَصْلُ الأَوَّلُ:

٥٥١٦ ـ [١] عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ اللهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ١٤٨].

الفصل الثالث

٥٥١٥ ـ [٧] (أنس) قوله: (فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع) إشارة إلى قلة بقاء مدة الدنيا وقرب الساعة.

٧ ـ باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس

بإضافة (باب) إلى الجملة، ويمكن أن ينون (باب)، وهذا كثير في تراجم البخاري، وقد صحح بالوجهين.

الفصل الأول

٥٥١٦ ـ [١] (أنس) قوله: (حتى لا يقال في الأرض: الله الله) أي: لا يذكر ولا يعبد، وقد صحح (الله الله) بالرفع، وقيل في توجيهه: إن الأول مبتدأ والثاني خبر،

٥٥١٧ ـ [٢] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ». رَوَاهُ مُسلم. [م: ٢٩٤٩].

٥٥١٨ ـ [٣] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ». وَذُو الْخَلَصَةِ: طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [خ: ٧١١٦، م: ٢٩٠٦].

أي: أنه المعبود، أو على العكس، أي: المعبود هو، وبالنصب، أي: احذروا الله واعبدوه، هذا ويحتمل أن يكون بالوقف كما يقال في حالة الذكر، وفيه أن بقاء العالم ببركة ذكر الله، فإذا ارتفع فني وخرب.

٥٥١٧ ـ [٢] (عبدالله بن مسعود) قوله: (**إلا على شرار الخلق**) الظاهر أنهم الكفار وهم المرادون من شرار الناس، إذ شرار الناس شرار الخلق كلهم.

٥٥١٨ ـ [٣] (أبو هريرة) قوله: (**حتى تضطرب أليات**) بفتح الهمزة وسكون اللام جمع ألية بفتح الهمزة وسكون اللام: وهي اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ، كذا في (مجمع البحار)[1]، وفي (القاموس)[2]: الألية: العجيزة، أو ما ركب العجز من شحم ولحم، وفي (المشارق)[3]: الألية بفتح الهمزة: لحمة المؤخر من الحيوان، وهي من ابن آدم المقعدة، وجمعها أليات بفتح اللام كما في حديث: (حتى تضطرب أليات دوس) ودوس بفتح الدال وسكون الواو: قبيلة من اليمن.

و(**ذو الخلصة**) بفتح الخاء واللام وبضمتين: بيت كان يدعى الكعبة اليمانية

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٧٩).

(٢) «القاموس المحيط» (ص: ١١٣٤).

(٣) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٢).

. . . .

لخثعم كان فيه صنم اسمه الخلصة، أو لأنه كان بيت الخلصة، والخلص محركة: شجر كالكرم، يتعلق بالشجر، فيعلو، طيب الريح، واحدته بهاء، كذا في (القاموس)[1].

وقال الطيبي[2]: ذو الخلصة بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم، وقيل: هو الكعبة اليمانية التي كانت باليمن، خربها جرير بأمر النبي ﷺ، والخلصة: اسم صنم، ويخدشه اختصاص ذو باسم الجنس، وفيه أنه قد يضاف إلى غيره كما ذكر في النحو، فليكن هذا من ذلك القبيل، أو صح ذلك لكون هذا العلم منقولاً من اسم الجنس، وفي (مجمع البحار)[3] من (الكرماني): ذو الخلصة بفتحات على الأشهر: بيت صنم ببلاد فارس، وهي الكعبة اليمانية شابهوا بها الكعبة المشرفة، وفي جعله ببلاد فارس نظر، ولعله باعتبار أن البلاد اليمانية كانت داخلة في ملك فارس في أهل كسرى، أو باعتبار أن البلاد الفارسية كانت في جانب اليمن، والله أعلم.

وقد وقع في عبارة البخاري: ويقال له: الكعبة اليمانية والكعبة الشامية، وهذا مشكل لأن الكعبة الشامية هي الكعبة المشرفة، ووجهوه بأن التقدير كان يقال له: الكعبة اليمانية، والتي بمكة: الكعبة الشامية، وقد يروى ترك الواو بمعنى كان يقال هذان اللفظان، أحدهما لموضع والآخر لآخر، هذا وقد فسر في الحديث أن ذا الخلصة طاغية دوس؛ أي: صنمهم الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية، فعلى ما ذكروا يكون فيه مسامحة، أي: بيت طاغية، والله أعلم.

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٥).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٨٤).

(٣) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٨٣).

٥٥١٩ ـ [٤] وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا[١]. قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتُوُفِّيَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِم». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٠٧].

والمراد باضطراب أَلية نساء دوس حول ذي الخلصة مجيء نساء دوس إلى طواف ذي الخلصة بالارتداد وشيوع الكفر، وفي لفظ الاضطراب إشارة إلى سمنهن وفراغهن وتنعمهن بالملاذ والشهوات، وقيل: كناية عن كثرتهن حين الطواف، يعني: كثرتهن يلتصق أَلية بعضهن ببعض.

٥٥١٩ ـ [٤] **(عائشة)** قوله: **(اللات والعزى)** اسمان لصنمين مشهورين، الأول لثقيف والثاني لغطفان وسليم.

وقوله: **(إن كنت لأظن)** مخففة من المثقلة.

وقوله: **(أن ذلك تاماً)** سادٌّ مسدّ مفعولي (أظن)، و(تام) يروى بالرفع، أي: كنت أظن أن عبادة الأصنام قد تمت وانقضت، ولا يكون بعده أبداً، وبالنصب إما على الحالية، وخبر **(ذلك)** محذوف، أو خبر (كان) المقدر.

وقوله: **(إنه سيكون من ذلك ما شاء)** كان تامة وما شاء الله فاعله، أي: مقدار

---

(١) في نسخة: «تام».

٥٥٢٠ ـ [٥] وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ» لاَ أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ شَهْراً أَوْ عَاماً «فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ فِي النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ. . . . .

شاءه الله تعالى، أو ظرف فاعله (من ذلك)، أي: سيكون شيء من ذلك مدة مشيئة الله تعالى، وذلك آخر الزمان الذي أراد الله تعالى فيه إهلاكهم.

٥٥٢٠ ـ [٥] (عبدالله بن عمرو) قوله: (لا أدري . . . إلخ)، هذا من كلام عبدالله، أي: لا أدري أيًا من هذه الثلاثة أراد ﷺ، وقد ورد في بعض الأحاديث: يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة، وفي بعضها: أربعين يوماً، وقد سبق وجه تطبيق بينهما أيضاً فتذكر.

وقوله: (كأنه عروة بن مسعود) هو أبو مسعود، وقيل: أبو يعفور عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، وليس مسعود هذا أبا عبدالله بن مسعود، وليس عروة أخاه، فإنه عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي.

وقوله: (يمكث في الناس سبع سنين) هذا المكث بعد إهلاك الدجال، فلا ينافي ما سبق في (باب نزول عيسى) من أن عيسى يمكث خمساً وأربعين سنة، كذا في الحاشية.

وقوله: (في كبد جبل) الكبد: الجوف بكماله، ووسط الشيء ومعظمه، كذا في (القاموس)[1].

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٤).

لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَحْيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً». . . . .

وقوله: (**في خفة الطير وأحلام السباع**) أي: يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كالطير، وفي ظلم بعضهم على بعض والسفك والقتل في أخلاق السباع، كذا في (مجمع البحار)[1]، ولعل الأحلام هنا جمع حلم بالكسر بمعنى العقل والأناة، والمراد به التثبت والتمكن من القتل والإهلاك.

وقوله: (**ألا تستجيبون**) يردعهم عن الفسق والفساد تلبيساً عليهم ودعوة على عبادة الأوثان وإلى ما هو أشد وأشنع من الفسق وهو الشرك.

وقوله: (**دار رزقهم**) من الدرور وهو الصب والسيلان. (**إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً**)، الليت بالكسر: صفحة العنق، والإصغاء: الإمالة، أي: يصعق السامع خوفاً ودهشة، فيسقط رأسه قواه فيميل ليتاً ويرفع ليتاً، والإسناد مجازي إن كان للنفخ، وإن كان لأحد فحقيقي، وقيل: إن هذا عبارة عن تطلب المستمع حقيقة ما ورد على سمعه من الصوت، وتعقب بأن هذا إنما يوجد في استماع الأصوات التي يبقى من الإنسان عند استماعها حس أو شعور، والأمر في استماع النفخة أعظم وأهون من ذلك، وإنما المراد أن السامع يدهش ويسقط عقله أو يموت وينشق قلبه، فيظهر أثر

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٧٤). وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/ ٣٠٤).

قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِـلِهِ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ، فَيَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلى رَبِّكُمْ قِفُوهُمْ إِنَّهم مَسْؤُولُونَ فَيُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ كَمْ؟. . . . .

ذلك في سقوط رأسه إلى أحد شقه.

وقوله: (**يلوط حوض إبله**) أي: يطينه ويصلحه ليسقيه فيه، في (القاموس)[1]: لاط الحوض: طينه.

وقوله: (**هلم**) أي: تعالوا وارجعوا، خطاب للناس يستوي فيه الواحد والجمع، والخطاب في (قفوهم) للملائكة وضمير المفعول للناس، أي: احبسوهم، وفي بعض النسخ: (وقفوهم) بواو العطف، فقال الطيبي[2]: عطف على (يقال) على سبيل التقدير، أي: يقال للناس: هلم، ويقال للملائكة: قفوهم، انتهى، ويمكن أن يكون حكاية لنظم القرآن كما هو، وهو قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[الصافات: ٢٣ ـ ٢٤]، وهو هناك عطف على قوله: ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ وهو أيضاً خطاب للملائكة.

وقوله: (**أخرجوا بعث النار**) أي: من يبعث إليها، وفي (القاموس)[3]: البعث ويحرك: الجيش والجمع بعوث.

وقوله: (من كم كم؟) أي: كم نفساً من الموقوفين؟ كم نفساً من المبعوثين

---

(١) «القاموس المحيط» (ص: ٦١٧).

(٢) «شرح الطيبي» (١١/ ٣٤٨٦).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ١٥٢).

فَيُقَالُ: مِنْ كُـلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَـةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ» قَـالَ: «فَذَلِكَ يَـوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. [م: ٢٩٤٠].

يخرج؟، (فيقال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين)، وقد فسر به قوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[النساء: ١١٨]، وهم الذين استوجبوا النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم، ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم، أو يخرجوا منها بالشفاعة.

وقوله: (فذلك يوم يجعل الولدان شيباً) كناية عن طول ذلك اليوم وشدة المحنة فيه.

وقوله: (ذلك يوم يكشف عن ساق) أي: يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب، وكشف الساق مثل في ذلك، يقال: كشفت الحرب عن ساقها على المجاز، (أو يوم يكشف) عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً مستعار عن ساق الشجر وساق الإنسان، وفي (مجمع البحار)[١]: هو لغة: الأمر الشديد، وكشف الساق مثل في الشدة ولا ساق هناك ولا كشف، كما يقال للأقطع الشحيح: يده مغلولة، وأصله أن من وقع في أمر شديد يقال: شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به، وقال الطيبي[٢]: هو مما يجب التوقف فيه عند السلف، أو يأوّل بالكشف عن أمر فظيع، وهو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا، وفي (القاموس)[٣]: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القلم: ٢٤] أي: عن شدة، ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾[القيامة: ٢٩]: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة، يذكرون

---

(١) «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٤٩).

(٢) «شرح الطيبي» (١٠/ ١٤٧).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٨٠٦).

وَذُكِرَ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: «لاَ تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ» فِي «بَاب التَّوْبَة».

الساق إذا أرادوا شدة الأمر والإخبار عن هولـه، انتهى، ويروى: (يكشف عن ساقـه فيسجد له كل مؤمن) أي: يكشف عن شدة يرتفع بها سواتر الامتحان فيتميز عنده أهل اليقين بالسجود من أهل الريب، وقيل: المراد النور العظيم، وقيل: جماعة الملائكة، والمراد يوم القيامة أو وقت النزع، وتمامه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ الآية [القلم: ٤٢].

وقولـه: (وذكر حديث معاوية: **لا تنقطع الهجرة**) وفيه ذكر طلوع الشمس من مغربها، وهذا الباب خـال عـن الفصل الثاني، ولـم يذكره المؤلف نسياناً، ولم يورد الفصل الثالث أيضاً.

تم بحمـد الله وتوفيقـه المجلد الثامن ويتلوه إن شاء الله تعالى المجلـد التاسع وأوله: (كتاب أحوال يوم القيامة).

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.







الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

